AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد كتب
صالح الدقر

A.U.B. LIBRARY

LIB.

مُهذّبُ الأغانى

892.7109
A2195aKhA
v.5-6

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الخامس

فى الشعراء الاسلاميين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

29158

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٠٠٠/٢٥/١٦٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء خندف

شعراء عكل

سويد بن كراع العكلى

شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان رجل بنى عُكْل وذا الرأى والتقدم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعدىّ وتَيْم هم الرَّباب

كان بين بني السِّيد بن مالك من ضَبَّة وبين بني عدىّ بن عبد مَناة تَرامٍ على خَبْراء [1] بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج فرمى عمرو بن حشفة أخو بنى شُيَيْم فمات ، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يُقال له مُدْلج بن ضمرة العدوى فمكث أياما لم يمت ، فمر رجل من بنى عدى يقال له معقل على بنى السيد فأخذوه وشدوه وثاقاً فأفلت منهم ومشى بينهم عصمة بن وثير التيمى سفيراً فقال لسالم بن فلان العدوى لو رهنتهم نفسك فان مات مدلج كان رجل برجل وان لم يمت حملت دية صاحبهم ففعل ذلك سالم وعدت عليه بنو السيد فقتلوه فقال فى ذلك خالد بن علقمة أخو عبد الله بن دارم

أسالم ما منتك نفسك بعد ما ... أتيت بنى السِّيد الغُواة الا شائما

أسالم قد منتك نفسك انما ... تكون دِيات ثم ترجع سالما

---

(١) الخبراء القاع الذى ينبت السدر والعضاه

كذبت ولكن ثائر متبسل يلقّيك مصقول الحديدة صارما
أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما
أسالم ان أفلتّ من شر هذه فوائل [1] فراراً انما كنت حالما
وقد أسلمت تيم عديا فأربعت ودلّت [2] لأسباب المنية سالما

فأجابه سويد بن كراع

أشاعرَ عبدِ الله ان كنت لائما فانى لما تأتى من الأمر لائم
تحضض أفناء الرّباب سفاهة وعرضك موفور وليلك نائم
وهل عجب أن تدرك السيّد وترها وتصبر للحق السّراة الأكارم
رأيتك لم تمنع طُهَيَّة حكمها وأعطيت يربوعا وأنفك راغم
وأنت امرؤ لا تقبل النصح طائعا ولكن متى تقهر فانك رائم

وقال فى ذلك

أرى آل يربوع وأفناء [3] مالك أعضّك فى الحرب الحديد المنقبا
همُ رفعوا فأس [4] اللجام فأدركت لهاتك حتى لم تدَعْ لك مشربا
فان عدت عادوا بالتي ليس فوقها من الشر الا أن تبيت محجبا
وتصبح تدري [5] الكعكبية قاعدا وينتف من ليتيك ما كان أزغبا
فهل سألونا خصلة غير حقهم وهل نحن أعطينا سواء فتعجبا

فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سُوَيد فى هجائه إياهم فطلبه فهرب ولم يزل متوارياً حتى كلم فيه فأمنه على ألاّ يعاود فقال

تقول ابنة العَوْفى ليلى ألا ترى الى ابن كُراع لا يزال مفزّعا
مخافةُ هذين الاميرين سَهّدت رقادى وغشّتنى بياضا تقرعا

(١) واءل طلب النجاة (٢) دلا أرسله (٣) اخلاط الناس واحدها فنو بالكسر (٤) فأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك (٥) تدرى تمشط والكعكبية ضرب من المشط والليت صفحة العنق

على غير جُرْم غير أن جار ظالم ... علىّ فجهزت القصيد المفرعا
وقد هابنى الأقوام لما رميتهم ... بفاقرة ان همّ ان يتشجعا
أبيت بأبواب القوافى كأنما ... أُصادى بها شَرْبا من الوحش نُزَّعا
أكالؤها حتى أعرس بعد ما ... يكون سُحَير أو بعيد فأهجعا
فجشَّمنى خوفُ ابن عثمان ردها ... ورِعْيتها صيفا جديدا ومَرْبَعا
نهانى ابن عثمان الامام وقد مضت ... نوافذ لو تَرْدِى الصفا لتصدعا
عوارق ما يتركن لحما بعظمه ... ولا عظمَ لحم دون أن يتمزعا
أحقاً هداك الله أن جار ظالم ... فأنكر مظلوم بأن يؤخذا معا
وأنت ابن حكام أقاموا وقوموا ... قروناً وأعطَوا نائلا غير أقطعا

ومن شعره يمدح بغيض بن عامر بن شماس بن لأى

ارتعت للزّوْر اذ حيا وأرَّقني ... ولم يكن دانياً منا ولا صَدَدا[1]
ودونه سَبْسَب تُنْضَى[2] المطىُّ به ... حتى ترى العَنْس تُلْقى رحلها الأُجُدا
اذا ذكرتك فاضت عبرتى دِرَرا ... وكاد مكتوم قلبى يصْدَع الكبدا
وذاك منى هوًى قد كان أضمره ... قلبي فما ازداد من نقص ولا نَفِدا
وقد أرانا وحال الناس صالحة ... نحتل مربوعة أُدْمان أو بَرَدَى
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذى كنا به أبدا
أيام أعلم كم أعملت نحـوكم ... من عِرْمس[3] عاقد لم تَرْأَم الولدا
تُصيخ عند السُّرَى فى البيد سامية ... سطعاء[4] تنهض فى مبْنَاتها صُعُدا

(١) دارى صدد داره أى قبالته والزور الزائر (٢) أنضى بعيره هزله بكثرة السير والاجد القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر وهو من صفة العنس وهى الناقة الصلبة
(٣) العرمس الناقة الصلبة والناقة العاقد هى التى أقرت باللقاح وذلك حين تعقد بذيلها فيعلم انها قد حملت ورأمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته (٤) ناقة سطعاء طويلة العنق والمبناة القبة من الأدم شبهت بها الناقة لسمنها وكثرة لحمها

كأن رحلي على حُمْش قوائمه تزيل غرثان أمسى طاويا وحِدا (١)
هاجت عليه من الجوزاء سارية وطفاء (٢) تحمل جوناً مُرْدِفاً نَضِدا
فألجأته الى أرطاة (٣) عاتكة فيحاء ينهال منها تُربُها التبدا
تخال عِطْفَيه من جَوْل الرَّذاذ به منظما بيدى دارية فَرَدا
حتى اذا ما انجلت عنه دُجُنَّته وكشف الصبح عنه الليل فاطَّردا
غدا كذى التاج حلَّته أساورة كأنما اجتاب فى حر الضحى سَنَدا

يقول فيها

لا يُبعد الله اذ ودعت أرضهمُ أخى بغيضاً ولكن غيره بَعِدا
لا يُبعد الله من يعطى الجزيل ومن يحبو الخليل وما أكدى وما صَلَدا
ومن تلاقيه بالمعروف معترفا اذا الجرهَدَّ (٤) صفا المذموم أو صلدا
لاقيته مُفْضِلا تَنْدَى أنامله ان يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
تجئ عفواً اذا جاءت عطيته ولا تخالط ترنيقاً ولا زهدا
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه خلقاً وأوسعه خيراً ومنتقدا
اذا تكلف أقوام صنائعه لاقوا ولم يظلموا من دونها صُعُدا (٥)
بحر اذا نكس الاقوام أو ضَجِروا لاقيت خير يديه دائماً رَغَدا
لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه ولا يرى البخل منهاة له أبدا
انى لرافده ودى ومنصرتى وحافظ غيبه ان غاب أو شهدا

---

(١) الوحد المنفرد والغرثان الجائع والحمش جمع الاحمش وهو دقيق الساقين يشبه ناقته به
(٢) سحابة وطفاء مسترخية لكثرة مائها والنضد من السحاب ما تراكم وتراكب
(٣) الأرطاة واحدة الأرطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمرته كالعناب مرة يأكلها الابل غضة وعروقه حمر وعاتكة شديدة الحمرة (٤) اجرهدت السنة اشتدت وصعبت ومكان صلد لا ينبت وقد صلد (٥) جمع صعود وهو العقبة الشاقة

ومن شعره وفيه غناء

خليلىّ قوما فى عطالة فانظرا أناراً أرى من نحو يَبْرين أم برقا
فان يك برقا فهو فى مُشْمَخِرَّة تغادر ماء لا قليلاً ولا طِرقا
وان تك ناراً فهى نار بملتقى من الريح تَسْفيها وتَصْفِقها صفقا
لأم على أوقدتها طَماعة لأَوْبة سَفْر أن تكون لهم وَفْقا

السمهرى العكلى

هو السَّمْهَرِىّ بن بشر بن أُقيش العكلى يكنى أبا الدِّيل

لقى هو وبَهْدل ومَرْوان ابنا قِرْقة الطائيان عونَ بن جَعْدة بن هُبَيْرة المخزومى ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة فرماه بهدل فأَقصده ، فلما قتلوه ندموا فهربوا ، وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان فكتب الى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق ، والى هشام بن اسمعيل وهو عامله على المدينة ، والى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون ويبالغوا فى ذلك وأن يأخذوا السُّعاة به أشد أخذ ويجعلوا لمن دل عليه جُعْله ، وانشام [1] السمهرى فى بلاد غطفان ماشاء الله ، ثم مر بنخل فقالت عجوز من بنى فزارة أظن والله هذا العكلى الذى قتل عوناً ، فوثبوا عليه فأَخذوه ، ومر أيوب بن سلمة المخزومى بهم فقالت له بنو فزارة هذا العكلى قاتل ابن عمك فأَخذه منهم فأَتى به هشام بن اسمعيل المخزومى عامل المدينة فجحد وأبى أن يقر ، فرفعه الى السجن فحبسه ، فلما كان في يوم جمعة والامام يخطب فك احدى حَلْقتى قيده ورمى بنفسه من فوق السجن والناس فى صلاتهم وقال فى هربه

نجوت ونفسى عند ليلَى رهينة وقد غمنى داجٍ من الليل دامس

(١) دخل

وغامست عن نفسى بأخلق مقصل ولاخير فى نفس امرئ لاتغامس
ولو أن ليلى أبصرتني غدوة ومَطْواى والصف الذين أمارس
اذاً لبكت ليلى عليَّ وأعولت وما نالت الثوب الذى أنا لابس

ثم مر بابنى قائد بن حبيب من بني أسد ثم من بنى فَقْعس ، فأخذاه وانطلقا به الى عثمان بن حيَّان المرى أمير المدينة فكتب فيه الى الخليفة ، فأمره أن يدفعه الى ابن أخى عون ، فقال السمهرى أتقتلني وأنت لا تدرى أقاتل عمك أنا أم لا ؟ أُدْنُ أخبرك ، فأراد الدنو منه فحَذِر ، وانما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله ، ولما حبسه ابن حيان فى السجن قال يحكى ما كان بينه وبين لهبى عائف

ألا أيها البيت الذى أنا هاجره فلا البيتَ منسى ولا أنا زائره
ألا طرقت ليلى وساقى رهينة بأشهبَ مشدود علىَّ مسامره
فان أنْجُ يا ليلى فرب فتى نجا وان تكن الاخرى فشيء أُحاذره
وما أصدق الطير التى برحت لنا وما أعيف اللِّهبي لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطاً فوق بانة يُنَشْنِش أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب باغتراب من النوى وبانٌ ببين من حبيب نحاذره
فكان اغتراب بالغراب ونيَّة وبالبان بين بيِّن لك طائره

وقال السمهرى فى السجن يحرض أخاه مالكا على ابن قائد

فمن مبلغٌ عني خليلى ومالكاً رسالة مشدود الوثاق غريب
ومن مبلغٌ حزماً وتيْماً ومالكاً وأرباب حامى الحفر رهط شبيب
ليبكوا التى قالت بصحراء منْعَج لي الشرك يا ابنى قائد بن حبيب
أتضرب فى لحمى بسهم ولم يكن لها فى سهام المسلمين نصيبى

وقال يرقق بنى أسد

تمنت سليمى أن أقيل بأرضها وأنَّى لسلمى وَيْبَها ما تمنت

ألا ليت شعرى هل أزورن ساجراً ... وقد رويت ماء الغوادى وعُلَّت
بنى أسد هل فيكمُ من هوادة ... فيغفر إن كانت بى النعل زلَّت

وقال فى الحبس يذم قومه

لقد جمع الحدَّاد بين عِصابة ... تسائل في الأقياد ماذا ذنوبها
بمنزلة أما اللئيم فشامت ... بها وكرام القوم باد شحوبها
إذا حرسى قعقع الباب أرعدت ... فرائص أقوام وطارت قلوبها
ألا ليتنى من غير عُكْل قبيلتى ... ولم أدر ما شبان عُكْل وشيبها
قُبَيِّلة لا يقرع الباب وفدُها ... بخير ولا يُهْدي الصواب خطيبها
ترى الباب لا تستطيع شياً وراءه ... كأنا قُنِىٌّ أسلمتها كعوبها
وان تك عُكْل سرّها ما أصابنى ... فقد كنت مصبوباً على ما يريبها

وقال أيضاً فى الحبس

ألا حىّ ليلى إذ أتم لمامها ... وكان مع القوم الأعادى كلامها
تعللْ بليلى انما أنت هامة ... من الغد يدنو كلَّ يوم حِمامها
وبادر بليلى أوجه الركب انهم ... متى يرجعوا يحرمْ عليك كلامها
وكيف تُرَجّيها وقد حيل دونها ... وأقسم أقوام مخوف قسامها
لأجتنبنها أو ليبتدرُنَّني ... بليض عليها الأثر فعم كلامها
لقد طرقت ليلى ورجلى رهينة ... فما راعنى في السجن إلا لمامها
فلما انتبهت للخيال الذى سرى ... إذا الارض قَفْر قد علاها قتامها
فلا تكن ليلى طوتك فانه ... شبيه بليلى حسنها وقوامها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة ... وتبلى عظامى حين تبلى عظامها

وقال أيضاً

ألا طرقت ليلى وساق رهينة ... بأسمرَ مشدودٍ علىَّ ثقيل

فما البين ياسلمى بأن تشحط النوى ولكنَّ بيناً ما يريد عقيل
فان أنج منها أنج من ذى عظيمة وان كانت الأخرى فتلك سبيل

وقال وهو طريد

فلا تيأسا من رحمة الله وانظرا بوادي جبونا أن تَهُبّ شمال
ولا تيأسا أن ترزقا أريحيَّة كعين الهما أعناقهن طوال
من الحارثيين الذين دماؤهم حرام وأما مالهم فحلال

وقال أيضاً

ألم تر أنى وابن أبيض قد هفت بنا الأرض إلا أن نؤمّ الفيافيا
طريدين من حيين شتى أشدنا مخافتنا حتى نحلنا النصافيا
وما لمته فى أمر حزم ونجدة وما لامني فى مرّتى واحتياليا
وقلت له اذ حل يستقى ويستقى وقد كان ضوء الصبح لليل حاديا
لعمري لقد لاقت ركابك مشربا لئن هي لم تصبح عليهن عاليا

ثم أخذ بهدل ومروان فقتلا أيضاً وقالت بنت بهدل ترثيه

فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه ببطن الثرى مثل الفنيق المسدَّم (١)
دعا دعوة لما أتى أرض مالك ومن لا يُجب عند الحفيظة يُسلم
أما كان فى قيس من ابن حفيظة من القوم طلاب الترّات غشمشم
فيقتل جبراً بامرئ لم يكن له بَواءً ولكن لا تكايل بالدم

وكان دعا يال مالك لينزعوه فلم يجبه أحد

(١) المسدم الهائج والفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته ولا يركب

شعراء تميم

مالك بن الريب

هو مالك بن الريب بن حوط المازنى من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ابن مر بن أدّ بن طابخة بن الياس

شاعر فاتك لص ، منشؤه فى بادية بني تميم بالبصرة ، من شعراء الاسلام فى أول أيام بنى أمية

كان هو ورفيقان له يقطعون الطريق فساموا الناس شراً ، وطلبهم مروان ابن الحكم ، عامل المدينة فهربوا ، فكتب الى الحارث بن حاطب الجمحى وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه ، وبلغ مالك بن الريب أن الحارث يتوعده فقال

تألّى حِلْفة فى غير جُرْم ... أميرى حارث شبه الضِّرار
علىَّ لأجْلَدَنْ فى غير جُرْم ... ولا أدنى فينفعني اعتذارى
وقلت وقد ضممت إلىَّ جأشى ... تحلَّل لا تألَّ علىّ حارِ
فانى سوف يكفينيك عزمى ... ونَصُّ العِيس بالبلد القفار
وعَنْس ذات معْجَمة أمون ... علَنْدَاة موثّقة الفقار (١)
تزِيف (٢) اذا تواهقت المطايا ... كما زاف المشرف للخِطار
وان ضربت بلَحْيَيها وعامت ... تفصم عنهما حَاقى السِّعار

---

(١) العنس الناقة الصلبة القوية وذات معجمة أى قوة وسمن وبقية على السير والأمون المأمونة الكلال والمغار والعلنداة الضخمة الطويلة الشديدة (٢) تزيف تسرع في تمايل والمواهقة فى السير المواظبة ومد الاعناق

مِراحاً غير ماضِغْن ولكن ... لَجاجاً حين تشتبه الصحارى
اذا ما استقبلت جَوْناً بهيماً ... تفرج عن مُخَيَّسَة (١) حَضَار
اذا ما حال روض رُبَاب (٢) دوني ... وثَلْيث فشأنك بالبكار
وأنيابي سيُخْلفهن سيفي ... وشَدَّات الكَمِيِّ على التِّجار
فان أسطع أُرِحْ منه أُناسي ... لضربة فاتك غير اعتذار
وان يُفْلت فاني سوف أبغي ... بنيه بالمدينة أو صِرار (٣)
ولا جزع من الحدثان يوماً ... ولكني أرود لكم وَبار (٤)
بهزمار تراد العيس فيها ... اذا أشفقن من قلق الصغار
وهن يُحَشْن بالأعناق حوشاً ... كأن عظامهن قِدَاح بار
كأن الرحل أسأر (٥) من قَراها ... هلال عشية بعد السِّرار
رأيت وقد أتى نَجْران دوني ... لليلى بالعميم ضوء نار
اذا ما قلت قد خَمدت زهاها ... عِصِيُّ الرَّنْد والعُصُف السَّوارى
يُشَبّ وقودها ويلوح وهناً ... كما لاح الشَّبوب من الصُّوار (٦)
كأن النار اذ شبت لليلى ... أضاءت جيد مُغْزِلة نَوار
وتصطاد القلوب على مَطاها ... بلا جعد القرون ولا قصار
وتَبْسِم عن نقى اللون عذب ... كما شيف الأقاحي بالقطار
أتجزع أن عرفت ببطن قَوّ ... وصحراء الأُديهم رسمَ دار
وأن حل الخليط ولست فيهم ... مرابع بين دَحْلَ الى سَرار

---

(١) خيس البعير راضه وذلّله بالركوب والحضار هجان الابل
(٢) أرض بين ديار بني عامر وبلحارث بن كعب (٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة
(٤) أرض لم يطأ أحد ثراها (٥) أسأر أبقى والقرا الظهر (٦) الشبوب الشاب من الثيران والغنم والصوار القطيع من البقر

اذا حلوا بعائجـــة خلاء يقطف كور جنوتها العرار

ثم سار الى فارس مع ثلة من أصحابه ، وفى ذلك يقول

أحقاً على السلطان أما الذى له فيُعطَى وأما ما يراد فيمنع
اذا ما جعلت الرمل بينى وبينه وأعرض سَهْب بين يَبْرين بَلْقَع
من الأُدمَى لا يستجم بها القطا تكل الرياح دونه فتقطع
فشأنكمُ يا آل مروان فاطلبوا سِـــقاطى فما فيه لباغيه مطمع
وما أنا كالعيْر المقيم لأهله على القيد فى بُحبوحة الضيم يرتع
ولولا رسول الله أن كان منكم تبين من بالنَّصْف يرضى ويقنع

وقال أيضاً

لو كنتمُ تنكرون العذر قلت لكم يا آل مَرْوان جارى منكم الحكم
وأتقيكم يمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
لا كنت أحدث سوءاً فى امارتكم ولا الذى فات منى قبل ينتقم
نحن الذين اذا خفتم مجللة قلتم لنا انتا منكم لتعتصموا
حتى اذا انفرجت عنكم دُجمَّتها صرتم كجَرْم فلا إلٌّ ولا رَحِم

بينا مالك ذات ليلة فى بعض هَناته وهو نائم ، وكان لا ينام الا متوشحاً بالسيف اذ هو بشىء قد جثَم عليه لا يدرى ما هو ، فانتفض به مالك فسقط عنه ثم انتحى له بالسيف فقدَّه نصفين ، ثم نظر اليه فاذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق فى تلك الناحية ، فقال مالك فى ذلك

أدلجت فى مَهْمه ما ان أرى أحداً حتى اذا حان تعريس[1] لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤنى مهما تنم عنك من ليل فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مشْعِره أخشى الحوادث انى لم أكن وَكِلا

(١) التعريس نزول السفر آخر الليل للاستراحة

ما نمت الا قليلاً نمته شئزا (١) حتى وجدت على جثمانى الثقلا
داهيةً من دواهي الليل يبتني مجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره الا توخيته والجرس (٢) فانخزلا
لما ثنى الله عني شر عدوته رقدت لا مؤنساً ذعراً ولا بعلا (٣)
أما ترى الدار قفراً لا أنيس بها الا الوحوش وأمسى أهلها احتملا
بين المنيفة (٤) حيث استنَّ مدفعها وبين فردة من وحشيها قبلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها انى أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها تراه مما كسته شاحباً وجلا
خذها وانى لضراب اذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختلي البصلا (٥)

وقال فى ذلك أيضاً

يا عاملاً تحت الظلام مطيه متخايلاً لأبلّ (٦) غير مخاتل
إنى أتحت لشابك أنيابه مستأنس بدجى الظلام منازل
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها طيباً ونخل سوادها المتمايل
يعظ الفؤاد اذا القلوب تآنست جزعا ووثبة كل أروع باسل
حيث الدجى متطلعاً لغفوله كالذئب فى غلس الظلام الخاتل
فوجدته ثبت الجنان مشيعاً ركاب مدسج كل أمر هائل
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ذا رونق يغشى الضريبة فاصل
فركبت ردعك بين ثنيى فائز يعلو به أثر الدماء وسائل

ولما ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان لقى فى طريقه مالك بن الريب وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً ، فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له مالك

(١) شئز الرجل قلق (٢) الجرس الصوت أو خفيه (٣) بعل الرجل بأمره دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع (٤) المنيفة وفردة ماءان (٥) البصل البيض بالفتح (٦) الأبل الممتنع

ويحك ؟ تفسد نفسك بقطع الطريق وما يدعوك الى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل ؟ قال يدعونى اليه العجز عن المعالي ومساواة ذوى المروءات ومكافأة الاخوان ، قال فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟ قال إى والله أيها الأمير أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه ، فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم فى كل شهر ، ولما خرج تعلقت بنته بثوبه وبكت وقالت له أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى ، فبكى وأنشأ يقول

ولقد قلت لابنتي وهى تبكي ... بدَخيل الهموم قلباً كئيبا
وهى تذْرى من الدموع على الخد ... ين من لوعة الفراق غُرُوبا
عبَرات يكَدْن يجرحن ماجز ... ن به أو يدعن فيه نُدُوبا
حذر الحتف أن يصيب أباها ... ويلاقى فى غير أهل شعوبا
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي ... طالما حزَّ دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدافع عني ... رَيْبَ ما تحذرين حتى أؤبا
ليس شىء يشاؤه ذو المعالي ... بعزيز عليه فادعى المجيبا
ودعى أن يُقَطَّع الآن قلبي ... أو تُرِيني فى رحلتي تعذيبا
أنا فى قبضة الاله اذا كنت بعيداً أو كنت منك قريبا
كم رأينا امرأً أتى من بعيد ... ومقيماً على الفراش أُصيبا
فدعيني من انتحابك إنى ... لا أبالي اذا اعتزمت النَّحيبا
حسبي الله ثم قربت للسير علاَة أنْجِبْ بها مركوبا

علم سعيد بن عثمان أن مالكاً يجيد الحِلاَب ، فطلب اليه أن يقوم بأمر ابله ، فقال

وانى لأستحيي الفوارس أن أُرَى ... بأرض العدا بَوَّ المخاض الرَّوائم

وانى لأستحيي اذا الحرب شمرت أن أرفض دون الحرب ثوب المسالم
وما أنا بالنائى الحفيظة فى الوغى ولا الملتقى فى السلم جرَّ الجرائم
ولا المتأنى فى العواقب للذى أهُمُّ به من فاتكات العزائم
ولكنني مستوحد العزم مقْدِم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى فى الحرب باسل جميع الفؤاد عند حل العظائم

بينما مالك نائم فى بعض مغاراته اذ بيته ذئب فزجره فلم يزدجر فأعاد فلم يبرح فوثب اليه بالسيف فضربه فقتله وقال

أذئب الغضا قد صرت للناس ضُحْكة تغادى بك الركبان شرقاً الى غرب
فأنت وان كنت الجرىء جنانُه مُنِيت بضِرْغام من الأُسُد الغُلْب
بمن لا ينام الليل الا وسيفه رهينة أقوام سِراع الى الشَّغْب
ألم ترنى يا ذئب اذ جئت طارقاً تخاتلني أنى امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تنزجر نهنهت غَرْبك بالضرب
فصرت لقىً[1] لما علاك ابن حرة بأبيض قطَّاع ينجى من الكرب
ألارب يوم رَيْبُ لو كنت شاهداً لهالك ذكرى عند معْمَعة الحرب
ولست ترى الا كميًّا مُجدَّلا يداه جميعاً تثبتان من التُّرب
وآخر يهْوِى طائر القلب هارباً وكنت امرأً فى الهيج مجتمع القلب
أصول بذى الزِّرين أمسى عِرَضْنَة[2] الى الموت والأقران كالأبل الجرْب
أرى الموت لا أنحاش عنه تكرماً ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكن أبت نفسي وكانت أبيَّة تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

ومرض مالك عند قفول سعيد من خراسان ، فلما أشرف على الموت تخلف عليه مرة الكاتب ورجل آخر من بني تميم ، فقال يذكر مرضه وغربته

(١) اللقى الشيء الملقى المطروح (٢) العرضنة البغى فى المشى من النشاط

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية انى مقيم ليـــاليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عينيّ فضل ردائيا
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى[1] أزجي القلاص النواجيا
فليت[2] الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى ... مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت في أرض الاعادي بعيدما ... أرانى عن أرض الاعاديّ قاصيا
دعاني الهوى من أهل أود[3] وصحبتي ... بذي الطبسين فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة ... تقنعت منها أن ألام ردائيا[4]
أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا ... جزى الله عمراً خير ما كان جازيا
ان الله يرجعني من الغزو لا أرى ... وان قل مالي طالباً ما ورائيا
تقول ابنتي لما رأت طول رحلتي ... سفارك هذا تاركي لا أباليا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي[5] ... لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فان أنج عن بابي خراسان لا أعد ... اليها وان منيتموني الأمانيا
فلله درّي يوم أترك طائعاً ... بنيّ بأعلى الرقمتين ومالياً
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن أني هالك من ورائيا
ودرّ كبيريّ اللذين كلاهما ... عليّ شفيق ناصح لو نهانيا
ودرّ الرجال الشاهدين تفتكي ... بأمري ألاّ يقصروا من وثاقيا

---

(١) الغضا شجر ينبت في الرمل وأزجي أسوق والنواجي السراع (٢) يقول ليته طال عليهم الاسترواح اليه والشوق (٣) أود موضع ببلاد مازن والطبسين كورتان بخراسان
(٤) يقول استعبرت فاستحييت فتقنعت بردائي لكيلا يرى ذلك مني
(٥) يقول أهلكت هامتي

ودر الهوي من حيث يدعو صحابتي ... ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي عليَّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرُّدَيني باكيا
وأشقر محبوك (١) يجر لجامه ... الى الماء لم يترك له الموت ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة (٢) نسوة ... عزيز عليهن العشية ما بيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة ... يسوون لحدى حيث حُمَّ قضائيا
ولما تراءت عند مَرْوَ (٣) منيتي ... وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
أقول لأصحابي ارفعوني فانه ... يقَرّ بعيني أن سُهَيل بدا ليا
فياصاحبيّ رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية اني مقيم ليـــاليا
أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلة ... ولا تعجلاني قد تبين شانيا
وقوما اذا ما استُلّ روحي فهيآ ... ليَ السِّدْر والاكفان عند فنائيا
وخُطَّا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عينيّ فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
خذاني فجراني ببردي اليكما ... فقد كان قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنت عطَّافاً اذا الخيل أدبرت ... سريعاً الى الهيجا الى من دعانيا
وقد كنت صباراً على القِرْن في الوغى ... وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
فطوراً ترانى في ظلال ونعمة ... وطوراً ترانى والعتاق ركابيا
ويوماً ترانى في رحى مستديرة (٣) ... تخرق أطراف الرماح ثيابيا
وقوما على بئر السُّمينة أسمعا ... بها الغُرَّ والبيض الحسان الرَّوانيا
بأنكما خلفتماني بقفـــرة ... تهيل عليَّ الريحُ فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدي خليليَّ بعدما ... تقطع أوصالي وتبلى عظاميا

(١) المحبوك الفرس القوى (٢) السمينة موضع قريب من أود (٣) مرو حاضرة خراسان ، وخل بمعنى اختل (٤) الرحا موضع الحرب ومستديرة حيث يستدير القوم للقتال

ولن يعدم الوالون بثًّا[١] يصيبهم ... ولن يعدم الميراثَ منى المواليا

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنونني ... وأين مكان البعد الا مكانيا

غداة غد يا لَهْفَ نفسي على غد ... اذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا

وأصبح مالي من طَريف وتالد ... لغيري وكان المال بالامس مائيا

فيالَيت شعري هل تغيرت الرحا ... رحا[٢] المُثْل أو أمست بفَلْج كما هيا

اذ الحي حَلوها جميعاً وأنزلوا ... بها بقرا حُمَّ العيون سواجيا[٣]

رَعَيْن وقد كان الظلام يجنها ... يَسُفْن الخُزامَى مَرَّة والأَقاحيا

وهل أترك العيس العوالي بالضحي ... بركبانها تعلو المِتان القَيافيا[٤]

اذا عُصَب الركبان بين عُنَيْزَة ... وبَوْلان عاجوا المبقيات النواجيا[٥]

فيالَيت شعرى هل بكت أم مالك ... كما كنت لوعا لَوْا نَعِيَّكِ باكيا

اذا مت فاعتادى القبور فسلمى ... على الرَّمْس أسقيت السحاب الغواديا

على جَدَث قد جرت الريح فوقه ... تراباً كسحق المَرْنَبانيّ هابيا[٦]

رهينة أحجار وترب تضمنت ... قرارتها منى العظام البواليا

فيا صاحبى أما عَرَضت فبلغاً ... بنى مازن والرَّيب ألَّا تلاقيا

وعطل قَلوصى فى الركاب فانها ... ستَفْلق أكباداً وتُبكي بواكيا

وأبصرت نار المازنيات انها ... بعلياء يُثْني دونها الطرف رائيا

بعود أَلَنْجُوج أضاء وقودها ... مَهاً فى ظلال السدر حوراً جوازيا

غريب بعيد الدار ثاوٍ بقفرة ... يَدَ[٧] الدهر معروفاً بألَّا تدانيا

---

(١) البت أشد الحزن (٢) رحا المثل موضع بفلج وفلج موضع بديار مازن وهو فى طريق البصرة الى مكة (٣) السواجى السواكن وحم العيون سودها (٤) المتان جمع متن وهو ما صلب من الارض (٥) عنيزة قارة سوداء فى وادى بطن فلج والمبقيات التى تبقى سيرها (٦) المرنبانى كساء من خز ويقال مطرف من وبر الابل (٧) يقال يد الدهر ومدى الدهر وأبد الدهر وكله واحد

أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرحل منا نسوة لو شهدننى ... بكين وفدّين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهله ... ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنهن أمى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

هلال بن الأسعر المازنى

شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية وأظنه قد أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكولا معدوداً من الأكلة قال أبو عمرو كان فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم فى حرب غناء ، وعمر عمراً طويلاً ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه وكان رجل من قومه يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله وهو المغيرة بن قنبر فهلك فقال يرثيه

ألا ليت المغيرة كان حيا ... وأفنى قبله الناسَ الفناء
ليبكِ على المغيرة كل خيل ... اذا أفنى عرائكها اللقاء
ويبك على المغيرة كل كلّ ... فقير كان ينعشه العطاء
ويبك على المغيرة كل جيش ... تمور لدى معاركه الدماء
فتى الفتيان فارس كل حرب ... اذا شالت وقد رفع اللواء
لقد وارى جديد الأرض منه ... خصالا عقد عصمتها الوفاء
فصبراً للنوائب ان ألمت ... اذا ما ضاق بالحدث الفضاء
هزبر تنجلى الغمرات عنه ... نقى العرض همته العلاء
اذا شهد الكريهة خاض منها ... بحوراً لا تكدرها الدلاء
جسور لا يُروَّع عند روع ... ولا يثنى عزيمته ارتقاء
عليم فى مشاهده إذا ما ... حُبا الحلماء أطلقها المراء

حميد في عشيرته فقيد يطيب عليه في الملأ الثناء
فان تكن المنية أقصدته وحُمَّ عليه بالتلف القضاء
فقد أودى به كرم وخير وعود بالفضائل وابتداء
وجود لا يضم اليه جودا مراهنه اذا جد الجراء

وكان هلال ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جلّان يقال له عبيد بن حرى فى شئ كان بينهما فشجه ومضى على ذلك زمن طويل ثم ان عبيداً قدم الوقبي فتخوف هلالا فاستجار بمعاذة بن جعدة المازنى وهو غائب فرآه هلال ولم يعلم باستجارته فضربه فصرعه وقيذا إلا انه لم يمت ولما علم هلال انه كان مستجيراً بمعاذة فر هاربا فلحقه معاذة بن جعدة واخوته وهم يومئذ تسعة فأدركوه بعد أن أعيا وأتوا به والجلانى لم يمت بعد فسلموه الى بنى جلان وقالوا لهم لا تحدثوا فيه شيئاً قبل أن يموت عبيد، فأخذه الجلانيون الى بلادهم فهرب منهم حتى أتى بلاد اليمن، ولما طال عليه الزمن أرسل الى عشيرته من بنى رزام بشعر يعاتبهم فيه فقاموا ليحملوا عنه دية جار معاذة فأبى معاذة الا أن يحمل ثلاث ديات دية للقتيل ودية للجوار ودية لاقامة هلال وسطهم فقال هلال

بنى مازن لا تطردونى فاننى أخوكم وان جرت جرائرها يدى
ولا تُلجوا أكباد بكر بن وائل بترك أخيكم كالخليع المطرَّد
ولا تجعلوا حفظى بظهر وتحفظوا بعيداً ببغضاء تروح وتغتدى
فان القريب حيث كان قريبكم وكيف بقطع الكف من سائر اليد
وان البعيد ان دنا فهو جاركم وان شط عنكم فهو أبعد أبعد
وانى وان أوجدتمونى لحافظ لكم حفظ راض عنكمُ غير مُوجَد
سيحمى حماكم بى وان كنت غائبا أغرّ اذا ما ريعَ لم يتبلد
وتعلم بكر أنكم حيث كنتمُ وكنت من الأرض الغريبة محتدى

وأنى ثقيل حيث كنت على العدى ... وأنى وان أوحدت لست بأوحد
وانهم لما أرادوا هضيمتى ... مُنوا بجميع القلب عَضْب مهند
حسام متى يعزم على الأمر يأته ... ولم يتوقف للعواقب فى غد
وهم بدؤا بالبغى حتى اذا جزوا ... بأفعالهم قالوا لجارهمُ قد
فلم يك منهم فى البديهة مُنْصِف ... ولم يك فيهم فى العواقب مهتد
ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا ... ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيد
فان يَسْر لي ايعاد بكر فربما ... منعت الكرى بالغيظ من متوعد
ورب حمى قوم أبحت ومورد ... وردت بفتيان الصباح ومورد
وسَجْف دَجُوجىّ من الليل حالك ... رفعت بعَجْلي الرجل موَّارة اليد
سفينة خواض بحور همومه ... قليل ثبات العزم عند التردد
جسور على الأمر المَهيب اذا ونى ... أخو الفتك ركاب قرَا المتهدد

وقال وهو بأرض اليمن

أقول وقد جاوزت نعمى وناقتى ... تحن الى جنبى فُلَيج مع الفجر
سقى الله ياناق البلاد التى بها ... هواك وان عنا نأت سُبُل القطر
فما عن قِلىً منا لها خفت النوى ... بنا عن مراعيها وكُثبانها العُفْر
ولكن صروف الدهر فرقن بيننا ... وبين الأدانى والفتى غرض الدهر
فسقيا لصحراء الإهالة مَرْبَعا ... وللوَقَبَى من منزل دِمِثٍ مُثْر
وسقيا ورعيا حيث حلت لمازن ... وأيامها الغُرّ المحجلة الزهر

ولم يزل كذلك حتى حمل عنه ديسم بن المنهال المازنى ما أراد معاذة فقال هلال

ان ابن كابية [1] المُزَأْ دَيْسَما ... وارى الزناد بعيد ضوء النار
من كان يحمل ما تحمل دَيْسَم ... من حائل فُنُق [2] وام حوار

(١) هى أم ديسم (٢) الفنق الناقة الفتية السمينة

عُنيت بنو عمرو بحمل هنائد فيها العِشار[1] مُلابئ الأبكار
حتى تلافاها كريم سابق بالخير حل منازل الأخيار
حتى اذا وردت جميعاً أرزمت جِلاَّن بعد تشمس ونفار
ترعى بصحراء الإهالة روبة والعنظوان منابت الجَرْجار

وقال وقد استغاث به قمير بن سعد فأنجده

دعانى قمـــير دعوة فأجبته فأى امرئ فى الحرب حين دعانى
معي مخذم قد أخلص القين حده يخفض عند الروع روع جنانى
وما زلت مذ شدت يميني حجزتى أحارب او فى ظل حزب ترانى

ومن شعره وفيه غناء

يا ربع سلمى لقد هيجت لى الطربا زدت الفؤاد على علاَّته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عُفْر الظباء وظُلْمانا به عُصَبا

مسعود بن خرشة

هو أحد بني حُرْقوص بن مازن شاعر اسلامى بدوى من لصوص بنى تميم وكان يَهْوَى امرأة يقال لها جُمْل بنت شراحيل أخت تمام بن شراحيل المازنى الشاعر فانتجع قومها و نأَوْا عن بلادهم فقال مسعود

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْل أذبدت ونجم الثُّرَيَّا والمزار بعيـد
فكيف بكم يا جمـل أهلا ودونكم بحور يقمصن السفين و بِيـــدُ
اذا قلت قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

ومن قوله وقد طلبه والي اليمامة فلجأ الى موضع فيه ماء وعُشْب

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلة بوَعْساءَ فيهـا للظباء مكانس

(١) عشار ملايوء دنا نتاجها والهنيدة اسم لمائة من الابل

وهل أَنْجُون من ذى لبيد بن جابر كأَن بناتِ الماء فيه المجالس
وهل أسمعن صوت القَطا تندب القطا الى الماء منه رابع وخوامس

سرق إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو القَعْنَبى هو ورفقاء له فأتوا بها اليمامة ليبيعوها فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد ثم عزل وولى مكانه رجل من عقيل فقال مسعود

يقول المرجفون أجاء عهد كفى عهداً بتنفيذ القِلاص
أتى عهد الامارة من عقيل أغرالوجه رُكِّب فى النواصى
حصون بنى عقيل كل عَضْب اذا فزعوا وسابغة الدِّلاص
وما الجارات عند المحل فيهم ولو كثر الدوارج بالخماص

قطرى بن الفجاءة المازنى

هو أمير المؤمنين للخوارج ومقامه فى الحرب لا يجهل ، من شعره فى وقعة دولاب

لعمرك انى فى الحياة لزاهد وفى العيش ما لم أَلْقَ أم حَكيم
من الخَفِرات البيض لم أر مثلها شفاء لذى بَثّ ولا لسقيم
لعمرك انى يوم ألطِم وجهها على نائبات الدهر جِدّ لئيم
ولو شهدتني يوم دُولاب[1] أبصرت طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طَفَتْ عَلْماء بكر بن وائل وألافها من حمير وسَلِيم
ومال الحجازيون نحو بلادهم وعُجْنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها وولت شيوخ الأَزْد فهى تعوم
فلم أر يوماً كان أكثر مُقْعَصا يَمُجّ دماً من فائظ وكَلِيم

(١) قرية بينها وبين الاهواز أربعة فراسخ

وضاربة خداً كريماً على فتى أغرَّ نجيب الأمهات كريم
أُصيب بدُولاب ولم يك موطنا له أرض دُولاب ودَيْر حميم (١)
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حَرِيم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وكانت بدولاب حرب بين الأزارقة وبين مسلم بن عُبَيس بن كُرَيز وكان من حديثها ان نافع بن الازرق لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككا فى ذلك فقالت له امرأته ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه فدَعْ نحلتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأنخن فى النساء والصبيان كما قال نوح « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دَيَّارا » فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول ان هؤلاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم ، واذا وطئ بلداً فعل مثل هذا به الى أن يجيبه أهله جميعاً ويدخلوا فى ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبى الخراج ، فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله فى السواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا الى الأحنف بن قيس فشكَوْا اليه أمرهم وقالوا له ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان وسيرتهم كما ترى ، فقال لهم الأحنف ان سيرتهم فى مصركم ان ظفروا به مثل سيرتهم فى سوادكم فخذوا فى جهاد عدوكم ، وحرضهم الأحنف ، فاجتمع اليه عشرة آلاف رجل فى السلاح ، فأتاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وسأله أن يؤمر عليهم أميراً ، فاختار لهم مسلم بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة ، وكان فارساً شجاعاً دينا فأمره عليهم وشيعه ، فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال انى ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة وانى لأحارب قوماً ان ظفرت بهم فما وراءهم

(١) موضع بالاهواز

الا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه ، فلما صار بدُولاب خرج اليهم نافع بن الأزرق فاقتتلوا قتالا شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعَمَد فقتل فى المعركة ابن عبيس وهو على أهل البصرة « وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين » وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضاً فعجب الناس من ذلك وان الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيسا العسكرين ، والشُّراة يومئذ ستمائة رجل ، فكانت الحدة يومئذ وبأس الشراة واقعاً بين تميم وبنى سدوس ، وأتى بابن عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغُدانى وكان يقال له الأجذم كانت يده أصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سَمُرة ، واستخلف نافع بن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز أحد بنى سَليط بن يَرْبوع فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بنى يربوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يربوع ورئيس الشُّراة من بنى سَليط بن يَرْبوع فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً ، وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال كنت لما قتلته على برذون وَرْد فاذا أنا برجل ينادى وأنا واقف فى خُمس بنى تميم فاذا به يعرض علىّ المبارزة ، فتغافلت عنه ، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى ، فصرت الى رحالى ثم رجعت فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فاذا هى امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً فخرجت لتثأر به ، فلما قتل نافع وابن عبيس ولى الجيش ربيع بن عمرو ، ولم يزل يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه انى مقتول لا محالة ، قالوا وكيف ذلك ؟ قال انى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابُل انحطت من السماء فاستشلتنى [1] ، فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد فقتل يومئذ ،

(١) أى أخذتنى اليها واستنقذتنى

فلما قتل تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ، ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالا شديداً لم يقتتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلم يغن شيئاً من الاعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون [١] بالأفواه ، فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها ، فقال له كُرَيب ابن عبدالرحمن خذها فانها مكرُمة ، فقال انها لراية مشئومة ما أخذها أحد الا قتل ، فقال له كريب يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها اليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فان حضر أجلك قتلت ان كانت معك أو لم تكن ، فأخذ اللواء وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن [٢] وجعل الحجاج يفحص عينيه ويحمل حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل ثم يرفع رأسه وسيفه يقطر دما ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم فى ناحية ، ثم ان الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى التقيا فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة ابن بدر الغُدانى أمرهم ليس لهم طرف الا بالخوارج فقالت امرأة من الشُّراة وهى أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثى ابنها عمران

الله أيد عمـــرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله فى السَّحَر
يدعوه سراً واعـــلاناً ليرزقه ... شهادة بيـــدَىْ مِلْحادة غُدَر
ولى صحابتـه عن حرّ مَلْحمة ... وشد عمران كالضِّرغامة الهَصِر [٣]

---

(١) يعض بعضهم بعضاً (٢) الجواشن الدروع (٣) الهصر الذى يهصر كل شئ أى يثنيه

فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرياسة وسلموا اليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا ، فاذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة ، فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرف وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين وما تطأ الخيل الا على القتلى ، فبينما هم كذلك اذ أقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثر انهم مائتان والمقلل انهم أربعون ، فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين ، فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم وقال

كرنبوا (١) ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعتهم الخوارج ، فألقوا أنفسهم فى دُجَيل ، فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم ، وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان ، ولحقت قطعة من الشُّراة خيل عبد القيس فأكبوا عليهم فعطفت عليهم خيل من بني تميم ، فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى أصحابهم وعبرت بقية الناس ، فصار حارثة ومن معه بنهر تيرَى والشراة بالأهواز فأقاموا ثلاثة أيام ، وكان على الأزد يومئذ قبيصة بن أبى صفرة وهو أخو المهلب ، وغرق يومئذ من الأزد خلق كثير ، فقال شاعر الأزارقة

يرى من جاء ينظر من دجيل شيوخ الأزد طافية لحاها

وقال شاعر آخر منهم

شَمِتَ ابنُ بدر والحوادث جَمَّة والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حتم لا محالة واقع من لا يصبحه نهاراً يطرُق
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون فمن تصبه يَغْلَق

قال خلاد بن الأرقط كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن

(١) اذهبوا الى كرنبى موضع فى الاهواز ودولبوا أقيموا بدولاب

أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً ، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكرى وأبو حزابة التميمى وهما فى الحرب ، فقال عبيدة يا أبا حزابة إنى سائلك عن أشياء أفتصدقني في الجواب عنها ؟ قال نعم ان تضمنت لي مثل ذلك ، قال قد فعلت ، قال سل عما بدا لك ، قال ما تقول فى أئمتكم ؟ قال يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام ، قال ويحك فكيف فعلهم فى المال ؟ قال يجبونه من غير حله وينفقونه فى غير حقه ، قال فكيف فعلهم فى اليتيم ؟ قال يظلمونه ماله ويمنعونه حقه وينكحون أمه ، قال ويلك يا أبا حزابة أفمثلَ هؤلاء تتبع ؟ قال قد أجبت فاسمع سؤالي ودع عنك عتابى على رأيي ، قال قل ، قال أى الخمر أطيب أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال ويلك أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال قد أوجبت على نفسك أن تجيب ، قال اذا أبيت فان خمر الجبل أقوى وأسكر وخمر السهل أحسن وأسلس ، قال أبو حزابة فأى الزَّوانى أفْرَه أزوانى رامهرمز أم زوانى أرَّجان ؟ قال ويلك ان مثلي لا يسأل عن مثل هذا ، قال لا بد من الجواب أو تغدر ، فقال أما اذا أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشارا وزوانى أرَّجان أحسن أبداناً ، قال فأى الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق ؟ قال عليك وعليهما لعنة الله ، أيهما الذى يقول

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجـــار بحضرموت برودا

قال جرير ، قال فهو أشعرهما ، وكان الناس قد تجاذبوا فى أمر جرير والفرزدق حتى توَاثبوا وصاروا الى المهلَّب محكِّمين له فى ذلك ، فقال أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ، ما كنت لأحكم بينهما ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما عليكم بالشُّراة فسلوهم اذا توَاقفتم ، فلما توَاقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك ، فأجابه بهذا الجواب ، وقال ميمون بن مهران حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قَطَرِىّ بن الفُجاءة يقال لها أم حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجلهم وجهاً وأحسنهم بديهة تمسكاً

وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجب الى ذلك ، فأخبرنى من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عنى ثقله

وهم يفدّونها بالآباء والأمهات ، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها ، وقال الهيثم ابن عديّ كان عبيدة بن هلال اذا تكافّ الناس ناداهم ليخرج الى بعضكم ، فيخرج اليه فتيان من العسكر فيقول لهم أيما أحب اليكم أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك فأنشدنا ، فيقول لهم يا فسقة والله لقد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ، ثم لا يزال ينشدهم حتى يملوا ثم يفترقون

وورد ذكر أم حكيم فى أبيات ثلاثة وليست من قصيدة قطرى وهى

اذا قلت تسلو النفس أو ينتهى المنى أبى القلب الا حب أم حكيم

منعمة صفراء حلو دلالها أبيت بها بعد الهدو أهيم

قطوف الخطا محطوطة المتن زانها مع الحسن خلق فى الجمال عميم

مرة بن محكان السعدى

شاعر مقلّ إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى عصر جرير والفرزدق فأهملا ذكره لنباهتهما فى الشعر ، وكان مرة شريفاً جواداً وهو أحد من حبس فى المناحرة والاطعام ، حبسه زياد بن أبى سفيان

ومن شعره

يا ربة البيت قومى غير صاغرة ضمى اليك رحال القوم والقُرُبا

فى ليلة من جمادى ذات أندية لا يُبصر الكلب من ظلمائها الطُّنُبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا

كان الضيف اذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا اليهم رحله وبقى سلاحه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مرة يخاطب امرأته ضمي اليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فانهم عندى فى عز وأمن من الغارات والبيات فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لابساً سلاحه

ومن قوله للحرث بن أبى ربيعة والي البصرة أيام ابن الزبير حين أراد إمضاء حكم عليه

أحارِ تثبت فى القضـــاء فانه ... اذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا
وانك موقوف على الحكم فاحتفظ ... ومهما تُصِبْه اليوم تدرك به غدا
فانى مما أدرك الأمر بالأنى ... وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسي وأمر به فحبس ، ثم دس اليه من قتله

رؤبة

هو رؤبة بن العجاج بن رؤبة السعدى التميمى يكنى أبا الجحاف والعجاج ، من رُجّاز الاسلام وفصحائهم والمذكورين المقدمين منهم ، نزل البصرة ، وهو من مخضرمى الدولتين مدح بنى أمية وبني العباس ، ومات فى أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً

قال محمد بن سلام ليونس هل رأيت عربياً أفصح من رؤبة ؟ قال لا ، ما كان مَعَدّ بن عَدْنان أفصح منه ، وقد روى رؤبة الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبوه أيضاً

روى عن أبيه قال أنشدت أبا هريرة

الحمد لله الذى استقلت ... باذنه السماء واطمأنت
باذنه الارض وما تعتّت ... وحى لهـا القرار فاستقرت

وشدها بالراسيات الثُّبَّت رب البلاد والعباد القُنَّت

والجاعل الغيث غياث المسنِت والجامع الناس ليوم الموقت

فقال أبو هريرة أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب

وروى عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وحاد يحدو

طاف الخيالان فهاجا سقما خيال لُبْنَى وخيال تُكْتَما

قامت تريك خشية أن تصرما ساقا بَخَنْداة وكعباً أَدْرما

والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر

وروى عن أبى عبيدة قال السواك يذهب وَضَر الطعام

وكان رؤبة يأكل الفأر فقيل له فى ذلك وعوتب ، فقال هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتى يأكلن القذر وهل يأكل الفأر الا قفى البر ولباب الطعام

قال رؤبة لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعثنى الحجاج مع أبى لنلقاه ، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس ، وكان خروجنا فى عام مُخْصِب وكنت أصلى الغداة وأجتنى من الكمأة ما شئت ثم لا أجاوز الا قليلا حتى أرى خيراً منها فأرمى بها وآخذ الأخرى حتى نزلنا بعض المياه فاهدى لنا حَمَل خُرْفِج [1] ووَطْب لبن غليظ وزبدة كأنها رأس نعجة حوشية [2] فقطعنا الحمل آراباً وكررنا عليه اللبن والزبدة حتى اذا بلغ إِناه انتشلنا اللحم بغير خبز ثم شربت من مرقه شربة لم تزل ذِفْرَيَاى ترشحان حتى رجعنا الى حَجْر [3] فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً فاستعهدنا ألا نعين عليه ، فكان أول من أذن له من الشعراء أبى ثم أنا ، فأقبل الوليد على جرير فقال له ويلك ألا تكون مثل هذين ، عقدا الشفاه عن أعراض الناس ، فقال انى أظلم فلا أصبر ، ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال يابنى أم العجاج

(١) سمين (٢) وحشية (٣) مدينة اليمامة

والله لئن وضعت كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطعاتكما ، فقلنا لا والله ما بلغه عنا شيء ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله واستنشدنا قبله

قيل ليونس من أشعر الناس ؟ قال العجاج ورؤبة ، فقيل له لم ولم نعن الرجاز؟ فقال هم أشعر من أهل القصيد ، انما الشعر كلام فأجوده أشعره ، قد قال العجاج « قد جبر الدينَ الالهُ فجبر » وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها لكانت كلها منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما

قال أبو زيد الأنصاري والحكم بن قنبر كنا نقعد الى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ومرت بنا عجوز فلم تقدر أن تجوز في طريقها فقال رؤبة

تنحّ للعجوز عن طريقها اذ أقبلت رائحة من سوقها

دعها فما النحوى من صديقها

قال يونس غدوت يوماً أنا وابراهيم العطاردي على رؤبة فخرج الينا كأنه نَسْر فقال له نوح أصبحت والله كقولك

كالكُرَز[1] المشدود بين الاوتاد ساقط منه الريش قبل الابراد

لَفْحُ الصَّلا من وَغْرَقيظ وقاد

فقال له رؤبة والله يا ابن نوح ما زلت لك ماقتا ، فقلت بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر

فأبقين مني وأبقى الطرا د بطناً خميصاً وصُلْباً سمينا

فضحك وقال هات حاجتك

بعث اليه أبو مسلم لما أفضت الخلافة الى بني هاشم فلما دخل عليه رأى منه جزعاً فقال له اسكن فلا بأس عليك ما هذا الجزع الذي ظهر منك ؟ قال أخافك ،

(١) الكرز البازي وقيل الذي يشعر بسقط ريشه

قال ولم ؟ قال لأنه بلغنى أنك تقتل الناس ، قال انما أقتل من يقاتلني ويريد قتلى أفأنت منهم ؟ قال لا ، قال فهل ترى بأساً ؟ قال لا ، فأقبل أبو مسلم على جلسائه ضاحكا ثم قال أما أبو العجّاج فقد رخص لنا ، ثم قال أنشدنى قولك — وقاتم الأعماق خاوى المخترَق — فقال أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه ؟ قال هات فأنشده

قلت ونَسْجى مستجِدّ حوْكا لبيك اذ دعوتنى لبيكا
أحمد رباً ساقنى اليكا الحمد والنعمة في يديكا

قل هات كلمتك الاولى ، قال أو أنشدك أحسن منها ؟ قال هات فأنشده

ما زال يبني خَنْدَقاً وتهدمه ويستجيش عسكرا وتهزمه
ومغنماً تجمعه وتقسمه مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه فى حكمه مُنَجِّمه فى بطنه غاشية تتممه

قال دع هذا وأنشدنى وقاتم الأعماق قال أو أحسن منه ؟ قال هات فأنشده

رفعت بيتاً وخفضت بيتا وشِدْت ركن الدين اذ بنيتا
فى الأكرمين من قريش بيتا

قال هات ما سألتك عنه ، فأنشده

مازال يأتى الأمر من أقطاره على اليمين وعلى يساره
مُشَمِّراً لا يُصْطَلى بناره حتى أقر الملك في قراره
وفر مَرْوانُ علي حماره

قال ويحك هات مادعوتك له وأمرتك بانشاده ولا تنشد غيره ، فأنشد

وقاتم الاعماق خاوى المخترق (١)

(١) أرجوزة لرؤبة عدتها اثنتان وسبعون ومائة بيت والقاتم الأسود والأعماق جمع عمق وهو ما بعد من أطرف المفازة ومخترق الرياح مهبها وخواؤه خلوه

فلما صار الى قوله

يرمى الجلاميد بجلمود مدق

قال قاتلك الله لشد ما استصلبت الحافر ، ثم قال حسبك أنا ذلك الجلمود المدق ، وجىء بمنديل فيه مال فوضع بين يدى رؤبة ، فقال أبو مسلم يا رؤبة انك أتيتنا والاموال مشفوهة وان لك لعودةً الينا وعلينا مُعَوَّلا والدهر أطرق مستتب فلا تجعل بجنبيك الأَسدَّة ، قال رؤبة فأخذت المنديل منه وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه وماظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبى

ومما يغنى فيه من رجزه

داينت أروى والديون تُقْضَى فمطلت بعضاً وأديت بعضا

ياليت أروى اذ لوتك قرضا جاءت بقرض فشكرت القرضا

قال ابن عون ما شبهت لهجة الحسن البصرى الا بلهجة رُؤبة ولم يوجد له ولا لأبيه فى شعرهما حرف مدغم قط . قال الخليل بن أحمد يوم مات رؤبة دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم

أبو نخيلة الحمانى

هو أبو نُخَيلة بن حزن بن زائدة الحِمَّانى من حِمَّان بن عبد العزى ثم من سعد ابن زيد التميمى وكنيته أبو الجنيد ، كان عاقاً بأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج الى الشام وأقام هناك الى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقى مشكوكاً فى نسبه مطعوناً عليه ، وكان الأغلب عليه الرجز وله قصيد ليس بالكثير ، ولما خرج الى الشام اتصل بمَسْلَمَة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن اليه وأوصله الى الخلفاء واحداً بعد واحد واستماحهم له فأغنَوْه وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم انقطع الى بنى هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى أمية فأكثر وكان طامعاً فحمله ذلك على أن قال فى المنصور أراجيز يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد

العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ، ففعل ، فطلبه عيسى فهرب منه وبعث فى طلبه مولى له فأدركه فى طريق خراسان فذبحه وسلخ جلده

قال يحيى بن نجيم لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما وسار شعره فى البدو والحضر ورواه الناس ، ثم وفد الى مسلمة بن عبد الملك فمدحه ولم يزل به حتى أغناه ، قال يحيى فحدثنى أبو نخيلة قال وردت على مسلمة فمدحته وقلت له

أمســـلم انى يا ابن كل خليفة ... ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض
شكرتك ان الشكر حظ من التقى ... وما كل من أوليتــه نعمة يقضى
وألقيت لما أن أتيتك زائراً ... علىَّ لحافاً سابغ الطول والعرض
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

فقال له مسلمة ممن أنت ؟ فقلت من بنى ســعد ، فقال ما لكم يا بنى سعد والقصيد وانما حظكم فى الرجز ، فقلت له أنا والله أرجز العرب ، قال فأنشدنى من رجزك ، فكأنى والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط أنسانيه الله كله فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً الا أرجوزة لرؤبة قد كان قالها فى تلك السنة ، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة ، فأنشدته إياها فنكس وتتعتع ، فرفع رأسه إلىَّ وقال لا تتعب نفسك فأنا أروى لها منك ، فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسى حتى استضلعت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفنى وقربنى وما رأيت ذلك فيه يرحمه الله ولا قربنى به حتى افترقنا ، وقال أبو نخيلة لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته ، فلما عاينته صحت به

مَسْلَمَ يا مســلمة الحروب ... أنت المصفَّى من أذى العيوب
مُصاصة من كرم وطيب ... لولا ثقاف ليس بالتدبيب
تَفْرى به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمَّة شاءَ الذيب

قال أبو نخيلة وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب ، فسألت عن أخص الناس به ، فذكر لي رجلان أحدهما من قيس والآخر من اليمن ، فعدلت الى القيسى ، قلت هو أقربهما إليَّ وأجدرهما بما أحب ، فجلست اليه ثم وضعت يدى على ذراعه وقلت له انى مستثيبك لتمسنى رحمك أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة وأحببت أن ترشدنى الى ما أعمل فينفعنى عنده وعلى أن تشفع لي وتوصلنى اليه ، فقال ذلك كله لك عليَّ وفى الرجل شدة لا كمن عهدت من أهله ، واذا سئل وخلط مدحه بطلب حرم الطالب ، فأخلص له المدح فان ذا أجدر أن ينفعك واغدُ اليه غداً فانى منتظرك بالباب حتى أوصلك والله يعينك ، فصرت من غد الى باب هشام ، فاذا الرجل ينتظرنى ، فأدخلنى معه واذا بأبى النجم قد سبقنى فبدأ فأنشده قوله

الى هشام والى مَرْوان ... بيتان ما مثلهما بيتان
كفاك بالجود تباريان ... كما تبارى فرسا رهان
مال علىّ حدب الزمان ... وبيع ما يغلو من الغلمان
بالثمن الوَكْس من الأثمان ... والمهر بعد المهر والحِصان

فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام وتبينت الكراهة فى وجهه ، ثم استأذنت فأذن لي فأنشدته

لما أتتنى نَغْيَة (١) كالشُّهد ... كالعسل الممزوج بعد الرَّقد
يا بردها لمشتف بالبرد ... رفعت من أطمار مستعد
وقلت للعيس اغتدى وجدى ... فهى تَخَدَّى أبرح التَّخدي (٢)
كم قد تعسفت بها من نَجْد ... ومُجْرَهِدّ بعد مجرهد (٣)

(١) النغية مثل النغمة (٢) خدى البعير يخدى أسرع وزج بقوائمه (٣) المجرهد الطريق امتد

قد ادَّرعن فى مسير سَمْد[1] ليلا كلون الطَّيلسان الجَرْد
الى أمير المؤمنين المجدى رب مَعَدّ وسوى معـد
ممن دعا من أَصْيَد ونَجْد ذى المجد والتشريف بعد المجد
فى وجهـه بدر بدا بالسعد أنت الهمام القَرْم عند الجد
طُوِّقتهـا مجتمع الأَشُدّ فانهلّ لما قمت صوت الرعد

حتى أتيت عليهـا وهممت أن أسأله ثم عزفت نفسى وقلت قد استنصحت رجلا وأخشى أن أخالفه فأخطىء وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً فلما فرغت أقبـل على جلسائه فقال الغلام السعدي أشعر من الشيخ العجلى ، وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته ثم دخلت عليه بعد ذلك وقد مدحته بقصيدة فألقى علىَّ جبـة خز من جبابه مبطنة بسمور ثم دخلت عليه يوماً آخر فكسانى دراجا كان عليه من خز أحمر مبطن بسمور ، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لى بشىء فحملتنى نفسى على أن قلت له

كسوتنيها فهى كالتِّجفاف[2] من خزك المصونة الكثاف
كأنني فيهـا وفى اللحاف من عبد شمس أو بني مناف
والخز مشتاق الى الأفواف[3]

فضحك وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها الىّ وقال خذها فلا بارك الله لك فيها ، فلما أفضت الخلافة الى السفاح نقلها اليه وغيرها وجعلها فيه « يعني الأرجوزة الدالية » فهى الآن تنسب فى شعره الى السفاح

لمـا حبس عمر بن هبيرة وهو أمير العراق الفرزدق أبى أن يشفع فيه أحد ، فدخل عليه أبو نخيلة فى يوم فطر فوقف بين يديه وأنشأ يقول

---

(١) سمدت الابل فى مسيرها جدت والجرد الحلق (٢) التجفاف آلة للحرب تلبسها الفرس كأنها درع للحرب (٣) الفوف بالضم فوع من برود اليمن وجمعه أفواف

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل فداك نفرى ووفرى
من سبب أو حجة أوعذر يُنجي التميمى القليل الشكر
من حلَق القيد الثقال السُّمر هبه لأخوالك يوم الفطر

فأمر باطلاقه وكان قد أطلق قبله رجلا من عجل جىء به من عين التمر قد أفسد فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه واياه عني أبو نخيلة

حج أبو نخيلة ومعه جَريب من سَويق قد حلاه بقَنْد ، فنزل منزلا فى طريقه فأتاه أعرابى من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق واستحيا منه فعرض عليه فتناول ما أعطاه فأتى عليه ثم قال زدنى فقال أبو نخيلة

لما نزلنا منزلا ممقوتا نريد أن نرحل أو نبيتا
جئت ولم ندر من أين جيتا اذا سقيت المزبد السحتيتا(١)
قلت ألا زدنى وقد رَويتا

فقام الاعرابى وهو يسبه

دخل أبو نخيلة على السفاح فسلم واستأذن فى الانشاد فقال له لاحاجة لنا فى شعرك انما تنشدنا فضلات بنى مَرْوان فقال يا أمير المؤمنين

كنا اناساً نَرْهَب الأملاكا اذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده اياكا وكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كَفَّر هذا ذاكا

فضحك السفاح وأجازه جائزة سنية وقال له أنت شاعر وطالب خير ومازال الناس يمدحون الملوك فى دولهم والتوبة تكفر الخطيئة والظفر يزيل الحقد وقد عفونا عنك واستأنفنا الصنيعة لك وأنت الآن شاعرنا فاتسم بذلك فيزول عنك وسم بنى مروان فقد كفر هذا ذاك

(١) السحتيت السويق الدقاق

قدم أبو نخيلة على المهاجر بن عبد الله الكلابى وكان أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة لايكاد الناظر أحدهما يفرق بينه وبين الآخر فدخل عليه فأنشده قوله فيه

يا دار أم مالك ألا اسلمي ... على التنائى من مقام وانعمى
كيف أنا ان أنت لم تكلمى ... بالوحى أو كيف بأن تحمحمى
تقول لى بنتي ملام اللوم ... يا أبتا انك يوماً مؤتمى
فقلت كلا فاعلمى ثم اعلمى ... انى لميقات كتاب محكم
لو كنت فى ظلمة شعب مظلم ... أو فى السماء أرتقى بسلم
لانصبن مقدارا الى مجرنثمى[1] ... انى ورب الراقصات الرسم
ورب حوض زمزم وزمزم ... لأثنين الخير عند مقدمى
وعند ترحالى وعند مخيمى ... على ابن عبدالله قرم الأقرم
فانني والعلم ذو ترسم ... لم أدر ما مهاجر التكرم
حتى تبثثت قضايا الغشم ... مهاجر ياذا النوال الخضرم
أنت اذا انتجعت خير مغنم ... مشترك النائل جم الأنعم
ولتميم منك خير مقسم ... اذا التقوا ستاً معاً كالهيم
قد علم الشام وكل موسم ... أنك تحلو لي كحلو المعجم
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم

فوصله فقال له أبو نخيلة هذه صلة المديح فأين صلة الشبه فان التشابه فى الناس نسب ، فوصله حتى أرضاه فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات ورثاه بعد وفاته فقال

خليلىّ مالى باليمامة مقعد ... ولا قرة للعين بعد المهاجر
مضى مامضى من صالح العيش فاربعا ... على ابن سبيل مزمع البين عابر
فان تك فى ملحودة يا ابن وائل ... فقد كنت زين الوفد زين المنابر

وقد كنت لولا سلّك السيف لم ينم مقيم ولم تأمن سبيل للسافر
لعزّ على الحيين قيس وخندف بمبكى علي والوليد وجابر
هوى قمر من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهر

تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته فولدت بنتاً فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم فراجعها ، فبينا هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وامها تلاعبها فحركه ذلك ورق لها فقام اليها فأخذها وجعل يُنَزِّيها ويقول

يابنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت الا خمسة أو ستا
حتى هلكت فى الحشى وحتى فتت في القلب جوًى فانفتا
لأنت خير من غلام أنتا يصبح مخموراً ويُمسى سَبْتا[1]

كان أبو نخيلة مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المرى وكان الجنيد له محباً يكثر رِفْده ويقرب مجلسه ويحنّ اليه فلما مات الجنيد بمرو قال أبو نخيلة يرثيه

لعمرى لئن رَكِبُ الجنيد تحملت الى الشام من مرو وراحت كتائبه
لقد غادر الركب الشآمون خلفهم فتى غطفانيا تعلل جادبه
فتى كان يَسْرى للعدو كأنما عجاج القطا فى كل يوم كتائبه
وكان كأن البدر تحت لوائه اذا راح فى جيش وراحت عصائبه

ابتاع أبو نخيلة داراً فى بني حِمّان ليصحح بها نسبه وسأل في بنائها فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشره ، فسأل شبيب بن شَبَة فلم يعطه شيئاً واعتذر اليه فقال

يا قوم لاتسودوا شبيبا المَلِذان الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا ذيبا

فقال شبيب ما كنت لأعطيه على هذا القول فانه قد جعل احدى يديه سطحاً وملأ الاخرى سَلْحاً وقال من وضع شيئاً فى سطحى والا ملأته بسلحى من أجل

(١) أى سبوتاً وهو من به السبات أى النوم

دار يريد أن يصحح بها نسبه ، فسفر بينهما مشايخ الحى حتى يعطيه ، فأبى شبيب أن يعطيه شيئاً وحلف أبو نخيلة ألاَّ يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به ، فلما رأى شبيب ذلك خافه فبعث اليه بما سأل ، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس فى مجلسه مع قومه فوقف عليهم ثم أنشأ يقول

اذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

دخل أبو نخيلة على عمر بن هُبَيْرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف سترفأنشد أبو نخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة يا أبا نخيلة أي شيء أحدثت بعدنا ؟ فاندفع ينشد أرجوزة لرؤبة ، فلما توسطها كشف رؤبة الستر وأخرج رأسه من تحته فقال له كيف أنت يا أبا نخيلة ؟ ألم ننهك ألا تعرض لشعرى اذا كنت حاضراً فاذا ماغبت فشأنك به ؟ فضحك أبو نخيلة وقال هل أنا الا حسنة من حسناتك وتابع لك وحامل عنك ؟ فعاد رؤبة الى موضعه فاضجطع ولم يراجعه حرفا

اعتل أبو نخيلة وهو عند القعقاع بن ضرار فقال له أصبحت والله بشما أمرت خبازك فأتانى بهذا الرقاق الذى هو كالثياب المبلولة قد غمسه فى الشحم غمساً وأتبعه بزُبْد كرأس النعجة الخَرَسية وتمر كأنه عنز رابضة اذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرُّبّ كالسلوك الممدودة ، فأمعنت فى ذلك وأعجبني حتى بَشِمت فهل من أقداح جياد ؟ وبين يدى القعقاع حجام واقف وصفرة موضوعة فيها المواسى ، فاذا أتى بشُرَّاب النبيذ حلق رءوسهم ولحاهم ، فقال له القعقاع أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال

قد علم المَظَلّ والمبيت أنى من القعقاع فيما شيت
اذا أتت مائدة أتيت ببدع ليست بها غُذِيت
وليت فاستُشْفِعت واستُعْدِيت كأنني كنت الذى وليت

ولو تمنيت الذى أُعطيت ما ازددت شيئاً فوق ما لقيت
أيا ابن بيت دونه البيوت أقصر فقد فوق القرى قُريت
ما عن شرابى عسل منعوت ولا فُرات صَرِد بيُّوت
لكنني فى القوم قد أُريت رطل نبيذ مُخْفِس[1] سُقيت
صلباً اذا جاوزته رَويت

فغمزه على ابن أخيه وأومأ الى اسمعيل فأخذ بيده ومضى الى منزله فسقاه حتى صلح

دخل أبو نخيلة على السفاح وعنده أبو صَفْوان اسحق بن مسلم العقيلى ، فأنشده قوله

صادتك يوم الرملتين شَعْفَر وقد يصيد القانصُ المزعفر
يا صورة حسنها المصور للرِّيم منها جيدُها والمحجر

يقول فيها فى مدح أبى العباس

حتى اذا ما الأوصياء عسكروا وقام من تِبْر النبي الجوهر
ومن بني العباس نَبْع أصفر يَنْميه فرع طيب وعُنْصُر
أقبل بالناس الهوى المشهر وصاح فى الليل نهار أنور
أنا الذى لو قيل أنى أشعر جَلَّى الضَّبابَ الرجز المحبر
لما مضت لي أشهر وأشهر قلت لنفس تزدهى فتصبر
لا يستخفنَّك ركب يَصْدُر لا منجد يمضى ولا مغوِّر
وخالفى الأنباء فهى المحشر أو يسمع الخليفة المطهر
منى فانى كل جنح أَحْضُر وان بالأَنْبار غيثاً يَهْمِر
والغيث يرجى والديار تَنْضَر ما كان الا أن أتاها العسكر
حتى زهاها مسجد ومنبر لم يبق من مَرْوان عين تنظر

(١) سريع الاسكار

لا غائب ولا أناس حُضَّر هيهات أودى النَّعَم المعقَّر
وأمست الأَنْبار دارا تعمر وخربت من الشآم أدْوُر

ومنها

وأين مَرْوان وأين الأَشقر وأين فَلّ لم يفت محبر
وأين عادِيُّكُمُ المجمهر وعامر وعامر وأَعْصُر

يعنى عامر بن صعصعة وعامر بن ربيعة وأَعْصُر باهلة وغنى

ولما أراد المنصور أن يصرف ولاية العهد عن عيسى بن موسى الى ابنه محمد المهدى قال أبو نخيلة

لم يُنْسِنى يا ابنة آل مَعْبَد ذكراك تكرار الليالى العُوَّد
ولا ذوات العَصَب المورد ولو طَلَبْن الود بالتودد
ورُحْنَ فى الدُّر وفى الزَّبَرْجَد هيهات منهن وان لم نعهد
نجدية ذات معانٍ منجد كأَن رِيَّاها بُعَيْد المرقـــد
رِيَّا الخُزَامَى فى ثَرَى جعندد كيف التصابى فعل من لم يهتدى
وقد علتنى ذُرْأَة (١) بادِى بَدِى وَرَثْية تنهض فى تشـــدد
بعد انتهاضى فى الشباب الأَمْلَد

يقول فيها

الى أمير المؤمنين فاعمدى الى الذى يَنْدَى ولا يندى نَدِ
سيرى الى بحر البحار المُزْبِد الى الذى ان نَفِدَت لا يَنْفَد
اذ أَثْمدت شراعها (٢) لم يُثْمِد

(١) ذرىء رأسه يذرأ اذا علته ذرأة أي شيب والذرأة بالضم الشمط وبادى بدى أى أول كل شىء والرثية انحلال الركب والمفاصل

(٢) الشراع المواضع التى ينحدر الماء منها وأثمد قل

ويقول فى ذكر البيعة لمحمد

ليس وليّ عهدنا بالأسعد ... عيسى فزحلقها الى محمد
من عند عيسى معهداً عن معهد ... حتى تؤدى من يد الى يد
فقد رضينا بالغلام الأمرد ... وقد فرغنا غير أن لم تُشهد
وغير أن العَقْد لم يؤكد ... فلو سمعنا قولك امدد امدد
كانت لنا كدكة الورد الصَّدى ... فناد للبيعة جمعاً نَحْشد
فى يومنا الحاضر هذا أو غد ... واصنع كما شئت ورد يردد
ورَدِّه منك رداء يرتد ... فهو رداء السابق المقلَّد
وكان يُرْوَى أنها كأَنْ قَدِ ... عادت ولو قد نقلت لم تردد
أقول فى كرى أحاديث الغد ... لله دَرِّى من أخ ومنشد

لو نلت حظ الحبشى الأسود[1]

قال المدائنى ان أبا نخيلة أظهر هذه القصيدة التى رواها الخدم والخاصة وتناشدتها العامة ، فبلغت المنصور فدعا به وعيسى بن موسى عنده جالساً عن يمينه فأنشده إياها وأنصت له حتى سمعها الى آخرها ، قال أبو نخيلة فجعلت أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى بن موسى لئن كان عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار ، فقال عيسى لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ، قال أبو نخيلة فلما خرجت لحقنى عقال بن شبَّة فقال أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ولئن تمَّ الأمر فلعمرى لتصيبنَّ خيراً ولئن لم يتم فابتغ نفقاً فى الأرض أو سُلماً فى السماء ، فقلت له « علقت معالقها وصَرَّ الجُنْدَب »

قال بعض موالى المنصور لما أراد المنصور أن يعقد للمهدى أحب أن تقول الشعراء في ذلك وكان أبو نخيلة قدم على أبى جعفر فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ،

(١) يريد اباد لامه

فقال له عبد الله بن الربيع الحارثى يا أبا نخيلة ان أمير المؤمنين يريد أن يقدم المهدى بين يدى عيسى بن موسى فلو قلت شيئاً تحثه على ما يريد ، فقال

ما ذا على شَحْط النوى غَشَّا كا أم ما جرى دمعك من ذكرا كا
وقد تبكَّيت فما أبكا كا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها

خليفة الله وأنت ذا كا أسند الى محمد عصا كا
فأحفظ الناس لها أدنا كا وابنك ما استكفيته كفا كا
وكلنا منتظر لذا كا لو قلت هاتوا قلت ها كا ها كا

فأنشده إياها ، فوصله بألفى درهم وقال له احذر عيسى بن موسى فانى أخاف عليك أن يغتالك ، قال المدائنى وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، فبعث عيسى فى طلب أبى نخيلة فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبره فجرد خلفه مولى له يقال قطرى معه عدة من مواليه وقال له نفسك أن يفوتك أبو نخيلة ، فخرج في طلبه مُغِذًّا للسير فلحقه فى طريقه الى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه وألقى جسمه الى النسور وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه ، فأقام حتى لم يبق الا عظامه ، ثم انصرف

قال الأصمعى قلت لأبى الأبرش مات أبو نخيلة ، قال حتف أنفه ؟ قلت لا بل اغتيل فقتل ، فقال الحمد لله الذى قطع قلبه وقبض روحه وسفك دمه وأراحنى منه وأحيانى بعده ، وكان أبو نخيلة يهاجى الأبرش فغلبه أبو نخيلة

حارثة بن بدر

هو حارثة بن بدر بن حصين الغُدانى من غدانة بن يربوع، من فرسان بنى تميم ووجوهها وساداتها وأحسب أنه قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فى حال صباه

وحدائته وليس بمعدود في فحول الشعراء ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين فى الشعر والمتصرفين فى فنونه

كان زياد بن أبي سفيان مكرما لحارثة قابلا لرأيه محتملا لما يعلمه من تناوله الشراب فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير فعاتبه على ذلك ، فقال له عبيدالله انك تتناول الشراب ، فقال له قد كان أبوك يعلم هذا مني ويقربني ويكرمني ، فقال له ان أبى كان لا يخاف من القالة فى تقريبك ما أخاف وان اللسان الى فيك لأسرع منه الى أبى فقال حارثة

وكم من أمير قد تجبر بعد ما ... مَرَيْت له الدنيا بسيفى فدَرَّت
اذا ما هى احلولت نفى حق مقسمى ... ويقسم لي منها اذا ما أمرَّت
اذا زَبَنته عن فُواق (١) يريده ... دعيت ولا أُدعى اذا ما أقرَّت

وقال وقد شاوره عبيد الله فى أمر

اهان وأقصى ثم ينتصحوننى ... ومن ذا الذى يعطى نصيحته قسْرا
رأيت أكفَّ المصلتين عليكمُ ... ملاءً وكفى من عطاياكمُ صفرا
متى تسألونى ما عليّ وتمنعوا الـــذى ليَ لا أسْطِع على ذلكم صبرا
رأيتكمُ تعطون من ترهبونه ... زرابيّة قد وشحت خِلعاً صفرا
وانى معَ الساعى اليكم بسلعة ... اذا عظْمكُم يوماً رأيت به كسرا

وقال وقد أحرقت داره بالبصرة أحرقها بعض أعدائه

رأيت المنايا بادئاتٍ وعُوَّدا ... الى دارنا سهلا اليها طريقها
لها سعَة كانت تقينا فُروعها ... فقد تلفت الا قليلا عروقها

وقال حارثة فى أنس بن زينم الليثى

تبدلت من أنس انه ... كذوب المودة خوّانها

(١) الفواق ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع وزبنته دفعته

أراه بصيراً بضر الخليل وشر الأخلاء عُوارنها

فأجابه أنس فقال

وان الخيانة شر الخليل والكفر عندك ديوانها
بَصُرت به فى قديم الزمان كما يُبْصَر العين انسانها

فأجابه حارثة فقال

أَلِكْني الى أنس انه عظيم الحواشة عندى مَهيب
فما أبتغى عثرات الخليل ولا أبتغى عليه الوثوب

فقال أنس

وما ان أرى ماله مغنما من الدهر ان أعوزتنى الكُسوب
أحارِ بن بدر وأنت امرؤ لعمرى المتاع الىَّ الحبيب
متى كان مالك لى مغنما من الدهر ان أعوزتنى الكسوب
وشر الأخلاء عند البلاء وعند الرزية خل كذوب

فتهاديا الشعر زمناً عند عبيد الله بن زياد ووقع بينهما شر حتى قدم مسلم بن زياد عاملا على خُراسانَ وسِجستْان فعرض على انس صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة فاستمهله وكتب أنس الى عبيدالله

ألم ترنى خُيِّرت والامر واقع فما كنت لما قلت بالمتخيِّر
رضاك على شئ سواه ولم يكن اذا اختار ذا حزم من الامر يظفر
قعدت لترضى عن جهاد وصاحب شفيق قديم الود كان مُؤَمِّرى
على أحد الثغرين ثم تركته وقد كنت فى تأميره غير مُمتر
فأمسكت عن سَلْم عِنانى وصحبتى ليعرف وجه العذر قبل التعذر
فان كنت لَمَّا تدر ما هى شيمتى فسل بىَ أكفائى وسل بى معشرى

ألست مع الاحسان والجود ذا غنى وبأس اذا ما كفروا فى التستر
ورائى وقد أعصي الهوى خشية الردى وأعرف غبَّ الأمر قبل التدبر
وما كنت لولا ذاك ترتد بغيتى عليَّ ارتداد المظـــلم المتحير

فرد عليه حارثة بأمر عبيد الله

أَلِكْنى الى من قال هذا وقل له كذبت فما ان انت بالمتخير
وانك لو صاحبت سَلْما وجدته كعهدك عهد السوء لم يتغير
أتنصح لي يوماً ولست بناصح لنفسك فاغْشُشْ ما بدا لك أو ذر
كذبت ولكن أنت رهن بخزية ويوم كأيام عبوس مذكر
كأشقر أضحى بين رمحين ان مضى على الرمح يُنْحَرَ أو تأخر يُعْقَرَ

وأعجبت عبيد الله وقال لعمرى لقد أجبته على ارادتى وأمسكها عبيد الله في يده فلما دخل عليه أنس دفعها اليه فنظر فيها ثم قال لعبيد الله لقد رد على من لا أستطيع جوابه وظن أن عبيد الله قالها ، وخرج أنس والصحيفة في يده فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعها اليه أنس فلما قرأها قال هذا شعر حارثة بن بدر أعرفه ، فقال له أنس صدقت والله ثم قال لحارثة

عجبت لهوج من زمان مضلل رأى لأَلباب الرجال مغـير
ومن عقبة عَرْجا غُول تلبست على الناس جلد الأَرْبد المتنمر
فلا يعرف المعروف فيه لأَهله وان قيل فيه منكر لم ينكر
لحارثة المهدى الخنا لي ظالما ولم أر مثلى مُدَّر صيد مُدَّر
لحارثة بن بدر قد أتتني مقالة فما بال نُكْرٍ منك من غير منكر
أيروى عليك الناس مالا تقوله فتعذر أم أنت امرؤ غير معذر
فان يك حقاً مايقال فلا يكن دبيباً وجاهرنى فما من تستر
أقلذك ان كنت امرأ صان عرضه قوافى من باقى الكلام المشهر

وقد كنت قبل اليوم جربت أنني ... أشق على ذى الشعر والمتشعر
وان لسانى بالقصائد ماهر ... تعِنّ له عُنّ القوافي وتنبرى
أصادفها حيناً يسيراً وأبتغى ... لها مرة شزراً اذا لم تيسر
تناولنى بالشتم فى غير كنهه ... فمهلاً أبا الخيماء وابن المعذّر
هجرت وقد ساماك فى الشرخطة الـ ... ـذليل ولم يفعل كأفعال منكر

وقال له أيضاً

سل أميرى ما الذى غيره ... عن وصالي اليوم حتى ودعه
لا تُهِنّى بعد اكرامك لى ... فشديد عادة متنزعة
لا يكن وعدك برقاً خُلَّبا ... ان خير البرق ماالغيث معه

قال حارثة لعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وكانا فى عرس هل لك فى شراب ؟ قال نعم ، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل فأخذ ابن ظَبيان العُسّ فكرَع حتى كاد يأتى عليه ثم ناوله حارثة ، فقال له حارثة انك لطَبّ بحَسْوها ، فقال أجَلْ والله انى لأشربها حلالا وأجاهر بها اذ أخفى غيرى شرب الحرام ، فقال له حارثة من غيرك هذا ؟ قال سائلى عن هذا الامر ، فقال حارثة

اذا كنت نَدْمانى فخذها وأسقنى ... ودع عنك من راءاك يكرع فى الخمر
فانى امرؤ لا أشرب الخمر فى الدُّجَى ... ولكننى أحسو النبيذ من التمر
حَيـاً وتُقًى لله والله عالم ... بكل الذى نأتيه فى السر والجهر
ومثلك قد جربته وخبرته ... أبا مطر والحَيْن أسبابه تجرى
حساها كمستدمى الغزال عتيقةً ... اذا شعشعت بالماء طيبة النشر
أقام عليها دهره كل ليلة ... يشافهها حتى يرى وَضَح الفجر
فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضُحْكة ... لاصحابه حتى يُدَهْدَه فى القبر
فما ان بكاه غير دَنّ ومِزْهَر ... وغانية كالبدر واضحة الثغر

وباطية كانت له خِدْن زنية يعاهرها والليل معتكر الستر

عاتب الأحنف حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له قدفضحت نفسك وأسقطت قدرك وأوجعه عتاباً ، فقال له انى سأعتبك ، فانصرف الأحنف طامعاً فى صلاحه ، فلما أمسى راح اليه فقال له اسمع يا أبا بحر ما قلت لك ، فقال هات ، فأنشده

يذم أبو بحر أموراً يريدها ويكرهها للأريحى المسوَّد
فان كنت عيَّاباً فقل ما تريده ودع عنك شربى لست فيه بأوحد
سأشربها صهباء كالمسك ريحها وأشربها فى كل نادٍ ومشهَد
فنفسك فانصح يا ابن قيس وخلِّني ورأيي فما رأيي برأيٍ مُفنَّد
وقائلة ياحار هل أنت مُمْسِك عليك من التبذير؟ قلت لها اقصدى
ولا تأمريني بالسَّداد فانني رأيت الكثير المال غير مخلد
ولا عيب لي الا اصطباحى قهوةً متى يمتزجها الماء فى الكأس تزْبِد
معتقة صهباء كالمسك ريحها اذا هى فاحت أذهبت غُلَّة الصَّدِى
ألا انما الرشد المبين طريقه خلاف الذي قد قلت اذ أنت مرشدى
سأشربها ما حج لله راكب مجاهرةً وحدى ومع كل مُسْعِد
وأسعد ندْمانى وأتبع شهوتى وأبذُل عفواً كل ما ملكت يدى
كذا العيش لا عيش ابن قيس وصحبه من الشرب للماء القراح المصرَّد

فقال له الأحنف حسبك انى أراك غير مقلع عن غيك ولن أعاتبك بعدها أبداً ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلام وخصومة فافترقا عن مجلسهما متخاصمين فبلغ حارثة أن الأحنف قال والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله ، فقال حارثة وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحبي له ؟ وذلك أمر لست أعتذر منه الى أحد ، ثم قال فى ذلك

وكم لائم لي فى الشراب زجرته ... فقلت له دعني وما أنا شارب
فلست عن الصهباء ماعشت مُقْصِراً ... وان لامنى فيها اللئام الأشائب (١)
أأترك لذاتى وآتى هواكمُ ... ألا ليس مثلى يا ابن قيس يخالبُ
أنا الليث معدواً عليه وعادياً ... إذا سُلَّت البيض الرِّقاق القواضب
فأنت حليم تزجر الناس عن هوى ... نفوسهمُ جهلاً وحلمك عازب
فحلمك صُنْهُ لا تُذِله وخلِّنى ... وشأني واركب كل ماأنت راكب
فاني امرؤ عودت نفسى عادة ... وكل امرئ لاشك ما اعتاد طالب
أجود بمالى ما حييت سماحة ... وأنت بخيل يجتويك المصاحب
فما أنت أو ما غيُّ من كان غاويا ... اذا أنت لم تُسْدَد عليك المذاهب

قال زياد يوماً لحارثة من أخطب الناس أنا أو أنت ؟ فقال الأمير أخطب منى اذا توعد ووعد وأعطى ومنع و برَق ورَعَد وأنا أخطب منه فى الوفادة و فى الثناء والتحبير وأنا أكذِب اذا خطبت فأحشُو كلامى بزيادة مليحة شهِيَّة والأمير يقصِد الى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه، فقال له زياد قاتلك الله فلقد أجدت تخليص صفتك وصفتى من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتنى وتخلصت

شرب زياد ليلة الى الصبح فأكثر وصَرَف ومزجوا ، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ففطن له زياد فقال مالك ياحارثة ، قال أكلت البارحة رماناً فأكثرت ، قال قد عرفت مع من أكلته ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك الى ما ترى

وقال يرثى زياداً

ان الرزية فى قبر بمنزلة ... تجرى عليها بظهر الكوفة المود

(١) جمع أشابة بالضم وهم أخلاط الناس

أدت اليه قريش نعش سيدها فيه النَّدَى والحِجا والحزم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة وان من غرَّ بالدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف منزلة وكان عندك للنُّكْراء تنكير
وكنت تؤتى فتعطى الخير عن سعَة فاليوم بابك دون الهجر مهجور
ولا تلين اذا عوسرت مقتسراً وكل أمرك ما يوسرت ميسور

وكان الذى أتاه بنَعيّه مسعود بن عمرو الأَزدى فقال حارثة

لقد جاء مسعود أخو الأزد غدوة بداهية غراء بادٍ حجولها
من الشر ظل الناس فيها كأنهم وقد جاء بالأخبار من لا يحيلها

دخل حارثة على عبيد الله بن زياد وعنده سعد بن رابية اليربوعى وكان شريراً يضحك ابن زياد ويلهيه فقال لحارثة أينع الكرم ، قال نعم واستودع ماءه الأَصيص فمه ؟ قال انى لم أرد بأساً ، قال أجل ولست من أهل البأس ولكن هل لك علم بالأتان اذا اعتاص رحمها كيف يسطى عليها أكما يسطى على الفرس أم كيف؟ قال واحدة بواحدة والبادى أظلم سألتنى عما لا علم لي به وسألتك عما تعلم ، قال أنت بما سألتك عنه أعلم منى بما سألتنى عنه ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف وقال يهجو سعداً

لا ترج مني يا ابن سعد هَوادة ولا صحبة ما أرزمت أم حائل
أعند الأمير ابن الأمير تَعيبنى وأنت ابن عمرو مضحك فى القبائل
ولو غيرنا ياسعد رمت حَريمه بخَسْف لقد غودرت لحماً لآكل
فشالت بك العَنْقاء أوصرت لحمة لأَغبس عَوَّاء العشيات عامل

وكان حارثة يوم فتنة مسعود على خيل حنظلة بازاء بكر بن وائل وكان عَبْس بن طَلْق الصَّريمى على الخيل بحيال الأَزد معه سعد والرباب والاساورة فقال حارثة

سيكفيك عبس أخو كَهْمَس مقارعة الأَزد بالمِرْبد

ويكفيك عمرو وأشياعها لُكَيز بن أفصَى وما عددوا
وأكفيك بكراً اذا أقبلت بطعن يشيب له الأمرد

فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع الى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب ، فقال حارثة انه والله ما أرسل اليك نظراً لك ولا ابقاء عليك ولكنه أراد أن يغرى بينك وبين سعد ، فمضى ضرار الى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه وفقئت عينه يومئذ

قال الأصمعي كان حارثة يجالس مالك بن مسمع فاذا جاء وقت يشرب فيه قام ، فأراد مالك أن يعلم من حضره انه قام ليشرب فقال له الى أين تمضي يا أبا العنبس ؟ قال أمضى فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثارك

عرض لحارثة رجل من الخلج فى أمر كرهه عند زياد فقال فيه

لقد عجبت وكم للدهر من عجب مما تزيَّد فى أنسابها الخُلُج
كانوا خساً[1] أوزكاً من دون أربعة لم يخلفوا وحدود الناس تنبلج

ومن قوله

وكان لنا نَبْع تقينا عروقه فقد بلغت الا قليلا حلوقها
وشيب رأسي واستخف حلومنا رعود المنايا فوقنا وبروقها
وانا لتستحلى المنايا نفوسنا وتترك أخرى مرة ما نذوقها
رأيت المنايا بادئات وعوَّدا الى دارنا سهلا اليها طريقها
لقد قسمت نفسى فريقين منهما فريق مع الموتى وعندى فريقها

قال أبو اليقظان حول زياد دعوة حارثة بن بدر وديوانه فى قريش لمكانه منه ، فقال رجل من كليب يهجوه بذلك

شهدت بأن حارثة بن بدر غُدانيّ اللَّهازم والكلام

(١) الخسا الفرد والزكا الزوج

سَجاح فى كتاب الله أدنى له من نوفل وبنى هشام

يعني سَجاح التى ادعت النبوة وهى امرأة من بنى تميم

أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارثة وهو حينئذ فى ألف وستمائة من العطاء فسبق الوليد ، فقال حارثة هذه فُرْصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال

الى الألفين مُطَّلع قريب زيادة أربع لي قد بقينا

فان أهلك فهن لكم والا فهن من المتاع لكم سنينا

فقال الوليد فتشاطرنى ذلك لك مئتان ولي مئتان ، فصير عطاءه ألفاً وثمانى مائة ، ثم أجرى الوليد الخيل فسبق أيضاً ، فقال حارثة هذه فرصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال

وما احتجب الألفان الا بهين هما الآن أدنى منهما قبل ذلكا

فجد بهما تفديك نفسى فانني معلق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليد له بالمئتين ، فانصرف وعطاؤه ألفان

استعمل عبيدالله بن زياد حارثة على نَيْسابور فغاب عنه أشهراً ثم قَدِم فدخل عليه ، فقالى ما جاء بك ولم أكتب اليك ؟ قال استنظفت خراجك وجئت به وليس لي عمل فما مقامى ؟ قال أو بذلك أُمرت ؟ ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضى السنة وقد فرغت من ذلك فانه أرفق بالرعية وبك ، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم ، فرجع فرد الخراج عليهم وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة

قال الأحنف ما غبت عن أمر قط فحضر حارثة بن بدر الا وثقت باحكامه وجودة عقده له « وكان حارثة من الدُّهاة »

كان حارثة يصيب من الشراب وكان حظيا عند زياد فعوتب زياد على رأيه فيه فقال أتلومونني على حارثة ؟ فوالله ما تفل فى مجلسى قط ، ولا حك ركابه ركابى ،

ولا سار معي في علاوة الريح فغبر عليّ ، ولا دعوته قط فاحتجت الى تجشم الالتفات اليه حتى يوازيني ، ولا شاورته في شيء الا نصحني ، ولا سألته عن شيء من أمر العرب وأخبارها الا وجدته به بصيرا

قال المغيرة بن المنتشر أنا عند عبيد الله بن زياد وعنده الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ، وكان حارثة يتهم بالشراب ، فقال له عبيد الله أي الشراب أطيب؟ قال برة طيسارية بأقطة عَنْزية بسَمْنة عربية بسكرة سوسية ، فتبسم عبيد الله ، ثم قال للأحنف يا أبا بحر أي الشراب أطيب ؟ قال الخمر ، فقال له عبيدالله وما يدريك ولست من أهلها ؟ قال رأيت من يستحلها لا يعدوها الى غيرها ومن يحرمها يتأول فيها حتى يشر بها ، فضحك عبيد الله ،

كان حارثة بكوارا من أردشير خُرّة فقال

ألم تر أن حارثة بن بدر أقام بدير أبلق من كوارا

ثم قال لجند كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه ، فقال له رجل منهم أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك وتجعلني رسولك الى البصرة وتطلب لي القفل من الأمير ، قال ذلك لك ، ثم رد عليه نشيد البيت فقال الرجل

مقيما يشرب الصهباء صِرْفا اذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة لك شرطك ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة فقال له اكسني ثوبين أدخل بهما على الأمير ، فكساه ثوبين لم يرضهما ، فقال فيه

أحارث أمسك فضل بُرْديك انما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

وكنت اذا استمطرت منك سحابة لتمطرني عادت عَجاجا وسافيا

أحارث عاود شربك الخمر انني رأيت زياداً عنك أصبح لاهيا

فبلغت زيادا و بلغت حارثة فقال قبحه الله لقد شهد بما لا يعلم ولم أدع جوابه الا لما يعلم

قال القحذمي كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم حلواً شاعراً ذا فُكاهة فكان زياد يأنس به طول حياته ، فلما مات وولي ابنه عبيد الله كان يجفوه ، فدخل اليه في جمهور الناس فجلس متوارياً منه حتى خف الناس ، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به ، فقال له ما أعرفني به غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته فلم يكن يلصق به أهل الريبة مثل ما يلحقني مع الشباب وقرب العهد بالامارة ، فاما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي ان شئت ليلاً وان شئت نهاراً ، فقال الليل أحب اليَّ ، فكان يدعوه ليلاً فيسامره ، فلما عرفه استحلاه فغلب عليه ليله ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره ، فجاءه ليلة وبوجهه آثار فقال ما هذا يا حار؟ قال ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقا فسحجني ، قال لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يصبك شيء من هذا « يعني اللبن والماء »

خرج حارثة الى سلم بن زياد بخراسان فأوصى رجلاً من غُدانة أن يتعاهد امرأته الشماء و يقوم بأمرها ، فكان الغداني يأتيها فيتحدث عندها ويطيل حتى أحبها وصبا بها فكتب الى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت ويشير عليه بفراقها و يقول انها قد فضحتك من تلعب الرجال بها ، فكتب اليها بطلاقها وكتب في آخر كتابه

ألا آذنا شمَّاء بالبين انه أبى أوَد الشماء أن يتقوما

فلما طلقها وقضت عدتها خطبها الغداني فتزوجها « وكان حارثة شديد الحب لها » و بلغه ذلك وما صنعت فقال

لعمرك ما فارقت شماء عن قِلًى ولكن أطلت النأى عنها فملَّت
مقيما بمَرْو الرُّوذ لا أنا قافل إليها ولا تدنو اذا هي حلت

تزوج حارثة ميسة بنت جابر وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان ، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده فقالت ترثي حارثة

بدلت بشراً شقاء أو معاقبة ... من فارس كان قدماً غير عوار
يا ليتني قبل بشر كان عاجلني ... داع من الله او داع من النار

وقالت أيضاً فيه

ما خار لي ذو العرش لما استخرته ... وعذبني أن صرت لابن شعاف
فما كان لي بعلا وما كان مثله ... يكون حليفاً أو ينال الافى
فيا رب قد أوقعتني ببليـــة ... فكن لي حصناً منه رب وكاف
ونجِّ إلهي رِبْقَتي من يد امرئ ... شتيم محيـــاه لكل مصاف
هو السوءة السوآء لا خير عنده ... لطالب خير غير حذ قواف
يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه ... وما تلك زُلْفى يال عبد مناف
وان حادثٌ عَضَّ الشعافى لم يكن ... صليباً ولا ذا تُدْرأ وقِذاف

مَرَّ سليمان بن عمرو بن مِرْثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خُراسان فأنزله وقراه وقرى أصحابه وحملهم وإياه ، فلما ركبوا للمسير قال سليمان

قريت فأحسنت القِرى وسقيتنا ... معتقة صهباء كالعنبر الرطب
وواســـيتنا فيما ملكت تبرعاً ... وكنت ابن بَدر نعم ذو منزل الركب
وأنت لعمرى فى تميم عمادها ... اذا ما تداعت للعلا موضع القطب
وفارسها فى كل يوم كريهة ... وملجؤها ان حل خَطْب من الخطب
وعندكمُ نال الغنى من أراده ... اذا ما خطرتم كالضراغمة الغُلْب
يرى الحلق المـاذىّ فوق حُماتهم ... اذا الحرب شبت بالمهندة القُضْب
وعند الرخا والأمن غيث ورحمة ... لمن يعتريهم خائفاً صولة الحرب
وجدتهمُ جوداً صباحاً وجوههم ... كراماً على العلّات فى فادح الخَطْب
كأن دنانيراً على قَسَماتهم ... اذا جئتهم قد خفت نكباً من النكب

فقال حارثة يجيبه

وأسحم ملآن جررت لفتية كرام أبوهم خير بكر بن وائل
وأطولهم كفاً وأصدقهم حياً وأكرمهم عند اختلاف المناصل
من المرثدين الذين اذا انتدوا رأيت نديّاً جده غير خامل
فعالهم زين لهم ووجوههم يزين الذي يأتونه فى المحافل
فسقيا ورعيا لابن عمرو بن مرثد سليمان ذى المجد التليد الحُلاحل
فتى لم يزل يسمو الى كل نجدة فيدرك ما أعيت يد المتناول
فحسبك بى علماً به وبفضله اذا ذكر الأقوام أهل الفضائل

دخل أنس بن زنيم على عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر ، فلما خرج أنس قال عبيد الله لحارثة أى رجل هو أنس عندك ؟ قال هو عندى أصلح الله الأمير كما قلت فيه

يبيت بطيناً من لحوم صديقه خميصاً من التقوى ومن طلب الحمد
ينام اذا ما الليل جنّ ظلامه ليسرى الى حاجاته نومة الفهد
يراعى عذارَى قومه كلما دجا له الليل والسوءات كالأسد الورْد
جريئا على أكل الحرام وفعله جبانا عن الأقران معترم الكرْد

فلما كان من الغد دخل أنس على عبيد الله فقال له عبيد الله بحضرة حارثة إنى سألت هذا عنك فأخبرنى بما كرهته لك ولم أكن اخالك كما نعتّ لي ، فقال أصلح الله الأمير ان يكن قال خيراً فأنا أهله ، وان قال غير ذلك فلم يَعْدُ ما هو أولى به ، أما والله لو كان أصلح الله الامير حقاً لحفظت غيبتي فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله والله يعلم أنى كنت كاذباً وما اخال ما قاله فيَّ الا عقوبة فان عقوبة الكذب حاضرة وثمرة الكذب الندامة فقد لعمرى أجنيتها بكذبى وقولي فيه ما ليس فيه وهو عندى كما أقول أصلح الله الأمير

يحلى لي الطرف ابن بدر وانني ... لأعرف فى وجه ابن بدر لي البغضا
وأنى شَجَى فى حلقه ما يُسيغه ... فما ان يزال الدهر يجرض بى جرضا
وما لى من ذنب اليه علمته ... سوى أن رآنى في عشيرته محضا
وان ابن بدر فى تميم مكركس (١) ... اذا سيم خَسْفًا أو مشنعة أغضى
تعبب الرجال الصالحين وفعلهم ... وتبذل بخلا دون ما نلته العرضا
وترضي بما لا يرتضى الحر مثله ... وذو الحلم بالتخييس والذل لا يرضى

وقال أيضاً فيه

أحار ابن بدر باكر الراح انها ... تنسيك ما قدمت فى سالف الدهر
تنسيك أسباباً عظاماً ركبتها ... وأنت على عمياء فى سنن تجرى
أتذكر ما أسديت واخترت فعله ... وجئت من المكروه والشر والنكر
اذا قلت مهلا نلت عرضى فما الذى ... تعيب على مثلى هُبِلْت أباعمرو
أليس عظيما أن تكايد حرة ... مهفهفة الكشحين طيبة النشر
فان كنت قد أزمعت بشرك بالذي ... عرفت به اذ أنت تجزَي ولا تدرى
فدع عنك شرب الخمر وارجع الى التى ... بها يرتضى أهل النباهة والذكر
عليك نبيذ التمر ان كنت شاربا ... فان نبيذ التمر خير من الخمر
ألا ان شرب الخمر يُزْرى بذى الحجا ... ويذهب بالمال التِّلاد وبالوَفْر
فصبراً عن الصهباء واعلم بأنني ... نصيح واني قد كبرت عن الزجر
وانك ان كفكفتنى عن نصيحة ... تركتك ياحار بن بدر الى الحشر
أأبذل نصحى ثم تعصي نصيحتى ... وتهجرنى عنها هُبِلْت أبا بدر

لما ولى حارثة سُرَّق خرج معه المشيعون من البصرة وفيهم أبو الاسود الدُّؤلى، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الاسود فقال

(١) المكركس من ولدته الاماء

أحار بن بدر قد وليت أمارة فكن جُرَذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه فحظك من ملك العراقين سُرّق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يَهْوَى واما مصدق
يقولون أقوالا بظن وشبهة فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب وما كل من يدعى الى الرزق يرزق
وكاثر تميما بالغني ان للغني لساناً به يسطو العَيِيّ وينطق

فقال له حارثة

جزاك مليك الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافيا
أمرت بحزم لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لرأيك عاصيا
ستلقى أخاً يصفيك بالود حاضراً ويوليك حفظ الغيب ان كنت نائيا

لما هزم حارثة فى حرب الخوارج قال غوث بن الحباب يهجوه

أحار بن بدر دونك الكأس انها بمثلك أولى من قراع الكتائب
عليك بها صهباء كالمسك ريحها يظل أخوها للعدى غير هائب
فدع عنك أقواماً ولِيت قتالهم فلست صبوراً عند وقع القواضب
وخذها كعين الديك تشفى من الجَوى وتترك ذا التهمام حصر المذاهب
اذا شُعْشعت بالماء خلت حَبابها نظائم در أو عيون الجنادب
كأنك اذ تحسو ثلاثة أكؤس من التيه قَرْم من قروم المرازب
ودع عنك أبناء الحروب وشدهم اذا خطروا مثل الجمال المصاعب

كانت فى تميم حَمالتان فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان ، فقال لهم الأحنف لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم ، فقالوا من سيدنا غيرك ؟ قال حارثة بن بدر ، وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الاحنف فقال أغرمنيها والله ابن الزافرية ، ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيم اجتمعوا ، فقال لا تلقَوْا فيهما أحداً ثم أتى الى منزله فقال

خلت البلاد فسدت غير مسوَّد ومن الشقاء تفردى بالسودد

كان حارثة سعى فى الأرض فساداً فأهدر على بن أبى طالب عليه السلام دمه فهرب فاستجار بأشراف الناس فلم يُجِرْه أحد ، فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهَمْدانى فلعله يجيرك ، فطلب سعيداً فلم يجده فجلس فى طلبه حتى جاء فأخذ بلجامه فقال أجرنى أجارك الله ، قال ويحك مالك ؟ قال أهدر أمير المؤمنين دمى ، قال وفيمه ؟ قال سعيت فى الارض فساداً ، قال ومن أنت ؟ قال حارثة بن بدر الغُدانى ، قال أقم ، وانصرف الي على عليه السلام فوجده قائما على المنبر يخطب فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَوْن في الأرض فساداً ؟ قال: أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، قال يا أمير المؤمنين الا مَنْ ؟ قال الا من تاب ، قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجرته ، قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرنا من أجرت ، ثم قال على عليه السلام وهو على المنبر انى كنت نذرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يعرض له ، فانصرف اليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه وأجازه بجائزة سنية فقال فيه حارثة

الله يجزى سعيد الخير نافلة أعني سعيد بن قيس قَرْم هَمْدان
أنقذنى من شَفَا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكفانى
قالت تميم بن مُرّ لا تخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن عَيْلان
أساغ فى الحلق ريقاً كان يُجْرضنى وأظهر الله سرى بعد كتمان
انى تداركنى عفٌّ شمائله آباؤه حين ينمى خير قحطان
ينمِيه قيس وزيد والفتى كَرِب وذو جبائر من أولاد عثمان
وذو رُعَين وسيف وابن ذى يَزَن وعلْقم قيلهم أعني ابن نبهان

فلما أراد الانصراف الى البصرة شيعه سعيد بن قيس الى نهر النصرين فى ألف راكب وحمله وجهزه فقال حارثة

لقد سررت غداة النهر اذ برزت أشياخ هَمْدان فيها المجد والخير
يقودهم ملك جزْل مواهبه وارى الزِّناد لدي الخيرات مذكور
أعني سعيد بن قيس خير ذى يَزَن سامى العماد لدى السلطان مجبور
ما ان يلين اذا ما سِيمَ منقصة لكن له غضب فيها وتنكير
أغرّ أبلج يُستسقَى الغمام به جنابه الدهرَ يُضْحِي وهو ممطور

لقي أنس بن زنيم حارثة فقال له يا حارثة قد قلت لك ابياتاً فاسمعها ، قال هاتها ، فأنشده

فحتى متى أنت ابن بدر مخيم وصحبك يحسون الحليب من الكَرْم
فان كان شراً فالهُ عنه وخله لغيرك من أهل التخبط والظلم
وان كان غنما يا ابن بدر فقد أرى سئمت من الاكثار من ذلك الغنم
وان كنت ذا علم بها واحتسائها فمالك تأتى ما يشينك عن علم
تَقِ الله واقبل يا ابن بدر نصيحتى ودعها لمن أمسى بعيدا من الحزم
فلو أنها كانت شراباً محللا وقلت لي اتركها لأوضعت فى الحكم
وأيقنت أن القول ماقلت فانتفع بقولي ولا تجعل مقالي من الجرم
فرب نصيح الجيب رد انتصاحه عليه بلا ذنب وعوجل بالشتم

فقال له حارثة لقد قلت فأحسنت ونصحت فأبلغت جزيت الخير أبا زنيم ، فلما رجع الى منزله أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابن زنيم فقالوا والله ما نرى ذلك الا حسداً ، ثم قال حارثة لابن زنيم

يعيب علىّ الراح من لو يذوقها لجُنّ بها حتى يُغيَّب فى القبر
فدعها أو امدحها فانا نحبها صُراحاً كما أغراك ربك بالهجر
علام تذم الراح والراح كاسمها تريح الفتى من همه آخر الدهر
فلمنى فان اللوم مما يزيدنى غراماً بها ان الملامة قد تُغْرِى

وبالله أولى صادقاً لو شربتها ... لأقصرت عن عذلي وملت الى عذري
وان شئت جربها وذقها عتيقة ... لها أرج كالمسك محمودة الخبر
فان أنت لم تخلع عذارك فخلني ... وقل لي لحاك الله من عاجز غمر
وقبلك ما قد لامني في اصطباحها ... وفي شربها بدر فأعرضت عن بدر
وحاسيتها قوماً كأن وجوههم ... دنانير في اللأواء والزمن النكر
فدعني من التعذال فيها فانني ... خلقت أبيّاً لا ألين على قسر
أجود وأعطي المنفسات تبرعاً ... وأغلي بها عند اليسارة والعسر
وأشربها حتى أخرّ مجدلا ... معتقة صهباء طيبة النشر
ولولا النهى لم أصح ما عشت ساعة ... ولكنني نهنهت نفسي عن الهجر
فقصرت عنها بعد طول لجاجة ... وحب لها في سر أمري والجهر
وحق لمثلي أن يكف عن الخنا ... ويقصر عن بعض الغواية والنكر

كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب فقيل له في ذلك وعوتب وعرف أن الصلتان العبدي هجاه فقال فيه

ترك الأشياء طراً والخنا ... يشرب الصهباء من ماء العنب
لا يخاف الناس قد أدمنها ... وهي تزري باللئيم المؤتشب
وهي بالأشراف أزرى والى ... غاية الأنيب تدعو ذا الحسب
فدع الخمر أبا حرب وسد ... قومك الادنين من بين العرب

فقال لعنه الله والله ما ترك للصلح موضعاً ولقد صدق ولولا الشرب لكنت الرجل الكامل وما يخفى عليّ قبيحه وسوء القالة فيه ولكني سمعت حارثة بن بدر أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المجاهرة بالشراب وان كان ذلك اليّ بغيضاً ، قيل له وما الأبيات ؟ قال سمعته ينشد

أذهب عني الغمّ والهم والذى ... به تطرد الأحداث شرب المروّق

فوالله ما أنفك بالراح مُهْتِراً ولو لام فيها كل حر موفق
فما لائمي فيها وان كان ناصحاً بأعلم مني بالرَّحيق المعتَّق
ولكنَّ قلبي مستهام بحبها وحب القِيان رأى كل محمَّق
أحب التي لا أملك الدهر بغضها وذلك فعل معجب كلَّ أخرق
سأشربها صِرْفاً وأُسقي صحابتي وأطلب غِرّات الغزال المنطَّق

كان لحارثة نديم من قريش يصيب معه الشراب ولا يفارقه اذا شرب وقال فيه

وأبيض من أولاد سعد بن مالك سقيت من الصهباء حتى تقطرا
وحتى رأى الشخص القريب بسكره شخوصاً فنادى يالَسعد وكبرا
فقالت أسكران ؟ فقال مكابراً أبى الله لي أن أستخف وأسكرا
فقلت له اشرب هذه بابلية تخال بها مسكاً ذكياً وعنبرا
فلما حساها هزّها ثم انه تماسك شيئاً واجماً متفكرا
وقال أعدها قلت صبراً سويعة فهوَّم شيئاً ثم قام فبربرا

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً وكان صديقاً لحارثة فدخل عليه يوماً وهو مصطبح فعاتبه وقال قد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك، فقال له دع عنك هذا الجنون وهلم نتساعد واسمع ما قلت ، قال هاته فأنشده

غدا ناصحاً لم يألُ جهداً مخارق يلوم على شرب السُّلاف المعتّق
فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا ودونكها صهباء ذات تألُّق
تراها اذا ما الماء خالط جسمها تَخايلُ في كف الوصيف المنطَّق
لها أَرَج كالمسك يذهب ريحُها عمايةَ حاسيها بحسن ترفق
وكم لائم فيها بصير بفضلها رمته بسهم صائب متزلق

فظل لرَيَّاها يَعَضّ ندامة يديه وأرعى بعد طول تمطق
وقال لك العذر ابنَ بدر على التى تُسَلى همـــوم المستهام المشوق
فلست ابن صخر تاركا شرب قهوة لقول لئيم جاهل متحذلق
يعيب عليّ الشرب والشرب همه ليُحْسب ذا رأى أصيل مصدق
فما أنا بالغِرّ ابنَ صخر ولا الذى يُصمم فى شئ من الأمر موبق

فقال له مخارق انما عاتبتك لأن الناس قد أكثروا فيك ورأيت النصيحة لله واجبة عليّ وكرهت أن تضع لذتك قدرك فان أطعتنى فى تركها والا فلا تجاهر بها فانك قادر أن تبلغ حاجتك فى ستر ، فقال حارثة ما عندى غير ما سمعت ، فتركه وانصرف

ذكر حلم الأحنف عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة فنفس عليه حارثة ذلك فقال لعبيد الله أيها الأمير ما يبلغ حلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوه ضراً ولا لصديقه نفعاً وانما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه ؟ فبلغ ذلك من قوله الأحنف فقال أهون بحارثة وكلامه وما حارثة ومقداره ؟ أليس الذى يقول قبح الله رأيه فى قوله ؟

اذا ما شربت الراح أبدت مكارمى وجُدت بما حازت يداي من الوَفْر
وان سبنى جهلا نديمى لم أزد على اشرب سقاك الله طيبة النشر
أرى ذاك حقاً واجباً لمنادمى اذا قال لي غير الجميل من السكر

كان لحارثة جارية يقال لها ميسه وكان بها شغوفاً فلما مات تزوجت بعده بشر بن شعاف ، وفيها يقول حارثة

خليلي لولا حب ميسة لم أُبَل أفي اليوم لاقيت المنية أم غدا
خليلي ان أفشيت سرى اليكما فلا تجعلا سرى حديثاً مبددا
وان أنتما أفشيتماه فلا رأت عيونكما يوم الحساب محمدا

ولا زلتما في شقوة ما بقيتما تذوقان عيشاً سيئ الحال أنكدا

ومن قوله وهو في الموت لمولاه كعب

يا كعب مهلا فلا تجزع على أحد يا كعب لم يبق منا غير أجساد

يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا الا والموت في آثارهم حاد

يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت الا تقرب آجالا لميعاد

يا كعب كم من حمى قوم نزلت به على صواعق من زجر وايعاد

فان لقيت بواد حية ذكرا فاذهب ودعني أمارس حية الوادي

جرير

هو جرير بن عطية بن الخَطَفَى اليربوعي من كليب بن يربوع بن حنظلة ، يكني أبا حَزْرة وهو والفرزدق والأَخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ومختلف في أيهم المتقدم ولم يبق من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون على أن الاخطل انما دخل بين جرير والفَرَزْدق في آخر أمرهما وقد أسن ونَفِدَ أكثر عمره وهو وان كان له فضل وتقدم فليس نَجْره من نجار هذين في شيء

قال عمر بن شَبَّة اتفقت العرب على أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأَخطل واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض ، قال محمد بن سلام والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم ، والمخالف في ذلك قليل ، وقد سمعت يونس يقول ما شهدت مشهداً قط قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقياً ، وكان أبو عمرو يشبه جريراً بالأَعشى والفرزدق بزهير والأَخطل بالنابغة

قال أبو عبيدة يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم

ألفاظاً وأقلهم تكلفاً وأرقهم نسيباً وكان ديناً عفيفاً ، وقال العلاء بن جرير اذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سُكَّيت والفرزدق لا يجىء سابقاً ولا سكيتاً وجرير يجىء سابقاً ومصلياً وسكيتاً ، قال محمد بن سلام رأيت أعرابياً من بنى أسد أعجبني ظرفه وروايته ، فقلت له أيهما عندكم أشعر ؟ قال بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير قال في الفخر

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهمُ غضابا

والمديح قوله

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله

فغض الطرف انك من نُمَيْر فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله

ان العيون التى فى طرفها حَوَر قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال محمد بن سلام وبيت النسيب عندي

فلما التقى الحيان أُلقيت العصا ومات الهوى لما أُصيبت مقاتله

وفضل عبيدة بن هلال اليشكري جريراً بقوله

انا لنَذْعر يا فقير عدونا بالخيل لاحقة الأياطل قُودا

وتحوط حَوْزتنا وتحمى سَرْحنا جُرْد ترى لمغارها أُخدودا

أجرى قلائدها وقدَّد لحمها ألاَّ يذقن مع الشكائم عودا

وطوى القياد مع الطراد متونها طيَّ التجار بحضرموت برودا

قال الأصمعى وذكر جريراً فقال كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحداً واحداً ومنهم من كان ينفخه فيرمى به وثبت له الفرزدق والأخطل ، وقال زيرك بن هبيرة كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه

لم يَرْوِ شيئاً وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير أرجح عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلب

قال عكرمة بن جرير لأبيه يا أبت من أشعر الناس ؟ فقال الجاهلية تريد أم الاسلام ؟ قلت أخبرنى عن الجاهلية ، قال شاعر الجاهلية زهير ، قلت فالاسلام ؟ قال نبعة الشعر الفرزدق ، قلت فالأخطل ، قال يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر ، قلت وما تركت لنفسك ؟ قال دعني فانى بحرت الشعر بحراً

قال ابن سلام وسألت بشاراً أيّ الثلاثة أشعر ؟ فقال لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت فهذان ؟ قال كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ، قلت لبشار وأيّ شيء لجرير من المراثى الا التى رثى بها امرأته ، فأنشدنى لجرير يرثى ابنه سوادة ومات بالشام وكان به معجباً

فارقتني حين كف الدهر من بصرى ... وحين صرت كعظم الرِّمَّة البالى
أمسى سوادة يجلو مقلتى لَحِم ... باز يُصَرْصر فوق المَرْبَأ العالى
قد كنت أعرفه منى اذا غَلِقَت ... رُهن الجياد ومد الغاية الغالى
ان الثويّ بذى الزيتون فاحتسبي ... قد أسرع الموت فى عقلى وفى حالى
إلا تكن لك بالدَّيرين مُعْوِلة ... فرب باكية بالرمل مِعْوال
كأم بَوٍّ عجول عند معهده ... حَنَّت الى جلد منه وأوصال
حتى اذا عرفت الأَّ حياة به ... ردت هماهم حَرَّى الجوف مِثْكال
زادت على وجدها وجداً فلو رجعت ... فى الصدر منها خطوب ذات بلبال

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال الأحوص ما تشتهى ؟ قال شواء وطلاء وغناء ، قال ذلك لك ومضى به الى قينة بالمدينة فغنته

ألا حىّ الديار بسعد انى ... أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها ، قال أو ما تدري لمن هذا الشعر ؟ قال لا والله ، قال فهو والله لجرير يهجوك به ، فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره

قال رجل للفرزدق يا أبا فراس هل تعلم اليوم أحداً يرمى معك ؟ فقال لا والله ما أعرف نابحاً الا وقد استكان ولا ناهشاً الا وقد انجحر الا الذى يقول

فان لم أجد فى القرب والبعد حاجتى تشأمت أو حولت وجهى يمانيا
فردى جمال الحى ثم تحملى فما لك فيهم من مقام ولا ليا
فانى لمغرور أعلل بالمنى ليالى أرجو أن مالك ماليا
وقائلة والدمع يجدر كحلها أبعد جرير تكرمون الموالياً
بأى نجاد تحمل السيف بعد ما قطعت القُوَى من محمل كان باقيا
لسانى وسبى صارمان كلاهما وللسيف أشوَى وقعةً من لسانيا

وهذا الشعر لجرير

قال جرير وفدت الى يزيد بن معاوية وانا شاب فاستؤذن لي عليه فى جملة الشعراء ، فخرج الحاجب إليَّ وقال يقول لك أمير المؤمنين انه لا يصل الينا شاعر ولا نعرفه بشىء من شعره وما سمعنا لك بشىء فنأذن لك على بصيرة ، فقلت له تقول لأمير المؤمنين أنا القائل

وانى لعفّ الفقر مشترك الغنى سريع اذا لم أرض دارى انتقاليا
جرىء الجَنان لا أهاب من الرَّدى اذا ما جعلت السيف قبض بنانيا
وليس لسبى فى العظام بقيةٌ وللسيف أشوَى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب اليه فأنشده الأبيات ثم خرج إليَّ وأذن لي وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة وقال لي فارق أبى الدنيا وما يظن أن أبياتك التى توسلت بها إليَّ إلا لي

دخل الفرزدق على سُكَينة بنت الحسين ، فقالت له من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

بنفسي من تجنبه عزيز ... عليَّ ومن زيارته لمِام
ومن أُمسى وأُصبح لا أراه ... ويَطْرُقنى اذا هجع النيام

ثم دخل عليها في اليوم الثانى ، فقالت له من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزُرت قبرك والحبيبِ يُزار
كانت اذا هجر الضجيع فراشها ... كتم الحديث وعفَّت الأَسرار
لا يلبث القُرناء أن يتفرقوا ... ليـــل يَكُرّ عليهم ونهار

ثم دخل عليها فى اليوم الثالث ، فأَعادت السؤال ، وأعاد الجواب ، فقالت أشعر منك الذى يقول

ان العيون التى فى طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتـــلانا
يَصْرَعن ذا اللب حتى لا حِرَاك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا
أتبعتهم مقلة إنسانها غرق ... هل ما ترى تارك للعين إنسانا

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز جاء الشعراء فجعلوا لا يصلون اليه ، فجاء عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل ، فصاح به جرير وقال

يأَيها القارىء المُرخى عمامته ... هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه ... أنى لدى الباب كالمصفود في قَرَن

فدخل على عمر فاستأْذن له ، فدخل عليه وكان قد هيأ له شعراً ، فلما دخل غيره وقال

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافةَ او كانت له قدرا كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم تكتفى بالذى بُلِّغت من خبرى
ما زلت بعدك فى دار تُعَرِّقُنِي قد طال بعدك إصعادى ومنحدرى
لا ينفع الحاضر المجهود بادَينَا ولا يجود لنا بادٍ على حَضَر
كم بالمواسم من شعثاء أرْمَلة ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
يدعوك دعوة ملهوف كأَن به خَبْلاً من الجن أو مَسًّا من البشر
ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر

فبكى عمر ثم قال يا ابن الخطفى أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لهم حقهم ، أم من أبناء الانصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟ فقال جرير يا أمير المؤمنين فانى ابن سبيل ، قال لك ما لأبناء السبيل زادك ونفقة تبلغك وتبدل راحلتك ان لم تحملك ، فألحَّ عليه ، فقالت له بنو أمية مهلاً يا أبا حَزْرة عن أمير المؤمنين ونحن نرضيك من أموالنا عنه ، فخرج وجمعت له بنو أمية مالاً عظيماً ، فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر

جلس جرير يملي على رجل قوله

ودع أُمامة حان منك رحيل ان الوداع لمن تحب قليل

فمَرُّوا عليه بجنازة ، فقطع الإنشاد وجعل يبكي ثم قال شيبتني هذه الجنازة ، فقال له أبو عمرو بن العلاء فعلامَ تقذف المحصنات منذ كذا وكذا ؟ فقال انهم يبدءونني ثم لا أعفو

دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمَّة ينشده ، فقال المهاجر لجرير كيف ترى ؟ قال لقد قال وما أنعم ، فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول

أنا أبو الحارث واسمي غَيْلَان

فنهض جرير وقال

انى امرؤ خلقت شَكْساً أَشْوَسا ... ان تَضْرِسانى تضرسا مُضَرَّسا

قد لبس الدهرَ وأبقى ملبسا ... من شاء من نار الجحيم اقتبسا

فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يجبه ، وكان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يُصْحَر له ، فقال جرير فيه

أقول نصاحة لبني عدىّ ... ثيابكمُ ونضح دم القتيل

وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحَرون

ومن قول جرير وهو بالكوفة

لقد قادنى من حب ماويَّة الهوى ... وما كنت ألفى للجنيبة أقودا

أحب ثرى نجد وبالغَوْر حاجة ... فغار الهوى ياعبد قيس وأنجدا

أقول له يا عبد قيس صبابة ... بأىّ ترى مستوقد النار أوقدا

فقال أرى ناراً يشب وقودها ... بحيث استفاض الجزع شيحاً وغَرْقدا

قدم جرير على الحكم بن أيوب الثَّقَفِى وهو خليفة للحجاج يومئذ ، فمدحه جرير فقال

أقبلن من ثهلان[1] أوجنبى خِيَم ... على قِلاص مثل خيطان السَّلَم

قد طُويت بطونها طىّ الأَدَم ... يبحثن بحثاً كمضلات الخدم

اذا قطعن عَلَماً بدا عَلَم ... حتى تناهينا الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم ... فى معقد العز وبُؤْبُوء الكرم

بعد انقضاخ[2] البدن واللحم زِيَم

(١) ثهلان جبل كان لباهلة ثم غلبت عليه نمير وخيم جبل يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى ويمين مطلع الشمس به ماء ونخل (٢) انقضخ سنام البعير انشدخ وزيم قطع

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب الى الحجاج انه قدم علىّ أعرابى شيطان من الشياطين ، فكتب اليه أن ابعث اليّ به ، ففعل ، فقدم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبة حبرية وأنزله فمكث أياماً ، ثم أرسل اليه بعد نومه ، فقالوا أجب الأمير ، فقال ألبس ثيابي ، فقالوا لا والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها ، ففزع جرير وعليه قميص غليظ وملاءة صفراء ، فلما رأى ما به رجل من الرسل دنا منه وقال لا بأس عليك انما دعاك للحديث ، قال جرير فلما دخلت عليه قال إيه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقلت جعلني الله فداء الأمير والله انى ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر مالى ولابن أم غسان ؟ وما لي وللبعيث ؟ وما لي وللفرزدق ؟ وما لي وللأخطل ؟ وما لي وللتيمن ؟ حتى عدهم واحداً واحداً ، فقال الحجاج ما أدرى مالك ولهم ، قال أخبر الأمير أعزه الله ، أما غسان بن ذُهَيل فانه من قومى هجانى وهجا عشيرتى وكان شاعراً ، قال فقال لك ماذا ؟ قال قال لي

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها ... جرير[1] لقد أخزى كُلَيباً جريرها
رميتَ نضالا عن كليب فقصرت ... مراميك[2] حتى عاد صفراً جفيرها
ولا يذبحون الشاة الا بميسر ... طويلا تناجيها صغاراً قدورها

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ألا ليت شعرى عن سَلِيط ألم تجد ... سَلِيط سوى غَسَّان جاراً يجيرها
فقد ضَمِنُوا الأحساب صاحب سوءة ... يناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها
كأن سليطاً فى جواشنها الخُصى[3] ... اذا حل بين الأملحين وقيرها
أَضِحُّوا[4] الروايا بالمزاد فانكم ... ستَلْقَوْن ركض الخيل تدمى نُحورها

(١) هو جرير بن عبد الله البجلي (٢) المرامى السهام واحداها مرماة والجفير الجعبة
(٣) أى هم عظام الصدور والأملحين ماءان أو جبلان لسليط والوقير الغنم فيها حمران أو أحمرة (٤) ألحوا عليها بالاستقاء

كأن السليطين أنقاض (١) كمأة ... لأول جان بالعصا يستثيرها
عضاريط (٢) يشوون الفراسن بالضحى ... اذا ما السرايا حثر كضاً مغيرها
فما فى سليط فارس ذو حفيظة ... ومعقلها يوم الهياج جعورها
عجبت من الداعى جحيشا وصائدا ... وعيساء يسعى بالعلاب نقيرها (٣)

قال ثم من ؟ قال البعيث ، قال مالك وله ؟ قال اعترض دون ابن أم غسان يفضله علىَّ ويعينه ، قال فما قال لك ؟ قال قال لي

كليب لئام الناس قد يعلمونه ... وأنت اذا عدت كليب لئيمها
لقى مقعد الأحساب منقطع به ... اذا القوم راموا خطة لا يرومها
أترجو كليب أن يجئ حديثها ... بخير وقد أعيا كلياً قديمها

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ألم تر أنى قد رميت ابن فرتنى ... بصمّاء لا يرجو الحياة أميمها
له أم سوء بئسما قدمت له ... اذا فرط الأحساب عد قديمها

قال ثم من ؟ قلت الفرزدق ، قال وما لك وله ؟ قلت أعان البعيث علىَّ قال فما قلت له ؟ قال قلت

تمنى رجال من تميم لىَ الردى ... وماذاد عن أحسابهم ذائد مثلى
كأنهم لا يعلمون مواطني ... وقد جربوا أنى أنا السابق المجلي
فلو شاء قومى كان حلمي فيهم ... وكان على جهال أعدائهم جهلى
وقد زعموا أن الفرزدق حية ... وما قتل الحيات من أحد قبلى

قال ثم من ؟ قلت الأخطل ، قال مالك وله ؟ قلت رشاه محمد بن عُمير بن عُطارد زقّاً من خمر وكساه حلة على أن يفضل علىَّ الفرزدق ويهجونى ، قال فما قال لك ؟ قال قال

(١) النقض ما خرج من رأس الكمأة اذا انشقت عنها الأرض (٢) العضاريط الأتباع والفراسن أخفاف الابل (٣) عيساء جدة غسان والعلاب جمع علبة وهى التى يحلب فيها

اخسأ اليك كليبُ ان مجُاشعا وأبا الفوارس نَهْشَلا أخوان
واذا وردت الماء كان لدارم جَمَّاته [1] وسُهولة الأعطان
واذا قذفت أباك فى ميزانهم رجحوا وشال أبوك فى الميزان

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ياذا الغباوة ان بِشْرا قد قضى ألاّ تجوز حكومة النَّشْوان
فدعوا الحكومة لستمُ من أهلها ان الحكومة فى بنى شيبان
قتلوا كليبكمُ بلِقْحة جارهم ياخُزْر تَغْلِب لستمُ بهِجان

قال ثم من ؟ قلت عمر بن لجأ التيمى ، قال وما لك وله ؟ قال قلت بيتاً من شعر فقبحه وقاله على غير ما قلته ، قلت

لَقومى أَحْمَى للحقيقة منكمُ وأضرب للجبار والنَّقْع ساطع
وأوثق عند المُرْهَقات عشية لحاقاً اذا ما جرد السيف لامع

فزعم أنى قلت

وأوثق عند المُرْدَفات عشية لَحاقاً اذا ما جرد السيف لامع

فقال لحقتهن عند العَشِيّ وقد أخذن غدوة والله ما يُمْسين حتى يفضحن ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا تَيْم تيم عدى لا أبالكمُ لا يوقعنكمُ فى سَوْءة عمر
خل الطريق لمن يبنى المنار به وابرز ببَرْزَة حيث اضطرك القدر [2]

حتى أتى على الشعر ، قال ثم من ؟ قال سراقة بن مِرْداس البارقى ، قال مالك وله ؟ قال قلت لا شئ حمله بشر بن مروان وأكرهه على هجائى ، ثم بعث الىّ رسولا وأمرنى أن أجيبه ، قال فما قال لك ؟ قال قال

ان الفرزدق بَرَّزت أعراقه عفواً وغودر في الغبار جرير

(١) الجمة مجتمع ماء البئر (٢) برزة أمه

ما كنت أول مُخْمَل قعدت به مسعاته ان اللئيم عثـــور
هـــذا قضاء البارقى وانه بالميـــل فى ميزانكم لبصير

قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا بشر حقّ لوجهك التبشير هلا غضبت لنـا وأنت أمير
بشر أبو مَرْوان ان عاسرته عَسر وعنـد يســـاره ميسور
ان الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئـــام نصـور
قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق فـيم سُبَّ جرير

قال ثم من ؟ قلت المستنير بن سَبْرة العنبرى، قال مالك وله ؟ قلت أعان على ابن لَجَأ ، قال فما قال لك ؟ قلت قال

ان التي زينت لمـا طلقت قعدت على جحش المراغة تمرغ
أتعيب من رضيت قريش صهره وأبوك عبـــد بالخورنق أولغ

قال فما قلت له ؟ قال قلت

فما مستنير الخبث الا فراشـة هوت بين مرتج الحريقين ساطع
نهيت بنات المستنير عن الرُّقَى وعن مشيهن الليل بين المزارع

قال ثم من ؟ قلت راعى الابل النميرى ، قال مالك وله ؟ قلت قدمت البصرة وكان بلغنى أنه قال لي

يا صاحبي دنا الرواح فســـيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

وقال أيضاً

رأيت الجحش جحش بنى كليب تيمم حوض دجـلة ثم هابا

فقلت يا أبا جندل انك شيخ مضر وشاعرها وقد بلغني أنك تفضل على الفرزدق وأنت يسمع قولك وهو ابن عمى دونك فان كان لا بد من تفضيل فأنا أحق به لمدحى قومك وذكرى إياهم ، قال وابنه جَنْدَل على فرس له فأقبل يسير

بفرسه حتى ضرب عَجُز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع اصبع رجلي وقال لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كليب ، فمضى وناديته ، ان أهلك بعثوك مائراً من هَبّود وبئس المائر وانما بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المِرْبد فلا يسبهم أحد الا سببته وان عليَّ نذراً ان جعلت في عيني غمضاً حتى أخزيك قال فما أصبحت حتى هجوته فقلت

ألم ترني صُببت على عبيد وقد فارت أباجله وشابا
أُعِدُّ له مواسم حاميات فيشفي حرّ شعلتها الجرابا
فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فغدوت عليه من الغد فأخذت بعنانه فما فارقته حتى أنشدته إياها

قال ثم من ؟ قلت العباس بن يزيد الكندي ، قال مالك وله ، قلت لما قلت

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهمُ غضابا

قال

ألا رَغِمت أنوف بني تميم فساة التمر ان كانوا غضابا
لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فتركته خمس سنين لا أهجوه ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة فطلبت اليهم أن يكفوه عني ، فقالوا ما نكفه وانه لشاعر وأوعدوني ، فقلت

ألا أبلغ بني حُجْر بن وهب بأن التمر حلو في الشتاء
فعودوا للنخيل فأبّروها وعيشوا بالمشقَّر فالصفاء

ثم مكثت قليلا ثم بعثوا اليّ راكباً فأخبروني بمثالبه وجواره في طيئ حيث جاور عتابا ثم رحل بخزية فقلت

اذا جهل الشقي ولم يقدر لبعض الامر أوشك أن يصابا

أعبدا حل فى شُعَبَى غريباً ألؤما لا أبالك واغترابا

قال ثم من ؟ قلت جفنة الهزّانى ، قال ومالك وله ؟ قلت أقبل سائلا حتى أتانى وأنا أَمْدُر حوضاً لي ، فقال يا جرير قم اليّ ههنا ، قلت نعم ثم أتيته فقلت ما حاجتك ؟ قال مدحتك فاستمع مني ، قلت أنشدنى فأنشد . فقلت قد والله أحسنت وأجملت فما حاجتك ؟ قال تكسونى الحلة التى كساكها الوليد بن عبد الملك العام ، فقلت انى لم أقف فيها بالموسم ولا بد من أن أقف فيها العام ولكنى أكسوك حلة خيراً منها كان كسانيها الوليد عام أول ، فقال ما أقبل غيرها بعينها ؟ فقلت بلى فاقبل وأزيدك معها دنانير نفقة ، فقال ما أفعل ومضى فأتى المرار بن منقذ أحد بنى العدوية فحمله على ناقة يقال لها القصواء فقال جفنة

لعمرك للمرّار يوم لقيته على الشحط خير من جرير وأكرم

قال فما قلت له ؟ قال قلت

لقد بعثت هزّان جفنة مائرا فآب وأجدى قومه شر مغنم
فيارا كب القصواء ما أنت قائل لهزّان اذ أسلمتها شر مُسْلَم
أظن نحاف النبس هزان طالباً علالة سباق الأضاميم مِرْجَم
كأن بنى هزان حين رأيتهم وَبار تضاغت تحت غار مهدم
بنى عبد عمرو قد فزعت اليكم وقد طال زجرى لونها وتقدمى

قال ثم من ؟ قلت المرار بن منقذ ، قال مالك وله ؟ قلت أعان على الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

بنى منقذ لا صلح حتى تضمكم من الحرب صمّاء القناة زبون
وحتى تذوقوا كأس من كان قبلكم ويسلح منكم فى الحبال قرين
فان كنتم كلبى فعندى شفاؤكم وللجن ان كان اعتراك جنون

قال ثم من ؟ قلت حكيم بن مُعَيَّة ، قل ومالك وله ؟ قال بلغنى أنه أعان على غسان السليطى ، قال فما قلت له ، قال قلت

اذا طلع الركبان نجداً وغوروا بهـا فازجرا يا ابنى مُعَيّة أودعا
ألا انما كانت غضوب محاميا غداة اللّوى لم تدفع الضيم مدفعا

قال ثم من ؟ قلت الاشهب بن رُمَيلة النهشلى ، قال مالك وله ؟ قلت أعان علىّ الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

سيخزى اذا ضمت جلابيب مالك نوير ويخـزى عاصم وجميع
وقبلك ما أعيا الرماة اذا رموا صفًا ليس فى قاراتهن صدوع

قال ثم من ؟ قلت الدَّلَهْمَس ، قال مالك وله ؟ قلت أعان على الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة خبيثـة ريح المنكبين قبوع
ولو أنجبت أم الدلهمس لم تعب فوارسنا ، لا مات وهو جميع
فلا تدنيا رجل الدلهمس انهـا بصير بما يأتى الرجال سميع
هو النخبة الخوار ما دون قلبه حجاب ولا حول الحجاب ضلوع

ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت اليهم فلم يقبلوا عذرى وأنشدونى شعراً لم يخبرونى من قاله

غضبت علينا أن علاك ابن غالب فهلا على جديك فى ذاك تغضب
هما اذ علا بالمرء مسعاة قومه أناخا فشـداك العقال المؤرّب

فعلمت أنه شعر قبضة الـكلبى فجمعتهم فى شعرى فقلت

أكثر ما كانت ربيعة أنها حيان شتى لا أنيس ولا قفر
محالفهم فقر شديد وذلة وبئس الحليفان المذلة والفقر
فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر

قال ثم من ؟ قلت هُبَيْرَة بن الصَّلْت الرَّبَعى كان يروى شعر الفرزدق ، قال فماذا قلت له ؟ قال قلت

يمشي هُبيرة بعد مقتل شيخه ... مشي المراسل أوذنت بطلاق
ماذا أردت الىّ حين تحرقت ... نارى وشمر مئزرى عن ساق
ان القِراف بمنخريك لبين ... وسواد وجهك يا ابن أم عقاق
سيروا فرب مسبحين وقائل ... هـذا شقا لبنى ربيعة باق
أبنى ربيعة قد أخس بحظهم ... لؤم الجدود ودقة الاخلاق

قال ثم من ؟ قلت الطُّهَوى كان يروى شعر الفرزدق ، قال ما قلت له ؟ قال قلت

فما تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر الا تدبرا
ألا رب أعشى ظالم متخمط ... جعلت لعينيه جِلاء فأبصرا

قال ثم من ؟ قلت عقبة بن السميع الطُّهوى وكان نذر دمى ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا عُقْبَ يا ابن سميع ليس عندكمُ ... مأوى الرفاق ولاذو الراية العادى
يا عقب يا ابن سميع بعضَ قولكم ... ان الوثاب لكم عندى بمرصاد
ماظنكم ببنى ميثاء (١) ان فزعوا ... ليلا وشد عليهم حية الوادى
يغدو علىَّ أبو ليلى ليقتلنى ... جهلا علىّ ولم يثأر بشداد
ردوا علىّ وأرضوا بى صديقكمُ ... واستسمعوا يا بني ميثاء انشادى

قال ثم من ؟ قلت شحمة الاعور النبهانى كانت له امرأة من طيء ولدت فى بنى سليط فأعطوه وحملوه علىَّ فسألنى فاشتط ولم يكن عندى فحرمته فقال

أقول لأصحابى النجاء فانه ... كفى الذَّم أن يأتى الضيوف جرير
وهل يكرم الاضياف كلب لكلبة ... لها عند أطناب البيوت هرير
فلو عند غسان السَّليطى عرست ... لعاقرن منها وهي كأس عقير

(١) ميثاء هى بنت زهير بن شداد الطهوى وأم عوف بن أبى سود بن مالك بن حنظلة

فتى هو خير منك نفساً ووالداً عليك اذا كان الجوار يجير

فقلت له

وجدنا بنى نَبْهان أذناب طيء وللناس أذناب ترَى وصدور

ستأتى بني نبهان منى قصائد تطلع من سلمى وهن وعور

ترى قدم المِعْزَى مهور نسائكم وفى قدم المعزى لهن مهور

قال وطلع الصبح فنهض ونهضت ، قال فأخبرنى من كان قاعداً معه أنه قال قاتله الله أعرابياً انه لجَرْو هِراش

أقبل راكب من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس بالمربد فقال له من أين أقبلت ؟ قال من اليمامة ، قال فهل رأيت ابن المراغة ؟ قال نعم ، قال فأى شيء أحدث بعدى ؟ فأنشده

هاج الهوى لفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق

فانظر بتوضح باكر الأحداج

فأنشد الرجل

هذا هوى شعف الفؤاد مُبَرِّح

فقال الفرزدق

ونوى تقاذف غير ذات خِلاج

فأنشد الرجل

ان الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق

بنوى الأحبة دائم التشحاج

فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري ؟ قال لا ولكن هكذا

ينبغى أن يقال أوما علمت أن شيطاننا واحد ثم قال أمدح بهذا الحجاج ؟ قال نعم ، قال اياه أراد

التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى ... فخاراً فخبرنى بمن أنت فاخر

فقال له جرير « لبيك اللهم لبيك » قال اسحاق فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه

قال حجنا بن جرير لأبيه يا أبت ماهجوت قوماً قط الا أفسدتهم سوى التيم ، فقال انى لم أجد حسباً أضعه ولا بناء أهدمه

كان لجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد ، فأما أبو الورد فكان يحسد جريراً ، فذهبت لجرير ابل فشمت به أبو الورد فقال له جرير

أبا الورد أبقى الله منها بقية ... كفت كل لوام خذول وحاسد

وأما عمرو فكان أكبر من جرير وكان يقارضه الشعر فقال له جرير

أعمرو قد كرهت عتاب عمرو ... وقد كثر المعاتب والذنوب

وقد صدّعت صخرة من رماكم ... وقد يُرمَى بيَ الحجر الصليب

وقد قطع الحديد فلا تماروا ... فرِزْنٌ لا يُفَلّ ولا يذوب

أتى الفرزدق مجلس بنى الهُجَيم فى مسجدهم فأنشدهم ، وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق فقال له شيخ منهم يا هذا اتق الله فان هذا المسجد انما بنى لذكر الله والصلاة ، فقال جرير أقررتم للفرزدق ومنعتمونى وخرج مغضبا وهو يقول

ان الهُجَيم قبيلة ملعونة ... حُصُّ اللِّحى متشابهو الالوان

هم يتركون بنيهمُ وبناتهم ... صُعْر الانوف لريح كل دخان

لو يسمعون بأكلة أو شربة ... بعمان أصبح كلهم بعُمان

وخفة اللحى فى بنى الهُجَيم ظاهرة ، وقيل لرجل منهم ما بالكم يا بنى الهجيم خُصَّ اللحى ؟ قال ان الفحل واحد

قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير من أشعر الناس ؟ فقال ابن العشرين ، قال فما رأيك فى ابنى أبى سُلْمى ؟ قال شعرهما نير يا أمير المؤمنين ، قال فما تقول فى امرىء القيس ؟ قال قد اتخذ الخبيث الشعر نعلين وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلاذِله ، قال فما تقول فى ذى الرُّمَّة ؟ قال قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه مالم يقدر عليه أحد ، قال فما تقول فى الأخطل ؟ قال ما أخرج ابن النصرانية مافي صدره من الشعر حتى مات ، قال فما تقول فى الفرزدق ؟ قال فى يده والله يا أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها ، قال فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً ، قال بلى والله ياأمير المؤمنين انى لمدينة الشعر التى منها يخرج واليها يعود ، نَسَبت فأطربت ، وهجوت فأَرديت ، ومدحت فسَنيت ، وأرملت فأغزرت ، ورجزت فأبحرت ، فأنا قلب ضروب الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعا منها ، قال صدقت

قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على مافات من شبابها

قال سعيد بن بهس الجرمى قدم جرير علي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير مرّان فكنا نغدو اليه بكراً فيخرج الينا ويجلس فى برنس خز له لايكلمنا كلة حتى يجىء طباخ عبد العزيز اليه بقدح من طلا مسخن يفور و بكتلة من سمن كأنها هامة رجل فيخوصها فيه ثم يدفعه اليه فيأتى عليه و يقبل علينا ويحدثنا فى كل فن و ينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم اليه جميعاً وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل ، فقال له رجل ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ؟ فتبسم وقال يا ابن أخى « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » انهم والله يا ابن أخى يبدؤنى ثم أحلم

أبق غلامان لرجل من دارم فحدث فقال خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لى عَيْساء كَوْماء أريد اليمامة فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصر ان ارتفعت سحابة فرعدت و برقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القِرى فأجابوا فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل وفى الدار جويرية لهم سوداء اذ دخلت جارية كأنها سبيكة من فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيان ، فسألت الجارية لمن هذه العَيْساء ؟ « تعنى ناقتى » فقالت لضيفكم هذا ، فعدلت الى فقالت السلام عليكم ، فرددت عليها السلام فقالت ممن الرجل ؟ فقلت من بنى حنظلة ، فقالت من أيهم ؟ فقلت من بنى نَهْشَل ، فتبسمت وقالت أنت اذاً ممن عناه الفرزدق بقوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيتاً بناه لنا المليك وما بنى ملك السماء فانه لا يُنْقَل
بيتا زُرارة مُحْتبٍ بفِنائه ومجاشع وأبو الفوارس نَهْشَل

فقلت نعم جعلت فداك وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت فان ابن الخَطَفى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول

أخزي الذي رفع السماء مجاشعاً و بنى بناء بالحضيض الأسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنائه دنساً مقاعده خبيث المدخل

فوَجَمْت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت لا عليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ، ثم قالت أين تؤم ؟ قلت اليمامة ، فتنفست الصُّعَداء ثم قالت هاهى تلك أمامك ، ثم أنشأت تقول

تذكرنى بلاداً خير أهلى بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الاله أَجَشَّ صوبا يسِحّ بمُرْهِم بلد اليمامة
وحيا بالسلام أبا نجيد فأهل للتحية والسلامة

فأنست بها وقلت لها أذات خِدْن أم ذات بعل ؟ فأنشأت تقول

اذا رقد النيام فان عمراً تؤرقه الهموم الى الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبي فلا هو بالخلى ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول

سألت ولو علمت كففت عنه ومن لك بالجواب سوى الخبير
فان تك ذا قبول ان عمراً هو القمر المضيء لمستنير
ومالي بالتبعل مســـتراح ولو رد التبعل لي أسيرى

ثم سكتت سكتة كأنها تستمع الى كلام ثم تهانفت وأنشأت تقول

يخيل لي هيا عمرو بن كعب كأنك قد حملت على سرير
يسير بك الهوينا القوم لما رماك الحب بالغلق اليسير
فان تك هكذا ياعمرو انى مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة ، فقلت لهم من هذه ؟ فقالوا عقيلة بنت الضحاك ابن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، فقلت لهم فمن عمرو هذا ؟ قالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلت من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم يلق أحدهما صاحبه ، فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلم وجلس وقد عرفه الأخطل ، فطمح بصر جرير اليه ، فقال له من أنت ؟ فقال أنا الذى منعت نومك وهضمت قومك ، فقال له جرير ذلك أشقى لك كائناً من كنت ، ثم أقبل على عبد الملك فقال من هذا ياأمير المؤمنين ؟ فضحك وقال هذا الأخطل ياأبا حزْرة ، فرد بصره اليه وقال فلا حياك الله يا ابن النصرانية ، أما منعك نومى فلو نمت عنك

لكان خيراً لك وأما تهضمك قومى فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله ائذن لي يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية ، فقال لا يكون ذلك بين يدي ، فوثب جرير مغضباً ، فقال عبد الملك قم يا أخطل واتبع صاحبك فانما قام غضباً علينا فيك ، فنهض الأخطل ، فقال عبد الملك لخادم له انظر ما يصنعان اذا برز له الأخطل ، فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم اليه حصاناً له أدهم فركبه وهدر والفرس يهتز من تحته وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير ، فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبره فضحك وقال قاتل الله جريراً ما أفحله ، أما والله لو كان النصرانى برز اليه لأكله

قيل لأبى مهدى الباهلى وكان من علماء العرب أيما أشعر أجرير أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال جرير أشعر العرب كلها ثم قال لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يأتى جرير فيحكم بينهم

أتى الحجاج بجارية بيضاء مديدة القامة ، فقال لجرير ان أصبت صفتها فهى لك ، فقال ما اسمها ؟ قال أمامة ، فأنشأ يقول

ودع أمامة حان منك رحيل ... ان الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تهيلت أعطافه ... فالريح تجبر متنه وتهيل
تلك القلوب صواديا تيمتها ... وأرى الشفاء وما اليه سبيل

فقال خذ بيدها ، فبكت الجارية وانتحبت ، فقال ادفعوها اليه بمتاعها وبغلها ورحالها

قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بالبصرة ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة ، وشاور جرير دُهاة بنى يربوع ، فقالوا له ما لباس آبائنا الا الحديد ، فلبس جرير درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنجاز وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته ، فقال جرير

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّج وخلاخله
أعدوا مع الخز الملاَبَ فانما جرير لكم بذل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بني حصين ووقف الفرزدق فى المِرْبَد لقى الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير وهو حينئذ يهاجى ابن لَجأ فقال له ويلك قل لأخيك ثكلتك أمك ائت التيمى من عل كما أصنع بك أنا ، وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمى من أن يتعلق به التيمى ، قال ابن سلام فأنشدنى له خَلَف الأحمر يقوله للتيمى

وما أنت ان قَرْما تميم تساميا أخا التيم الا كالوشيظة في العظم
فلو كنت مولى العز أو فى ظلاله ظَلمت ولكن لا يَدَىْ لك بالظلم

فقال له التيمى

كذبت أنا القرم الذى دق مالكاً وأفناء يَرْبوع وما أنت بالقرْم

قال ابن سلام فحدثني أبو العراف أن رجال تميم مشت بين جرير والتيمى وقالوا والله ما شعراؤنا الا بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وموتانا ، فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهد والمواثيق المغلظة ألا يعودا فى هجاء ، فكف التيمى وكان جرير لا يزال يقول الواحدة بعد الواحدة فيه ، فيقول التيمى والله ما نقضت هذه ولا سمعتها فيقول جرير هذه كانت قبل الصلح ، قال عبد الرحمن بن حرملة لما ورد علينا هجاء جرير والتيمى قال سعيد بن المسيب أتروى شيئاً مما قالا ؟ فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر ، فقال لي أرويت ؟ قلت نعم ، فأقبل علىَّ بوجهه ، فأنشدته للتيمى وهو يقول هيه هيه ، ثم أنشدته لجرير ، فقال أكله أكله

قال جرير لرجل من بنى طُهَيَّة أيما أشعر أنا أم الفرزدق ؟ فقال له أنت عند العامة وهو عند العلماء ، فصاح به جرير أنا أبو حَزْرة غلبته ورب الكعبة ما فى كل مائة رجل عالم واحد

قال أبو الأخضر المخارق بن الأخضر القيسى انى كنت والله لذى لا إله إلا هو أخص الناس بجرير وكان ينزل اذا قدم على عبد الملك بن سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان عدىّ بن الرقاع خاصاً بالوليد مداحاً له ، وكان جرير يجىء الى باب الوليد فلا يجالس أحداً من النزارية ولا يجلس الا الى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع الى أن يأذن الوليد للناس فيدخل ، فقلت له يا أبا حزرة اختصصت عدوك بمجلسك ، فقال انى والله ما أجلس اليه الا لأنشده أشعاراً تخزيه وتخزى قومه قال ولم يكن ينشده شيئاً من شعره وانما كان ينشد شعر غيره ليذله ويخوفه نفسه ، فأذن الوليد للناس ذات عشية ، فدخلوا ودخلنا ، فأخذ الناس مجالسهم وتخلف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم وأطمأنوا فيها ، فبينما هم كذلك اذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فى ابن الرقاع المتفرقة أؤلف بعضها الى بعض ، وأنا جالس أسمع ، فقال الوليد والله لهممت أن أخرجه على ظهرك الى الناس ، فقال جرير وهو قائم كما هو

فان تنهني عنه فسمعاً وطاعة والا فانى عرضة للمراجم

فقال الوليد له لا أكثر الله فى الناس أمثالك ، فقال له جرير يا أمير المؤمنين انما أنا واحد قد سعرت الأمة ، فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً ، قال فنظرت والله الى الوليد تبسم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجلده ، ثم أمره فجلس

قال جرير ما ندمت على هجائى بنى نمير قط الا مرة واحدة فانى خرجت الى الشام فنزلت بقوم نزول فى قصر لهم فى ضيعة من ضياعهم وقد نظرت اليه من بين القصور مشيداً حسناً وسألت عن صاحبه ، فقيل لي هو لرجل من بنى نمير ، فقلت هذا شآم وأنا بدوي لا يعرفني ، فجئت فاستضفت ، فلما أذن ودخلت عليه عرفني فقراني أحسن القرى ليلتين ، فلما أصبحت جلست ودعا بنية له فضمها اليه وترشفها فاذا هى أحسن الناس وجهاً ولها نشر لم أشم أطيب منه فنظرت الى عينيها فقلت

تالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها قط وعوذتها ، فقال يا أبا حَزْرة أسوداء المحاجر هي ؟ فذهبت أصف طيب رائحتها ، فقال أمن وبرها ؟ فقلت يرحمك الله ان الشاعر ليقول ووالله لقد ساءني ما قلته ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت وذهبت أعتذر ، فقال دع ذا عنك أبا حزرة فوالله مالك عندي الا ما تحب قال وأحسن والله إليَّ وزوَّدني وكساني ، فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني الى قومه ، يشير الرجل بسؤاله الى قول جرير في بائيته يذم نساء بني نمير

وخضراء المغابن من نُمَير يشين سوادُ مَحْجرها النقابا
تَطَلَّى وهي سيئة المُعَرَّى بصِنِّ الوَبْر تحسبه مَلَابا

نازع جرير بني حِمّان في رَكِيّة لهم فصاروا الى ابراهيم بن عدى باليمامة يتحاكمون اليه فقال جرير

أعوذ بالأمير غير الجبار من ظلم حِمّان وتحويل الدار
ما كان قبل حفرنا من محفار وضربي المنقار بعد المنقار
في جبل أَصَمَّ غير خوَّار يصيح بالحب صياح الصَّرَّار
له صليل كصليل الأمهار فاسأل أبا عصم ورهط الجرار
والسلميين العظام الأخطار والجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحِمّاني

ما لكليب من حمى ولا دار غير مُقام أُتُن وأَعيار
قُعْس الظهور داميات الأثفار

فقال جرير فعن مُقامهن جعلت فداك أجادل ، فقال ابن عدى للحماني لقد أقررت لخصمك وحكم بها لجرير

بينا جرير يسير براحلته اذ هجم على أبيات من مازن وهلال وهما بطنان من ضبة فخافهم لسوء أثره في ضبة فقال

فلا خوف عليك ولن تُراعى بعقْوة مازن وبني هلال
هما الحيان ان فزعا يطيرا الي جرْد كأمثال السَّعالى
أمازنُ يا ابن كعب ان قلبي لكم طول الحياة لغير قال
غطاريف يبيت الجار فيهم قرير العين من أهل ومال

قالوا أجل يا أبا حزْرة فلا خوف عليك

قال هشام بن عبد الملك لشبَة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغرَوْا بين عشائرهم فى غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر ؟ فقال شبَّة أما جرير فيغرف من بحر وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر فقال هشام مافسرت لنا شيئاً نحصله ، فقال ما عندى غير ما قلت ، فقال لخالد بن صفوان صفهم لنا يا ابن الأهتَم فقال — أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأشدهم ميَلا وأقلهم غزَلا وأحلاهم عللا الطامى اذا زخر والحامى اذا زأر والسامى اذا خطر الذي ان هدر قال وان خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتا وأمدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى ان هجا وضع وان مدح رفع فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكهم لعدوه سترا الأغر الأبلق الذى ان طَلب لم يُسبق وان طُلب لم يلحق فجرير ، وكلهم ذكى الفؤاد رفيع العماد وارى الزِّناد ، فقال له مسلمة بن عبد الملك ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ولا رأينا فى الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفاً وألينهم عطفاً وأعفهم مقالا وأكرمهم فعالا ، فقال خالد أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة وأنت والله ماعلمت أيها الامير لكريم الغِراس عالم بالناس جواد فى المحْل بسَّام عند البذل حليم عند الطيش فى ذِرْوة قريش ولُباب عبد شمس ويومك خير من أمس ، فضحك هشام وقال مارأيت كتخلصك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت عليهم

قال محمد بن المهاجر دخلنا على جرير في نفر من قريش فى علته التى مات فيها فالتفت الينا فقال

أهلا وسهلا بقوم زينوا حسبى ... وان مرضت فهم أهلى وعوادى
ان تجر طير بأمر فيه عافية ... أو بالفراق فقد أحسنتم زادى
لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدنى ... لم يسلمونى لليث الغابة العادى

الشمردل اليربوعى

هو الشَّمردل بن شريك اليربوعى من يربوع بن حنظلة

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية كان فى أيام جرير والفرزدق

خرج هو واخوته حكم ووائل وقدامة الى خراسان مع وكيع بن أبى سود ، فبعث وكيع أخاه وائلا فى بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة الى فارس فى بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً فى بعث الى سجستان ، فقال له الشمردل ان رأيت أيها الامير أن تنفذنا معاً في وجه واحد فانا اذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا وتناسبنا فلم يفعل ما سأله وأنفذهم الى لوجوه التي أرادها فقال الشمردل يهجوه وكتب بها الى أخيه حكم مع رجل من بنى جشم بن أد بن طابخة

انى اليك اذا كتبت قصيدة ... لم يأتني لجوابها مرجوع
أيضيعها الجُشَمى فيما بيننا ... أم هل اذا وصلت اليك تضيع
ولقد علمت وأنت عنى نازح ... فيما أتى كبد الحمار وكيع
وبنو غُدانة كان معروفاً لهم ... أن يهضموا ويضيمهم يربوع
وعمارة العبد المبين انه ... واللؤم فى بدن القميص جميع

ولم ينشب أن جاءه نعى أخيه قدامة من فارس قتله جيش لقوهم بها ثم تلاه نعى أخيه وائل بعده بثلاثة أيام فقال يرثيهما

أعاذلَ كم من رَوْعة قد شهدتها ... وغُصَّة حزن فى فراق أخ جزْل
اذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... علىّ الضحى حتى تُنَسِّينى أهلى
وما أنا الا مثل من ضربت له ... أُسَى الدهر عن إبنى أب فارقا مثلى
أقول اذا عزيت نفسى باخوة ... مضَوْا لاضعاف فى الحياة ولا عُزْل
أبى الموت إلا فَجْعَ كل بنى أب ... سيُمْسون شتَّى غير مجتمعى الشَّمل
سبيل حبيبىَّ اللذين تبرضا ... دموعى حتى أسرع الحزن فى عقلى
كأن لم نسر يوماً ونحن بغِبطة ... جميعاً ولم ينزل برحلهما رحلى
فعينىَّ ان أفضلتما بعد وائل ... وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل
خليلىَّ من دون الأخلاء أصبحا ... رهينىْ وفاء من وفاة ومن قتل
فلا يبعدا للداعيين اليهما ... اذا اغبر آفاق السماء من المَحْل
فقد عدِم الأضياف بعدهما القرى ... وأخمد نار الليل كل فتى وَغْل
وكانا اذا أبدى الغضاب تحطمت ... لواغر صدر أو ضغائنَ من تَبْل
تحاجز ايد جهل القول عنهما ... اذا أتعب الحلم التبرع بالجهل
كميشا سدى عِرِّيسه لهما بها ... حمى هابه من بالحزونة والسهل

وقال يرثى أخاه وائلا وهى من من مختار المرانى وجيد شعره

لعمرى لئن غالت أخى دار فرقة ... وآب الينا سيفه ورواحله
وحلت به أثقالها الارض وانتهت ... بمَثْواه منها وهو عَفٌّ ما آكله
لقد ضمِّنت جَلْد القُوى كان يتقى ... به جانب الثغر المخوف زلازله
وَصول اذا استغنى وان كان مقتراً ... من المال لم يُحْفِ الصديقَ مسائله
محل لأضياف الشتاء كأنما ... همُ عنده أيتامه وأراملة
رخيص نضيج اللم مغل بنيئه ... اذا بَرَدت عند الصَّلاء أناملة
أقول وقد زممت عنه فأسرعت ... إلىّ بأخبار اليقين محاصله

الى الله أشكو لا الى الناس فقده ولوعة حزن أوجع القلبَ داخله
وتحقيق رؤيا فى المنام رأيتها فكان أخى رمحاً ترقص عامله (١)
سقى جدَثاً أعراق غَمْرة دونه بيشة دِيماتُ الربيع ووابله
بمَثْوى غريب ليس منا مزاره بدانٍ ولا ذى الود منا مواصله
اذا ما أتى يوم من الدهر دونه فحيّاك عنا شرقه وأصائله
سنا صبح اشراق أضاء ومغرب من الشمس وافى جنح ليل أوائله
تحيّة من أدى الرسالة حببت اليه ولم ترجع بشيء رسائله
أَبَى الصبرَ أن العين بعدك لم يزل يخالط جفنيها قَذًى لا يزايله
تبرض بعد الجَهْد من عَبَراتها بقيّة دمع شجوها لك باذله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
يذكرنى هيف الجنوب وينتهى مسير الصبا رَمْساً عليه جنادله
وهتّافةٍ فوق الغصون تفجعت لفقد حمام أفردتها حبائله
من الوُرْق بالأَضياف نواحة الضحى اذا الفرقة التفت عليه غياطله
وسَوْرة أيدى القوم اذ حُلّت الحُبا حُبا الشيب واستغوى أخا الحلم جاهله
فعينيَّ اذ أبكا كما الدهر فابكيا لمن نصره قد بان منا ونائله
اذا استعربت عُوذُ النساء وشمرت مآزر يوم ما تُوارَى خلاخله
وأصبح بيت الهجر قد حال دونه وغال أمرأً ما كان يخشى غوائله
وثقن به عند الحفيظة فارعوى الى صوته جاراته وحلائله
الى ذائد فى الحرب لم يك خاملا اذا عاذ بالسيف المجرد حامله
كما ذاد عن عِرّيسة الغِيل مُخْدر فخاف الردى ركناته ورواحله
فما كنت ألفى لامرئ عند موطن أخاً بأخ لو كان حيّاً أبادله

(١) رأى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط

وكنت به أغشى القتال فعزّني ... عليه من المقدار من لا أقاتله
لعمرك ان الموت منا لموكّل ... بمن كان يرجى نفعه ونوافله
فما البعد الا أينا بعد صحبة ... كأن لم تبايت وائلا وتقابله
سقى الصقرات الغيث ما دام ثاوياً ... بهن وجادت أهل شوك مخايله
وما بي حب الارض الا جوارها ... صداه وقول ظن أني قائله

ثم قتل أخوه حكم أيضاً في وجهه وبرز بعض عشيرته الى قاتله فقتله وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه، فقال يرثيه

يقولون احتسب حكما وراحوا ... بأبيض لا أراه ولا يراني
وقبل فراقه أيقنت أني ... وكل بني أب متفارقان
أخ لي لو دعوت أجاب صوتي ... وكنت مجيبه أني دعاني
فقد أفني البكاء عليه دمعي ... ولو أني الفقيد اذاً بكاني
مضى لسبيله لم يُعْطَ ضَيْماً ... ولم تَرهب غوائله الأَداني
قتلنا عنه قاتله وكنا ... نصول به لدى الحرب العوَان
فتيلا ليس مثل أخي اذا ما ... بدا الخَفِرات مذهول الجنان
وكنت سنان رمحي من قناتي ... وليس الرمح الا بالسنان
وكنت بنان كفي من يميني ... وكيف صلاحها بعد البنان
وكان يهابك الأعداء فينا ... ولا أخشى وراءك من رماني
فقد أبدَوْا ضغائنهم وشدوا ... الىّ الطرف واغتمزوا ليانى
فداك أخ نبا عنه غناه ... ومولى لا تصول له يدان

كان الشمردل مغرماً بالشراب وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان أحدهما يقال له ديكل من قومه والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة فاجتمعوا يوماً على جزور ونحروه وشربوا حتي سكروا وانصرف قبيصة حافياً وترك نعله عندهم وأُنسيها من السكر فقال الشمردل

شربت ونادمت الملوك فلم أجد ... على الكأس نذمانا لها مثل ديكل
أقل مكاسا فى الجزور وان غلت ... وأسرع انضاجا وانزال مرجل
ترى البازل الكوماء فوق خوانه ... مفصلة أعضاؤها لم تفصل
سقيناه بعد الرى حتى كأنما ... ترى حين أمسى أبرقى ذات مأسل
عشية أنسينا قبيصة فعله ... فراح الفتى البكرى غير منعل

مدح الشمردل هلال بن أحوز المازنى واستماحه فوعده الرفد ثم ردده زمانا طويلا حتى ضجر ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها اليه وكيله غلة فردها وقال يهجوه

يقول هلال كلما جئت زائراً ... ولا خير عند المازنى أعاوده
ألا ليتنى أمسى وبيني وبينه ... بعيد مناط الماء غبر فدافده
غدا نصف حول منه ان قال لي غدا ... وبعد غد منه كحول أراصده
ولو أنني خيرت بين غداته ... وبين برازى ديلميا أجالده
تعوضت من ساقى عشرين درهما ... أتانى بها من غلة السوق ناقده
ولو قيل مثلا كنز قارون عنده ... وقيل التمس موعوده لا أعاوده
ومثلك منقوص اليدين رددته ... الى محتد قد كان حيناً مجاحده

كان ضبى نازلا فى بني دارم وكان عدواً للشمردل ثم خرج فى البعث الذى فيه اخوه الشمردل فلما قتلوا بلغ الشمردل سرور الضبى بذلك وشماته بمصيبته فقال

يأيها المبتغى شتمى لأشتمه ... ان كنت أعمى فانى عنك غير عم
ما ارضعت مرضع سخلا أعق بها ... فى الناس لا عرب فيها ولا عجم
من ابن حنكة[1] كانت وان عربت ... مذالة لقدور الناس والكرم
عوى ليكسبها شراً فقلت له ... من يكسب الشر ثدبى أمه يلم
ومن تعرض شتمى يلق معطسه ... من الشقوق الذى يشفى من اللمم

(١) الحنكلة الدميمة السوداء من النساء

أولا فحسبك رهطا أن يفيدهم ... لا يغدرون ولا يوفون بالذمم
متى أجئك وتسمع ما عُنيتُ به ... تُطرق على قَذَع أو ترض بالسّلَم
ليسوا كشعلبة المغبوط جارهم ... كأنه فى ذرى نَهْلان أو خيَم
يشبهون قريشاً من تكلمهم ... وطول أَنْضية [1] الأعناق واللمم
اذا غدا المسك يجرى فى مفارقهم ... راحوا كأنهم مُرضى من الكرم
جزوا النواصى من عجل وقد وطئوا ... بالخيل رهط أبى الصهباء والحُطَم
ويوم أفلتهن الحَوْفَزان وقد ... شالت عليه أكف القوم بالخدم
انى وان كنت لا أنسى مُصابهمُ ... لم أدفع الموت عن ريق ولا حكم
لا يَبْعَدَنَّ فتى جود ومكرمة ... لدفع ضيم وقتل الجوع والقَرَم
والبعد غالها عني بمنزلة ... فيها تفرق أحياء ومختزم
وما بناء وان سدت دعائمه ... الا سيصبح يوماً خاوى الدِّعم [2]
لئن نجوت من الأجداث أو سلمت ... منهن نفسك لم تسلم من الهَرَم

ومن شعره يرثى عمر بن يزيد الأسدى وكان صديقاً له ومحسناً اليه كثير البر به والوفد له

لبث الصباح وأسلمته ليلة ... طالت كأن نجومها لا تبرح
من صولة يحتاج أخرى مثلها ... حتى نرى السَّدَف [3] القيام النوح
عطلن أيديهن ثم تفجعت ... ليل التمام بهن عبْرى تصدح
وحليلة رزئت وأخت وابنة ... كالبدر تنظره عيون لُمَّح
لا يَبْعَدَ ابن يزيد سيد قومه ... عند الحفاظ وحاجةٍ تستنجح
حامى الحقيقة لا تزال جياده ... تغدو مُسَوَّمة به وتُرَوَّح
ساد العراق وكان أول رافد ... تأتى الملوك به المهارى الطُّلَّح

(١) جمع نضى وهو عظم العنق (٢) جمع دعام وهو عماد البيت (٣) السدف ظلمة الليل

يعطى الغلاء بكل مجد يشترى ان المغالى بالمكارم أربح

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة فرصده ليلة حتى جاء لعادته ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه

هل خبر السِّرحان اذ يستخبر عنى وقد نام الصِّحاب السُّمَّر
لما رأيت الضأن منه تنفر نهضت وسنان وطاب المئزر
وراع منها مَرِح مستبهر كأنه إعصار ريح أغبر
فلم أزل أطرده ويعكر حتى اذا استيقنته لا أعذر
وان عقرى غنمي ستكثر طار بكفي وفؤادي أوجر
ثمت أهويت له لا أزجر سهما فولى وهو عنه يعثر
وبت ليلي آمناً أكبر

وأنشد له الاصمعي وكان يستحسنها ويقول انها لمن ظريف الكلام

ثم استقل منعمات كالدمى شُمس العتاب قليلة الأحقاد
كُذُب المواعد ما يقال أخو الهوى منهن بين مودة وبعاد
حتى ينال حيالهن معلقا عقل الشريد وهن غير شِراد
والحب يصلح بعد هجر بيننا ويهيج مَعْتَبة بغير بعاد

الأبيرد

هو الأبيرد بن المعذَّر بن عبد قيس الرياحي من رياح بن يربوع شاعر فصيح بدوي من شعراء الاسلام وأول دولة بني أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد الي الخلفاء فمدحهم

كان يهوى امرأة من قومه ويجن بها حتى شهر ما بينهما فحجبت عنه وخطبها فأبوا أن يزوجوها اياه ، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زُرارة فزوجته فقال الأبيرد في ذلك

اذا ما أردت الحسن فانظر الى التى ... تبغى لقيط قومه وتخيرا
لها بشر لو يدرج الذر فوقه ... لبان مكان الذر فيه فأثرا
لعمري لقد أمكنت منا عدونا ... وأقررت للوادى فأحيا وأزهرا

هجا حارثة بن بدر فقال

ألا ليت حظى من غُدانة أنها ... تكون كَفافاً لا عليَّ ولا ليا
أبى الله أن يهدى غُدانة للهدى ... وألاَّ تكون الدهر إلا مواليا
ولو أنني ألقى ابن بدر بموطن ... يعينه من أولينا المساعيا
تقاصر حتى يستفيد وبذَّه ... قروم تسامى من رياح تسانيا
أبى فارط الحى الذى قد حشالكم ... من المجد أنهاءً[1] ملاء الحوابيا
وعمى الذى فك السميدع عنوة ... فلست بنعمى يا ابن عقرب جازيا
كلانا غنى عن أخيه حياته ... ونحن اذا متنا أشد تغانيا
ألم ترنا اذ سقت قومك سائلا ... ذوى عدد للسائلين معاطيا
بنى الردف[2] حمالين كل عظيمة ... اذا طلعت والمترعين الجوابيا
وانا لنعطى النصف من لو نضيمه ... أقر ولكنا نحب العوافيا

تفاخر مرَّة بن مَحْكان السعدى وابن عم له يقال له عرادة فغلبه مرة فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة فحبسه ، ووقع بعد ذلك من قومه لحاء فكانت بينهم شجاج ثم تكافُّوا وتوافقوا على الديات فأتى مرة وهو محبوس فعرف ذلك فتحمل جميعها فى ماله فقال فيه الأبيرد

فلله عينا من رأى من مكبَّل ... كمُرَّة إذ شُدَّت عليه الأداهم

(١) جمع نهى بالكسر والفتح وهو الغدير (٢) الردف الذى عناه هو جده عتاب بن هرمى بن رياح كان ردف النعمان بن المنذر اذا ركب ركب وراءه واذا جلس جلس عن يمينه واذا غزا كان له المرباع واذا شرب الملك سقى بكأسه بعده وكان بعد ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان

فأبلغ عبيد الله منى رسالة ... فانك قاض بالحكومة عالم
حسبت كريماً أن يجود بماله ... ستعرف ما فى قومة من تفاقم
فان أنت عاقبت ابن مخكان فى الندى ... فعاقب هداك الله أعظم حاتم
تعاقب خرقا أن يجود بماله ... سعى في ثَأَى من قومه فى تفاقم
كأن دماء القوم اذ علقت به ... على مكفهرّ من ثنايا المخارم

ومما رثى به الأبيرد أخاه بريداً وهى من جيد الشعر ومختار المراثى

تطاول ليلي لم أنمه تقلباً ... كأن فراشى حال من دونه الجمر
أراقب من ليل السماء تمامه ... لدن غاب قَرْن الشمس حتى بدا الفجر
تذكرت قَرْماً بان منا بنصره ... ونائله يا حبذا ذلك الذكر
فان تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد عذرتنا فى صحابتنا العُذْر
وكنت أرى هجراً فراقك ساعة ... ألا لا بل الموت التفرق والهجر
أحقاً عباد الله أن لست لاقياً ... بُرَيْداً طوال الدهر مالألأ (١) العُفْر
فتى ان هو استغنى تخرق (٢) فى الغنى ... فان قل مالاً لم يؤدْ متنه الفقر
وسامى جسيمات الامور فنالها ... على العسر حتى يدرك العُسْرَة اليُسْر
ترى القوم فى العزّاء (٣) ينتظرونه ... اذا ضل رأى القوم أو حزَب الامر
فليتك كنت الحى فى الناس باقياً ... وكنت أنا الميت الذى غيَّب القبر
فتى يشترى حسن الثناء بماله ... اذا السَّنة الشهباء (٤) قل بها القطر
كأن لم يصاحبنا بُرَيْد بغبطة ... ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشْر
لعمري لنعم المرء عالى نَعيَّه ... لنا ابن عَرين بعد ما جنح العصر

(١) لألأ حرك أى حرك ذنبه (٢) تخرق توسع ويؤد يثقل (٣) العزاء الذى يعزك أى يغلبك ويقهرك (٤) الشهباء السنة التى يكثر الجليد فيها من شدة البرد وهذا أكثر ما يكون عندهم من الشمال لانها في بلادهم باردة يابسة تفرق السحاب

تمضت به الأخبار حتى تغلغلت ... ولم تثنه الأطباع[1] عنا ولا الجدر
ولما نعى الناعى بريداً تغوّلت ... بى الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر
عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرة طارت بهامته الخمر
الى الله أشكو فى بريد مصيبتى ... وبثى وأحزاناً تضمنها الصدر
وقد كنت أستعفى الهى اذا شكا ... من الأجر لى فيه وان سرنى الأجر
وما زال فى عينيَّ بعد غشاوة ... وسمعى عما كنت أسمعه وقر
على اننى أقنى الحياء وأتقي ... شماتة أعداء عيونهم خزر
فحياك عنى الليل والصبح إذ بدا ... وهوج من الارواح غدوتها شهر
سقى جدثاً لو أستطيع سقيته ... بأودَ فرواه الرواعد والقطر
ولا زال يسقى من بلاد ثوى بها ... نبات اذا صاب الربيع بها نضر
حلفت برب الرافعين أكفهم ... ورب الهدايا حيث حل بها النحر
ومجتمع الحجاج حيث تواقفت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جأر
يمين امرئ آلى وليس بكاذب ... وما فى يمين قالها صادق وزر
لئن كان أمسى ابن المعذَّر قد ثوى ... بُرَيْد لنعم المرء غيبه القبر
هو المرء للمعروف والبر والندى ... ومِسْعَر حرب لا كهام ولا غمر
أقام فنادي أهله فتحملوا ... وصُرِّمت الاسباب واختلط النَّجْر
فتى كان يُغلى اللحم نيئاً ولحمه ... رخيص بكفيه اذا ينزل القِدْر
فتى الحى والاضياف ان رَوَّحتهمُ ... بليل وزاد السَّفْر ان أرمل السفر
اذا جارة حلَّت لديه وفى لها ... فباتت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السَّوْءات ما التبست به ... صليب فما يلفى لعود له كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذى لاقيت معدًى ولا قصر

(١) يريد بالاطباع الخواتم والطابع الخاتم فحذف الزائد فصار طبعا فجمعه على أطباع ويروى الاصناع جمع صنع بالكسر وهو محبس الماء

وكل امرىء يوماً سيلقى حِمامه ... وان ناءت الدعوى وطال به العمر
وأبليت خيراً فى الحياة وانما ... ثوابك عندى اليوم أن ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً وهى قصيدة طويلة

اذا ذكرت نفسى بُرَيدا تحاملت ... الي ولم أملك لعينى مدمعا
وذكرنيك الناس حين تحاملوا ... علىَّ وأضحوْا جلد أجرب مولعا
فلا يبعدنك الله خير أخى امرىء ... فقد كنت طلَّاع النِّجاد سَمَيْدَعا
وصولا لذى القربى بعيداً عن الخنا ... اذا ارتادك الجادى من الناس أمرعا
أخو ثقة لاينتحى القوم دونه ... اذا القوم جالوا أورجا الناس مطمعا
ولا يركب الوَجْنَاء دون رفيقه ... اذا القوم أزجوْهن حَسْرى وظُلَّعا

كانت بنو عجل قد جاورت بنى يَرْبوع فى سَنَة أصابت عِجْلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم يقال له سعد ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعد هذا ، فمالت اليه فومقته ، وكان الأبيرد جميلاً شاباً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمًّا ، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما ، وتحدث الناس بهما ، واتهم الأبيرد بها ، فشكاه الى قومه واستعذرهم منه ، فقالوا له مالك تتحدث الى امرأة الرجل ؟ فقال وما بأس بذلك ؟ وهل خلا عربى منه ؟ قالوا قد قيل فيكما ما لا قرار عليه ، فاجتنب محادثتها وإياك أن تعاودها ، فقال الأبيرد ان سعداً لا خير فيه لزوجته ، فقالوا له وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس اليها ، فقال الأبيرد فى ذلك

ألم ترَ أن ابن المعذر قد صحا ... وودع ما يَلْحَى عليه عواذله
غدا ذو خلاخيل علىَّ يلومني ... وما لوم عذَّال عليه خلاخله
فدع عنك هذا الحلى ان كنت لائما ... فانى امرؤ لا تزدهيني صلاصله
اذا خطرت عَنْس به شَدَنِيَّة (١) ... بمطَّرد الأرواح ناءٍ مناهله

(١) الشدنيات من النوق منسوبة الى موضع باليمن أو فحل كريم

أنا ابن الغُرِّ من سلفَيْ رياح (١) كنصل السيف وضاح الجبين
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى
وان مكاننا من حِمْيَرِيّ (٢) مكان الليث من وسط العَرين
وان قناتنا مَشْظِ (٣) شَظاها شديد مدها عُنُق القرين
وانى لا يعود إليَّ قِرْنى غداة الغبِّ (٤) الا في قرين
بذى لِبَد يصد الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البُزل (٥) ان هى صاولتنى فما بالي وبال ابني لبون
وما ذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى (٦) ونَجَّذَنى مُداورة الشؤن
سأحيا ما حييت وان ظهرى لذو سند الى نَضَد أمين

فأتياه فاعتذرا اليه ، فقال ان أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأرِن ، فقالا له فهل الى النزع من سبيل ؟ فقال اننا لم نبلغ أنسابنا

أبو الهندى

هو غالب بن عبد القدوس بن شَبَثِ بن رِبْعِيّ الرِّياحى من رياح بن يربوع كان شاعراً مطبوعاً وقد أدرك الدولتين دولة بنى أمية وأول دولة بنى العباس وكان جزْل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى ، وانما أخمله وأمات ذكره

(١) هو ابن يربوع (٢) حميرى أحد أجداده والعرين مأوى الأسد
(٣) المشظ الذى يدخل فى اليد من الشوك اذا مس والشظى الشظية وعنق القرين منصوب بمدها والقرين القرن (٤) ورود الابل الماء فى اليوم الثانى وغداة الغب اليوم الذى يسوقون ابلهم فيه والقرين المقارن والمصاحب وفى بمعنى مع (٥) جمع بازل وهو البعير المسن وابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة (٦) اجتماع الأشد عبارة عن كمال القوى فى البدن والعقل ونجذنى هذبنى والمداورة بمعنى المعالجة والمزاولة

بعده من بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان ، وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه ، وفسقه ، وما كان يتهم به من فساد الدين ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الاسلام ، فجعل وصفها وكده وقصده

ومن مشهور قوله فيها ومختاره

سقيتُ أبا المطرَّح اذ أتانى وذو الرَّعشات منتصب يصيح
شرابا يهرب الذِّبّان منه ويَلْثغ حين يشربه الفصيح

أنشد اسحاق الموصلى شعراً لأبى الهندى فى صفة الخمر فاستحسنه وقرظه ، فذكر عنده أبو نواس فقال ومن أين أخذ أبو نواس معانيه الا من هذه الطبقة وأنا أوجدكم سلخ هذه المعانى كلها فى شعره فجعل ينشد بيتاً بيتاً من شعر أبى الهندى ثم يستخرج المعنى والموضع الذى سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره .

ومن قوله فيها

سيغنى أبا الهندى عن وَطْب سالم أباريق لم يَعْلَق بها وَضَرُ الزَّبد
مُقدَّمة قرنا كأن رقابها رقاب بنات الماء تفزع للرعد
جلَتْها الجوالى حين طاب مزاجها وطيبنها بالمسك والعنبر الورد
تَمُجُّ سلافا فى الأباريق خالصاً وفى كل كأس من مهًا حسن القدّ

ومن قوله وهو مما يغنى به

لما سمعت الديك صاح بسُحْرة وتوسط النَّسْران بطن العقرب
وبدا سُهيل فى السماء كأنه نور وعارضه عجان الزَّرْبب
نبهت ندْمانى وقلت له اصطبح يا ابن الكرام من الشراب الطيب
صفراء تبدو فى الزُّجاج كأنها حدَق الجرادة أو لُعاب الجُنْدَب

حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندى فلما حضرت أيام الموسم قال له

يا أبا الهندى انا بحيث ترى وفد الله وزوار بيته فهب لي النبيذ في هذه الايام واحتكم علىّ فلولا ما ترى ما منعتك، فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام ووكل به نصر ابن سيار ، فلما انقضى الأجل مضى فى السحر قبل أن يلقى نصراً فجلس فى أكمة يُشرف منها على فضاء واسع فجلس عليها ووضع بين يديه اداوة وأقبل يشرب ويبكي ويقول

أديرا على الكأس انى فقدتها ... كما فقد المفطوم دَرّ المراضع

حليف مُدام فارق الروح روحه ... فظل عليهـــا مستهل المدامع

وعاتبه قوم على فسقه ومعاقرته الشراب فقال

اذا صليت خمساً كل يوم ... فان الله يغفر لي فسوقى

ولم أُشرك برب الناس شيئاً ... فقد أمسكت بالدين الوثيق

وجاهدت العدو ونلت مالا ... يبلغنى الى البيت العتيـق

فهـذا الدين ليس به خفاء ... دعونى من بُنيَّات الطريق

اشتهى أبو الهندى الصَّبوح فى الحانة ذات يوم فأتى خماراً بـجستان فى محلة يقال لها كوه زيان[1] يباع فيها الخمر ويأوى اليها كل خارب ، فدخل الى الخمار فقال له اسقنى وأعطاه ديناراً فكال له وجعل يشرب حتى سكر ، وجاء قوم يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال فقالوا للخمار ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، فانتبـه فسأل عنهم فعرفه الخمار خبرهم فقال له هذا الآن وقت السكر الآن طاب ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر وانتبهوا فقالوا للخمار ويحك هذا نائم بعد ؟ فقال لا ولقد انتبه فلما عرف خبركم شرب حتى سكر ، فقالوا ألحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، وانتبه فسأل عن خبرهم فعرفه فقال والله لألحقن بهم ، فشرب حتى سكر ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم فى موضع واحد ، ثم تركوا هم الشراب عمداً حتى أفاق فلقوه[2] وفى ذلك يقول

(١) تفسيره جبل الشيطان (٢) هذا الخبر بعينه يحكى لوالبة بن الحباب مع أبى نواس والصحيح أنه لأبى الهندى

نَدامَى بعد ثالثة تلاقَوْا يضمهمُ بكُوه زيان راح
وقد باكرتها فترْكت منها قتيلا ما أصابتني جراح
وقالوا أيها الخمار من ذا فقال أخ تخوَّنه اصطباح
فقالوا هات راحك ألحقنَّا به وتعللوا ثم استراحوا
فما ان لَبَّثتْهم أن رمتهم بحد سلاحها ولها سلاح
وحان تنبهي فسألت عنهم فقال أتاحهم قَدَر مُتاح
رأوك مُجَدَّلا فاستخبروني فحركهم الى الشرب ارتياح
فقلت بهم فألحقني فهبُّوا فقالوا هل تنبه حين راحوا
فقال نعم ، فقالوا ألحقنا به قد لاح للرائى صباح
فما ان زال ذاك الدَّأْب منا ثلاثا يستغب ويستباح

خطب أبو الهندى الى رجل من بنى تميم فقال لو كنت مثل أبيك لزوجتك ، فقال له أبو الهندى لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت اليك

مرَّ نصر بن سيار بأبى الهندى وهو سكران يتمايل فوقف عليه فعذله وسبه وقال ضيعت شرفك وفضحت أسلافك ، فلما طال عتابه التفت اليه فقال لولا أنى ضيعت شرفى لم تكن أنت على خُراسان ، فانصرف نصر خجلا ، وكان أبو الهندى أسرع الناس جواباً

قال اسحاق المُوصلى فى وفاة أبى الهندى انه خرج وهو سكران فى ليلة باردة من حانة خمار وهو ريان فأصابه ثلج فقتله فوجد من غد ميتاً على الطريق ، ووجد على قبره مكتوباً

اجعلوا ان مت يوماً كفنى ورق الكَرْم وقبرى معصرة
اننى أرجو من الله غدا بعد شرب الراح حسن المغفرة

فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون الى قبره ويشربون ويصبون القدح اذا انتهى اليه على قبره

المغيرة بن حبناء

هو المغيرة بن حَبْناء بن عمرو الحنظلى من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وحَبْناء لقب غلب على أبيه واسمه جُبَيْر

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية وأبوه حبناء بن عمرو شاعر وأخوه صخر شاعر وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة ، سأذكر طرفاً منها ، وكان قد هاجى زيادا الأعجم فأكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحد منهما صاحبه ، كانا متكافئين فى مهاجاتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه

قدم المغيرة على طلحة الطلحات الخزاعى ، فأنشده قوله فيه

لقد كنت أسعى فى هواك وأبتغي ... رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا
وأبذل نفسى فى مواطن غيرُها ... أحب وأعصى في هواك الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا ... لتجزيني ما لا إخالك جازيا
رأيتك ما تنفك منك رغيبة ... تُقَصِّر دونى أو تَحُلّ ورائيا
أرانى اذا استمطرت منك رغيبة ... لتمطُرنى عادت عَجاجاً وسافيا
وأدليت دلوى فى دِلاء كثيرة ... فأُبْن ملاءً غير دلوى كما هيا
ولست بلاقٍ ذا حِفاظ ونجدة ... من القوم حُرًّا بالخسيسة راضيا
فان تَدْنُ مني تدن منك مودتى ... وان تَنْأَ عنى تُلْفِني عنك نائيا

فأجازه جائزة سنية ، فمدحه فقال

أرى الناس قد مَلُّوا الفعال ولا أرى ... بنى خَلَف الا رِوَاء الموارد
اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه ... وكائن ترى من نافع غير عائد
اذا ما انجلت عنهم غمامة غَمْرة ... من الموت أجْلَتْ عن كرام مذاود

تسود غطاريفَ الملوك ملوكُهم وماجدُهم يعلو على كل ماجد

لما هزم المهلبُ بن أبي صفرة قطَرِيّ بن الفُجاءة جلس للناس ، فدخل اليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة في أخرياتهم فقال

حال الشجا دون طعم العيش والسهرُ واعتاد عينك من ادمانها الدرر
واستحقبتك أمور كنت تكرهها لو كان ينفع منها النأى والحذر
وفي الموارد للأقوام تهلُكة اذا الموارد لم يعلم لها صَدَر
ليس العزيز بمن تُغشَى محارمه ولا الكريم بمن يُجفَى ويحتقر

حتى انتهى الى قوله

أمسى العباد بشر لا غياث لهم الا المهلَّب بعد الله والمطر
كلاهما طيب ترجى نوافله مُبارك سَيْبُه يُرْجَى وينتظر
لا يجمُدان عليهم عند جهدهمُ كلاهما نافع فيه اذا افتقروا
هذا يذود ويحمى عن ذِمارهمُ وذا يعيش به الأنعام والشجر
واستسلم الناس اذ حل العدو بهم فلا ربيعتهم تُرْجَى ولا مُضَر
وأنت رأس لأهل الدين منتخب والرأس فيه يكون السمع والبصر
ان المهلَّب في الأيام فضله على منازل أقوام اذا ذكروا
حَزْمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفت فيها يُعَدّ جسيم الأمر والخطَر
ماض على الهول ما ينفك مرتحلا أسباب مُعْضلة يعيا بها البشر
سهل الخلائق يعفو عند قدرته منه الحياء ومن أخلاقه الخفَر
شهاب حرب اذا حلت بساحته يُخزِى به الله أقواماً اذا غدروا
تزيد الحرب والأهوال ان حضرت حزماً وعزماً ويجلو وجهه السفر
ما ان يزال على أرجاء مُظلمة لولا يكفكفها عن مصرهم دَمَروا

سهل اليهم حليم عن مجاهلهم كأنما بينهم عثمان أو عمر
كهف يلوذون من ذل الحياة به اذا تكنفهم من هولها ضرر
أمن لخائفهم فيض لسائلهم ينتاب نائله البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلّب هذا والله الشعر لا ما نُعلّل به وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد ، وزاد فى عطائه خمسمائة درهم

ومن قول المغيرة يمدح المهلب أولها

أمن رسوم ديار هاجك القِدَم أقوت وأقفر منها الطَّفُّ والعلم
وما يَهيجك من أطلال منزلة عفّى معالمها الأرواح والدِّيَم
بئس الخليفة من جار تَضَنّ به اذا طربت أنا فى القِدْر والحُمم
دار التى كاد قلبي أن يجن بها اذا ألمّ به من ذكرها لمم
اذا تذكرها قلبى تضيّفه هم تضيق به الأحشاء والكظم
والبين حين يروع القلب طائفه يبدى ويظهر منهم بعض ما كتموا
انى امرؤ كفني ربى وأكرمني عن الأمور التى فى غبِّها وَخَم
وانما أنا إنسان أعيش كما عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه فى جيش لقتال الأزارقة وكان فيهم المغيرة فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله فأقام عندهم شهراً ثم عاود وقد قفل الجيش الى المهلب فقيل له ان الكتاب خطوا على اسمه وكتب الى المهلب انه عصى وفارق مكتبه بغير اذن ، فمضى الى المهلب فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر اليه فعذره وأمر باطلاق عطائه وازالة العتب عنه وفيها يقول يذكر قدومه الى أهله بغير اذن

ما عاقنى عن قفول الجند اذ قفلوا عِيّ بما صنعوا حولي ولا صمم
ولو أردت قفولا ما تجهمني اذن الامير ولا الكتاب إذ رقموا

انى ليعرفنى راعى سريرهمُ والمحرجون اذا ما ابتلت الحزم
والطالبون الى السلطان حاجتهم اذا جفا عنهم السلطان أو كرموا
فسوف تبلغك الأنباء إن سلمت لك الشواحج والأنفاس والأدم
إن المهلب إن أشتق لرؤيته أو أمتدحه فان الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوام قد علموا أبو سعيد اذا ما عدت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائره أبو سعيد وإن أعداؤه رَغموا
كم قد شهدت كراماً من مواطنه ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا
أيام أيام اذ عض الزمان بهم واذ تمنى رجال أنهم هزموا
وإذ يقولون ليت الله يهلكهم والله يعلم لو زلّت بهم قَدَم
أيام سابور اذ ضاعت رباعتهم لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا
اذ ليس شيء من الدنيا نصول به إلا المغافر والأبدان واللُّجُم
وعائرات من الخطّي مقصدة نفضى بهن اليهم ثم نَدَّعم

وكان السبب فى مهاجاته زياداً الأعجم ان زياداً والمغيرة وكعباً الأشقرى اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم ووهب له غلاماً فصيحاً ينشد شعره لان زياداً كان ألكن لا يفصح فكان راويته ينشد عنه ما يقوله فيتكلف له مؤنة ويجعل له سهماً في صِلاته فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فضل به، فانتدب له المغيرة من بينهم فقال للمهلب أصلح الله الأمير ما السبب فى تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يغنى غَناءنا فى الحرب ولا هو بأفضلنا شعراً ولا أصدقنا وداً ولا أشرفنا أباً ولا أفصحنا لساناً، فقال له المهلب أما انى والله ما جهلت شيئاً مما قلت وان الأمر فيكم عندى لمتساوٍ ولكن زياداً يكرم لسنه وشعره وموضعه من قومه وكلكم كذلك عندى وما فضلته بما ينفس به وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به، فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه فهجاه، فقال المغيرة يرد عليه

أزيادُ إنك والذى أنا عبده ... مادون آدم من أب لك يعلم
فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم ... مالا تطيق وأنت علج أعجم
أظننت لؤمك يا زياد يسده ... قوس سترت به قفاك وأسهم
علج تعصب ثم راق بقوسه ... والعلج تعرفه إذا يتعجم
ألقِ العصابة يا زياد فانما ... أخزاك ربى إذ غدوت ترنم
تهجو الكرام وأنت ألأم من مشى ... نسباً وأنت العلج حين تكلم
ولقد سألت بنى نزار كلهم ... والعالمين من الكهول فأقسموا
بالله مالك فى معد كلها ... حسب وانك يا زياد مُوَذَّم (١)

رجع المغيرة الى أهله وقد ملأ كفيه بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه وكان أخوه صخر أصغر منه فكان يأخذ على يديه وينهاه عن الأمر ينكر مثله ولا يزال يتعتب عليه فى الشىء بعد الشىء مما ينكره عليه فقال فيه صخر

رأيتك لما نلت مالاً وعضنا ... زمان نرى فى حد أنيابه شَغْبا
تَجَنَّى على الدهرَ انى مذنب ... فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه

لحى الله أنا ناعن الضيف بالقِرى ... وأقصرنا عن عرض والده ذبا
أأنبأك الأفاك عنى أننى ... أحرك عرضى أن لعبت به لعبا

جاءت أخت المغيرة اليه تشكو أخاها صخراً أنه أسرع فى مالها وأتلفه وأنها منعته شيئاً يسيراً بقى لها فمد يده اليها وضربها فقال له المغيرة معنفاً

ألا مَنْ مبلغٌ صخر ابن ليلى ... فانى قد أتانى من نَثَا كا
رسالة ناصح لك مستجيب ... اذا لم ترْعَ حرمتـه رعا كا
وصول لو يراك وأنت رهن ... تباع بمـاله يوماً فدا كا

(١) الوذم بالتحريك الفضل والزيادة وقد وذم أى فضل وزاد يريد أنه ليس فى قومه بشىء

يرى خيراً إذا ما نلت خيراً ... ويَشْجَى في الأمور بما شجاكا
فانك لا ترى أسماء أختاً ... ولا تَرَيَنَّني أبداً أخاكا
فان تعنُف بها أو لا تصلها ... فان لأُمِّهـــا ولداً سواكا
يَبَرّ ويستجيب إذا دعته ... وان عاصيته فيهـا عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... على بعض الرجال وفوق ذاكا
جزاني الله منك وقد جزاني ... ومني في معـــاتبنا جزاكا
وأعتبَ أصدق الخصمين قولاً ... وولى اللؤم أولانا بذاكا
فلا والله لولم تعص أمري ... لكنت بمعزل عمـا هناكا

فأجابه أخوه صخر بقوله

أتاني عن مغيرة قول زور ... تعمده فقلت له كذاكا
يعم به بني ليـلى جميعاً ... فول هجاءهم رجلا سواكا
فان تك قد قطعت الوصل مني ... فهـذا حين أخلفني مناكا
تُمَنِّينى إذا ما غبت عني ... وتُخْلفني مُناىَ اذا أراكا
وتوليني ملامة أهـل بيتي ... ولا تعطي الأقارب غير ذاكا
فان تك أختنا عتبت علينا ... فلا تَصْرِم لظِنَّتها أخاكا
وان تك قد عتبت علىَّ جهلا ... فلا والله لا أبغي رضاكا
فقد أعلنت قولك اذ أتاني ... فأعلن من مقالي ما أتاكا
سيغْنِي عنك صخراً ربُّ صخر ... كما أغناك عن صخر غناكا
ويغنيني الذي أغنـاك عني ... ويكفيني الاله كما كفاكا
ألم ترني أجود لكم بمالي ... وأرمي بالفواقر من رماكا
وانى لا أقود اليـك حرباً ... ولا أعصيك ان رجل عصاكا
ولكني وراءك شَمَّرِيٌّ ... أحامي قد علمت على حماكا

وأدفع ألسن الاعداء عنكم ... ويَعْنيني العدو اذا عناكا
وقد كانت قريبة ذات حق ... عليك فلم تطالعها بذاكا
رأيت الخير يقصر منك دوني ... وتبلغني القوارص من أذاكا

كان حبناء بن عمرو قد غضب على قومه فى بعض الأمر فانتقل الى نَجْران وحمل معه أهله وولده ، فنظرت امرأته سلمى الى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة وهو يومئذ غلام فقالت لحبناء قد كنت غنياً عن هذا الذل وكان مقامك بالعراق فى قومك أو فى حي قريب من قومك فقال حبناء

تقول سليمى الحنظلية لابنها ... غلام بنَجْران الغداةَ غريب
رأت غِلْمة ثاروا اليه بأرضهم ... كما هر كلباً فى الديار كليب
فقالت لقد أجرى أبوك لما ترى ... وأنت عزيز بالعراق مَهيب

وقال أيضاً

لعمرك ما تدرى أشيء تريده ... يَليك أم الشيء الذى لا تحاوله
متى مايشأ مستقبس الشر يَلْقَه ... سريعاً وتجمعه اليه أنامله

قال الأصمعى لم يقل أحد فى تفضيل أخ على أخيه وهما لأَب وأم مثل ماقال المغيرة لأَخيه صخر

أبوك أبى وأنت أخي ولكن ... تفاضلت الطبائع والظروف
وأمك حين تنسب أم صدق ... ولكن لابنها طبع سخيف

وكان عبد الملك بن مَرْوان اذا نظر الى أخيه معاوية « وكان ضعيفاً » يتمثل بهذين البيتين

نظر الحجاج الى يزيد بن المهلب يخطِر فى مشيته فقال لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول

جميل المحيَّا بَخْتَرِيّ اذا مشى ... وفى الدرع ضخم المنكبين شِناق[1]

(١) الشناق الطويل

فالتفت اليه يزيد فقال انه يقول فيها

شديد القوى من أهل بيت اذا وهى ... من الدين فتق حُمِّلوا فأطاقوا

مراجيح فى اللأواء ان نزلت بهم ... ميامين قد قادوا الجيوش وساقوا

حدث من حضر ابن حبناء لما قتل انه وهو يجود بنفسه أخذ بيده من دمه وكتب بيده على صدره أنا المغيرة بن حبناء ثم مات

أبو حزابة

هو الوليد بن حنيفة التميمى أحد بني ربيعة بن حنظلة وكنيته أبو حُزابة شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى حضَر وسكن البصرة ثم اكتتب فى الديوان وضرب عليه البعث الى سجستان فكان بها مدة وعاد الى البصرة وخرج مع ابن الأشعث وأظنه قتل معه وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء.

دخل على طلحة الطلحات الخزاعى وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان وكان أبو حُزابة قد مدحه فأبطأت عليه الجائزة ورأى ما يعطى غيره من الجوائز فأنشده

وأدليت[1] دلوى فى دِلاء كثيرة ... فجئن ملاءً غير دلوى كما هيا

وأهلكني ألاَّ تزال رغيبة ... تقصر دونى أو تَحُل ورائيا

أرانى اذا استمطرت منك سحابة ... لتمطرنى عادت عَجاجاً وسافيا

فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره ووقعت فى حجره . مات طلحة بسجستان وولي من بعده رجل من بنى عبد شمس يقال له عبد الله بن على وكان شحيحاً فقال أبو حزابة

يا ابن على برح الخفاء ... قد علم الجيران والأكفاء

انك أنت البدل اللَّفَاء[2] ... أنت لعين طلحة القذاء

(١) انظر ص ١٠٨ (٢) اللفاء الخسيس

بنو عـــدى كلهم سواء كأنهم ربيبـــة حذاء

ثم وليها بعد عبد الله بن على بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز فى أيام الفتنة فاستأذنه أبو حزابة ان يأتى البصرة ، فأذن له فقدمها ، وكان الناس يحضرون المربد ويتناشدون الأشعار ويتحادثون ساعة من النهار فشهدهم أبو حزابه وأنشدهم مرثية له فى طلحة الطلحات يضمنها ذماً لعبد الله بن على وهى قوله

هيهات هيهات الجناب الأخضر والنائل الغمر الذى لا ينزر
واراه عنا الجـــدث المغور قد علم القوم غداة استعبروا
والقبر بين الطلحـات يحفر أن لن يروا مثلك حتى ينشروا
انا أتانا جـــزر مخمر أنكره سريرنا والمنبر
والمســـجد المحتضر المطهر أقل من شبرين حين يشبر
بليـــة يا ربنا لا نسخر وخلف يا طلح منك أعور
مثل أبى القعواء لا بل أصغر

وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيراً ، فقال له عون بن عبد الرحمن بن سلامة وسلامة أمه ما قلت ؟ أتشاهر الناس بشتم قريش ؟ فقال له انى لم أعم انما سميت رجلا واحداً ، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع ، ثم أمر عون ابن أخ له فدعا أبا حزابة فأطعمه وسقاه وخلط فى شرابه شبرما فسلحه فخرج أبو حزابة وقد أخذ بطنه فسلح على بابه وفى طريقه حتى بلغ أهله ومرض أشهراً ، ثم عوفي فركب فرساً له ثم أتى المربد فاذا عون بن سلامة واقف فصاح به فوقف ، ولو لم يقف كان أخف لهجائه ، قال أبو حزابة

يا عون قف واستمع الملامة لا سلم الله على ســـلامة
زنجية تحســـبها نعامة شكاء شان جسمها دمامة

ومما مدح به طلحة الطلحات قوله

يا طلح يأبى مجدك الإخلافا والبخل لا يعترف اعترافا
ان لنا أحمرة عجافا يأكلن كل ليلة إكافا

فأمر له بابل ودراهم وقال هذه مكان أحمرتك

قيل لأبى حزابة لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك وشرفك وألحقك بعلية أصحابه فلست دونهم وكان أبو حزابة يومئذ غلاماً حدثاً ، وكان معاوية حياً ويزيد أميراً يومئذ ، فلما أكثر قومه عليه فى ذلك وفى قولهم أنك ستشرف بمصيرك اليه قال

يشرفني سيفى وقلب مجانب لكل لئيم باخل ومعلهج
وكرى على الأبطال طرفاً كأنه ظليم وضربى فوق رأس المدجج
وقولي اذا ما النفس جاشت وأجهشت مخافة يوم شرة متأجج
عليكِ غمار الموت يا نفس انني جرىء على درء الشجاع المهجهج

فلما أكثروا عليه فى ذلك وعنفوه فى تأخره رحل الى يزيد فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ، فرجع وقال والله لا يرانى ما حملت عيني الماء الا أسيراً أو قتيلاً ، ثم أنشأ يقول

فوالله لا آتى يزيد ولو حوت أناملة ما بين شرق الى غرب
لأن يزيدَ غيَّرَ الله ما به جنُوح الى السَّوْءى مصر على الذنب
فقل لبنى حرب تقُوا الله وحده ولا تُسعدوه فى البطالة واللعب
ولا تأمنوا التغيير ان دام فعله ولم ينهه عن ذاك شيخ بنى حرب
أيشربها صرفاً اذا الليل جنَّه معتقة كالمسك تختال فى القلب
ويلْحَى عليها شاربيها وقلبه يهيم بها ان غاب يوماً عن الشرب

مدح عبد الله بن على العبشمى وهو على سجستان فلم يثبه ، فقال يهجوه

هبَّتْ تعاتبني أُما مة فى السماحة والفضال
وأَبَيْتُ عنـــد عتابها الا خلائق ذى النوال
أُعطى أخى وأحوطه جهدى وأبذل جل مالي
وأَقِيه عنـد تشاجر الـــأبطال بالاسَل النهـال
حفظـاً له ورعاية للخاليات من الليـالى
اذ نحن نشرب قهـوة دُرْياقة كدم الغـزال
حمراء يذهب ريحهـا ما فى الرؤوس من الخبال
واذا تشعشع فى الانا ء رمت أخاها باغتيـال
وعلا الحُبـاب نخلته عقدا ينظم من لآل
تشفى السقيم بريحهـا وتميته قبـل الاجال
تلك التي تركت فؤا دَ أبى حزُابة فى ضـلال
لا يستفيق ولا يفيـــق يشوقها فى كل حال
واذا الكماة تنـــازلوا ومشى الرجال الى الرجال
و بدت كتائب تمترى مُهَج الكتائب بالعوالى
فأبو حزُابة عنـد ذا لك أخو الكريهة والنزال
يمشى الهُوَينَى مُعْلِما بالسيف مشياً غير آل
كالليث يترك قِرْنه متجدلا بين المجـال
انى نـــذير بنى تمـــيم من أخى قيـــل وقال
من لا يجـود ولا يسو د ولا يجـير من الهُزال
وتراه حـين يجيئه السُّـــؤَّال يولَع بالسـعال
متشاغلا متنحنحـــا كالـكلب جمّع للعِظال

يعنى عبد الله بن على العبشى

وقال يثني على قومه بني تميم

لله عينا من رأى من فوارس ... أكرّ على المكروه منهم وأصبرا
وأكرم لو لاقوا سواداً مقاربا ... ولكن لقوا طمّا من البحر أخضرا
فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم ... ذُرَى الهام منهم والحديد المسمرا
وحتى حسبناهم فوارس كهمس ... حيُوا بعدما ماتوا من الدهر أعصرا

وله يرثي ناشرة اليربوعي التميمي وقتل بسجستان في فتنة ابن الزبير

لعمري لقد هدت قريش عروشنا ... بأبيض نقّاح العشيات أزهرا
وكان حصاداً للمنايا زرعنه ... فهلا تركن النبت ما كان أخضرا
لحى الله قوماً أسلموك وجردوا ... عناجيج أعطتها يمينك ضُمَّرا
أما كان فيهم ماجد ذو حفيظة ... يرى الموت في بعض المواطن أفخرا
يَكُرّ كما كرّ الكُلَيبي مُهْره ... وما كرّ الا خشية أن يعيرا
فلا صلح حتى تزحف الخيل والقنا ... بناو بكم أن يصدر الامر مصدرا

لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وكان معه أبو حزابة فمروا بدَسْتَبَّى وبها مستراد الصناجة وكان لا يبيت بها أحد الا بمائتي درهم ، فبات بها أبو حزابة ورهن عندها سرجه ، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن فلما أقبل صاح به وقال

أمر عُضال نابني في العَجّ ... كأنني مطالب بخَرْج
ومستراد ذهبت بالسرج ... في فتنة الناس وهذا الهَرْج

فعرف ابن الاشعث القصة وضحك وأمر بأن يفتك له سرجه ويعطى معه ألف درهم وبلغت القصة الحجاج فقال أيجاهر في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكر ؟ ظفرت به ان شاء الله .

أبو نفيس

هو يحيى بن يَعْلَى بن مُنْيَة ومنية أم يعلى وهى بنت غَزَوان أخت عُتْبة بن غزَوان وأبوه أمية بن عبدة من بني زيد مناة بن تميم ، وكان يعلى حليفاً لبنى أمية وعديداً لهم وبينه وبينهم صهر ومناسبة وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع حديثاً كثيراً وروى عنه ، وعمر بعد ، وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

وأبو نفيس هو الذى يقول وفيه غناء

لعمرك أيها الرجل لأى الشكل تنتقل
أتهجر آل زينبَ أم تزورهمُ فتعتدل
همُ ركب لقُوا ركباً كما قد تجمع السبل
فذلك دأبنا وبذا ك تجرى بيننا الرسل

مسكين

هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمى ومسكين لقب غلب عليه لقوله

أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جدّ نطق
لا أبيع الناس عرضى اننى لو أبيع الناس عرضى لنفَق

وقال أيضاً

سميت مسكيناً وكانت لحاجة وانى لمسكين الى الله راغب

وقال

إن أدْعَ مسكيناً فليس بمنكر وهل ينكرن الشمس ذر شعاعها
لعمرك ما الأسماء إلا علامة منار ومن خير المنار ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه فكان الفرزدق يعد ذلك فى الشدائد التى أفلت منها

كان زياد قد أرعى مسكيناً حمى له بناحية العُذَيب فى عام قحط حتى أخصب الناس وأحيوا ثم كتب له ببر وتمر وكساه فلما مات زياد رثاه مسكين فقال

رأيت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

فعارضه الفرزدق وكان منحرفا عن زياد لطلبه إياه واخافته له فقال

أمسكين أبكى الله عينك انما جرى فى ضلال دمعها فتحدرا
بكيت على عِلْج بمَيْسان كافر ككسرى على عِدّاته أو كقيصرا
أقول له لما أتانى نعيُّه به لا بظبى بالصريمة أعفرا

فقال مسكين يجيبه

ألا أيها المرء الذى لست قاعداً ولا قائماً فى القوم إلا انبرى ليا
فجئني بعم مثل عمى أو أب كمثل أبى أو خال صدق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زُرارة ذى الندى أوالبشر[1] من كل فرَعت الروابيا

فأمسك عنه الفرزدق فلم يجبه وتكافا

واتقاه الفرزدق أن يعين عليه جريراً واتقاه مسكين أن يعين عليه عبدالرحمن ابن حسان

قال أبو عبيدة أشعر ما قيل فى الغيرة قول مسكين

ألا أيها الغائر المستشيط فيم تغار اذا لم تُغِر[2]
فما خير عرْس اذا خفتها وما خير عرس اذا لم تُزَر
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
وانى لأخلى لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

(١) خال لمسكين من النمر بن قاسط (٢) أغار الرجل أهله تزوج عليها فغارت عليه

اذا الله لم يعطني حبها فلن يعطي الحب سوط مُمَرّ

لما قدم مسكين على معاوية سأله أن يفرض له فأبى عليه وكان لا يفرض إلا لليمن فخرج من عنده وهو يقول

أخاك أخك إن من لا أخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح
وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

فلم يزل معاوية كذلك حتى غزت اليمن وكثرت وضعضعت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلا من أهل اليمن قال يوماً لهممت ألاَّ أدع بالشام أحداً من مُضَر بل هممت ألاَّ أحلّ حَبْوتى حتى أخرج كل نزارى بالشام ، فبلغت معاوية ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِنْدِف ، وقدم على تهيئة ذلك عُطارد ابن حاجب على معاوية فقال له مافعل الفتى الدارمى الصبيح الوجه الفصيح اللسان ؟ يعنى مسكيناً ، فقال صالح يا أمير المؤمنين ، قال أعلمه انى قد فرضت له فى شرف العطاء وهو فى بلاده فان شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل فان عطاءه سيأتيه وبشره أنى قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خِنْدِف ، وكان معاوية بعد ذلك يغزى اليمن فى البحر ويغزى قيساً فى البر فقال شاعر اليمن

ألا أيها القوم الذين تجمعوا بعكا أناس أنتمُ أم أباعر
أتترك قيس آمنين بدارهم وتركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدرى وانى لسائل أهَمْدان يحمى ضيمها أم يُحابر
أم الشرف الأعلى من آل دحمير بنو مالك إذ تستمر المرائر
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث الى اليمن فاعتذر اليهم وقال ما أغزيتكم البحر إلا أنى أتيمن بكم وإن فى قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر وأنا عارف

بطاعتكم ونصحكم فاما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع بينكم وبين قيس فتكونوا جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم ، فرضوا ، وفعل ذلك فيما بعد

كان أصاغر ولد مروان فى حجر ابنه عبد العزيز فكتب عبد العزيز الى بشر كتابا وهو يومئذ على العراق ، فورد عليه وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه علم أنه كتبه وهو سكران فجفاه وقطع مكاتبته زماناً وبلغ بشراً عتبه عليه فكتب اليه « لولا الهفوة لم أحتج الى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله مني الفضل ، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضممته لزدت فيه ، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيمة الأكارم ، ولقد أحسن مسكين الدارمى حيث يقول « أخاك أخاك البيتين » فلما وصل كتابه الى عبدالعزيز دمعت عينه وقال ان أخى كان منتشياً لما جرى منه ماجرى فسلوا عمن شهد ذلك المجلس ، فسئل عنهم فأخبر بهم ، فقبل عذره وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس وأن يعزل كاتبه عن كتابته ، ففعل

قال الفرزدق نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً ، نجوت من ابن زياد حين طلبني ، ونجوت من ابني رُمَيلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحد طلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى لانه لو هجانى اضطرنى أن أهدم شطر حسبى ونخرى لانه كان من بجبوحة نسبى وأشراف عشيرتى ، فكان جرير حينئذ ينتصف منى بيدى ولساني

خطب مسكين فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله وتزوجت رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين ، فمر بهما مسكين ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال

أنا مسكين لمن يعرفنى لونى السمرة ألوان العرب

من رأى ظبياً عليه لؤلؤ واضح الخدين مقروناً بضَبّ

أكسبته الورق البيض أبا ... ولقد كان وما يدعى لأب
رب مهزول سمين بيته ... وسمين البيت مهزول النسب
أصبحت ترزق من شحم الذرى ... وتخال اللؤم درّاً ينتهب
لا تلمها انها من نسوة ... صخبات ملحها فوق الركب
كشموس الخيل يبدو شغبها ... كلما قيل لها هال وهبْ

كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألاّ يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرشح للخلافة و بلغه في ذلك ذرو كلام كرهه من سعيد بن العاصي ومروان ابن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه اذا كان حافلا وحضر وجوه بني أمية فلما اتفق ذلك دخل مسكين اليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه فمثل بين يديه وأنشأ يقول

إن أُدْعَ مسكيناً فاني ابن معشر ... من الناس أحمي عنهمُ وأذود
اليك أميرَ المؤمنين رَحَلْتها ... تثير القَطا ليلاً وهن هجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها ... اذا ما اتقتها بالقرون سجود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومَرْوان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فانما ... يبوّئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربي خلاه ربه ... فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد ... لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل ... وفود تساميها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً ... تشيد أطناب له وعمود
قُدُور ابن حرب كالجوابي وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرثال ركود

فقال له معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله ولم يتكلم أحد من بني أمية فى ذلك

كان لمسكين امرأة من مِنقَر وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظَّة ، فجازت به وهو ينشد قوله فى نادى قومه

ان أك مسكيناً فما قصرت قِدْرى بيوت الحى والجُدر

فوقفت عليه تسمع حتى اذا بلغ

نارى ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القِدْر

قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب ، فاذا شبع أطعمك ، أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك ، فأعرض عنها ومرَّ في قصيدته حتى بلغ قوله

ماضر جارا لي أجاوره ألاَّ يكون لبيته ستر

فقالت له أجل ان كان له ستر هتكته ، فوثب اليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما

سعيد الدارمى

هو سعيد الدارمى من ولد سويد بن زيد ، كان فى أيام عمر بن عبد العزيز وكانت له أشعار ونوادر وكان من ظرفاء أهل مكة وهو الذى يقول

ولما رأيتك أوليتنى القبيح وأبعدت عنى الجميلا

تركت وصالك فى جانب وصادفت فى الناس خلاً بديلا

قدم تاجر المدينة بخُمُر فباعَها وكسدت السوق منها فشكا ذلك للدرامى وكان صديقه وقد كان نسَك وترك الغناء وقول الشعر فقال لا تهتم بذلك فأنى سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ثم قال

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعت براهب متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه فشاع فى الناس وقالوا فتك الدارمى ورجع عن نسكه فلم تبق فى المدينة ظريفة الا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان مع التاجر فلما علم بذلك الدارمى رجع الى نسكه

ومن شعره وهو مما غنى فيه

أفق يا دارميُّ فقد بليتا وانك سوف توشك أن تموتا
أراك تزيد عشقاً كل يوم اذا ما قلت انك قد بريتا

كان الدارمى عند عبدالصمد بن على يحدثه فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمى عطسة هائلة ففزع عبدالصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ثم استوى جالساً وقال ويلك أتفزعنى ؟ قال لا والله ولكن هكذا عُطاسى ، قال والله لأنفعنك فى دمك أو تأتينى ببينة على ذلك ، فخرج ومعه حرسىّ لا يدرى أين يذهب به ، فلقيه ابن الريان المكى فسأله فقال أنا أشهد لك ، فمضى حتى دخل على عبدالصمد ، فقال له بم تشهد لهذا ؟ قال أشهد أنى رأيته مرة عطس عطسة سقط منها ضرسه ، فضحك عبد الصمد وخلى سبيله

قال محمد بن ابراهيم الامام للدارمى لو صلحت عليك ثيابى لكسوتك ، قال فديتك ان لم تصلح علىّ ثيابك صلحت علىّ دنانيرك

خرج الدارمى مع السعاة فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم ، فأتى بها فى ثوبه وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردهن ، فعرفته صبية منهن فقالت يا أخواتى أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارمى السآل ، ثم أنشدت

اذا كنت لا بد مستطعما فدع عنك من كان يستطعم

فولى الدارمي هارباً منهن وهن يتضاحكن به

مدح الدارمى عبد الصمد بن على بقصيدة واستأذنه فى الانشاد فأذن ، فلما فرغ أدخل عليه رجل من الشُّراة فقال لغلامه أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا ، فوثب الدارمي فقال بأبى أنت وأمى برك وعقوبتك جميعاً نقد فان رأيت أن تبدأ بقتل هذا فاذا فرغ منه أمرته فأعطانى فانى لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك ، قال ولم ويلك ؟ قال أخشى أن يغلط فيما بيننا والغلط فى هذا لا يستقال ، فضحك وأجابه الى ما سأل

الفرزدق

همام بن غالب بن صعصعة الدارمى من دارم بن مالك بن حنظلة أمه لينة بنت قرظة الضبية وجده صعصعة يقال له محيي الموءودات وكان جعل على نفسه ألاَّ يسمع بمؤودة إلا فداها ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره ، ومنها قصيدته التى أولها

أبى أحد الغيثين صعصعة الذى ... متى تُخْلِف الجوزاء والدلو يَمْطر

أجار بنات الوائدين ومن يُجِرْ ... على الفقر يَعلم أنه غير مُخْفَر

على حين لا تحيا البنات واذ هُمُ ... عكوفاً على الأصنام حول المدوَّر

أنا ابن الذى رد المنية فضله ... فما حسب دافعت عنه بمعور

وفارق ليلى فى نساءٍ أتت أبى ... تمارس ريحاً لها غير مقمر

فقال اجر لي ما ولدت فانني ... أتيتك من هزل الحمولة مقتر

رأى الأرض منها راحة فرمى بها ... الى جدد منها الى شر مخفر

فقال لها فيئى فانى بذمتى ... لبنتك جار من أبيها القنور

ووفد غالب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بفعله فى الموءودات ،

فاستحسنه وسأله هل لي فى ذلك من أجر ؟ قال نعم ، وعمر حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة وأظنه مات فى امارة يزيد وملك معاوية

قال صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليَّ الاسلام فأسلمت وعلمنى آيات من القرآن ، فقلت يا رسول الله انى عملت أعمالاً فى الجاهلية هل فيها من أجر ؟ فقال وما عملت ؟ فقال انى أضللت ناقتين لي عُشَراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان فى فضاء الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له هل أحسست من ناقتين عُشَراوين ؟ قال وما نارهما ؟ (يعنى السِّمة) ، فقلت ميسم بنى دارم ، فقال قد أصبت ناقتيك ونتجناهما وظأرنا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مُضَر ، فبينا هو يخاطبنى اذ نادته امرأة من البيت الآخر قد ولدت ، فقال وما ولدت ؟ ان كان غلاماً فقد شركنا فى قوتنا وان كانت جارية فادفنوها ، فقالت هى جارية أفأئدها ؟ فقلت وما هـذا المولود ؟ قال بنت لي ، فقلت إنى أشتريها منك ، فقال يا أخا بنى تميم أتقول لى أتبيعنى ابنتك وقد أخبرتك أنى من العرب من مضر ، فقلت انى لا أشترى منك رقبتها وانما أشترى دمها لئلا تقتلها ، فقال وبمَ تشتريها ؟ فقلت بناقتي هاتين وولديهما ، قال لا حتى تزيدنى هذا البعير الذى تركبه ، قلت نعم على أن ترسل معى رسولاً ، فاذا بلغت أهلى رددت اليك البعير ، فلما كان فى بعض الليل فكرت في نفسى فقلت ان هذه مكرمة ما سبقنى اليها أحد من العرب فظهر الاسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موءودة أشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي فى ذلك من أجر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام هذا باب من البر ولك أجره اذ من الله عليك بالاسلام ، ومصداق ذلك قول الفرزدق

وجدي الذى منع الوائدات ... وأحيا الوئيـــد فلم توءد

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى حملت حمالات في الجاهلية والاسلام وعليَّ منها الف بعير فأديت من ذلك سبعمائة ، فقال له ان الاسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر ، فقال حسبي حسبي ووفى بها ، وكان صعصعة شاعرا وهو الذى يقول

إذا المرء عادى من يوَدُّك صدره ... وكان لمن عاداك خِدْناً مصافيا

فلا تسألن عما لديه فانه ... هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسألوهم فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم فهو أفضلهم ، فاختاروا عمير بن السُّلَيك بن قيس ابن مسعود الشيبانى وطلبة بن قيس بن عامر المِنْقَرى وغالب بن صعصعة أبا الفرزدق فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة فقال من أنتم ؟ فانصرفوا عنه ثم أتوا طلبة بن قيس فقال لهم مثل قول الشيبانى ، فأتوا غالباً فسألوه فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألهم من هم ، فساروا ليلة ثم ردوها وأخذ صاحب غالب الرهن

وفى ذلك يقول الفرزدق

واذ نادَبَتْ كلب على الناس أيُّهم ... أحق بتاج الماجد المتكرم

على نَفَرٍ هم من نزار ذوى العلا ... وأهل الجرائيم التي لم تهدَّم

فلم يَجْزِ عن أحسابهم غير غالب ... جرَى لعِنان كل أبيضَ مِخْذَم

أجدبت بلاد تميم وأصابت بنى حنظلة سنة في خلافة عثمان فبلغهم خِصْب عن بلاد كلب بن وَبْرة فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادى ، وتسرع غالب بن صعصعة وحده دون بني مالك فنحر ناقته فأطعمهم إياها فلما غادرت ابل سُحَيم ابن وَثيل الرِّياحى حبس منها ناقة فنحرها من غد ، فقيل لغالب انما نحر سحيم مواءمة لك « أى مساواة لك » فضحك غالب وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر ذلك ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بنى يربوع

فعقر سحيم ناقتين ، فقال غالب الآن علمت أنه يوائمني ، فعقر غالب عشراً فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعله ضحك وكانت ابله ترد لخمس ، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها فالمكثر يقول كانت أربعمائة والمقل يقول كانت مائة فأمسك سحيم حينئذ ثم انه عقر في خلافة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في كناسة الكوفة مائتي ناقة و بعير فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم و رآهم علي عليه السلام فقال يأيها الناس لايحل لكم انما أهل به لغير الله عز وجل ، وكان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول يا بني اردد عليَّ والفرزدق يردها عليه ويقول يا أبت اعقر ، قال جهم فلم يغن عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب اذ لم يطق فعله

ومات غالب في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه

لقد ضمت الأكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب

درجة الفرزدق في الشعر

جاء غالب أبو الفرزدق الى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة فقال ان بُنَيَّ هذا من شعراء مُضَر فاسمع منه ، قال علمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى ألاَّ يحل قيده حتى يحفظ القرآن ، قال محمد بن يحيى فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة وندع ما قبل ذلك لان مجيئه بعد الجمل على الاستظهار كان في سنة ست وثلاثين وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في خلافة هشام هو وجرير والحسن وابن سيرين في سنة أشهر ، وقال الفرزدق كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان ، قيل للمفضل الضبي الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق ، قيل ولم ؟ قال لانه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين فقال

عجبت لعِجْل إذ تُهاجي عبيدها كما آل يربوع هَجَوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير

ان الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما إستار

فقال وأي شيء أهون من أن يقول الانسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة ، وقال أبو عبيدة كان الشعراء فى الجاهلية من قيس وليس فى الاسلام مثل حظ تميم في الشعر وأشعر تميم جرير والفرزدق ، قال يونس بن حبيب ماذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، وكان يونس فرزدقياً ، وقال الفرزدق لحماد الراوية أأنا أشعر أم جرير ؟ قال أنت فى بعض وهو فى بعض ، قال لم تناصحنى ، فقال هو أشعر منك اذا أرخى من خناقه وأنت أشعر منه اذا خفت أو رجوت ، قال وهل الشعر إلا في الخير والشر ، وقال جرير لابى الزناد يا أبا عبد الرحمن أنا أشعر أم هذا الخبيث ؟ « يعنى الفرزدق » وناشده ليخبرنه ، فقال لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك فى النسيب ، قال أوه قضيت والله له علىّ أنا والله أخبرك مادهانى الا أنى هاجيت كذا وكذا شاعراً فسمى عدداً كثيراً وانه تفرد لي وحده ، قال ابن سلام وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلّداً والمقلّد البيت المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل ، فمن ذلك قوله

فيا عجباً حتى كليب تسبنى كأن أباها نَهْشَل أو مجاشع

وقوله

وكنا اذا الجبار صعّر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله

وكنت كذئب السَّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله

ترجى ربيع أن يجىء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

وقوله

أكلت دوابرَها الإكامُ فمشيها مما وُجئن كمشية الاعياء

وقوله

قوارص تأتيني ويحتقرونها ... وقد يملأُ القطر الاناء فيفعم

وقوله

أحلامنا تزن الجبال رزانة ... وتخالنا جناً اذا ما نجهل

وقوله

فان تنج منى تنج من ذى عظيمة ... والا فانى لا إخالك ناجيا

وقوله

ترى كل مظلوم إلينا فراره ... ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها ... وتقطعن أحياناً مناط القلائد

وقوله

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا ... وان نحن أومأنا الى الناس وقَّفوا

وقوله

وانك اذ تسعى لتدرك دارماً ... لأَنت المغنَّى يا جرير المكلف

وقوله

ولو خُير السَّيدي بين غَوَاية ... ورشد أتى السيدي ما كان غاوياً

وقوله

والشيب ينهض فى السواد كأَنه ... ليل يصيح بجانبيـــــه نهار

وكان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو ، من ذلك قوله يمدح هشام بن اسمعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك

وما مثله فى الناس الا مُملـكاً ... أبو أمـــــه حى أبوه يقاربه

وقوله

تالله قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت سفهاؤها حلماءها

وقوله

ألستم عائجين بنا لعنّا نرى العرَصات أو أثر الخيام

فقالوا ان فعلت فأغن عنا دموعاً غير راقئة السجام

وقوله

فهل أنت إن فاتت أتانك راحل الى آل بسطام بن قيس فخاطب

وقوله

تعال فان عاهدتنى لا تخونني نكن مثل من « يا ذئب » يصطحبان

وقوله

إنا وإياك إن بلغن أرحلنا كمن باديه بعد المحل ممطور

وقوله

بنى الفاروق أمك وابن أَرْوَى به عثمان مروان المصابا

وقوله

الى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت قريش تصاهره

وقوله

اليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المنايا الهَوْجل المتعسف

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً أو مجلّف

وقوله

ولقد دنت لك بالتخلف اذ دنت منها بلا بخل ولا مبذول

وكأن لون رُضاب فيها اذ بدا برد بفرع بشامة مصقول

وقوله فيها لمالك بن المنذر

أن ابن ضبّاريْ ربيعة مالكاً لله سيف ضبيعة مسلول
ما نال من آل المعلّى قبله سيف لكل خليفة ورسول

قال أبو الفرج والفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الاطالة فى الوصف ، وقد تكلم الناس فى هذا قديماً وحديثاً وتعصبوا واحتجوا بما لامزيد فيه واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة فى أيهم أحق بالتقدم على سائرها ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لانه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل مالهما من فنونه ولا تصرف كتصرفهما فى سائره وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما وهم فى ذلك طبقتان أما من كان يميل الي جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السَّمْح السهل الغزل فيقدم جريراً

وسئل ابن دأب عن جرير والفرزدق فقال الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة ، وسئل أبو البيداء عن ذلك فقال ألم تسمع الفرزدق يقول

ماحملت ناقة من معشر رجلا مثلى اذا الريح لفتنى على الكُور
إلا قريشاً فان الله فضلها مع النبوة بالاسلام والخِير

ويقول جرير

لا تحسبن مراس الحرب إذ لقحت شرب الكسيس[1] وأكل الخبز بالصير

سلح والله أبو حَزْرة ، وقال الفرزدق كنت أهاجى شعراء قومى وأنا غلام فى خلافة عثمان بن عفان فكان قومى يخشون معرة لسانى منذ يومئذ ، قيل للفرزدق مالك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ولا كان صعصعة شاعراً فمن أين لك هذا ؟ قال من قبل خالي العلاء بن قَرَظة الذي يقول

(١) شراب يتخذ من الذرة والشعير

اذا ما الدهر جرّ على أناس بكلكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقي الشامتون كما لقينا

غارة الفرزدق على الشعراء

قال أبو عبيدة مر ذو الرمة فاستوقفه أصحابه فوقف ينشدهم قصيدته التى يقول فيها

أحين أعاذت بى تميم نساءها وجُرِّدت تجريد اليمانى من الغِمد
ومدّ بضبْعَيَّ الرِّباب ودارم وجاشت ورامت من ورائى بنو سعد

فقال له الفرزدق إياك أن يسمعهما منك أحد فأنا أحق بهما منك ، فجعل ذو الرمة يقول أنْشُدك الله فى شعري ، فقال اغرُب ، فأخذهما الفرزدق فما يعرفان الا له وكف ذو الرمة عنهما

قال عمر بن شبة كان الفرزدق مهيباً نخافه الشعراء فمر يوماً بالشمردل اليربوعى وهو ينشد قصيدة حتى بلغ الى قوله

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غـــير حزّ العلاقم

فقال والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك ، فقال خذه على كره منى لا بارك الله لك فيه فجعله الفرزدق فى قصيدته التي أولها

تَحِنّ بزَوْراء المدينـــة ناقتى حنين عجول تبتغى البوّ رائم

وقال محمد بن سلام بلغ الفرزدق قول ابن ميادة

لو أن جميع الناس كانوا بتَلْعة وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فقال الفرزدق وددت أنى سبقت الى هذين البيتين قبلُ ، قيل له فكنت تقول ما ذا ؟ قال كنت أقول « وجئت بجدى دارم وابن دارم » ثم أدخلهما بعد فى شعره وقال أبو سهيل ان قول الفرزدق فى رائيته التى يناقض بها جريراً حين يقول

كم من أب لي يا جرير كأنه قمر المجرَّة أو سراج نهار
لا تدركوا كرمي بلؤم أبيكمُ وأوابدي بتنحل الأشعار

ان هذين البيتين للراعي وان الفرزدق انتحلهما فصارا له

وقال موهوب بن رشيد الكلابي قدم الفرزدق المدينة فمر بجماعة من الناس قد استكفُّوا على جميل وهو ينشد ، فوقف بين الناس يستمع له حتى قال

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقَّفوا

فصاح به الفرزدق أنا أحق بهذا البيت منك ، فرفع جميل رأسه فعرفه فقال أنشدك الله يا أبا فراس ، قال نحن أولى به منك وانصرف فانتحله ، وقال احمد بن أبي طاهر قال النابغة الجعدي

وصهباء لا تخفي القذى وهي دونه تُصفَّق في راووقها ثم تُقْطَب
تمزنتها والدّيك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنَوْا فتصوبوا

فقال الفرزدق وأخذه نسخا

وإجّانة رَيَّا الشراب كأنها اذا صُفقت فيها الزجاجة كوكب
تمزنتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنَوْا فتصوبوا

حديث النَّوَار

النَّوَار بنت أَعْيَن بن صعصعة وهي ابنة عم الفرزدق ، خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليها فأرسلت اليه أن زوِّجني من هذا الرجل ، فقال لا أفعل أو تُشهدي أنك قد رضيت بمن زوَّجتك ، ففعلت ، فلما توثق منها قال أرسلي الى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع ، وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال هل علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدقة ،

فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص الى ابن الزبير حين أعياها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق ، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد من يحملها ، وأتت فتية من بني عديّ بن عبد مناة بن ادّ يقال لهم بنو أم النُّسير ، فسألتهم برحم تجمعهم ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أمها ليحملُنَّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدة من أهل البصرة ، فانهضوه وأوقروا له عدة من الابل وأعين بنفقه فتبع النوار ، فقال

لعمرى لقد أردى النوار وساقها ... الى البَوْر أحلام خِفاف عقولها
أطاعت بني أم النُّسير فأصبحت ... على قَتَب يعلو الفلاة دليلها
وقد سخطت منى النَّوار الذى ارتضت ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها
وان امرأً أمسى يُخَبِّب زوجتى ... كساع الى أسد الشَّرى يستبيلها
ومن دون أبوال الأسود بسالة ... وبسطة أيدٍ يمنع الضيمَ طولها
وإن أمير المؤمنين لعالم ... بتأويل ما وصى العباد رسولها
فدونكها يا ابن الزبير فانها ... مولعة يوهى الحجارة قيلها
وما جادل الأقوام من ذى خصومة ... كَوَرْهاء مشنوء اليها حليلها

فأدركها وقد قدمت مكة ، فاستجارت بخَوْلة بنت منظور بن زَبَّان الفزاري وكانت عند عبد الله بن الزبير ، فلما قدم الفرزدق مكة اشرأبَّ الناس اليه ونزل على بنى عبد الله بن الزبير ، فاستنشدوه واستحدثوه ثم شفعوا له الى أبيهم ، فجعل يشفعهم فى الظاهر حتى اذا صار الى خَوْلة قلبته عن رأيه ، فمال الى النوار ، فقال الفرزدق فى ذلك

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم ... وشُفِّعت بنت منظور بن زَبَّانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزراً ... مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

ومدح حمزة بن الزبير فقال

أمسيت قد نزلت بحمزة ناقتي ... ان المنوه باسمه الموثوق
بأبي عمارة خير من وطىء الحصا ... وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحواريـــيِّ الأغرّ وهاشم ... ثم الخليفة بعد والصـــــديق

وقال له

يا حمز هل لك فى ذى حاجة عرضت ... أنصاره بمكان غير ممطور
فأنت أحرى قريش أن تكون لها ... وأنت بين أبى بكر ومنظور
بين الحوارىّ والصديق فى شعب ... ثبتين فى طُنُب الاسلام والخير

وسفر بين الفرزدق والنوار رجال من بني تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا الى البصرة ولا يجمعهما ظلٌّ ولا كِنٌّ حتى يجمعا فى أمرهما ذلك بنى تميم ، ويصيرا على حكمهم ، ففعلا ، فلما صارا الى البصرة رجعت اليه النوار بحكم عشيرتها ، ويروى أن ابن الزبير قال للفرزدق جئنى بصداقها والا فرقت بينكما ، فقال الفرزدق أنا فى بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له عليك بسلم بن زياد فانه محبوس فى السجن يطالبه ابن الزبير ، فذهب اليه فقص عليه قصته ، قال كم صـداقها ؟ قال أربعة آلاف ، فأمر له بها و بألفين للنفقة ، فقال الفرزدق

دعى مغلق الأبواب دون فعالهم ... ولـكن تمشَّىْ بى هُبلت الى سَلْم
الى من يرى المعروف سهلا سبيلُه ... ويفعل أفعال الرجال التى تَنْمِى

ومكثت النوار عنـده زماناً ترضى عنه أحياناً وتخاصمه أحياناً ، وكانت النوار امرأة صالحة ، فلم تزل تشـمئز منه وتقول له ويحك أنت تعلم أنك انما تزوجت بى ضغطة وعلى خدعة ثم لا تزال فى كل ذلك حتى حلفت بيمين موثقة ثم حنثت ، وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جُهَيْمة من النمر بن قاسط حلفاء لجرير ابن عباد بن ضبيعة فجعل يأتى النوار وبه رَدْع وعليه الأثر ، فقالت له النوار هل يزوجتها الاهدادية ؟ تعنى حيا من أزْد عُمان ، فقال الفرزدق فى ذلك

تريك نجوم الليل والشمس حية ... زِحام بنات الحرث بن عبـاد
أبوها الذى قاد النعامة بعدما ... أبت وائل فى الحرب غير تمـاد
نساء أبوهن الأغر ولم تكن ... من الأزد فى جاراتها وهِداد
ولم يك فى الحى الغموض محلها ... ولا فى العُمانيين رهط زياد
عدلتُ بها ميلَ النّوار فأصبحت ... وقد رضيت بالنصف بعـد بعاد

فلم تزل النوار ترققه وتستعطفه حتى أجابها الى طلاقها وأخذ عليها بألاَّ تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ذلك ، قال أبو شقفل راوية الفرزدق ما استصحب الفرزدق أحداً غيرى وغير راوية آخر وقد صحبت النوارُ رجالا كثيرة إلا أنهم كانوا يلوذون بالسوارى خوفاً من أن يراهم الفرزدق فأتيا الحسن فقال له الفرزدق يا أبا سعيد ، قال له الحسن ما تشاء ؟ قال اشهد أن النوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن قد شهدنا ، فلما انصرفنا قال يا أبا شقفل قد ندمت ، فقلت والله انى لأظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجَمنَّ بأحجارك فمضى وهو يقول

ندمت ندامة الكُسَعِيّ لما ... غدت منى مطلقـة نَوار
ولو أنى ملكت يدى وقلبي ... لكان علىَّ للقدر الخيـار
وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقىء عينيه عمداً ... فأصبح ما يضىء له النهار

تزوج الفرزدق حمدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيبانى وخاصمته النوار وأخذت بلحيته فجاءت بها وخرج وهو يقول

قامت نوار الىّ تنتف لحيتى ... تنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما أسد اذا ما أغضبت ... واذا رضين فهن خير معاش

والخشخاش رجل من عنزة ، وجعدة امرأته ، فجاءت جعدة الى النوار فقالت مايريد منى الفرزدق أما وجد لامرأته أسوة غيرى ، وقال الفرزق للنوار يفضل عليها حَدْراء

لعمرى لأعرابيـة فى مظلة ... تظل بروْقَيْ بيتها الريح تخفق
أحب الينا من ضِناك (١) مِفنَّة ... اذا وضعت عنها المراويح تعرق
كريم غزال أو كدرة غائص ... تكاد اذا مرت لها الارض تشرق

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت الى جرير وقالت للفرزدق والله لأَخزينك يافاسق ، فجاء جرير فقالت أما ترى ماقال الفاسق ؟ وشكته وأنشدته شعره ، فقال جرير أنا أكفيك وأنشأ يقول

ولست بمعطِى الحكم عن شفٍّ منصب ... ولا عن بنات الحنظليين راغب
أراهن ماء المزن يشفى به الصدا ... وكانت ملاحاً غيرهن المشارب
لقد كنت أهلاً اذ تسوق دياتكم ... الى آل زيق أن يعيبك عائب
وما عدلت ذات الصليب ظعينة ... عتيبة والرِّدفان منهـا وحاجب
أأهديت يازيق بن زيق غريبة ... الى شر ما تهدى اليه الغرائب

فأجابه الفرزدق فقال

تقول كليب حين مثت سِبالها ... وأخصب من مَرُّوتها (٢) كل جانب
ألست اذا القعساء أنسل ظهرها ... الى آل بسطام بن قيس بخاطب
وقالوا سمعنا ان حدراء زوجت ... على مائة شمّ الذرى والغوارب
فلو كنت من ألفاء حدرة لم تَلُم ... على دارمى بين ليـــلى وغالب
وانى لأخشى إن خطبت اليهم ... عليك الذى لاقى يَسار الكواعب

(١) الضناك الموثق الخلق الشديد للذكر والانثى والمرأة المكتنزة الثقيلة العجز ، ورجل مفن يأتي بالعجائب وامرأة مفنة (٢) المروت واد بالعالية

ولو تُنكِح الشمسُ النجومَ بناتِها ... اذاً لنكحناهن قبل الكواكب

دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء التميمية يستميحه مهرها، فقال له تزوجت أعرابية على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد انما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، فقال له الحجاج ليس غيرها، يا كعب أعط الفرزدق ألفي درهم، وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل فقال الفرزدق قد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة على أن يحتسب له فان رأى الأمير أن يأمر لي باثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ونسي ما كان أمر له به، فلما جاء الفرزدق بالابل قالت له النوار خسرت صفقتك أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين على مائة من الابل فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة

لجارية بين السليل عروقها ... وبين أبي الصهباء من آل خالد

أحق باغلاء المهور من التي ... ربت تتردى في حجور الولائد

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها فحبس بعضها وامتار عليه ما يحتاج اليه أهل البادية ومضى حتى اذا وقف على نادي زيق وهو جالس فرحب به وقال له انزل فان حدراء قد ماتت، وكان زيق نصرانياً، فقال قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف وهو لك عندنا، فقال الفرزدق والله لا أرزؤك منه قطميرا، فقال زيق يا بني دارم ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق

عجبت لحادينا المقسم سيره ... بنا موجفات من كلال وظُلَّعا

ليُدنينا ممن الينا لقاؤه ... حبيب ومن دار أردنا لتجمعا

ولو نعلم الغيب الذي من أمامنا ... لكرّ بنا الحادي المطيَّ فأسرعا

يقولون زر حدراء والترب دونها ... وكيف بشيء وصله قد تقطعا

ولست وان عزت إليّ بزائر ... ترابا على مرموسة قد تضعضعا

تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من مجاشع بعد أن أسن فضعف وتركها عند أمها بالبادية سنة ولم يكن صداقها عنده فكتب الى أبان بن الوليد البجلي وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْرى فأعطاه فقال يمدحه

فلو جمعوا من الخلان ألفا ... فقالوا أعطنا بهمُ أبانا
لقلت لهم اذا ما تغبنوني ... وكيف أبيع من شرط الزمانا
خليل لا يرى المائة الصفايا ... ولا الخيل الجياد ولا القِيانا
عطاء دون أضعاف عليها ... ويطعم ضيفه العُبُط[1] السمانا
فما أرجو لظبية غير ربى ... وغير أبى الوليد بما أعانا
أعان بهجمة ورضا أباها ... وكانت عنده غلقا رهانا

وقال أيضاً

لقد طالما استودعت ظبية أمها ... وهذا زمان رد فيه الودائع

وقال حين أراد أن يبني بها

أبادر سؤالا بظبية انني ... أتتني بها الأهوال من كل جانب
ثمالية الحجلين لو أن ميتاً ... ولو كان فى الأموات تحت النصائب
دعته لألقى الترب عند انتفاضه ... ولو كان تحت الراسيات الرواسب

وقد نشزت منه ظبية ونافرته الى المهاجر وبلغه قول جرير

لو قد علقت من المهاجر سلما ... لنجوت منه بالقضاء الفاصل

فقال لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها ،

وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية وكانت زنجية وكان اذا حمي الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتني بها ويقول

ذاكم اذا ما كنت ذا محمية ... بدارمى أمه ضبّية
صمحمح يكنى أبا مكية

(١) العبط الابل التى لا وجع بها

وقال في أم مكية

فان يك خالها من آل كسرى فكسرى كان خيراً من عقال
وأكثر جزية تُهدى اليه وأصبر عند مختلف العوالي

وكانت أم النوار خراسانية فقال لها فى أم مكية

أغرك منها لَوْثة عربية علت لونها ان البِجادى أحمر

وكانت له جارية حملت منه ثم ماتت فبكاها وبكى ولده منها فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أَنُح عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جفنه من دارم ذو حفيظة لو آن المنايا أنسأته لياليا
ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى فلم يستطع رداً لما كان جائيا

وكان للفرزدق ثلاثة أولاد لبطة وحنظلة وسبطة ، وكان لبطة من العَقَقة ، فقال له الفرزدق

أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت يداك يدى ليث فانك جاذبه
اذا غالب ابن الشباب أبا له كبيراً فان الله لا بد غالبه
رأيت تباشير العقوق هي التى من ابن امرئ ما ان يزال يعاتبه
ولما رآنى قد كبرت وأنني أخوالحى واستغنى عن المسح شاربه
أصاخ لعربان النجى وانه لأزورُ عن بعض المقالة جانبه

أتى الفرزدق عبد الله بن سلم الباهلى فسأله فثقل عليه الكثير وخشيه فى القليل وعنده عمرو بن عفراء الضبي فقال لعبد الله لايهولنك أمره أنا أرضيه عنك بدون ما كان هم له به فأعطاه ثلاثمائة درهم فقبلها الفرزدق ورضى فبلغه صنيع عمرو فقال

ستعلم ياعمرو بن عفرا من الذى يلام اذا ما الأمر غبّت عواقبه
فلو كنت ضبياً صفحت ولوسرت على قدمى حياته وعقاربه
ولكن ديافي أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولما رأى الدهنا رمته جبالها وقالت ديافى مع الشام جانبه
فان تغضب الدهنا عليك فما بها طريق لمرتاد تقاد ركائبه
تضن بمال الباهلى كأنما تضن على المال الذى أنت كاسبه
وان امرأ يغتابنى لم أطأ له حريماً ولا ينهاه عنى أقاربه
كمحتطب يوماً أساود هضبة أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه
أحين التقى نابلى وابيض مسحلى وأطرق اطراق الكرى من يجانبه

ومن قوله يمدح سليمان بن عبد الملك

وكم أطلقت كفاك من غُلّ بائس ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها
كثير من الايدى التى قد تكتفت فظلت وأعناقاً عليها غلالها

لما عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعمر بن هُبيرة قال الفرزدق

ولت بمسلمة الركاب مودعا فارعَيْ فزارة لا هناك المرتَع
فسد الزمان وبدلت أعلامه حتى أميـة عن فَزارة تنزع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت أن سوف تطمع في الامارة أشجع
ونخلق مثلك ماهمُ ولمثلهم فى مثل ما نالت فزارة مطمع
عزل ابن بشر[1] وابن عمرو قبله[2] وأخو هراة[3] لمثلها يتوقع

ولما عزل ابن هبيرة بخالد بن عبد الله القسرى حبسه خالد فى السجن فنقب له سرب فخرج منه فهرب الي الشأم فقال فيه الفرزدق

لما رأيت الارض قد سد ظهرها ولم تر الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

(١) عبد الملك بن بشر بن مروان كان على البصرة (٢) سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة (٣) عبد العزيز بن الحكم بن أبى العاص

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة سوى رَبَذ[1] التقريب من آل أعوجا
أغر من اللُّحق اللهاميم اذ جرى جرى بك محبوك القرَى غير أفحجا
جرى بك عريان الحمانين ليله به عنك أرخى الله ما كان أشرجا[2]
وما احتال محتال كحيلته التى بها نفسه تحت الصريمة أولجا
وظلماء تحت الارض قد خضت هولها وليل كلون الطيلسانى أدعجا
هما ظلمتا ليل وأرض تلاقتا على جامع من همه ما تعرجا

وقال فى خالد وقد حفر النهر الذى سماه المبارك وأمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر فقال الفرزدق

أهلكت مال الله فى غير حقه على النهر المشئوم غير المبارك
وتضرب أقواماً صحاحا ظهورهم وتترك حق الله فى ظهر مالك
أإنفاق مال الله فى غير كنهه ومنعاً لحق المرملات الضرائك

دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده

ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الخطب فى الحدثان غالا
وقوفاً ينظرون الى سعيد كأنهم يرون به هلالا

ومن فخره

وما قوم اذا العلماء عدت عروق الأكرمين الى تراب
بمختلفين ان فضلتمونا عليهم فى القديم ولا غضاب
ولو رفع السحاب اليه قوماً علونا فى السماء الى السحاب

ولما ذكر فى شعره خالدا القسرى ومالك بن المنذر حبسه خالد، فمدحهما وهو محبوس مديحاً كثيراً منه

(١) الربذ خفة القوائم فى المشى وأعوج فرس مشهور (٢) أشرجه شده بالشرج وهو العرى

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل ... وليعلمن من القصائد قيلي
يا مال هل لك في كبير قد أتت ... تسعون فوق يديه غير قليل
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي ... عني وتطلق لي يداك كبولي
ولقد بنى لكم المعلّى ذروة ... رفعت بناءك في أشم طويل
والخيل تعلم في جذيمة أنها ... تردي بكل سميذع بُهلول
فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم ... بذَنوب ملتهم الرباب سجيل

وقال لابنه لبطة وهو محبوس اشخص الى هشام ومدحه بقصيدة وقال استعن بالقيسية ولا يمنعك قولي فيهم فانهم سيغضبون لك وقال

بكَت عين محزون ففاض سجامها ... وطالت ليالي حادث لا ينامها
فان تبك لا تبك المصيبات اذ نأى ... بها الدهر والأيام جم خصامها
ولكنما تبكي تهتك خالد ... محارم منا لا يحل حرامها

فأعانته القيسية وقالوا كلما كان في قيس ناب أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد.

وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها الى سعيد بن الوليد الأبرش

الى الأبرش الكلبي أسندت حاجة ... تَوَاكلها حيا تميم ووائل
على حين ان زلت بي النعل زلة ... فأخلف ظني كل حاف وناعل
فدونكمُ يا ابن الوليد فانها ... مفضلة أصحابها في المحافل
ودونكها يا ابن الوليد فقم بها ... قيام امرىء في قومه غير خامل

فكلم هشاماً فأمر بتخليته ، فقال يمدح الأبرش

لقد وثب الكلبي وثبة حازم ... إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا
الى خير أبناء الخليفة لم يجد ... لحاجته من دونها متأخرا
أبى حِلف كلب في تميم وعقدها ... كما سنت الآباء أن يتغيرا

وكان هذا الحلف حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهلية

وقال

ألم تر قيساً قيس عيلان شمرت ... لنصرى وحاطتنى هناك قرومها
فقد حالفت قيس على الناس كلهم ... تميما فهم منهـــا ومنها تميمها
وعادت عدوى ان قيساً لأسرتى ... وقومى اذا ما الناس عد صميمها

وقال يمدح بني المهلب

فلأمدحن بني يزيد مدحة ... غرّاء قاهرة على الأشـــعار
مثل النجوم أمامها قمراؤها ... تجلو العمى وتضىء ليل السارى
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى ... وخلائقاً كتدفق الأنهار
كان المهلب للعراق وقاية ... وحيا الربيع ومعقل الكرار
واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار
مازال مذ شـــد الازار بكفه ... ودنا فأدرك خمسة الأشبار
أيزيد انك للمهلب أدركت ... كفاك خير خلائق الأخيار

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بنى مروان ، ففاخره قوم من الشعراء فقال

ما حملت ناقة من معشر رجلاً ... مثلى اذا الريح لفتنى على الكور
أعز قوماً وأوفى عند مكرمة ... معظم من دماء القوم مهجور
الا قريشاً فان الله فضـــلها ... على البرية بالاســـلام والخير
تلقى وجوه بنى مروان تحسبها ... عند اللقاء مشوفات الدنانير

غضب زياد على الفرزدق وأخافه ، فأتى عيسى بن خصيلة البهزى السلمى ، فرحب به وأعطاه ناقة أرحبية يركبها الى الشام ، فركب الناقة وخرج من عنده ليلاً ، وقال يمدحه

كفانى بها البهزىّ حملان من أبى ... من الناس والجانى تخاف جرائمه
فتى الجود عيسى ذو المكارم والعلا ... اذا المال لم ترفع بخيلا كرائمه

ومن كان يا عيسى يؤنب ضيفه فضيفك يا عيسى هنيئاً مطاعمه
وقال تعَلَّمْ أنهـــا أَرْحَبِيَّة وأن لك الليل الذى أنت جاشمه
فأصبحت والملقى ورائى وحنبل وما صدرت حتى تلا الليل عاتمه
ثمرت على أهل الحُفير كأنهـا ظَليم تبارى جنح ليـل نعائمه
رأت بين عينيها رُوَيّة وانجلى لها الصبح عن صَعْل أسيل مخاطمه

وقال

تداركني أسباب عيسى من الرَّدَى ومن يك مولاه فليس بواحد
نمته النواصى من سُلَيم الى العلا وأعراق صدق بين نصر وخالد
سأثنى بمـا أوليتني وأَرُبُّه اذا القوم عدوا فضلهم فى المشاهد

وسار الى المدينة وعليها سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية فأمنه، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال لو أتانى أمنته وأعطيته فقال فى كلمة له

دعانى زياد للعطاء ولم أكن لآتيه ما ساق ذو حسب وقرا
وعنـد زياد لو أراد عطاءهم رجال كثير قد يرى بهمُ فقرا
قعود لدى الابواب طلاب حاجة عَوَانٍ من الحاجات أو حاجة بكرا
فلمـا خشيت أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو مُحَدْرجـة سمرا
نميت الى حرف أضر بِنِيَّها سُرَى الليل واستعراضها البلد القفرا

وقال فى سعيد بن العاص

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلغلة يَخُبُّ بها البريد
بأنى قد فررت الى سـعيد ولا يُسْطاع ما يحمى سـعيد
فررت اليه من ليث هِزَبْر تفادى عن فريسته الأُسود
فان شئت انتميت الى النصارى وناسـبني وناسبت العبيد
وان شئت انتميت الى فُقَيم وناسبني وناسبت القرود

وأبغضهم إليّ بنو فُقَيم ولكن سوف آتي ما تريد

مرَّ أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق وهو يهنأ بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء أكسد شعرك واطَّرحتك الملوك فصرت الى مهنة ابلك ؟ فقد أمرت لك بمائة بعير فقال الفرزدق يمدحه

ان السماح الذي في الناس كلهمُ قد حازه الله للفضال أسماء
يعطي الجزيل بلا من يكدره عفواً ويُتبع آلاءً بنعماء
ماضر قوماً إذا أمسي يجاورهم ألا يكونوا ذوي إبْل ولا شاء

وفد الحُتات عم الفرزدق على معاوية فمات ، فأمر معاوية بماله فأُدخل بيت المال فخرج الفرزدق الى معاوية وهو غلام فمثل بين يديه وقال

أبوك وعمي يا معاوى أورثا تراثاً فيحتاز التراب أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث حرب جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الأمر في جاهلية علمت مَن المولى القليل حلائبه
ولو كان هذا الأمر في ملك غيركم لأُداه لي أو غص بالماء شاربه

فقال له معاوية من أنت ؟ قال أنا الفرزدق ، قال ادفعوا اليه ميراث عمه الحتات وكان الف دينار ، فدفع اليه

حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غُمار الناس في الطواف فقال من هذا الشاب الذي تَبْرُق أسِرَّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارَى الحي وجوهَها ؟ فقالوا هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتَه والبيت يعرفه والحِلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهمُ هذا التقي النقي الطاهر العَلَم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك من هذا بضائره ... العُرب تعرف من أنكرت والعجم

اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم

يُغضِى حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خَيْزُران ريحها عبق ... من كف أَرْوَعَ فى عِرْنينه شمم

يكاد يمسكه عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيم اذا ماجاء يستلم

الله شرفه قِدماً وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم

أى الخلائق ليست فى رقابهم ... لأولية هذا أو له نعم

من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأُمم

ينمِى إلى ذروة الدين التى قَصُرَت ... عنها الأكف وعن ادراكها القدم

مَنْ جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأُمم

مشتقة من رسول الله نَبْعته ... طابت مغارسه والخِيم والشيم

ينشق ثوب الدُّجَى عن نور غُرّته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

من معشر حبهم دين وبغضهمُ ... كفر وقربهمُ منْجًى ومعتصَم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهمُ ... فى كل بدء ومختوم به الكلم

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل من خير أهل الارض ؟ قيل هم

لا يستطيع جواد بعدُ جودَهمُ ... ولا يدانيهمُ قوم وان كرموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهمُ ... ويستربّ به الاحسان والنعم

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينه فقال

أتحبسنى بين المدينة والتى ... اليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعيناً له حَوْلاء بادٍ عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فأطلقه

كان فتى فى بني حرام بن سماك شويعر قد هجا الفرزدق فأخذه قومه فأتوا به الفرزدق وقالوا هو بين يديك فان شئت فاضرب وان شئت فاحلق لا عَدْوَى عليك ولا قصاص فخلى عنه وقال

فمن يك خائفاً لأذاة قولى فقد أمن الهجاء بنو حرام
هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

الفرزدق وزياد

كان سبب هرب الفرزدق من زياد وهو على العراق أنه كان هجا بنى فُقَيم فقال فيهم

وآب الوفد وفد بني فُقَيم بأخبث ما تؤب به الوفود
أتونا بالقرود معاديها فصار المجد للجد السعيد

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيمى والأَشهب بن رُمَيلة بأبيات منها قوله

تمنى ابن مسعود لقائى سفاهة لقد قال مينا يوم ذاك ومنكرا
غَناء قليل عن فُقَيم ونَهْشَل مُقام هجين ساعة ثم أدبرا

يعنى الأشهب بن رميلة ، وكان الأَشهب خطب الى بنى فقيم فردوه وقالوا له اهج الفرزدق حتى نزوجك ، فرجز به الأَشهب فقال

يا عجبا هل يركب القَيْن الفرس وعرق القين على الخيل نَجَس
وانما سلاحه اذا حبس الكلبتان والعَلاة والقبس

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه فأرفث له وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء فشكوه الى زياد وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عنده ، فطلبه زياد فهرب فأتى بكر ابن وائل فأجاروه ، فقال الفرزدق

انى وان كانت تميم عمارتى وكنت الى القُدْموس منها القماقم

لَمُثْنٍ على أفناء بكر بن وائل ثناء يوافى ركبهم فى المواسم
هم يوم ذى قار أناخوا فجالدوا برأس به تدمى رؤس الصلادم

وهرب حتى أتى سعيد بن العاصى فأقام بالمدينة يشرب ويدخل الى القيان وقال

اذا شئت غنانى من العاج قاصف على معصم ريّان لم يتخدد
لبيضاء من أهل المدينة لم تعش ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت حواليَّ فى برد يمان ومجسد
فقلت دعينى من زياد فانني أرى الموت وقافا على كل مرصد

فبلغ شعره مروان فدعاه وتوعده وأجله ثلاثاً وقال اخرج عني ، فأنشأ يقول

دعانا ثم أجلنا ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عنى انى أجبته فقلت

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة انها محظورة والحق بمكة أو ببيت المقدس

وعزم على الشخوص الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء به اليه وقال

مروانُ ان مطيتى محبوسة ترجو الحِباء وربها لم ييأس
وأتيتنى بصحيفة مختومة يخشى علىّ بها حباء النِّقْرِس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نَكِداً كمثل صحيفة المتلمّس

ورمى بها الى مروان ، فضحك وقال ويحك انك أمّيّ لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرؤها ثم ردها حتى أختمها ، فذهب بها ، فلما قرئت اذا فيها جائزة ، فردها الى مروان فختمها ، وأمر له الحسين بن على عليهما السلام بمائتي دينار ،

لما ولي خالد بن عبدالله العراق ولى مالك بن المنذر شُرْطة البصرة فقال الفرزدق

يبغض فينا شرطة البصر أننى رأيت عليها مالكاً عقب الكلب

فقال مالك علىّ به ، فمضوا به اليه فقال

أقول لنفسى اذ تغصّ بريقها ألا ليت شعرى مالها عند مالك

فسمع قوله حائك يطّلع من طرازه فقال

لها عنده أن يرجع الله ريقها اليها وتنجو من عظيم المهالك

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس وليعودن مجنوناً يصيح الناس فى أثره ، فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال هيه « عقب الكلب » قال ليس هذا قلت ، وانما قلت

ألم ترنى ناديت بالصوت مالكاً ليسمع لما غصّ من ريقه الفم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر فهن لأيدي المستجيرين محرم

قال قد عذت بمعاذ وخلى سبيله

قال ابراهيم بن محمد بن سعيد بن وقاص قدم الفرزدق المدينة فى امارة أبان بن عثمان فأتى الفرزدق وكثير عزة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار اذ طلع عليهما غلام شَخْت رقيق الأدمة فى ثوبين ممصرين فقصد نحونا ولم يسلم وقال أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق من أنت لا أم لك ؟ قال رجل من الأنصار ثم من بنى النجار ثم أنا ابن أبى بكر بن حزْم بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعمه مضر وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة فان قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل والا فأنت منتحل كذاب ثم أنشده « ألم تسأل الربع الجديد التكلما » حتى بلغ الى قوله

وأبقى لنا مر الحروب ورزؤها سيوفاً وأدراعاً وجعاً عرمرما

لنا حاضر فَعْم وبادٍ كأنه شماريخ رَضْوَى عزة وتكرما

متى ما تردنا من معدّ عصابة وغسان تمنع حوضنا أن يهدما

بكل فتى عارى الأشاجع لاحه قراع الكماة يرشح المسك والدما

ولدنا بنى العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما
نسوِّد ذا المال القليل اذا بدت مروءته فينا وان كان مُعْدِما
وانا لنقرى الضيف ان جاء طارقاً من الشحم ما أمسى صحيحاً مسلما
لنا الجفنات الغُرّ يلمعن فى الضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنشده القصيدة وهى نيف وثلاثون بيتاً وقال له قد أجلتك فى جوابها حولا، فانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه وما يدرى أين يضع طرفه حتى خرج من المسجد ، فأقبل على كثير فقال قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجتهم وأجود شعرهم ، فلم نزل فى حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا حتى اذا كان من الغد خرجت من منزلي الى المسجد الذى كنت فيه بالأمس فأتى كثير فجلس معى وانا لنتذاكر الفرزدق ونقول ليت شعرى ما صنع اذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرته حتى جلس فى مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصارى ؟ فنلنا منه وشتمناه ، فقال قاتله الله ما مُنيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ، فارقته وأتيت منزلي فأقبلت أُصَعِّد وأُصَوِّب فى كل فن من الشعر فكأنى مُفْحَم لم أقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادى بالفجر رحلت ناقتى وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا «وهو جبل بالمدينة» ثم ناديت بأعلى صوتى أخاكم أخاكم « يعنى شيطانه » فجاش صدرى كما يجيش المِرْجَل فعقلت ناقتى وتوسدت ذراعها فما سكت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً ، فبينا هو ينشد اذ طلع الأنصارى حتى اذا انتهى الينا سلم علينا ثم قال انى لم آتك لأعجلك عن الأجل الذى وقتّه لك ولكني أحببت ألاّ أراك الا سألتك إيش صنعت ، فقال اجلس وأنشده قوله

عزفت بأعشاش وما كدت تَعْزِف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
ولج بك الهجران حتى كأنما ترى الموت فى البيت الذى كنت تألف

حتى بلغ الى قوله

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وَقفوا

وأنشدها الفرزدق حتى بلغ الى آخرها ، فقام الأنصارى كئيباً ، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم فى مشيخة من الأنصار فسلموا عليه وقالوا يا أبا فِراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا أن سفيهاً من سفهائنا تعرض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تفضحنا ، قال محمد بن ابراهيم فأقبلت عليه أكلمه فلما أكثرنا عليه قال اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشى

يقول مهذب الأغانى هذه القصيدة من غر قصائد الفرزدق وعيون أشعاره وهى مائة وتسعة عشر بيتاً يقول فيها

سيعلم من سامى تميما اذا هوت ... قوائمه فى البحر من يتخلف
فسعد جبال العز والبحرُ مالك ... فلا حَضَنٌ يَبْلَى ولا البحر يُنْزَف
لنا العزة العلياء والعدد الذى ... عليه اذا عدّ الحصا يتحاف
ولا عز الا عزنا قاهر له ... ويسألنا النِّصْف الذليل فينصف
ومنا الذى لا ينطق الناس عنده ... ولكن هو المستأذن المتنصف
تراهم قعوداً حوله وعيونهم ... مكسرة أبصارها ما تَصَرّف
وبيتان بيت الله نحن وُلاته ... وبيت بأعلى إيليـــاء مشرف
لنا حيث آفاق الـــبرية تلتقى ... عميد الحصى والقَسْورى المخندف
اذا هبط الناس المحصَّب من منى ... عشية يوم النحر من حيث عرَّفوا
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا
ألوف ألوف من دروع ومن قَنًا ... وخيل كرَيْعان الجراد وحَرْشَف
وان نكثوا يوماً ضربنا رقابهم ... على الدين حتى يقبـل المتألّف
فانك اذ تسعى لتـدرك دارما ... لأنت المعنَّى يا جرير المكلَّف

قدم الفرزدق الشام وبها جرير فقال له جرير ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق انى طالما أخلفت ظن العاجز

مر الفرزدق بمحمد بن وَكيع بن أبي سود وهو على ناقة فقال له غدنى ، قال ما يحضرنى غَداء : قال فاسقنى سويقاً ، قال ما هو عندى ، قال فاسقني نبيذاً ، قال أوَصاحبَ نبيذ عهدتنى ؟ قال فما يقعدك فى الظل ؟ قال فما أصنع ؟ قال اطل وجهك بدِبس ثم تحول الى الشمس وامتد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذى تزعمه ، قال أبو عمرو فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق

شهد الفرزدق عند اياس بن معاوية فقال أجزنا شهادة الفرزدق أبى فراس وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقيل له انه والله ما أجاز شهادتك ، قال بلى قد سمعته يقول قد قبلنا شهادة أبى فراس ، قالوا أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال وما يمنعه ألاَّ يقبل شهادتى وقد قذفت ألف محصَنة

كان رجل من قضاعة ثم من بني القَيْن على السِّند وفى حبسه رجل يقال له حبيش أو خنيس وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أمه قبر غالب بكاظمة فقامت عليه حتى علم الفرزدق بمكانها ، ثم انها أتت فطلبت اليه فى أمر ابنها فكتب الى تميم القضاعي

هَبْ لى خُنَيساً واتخذ فيه منة ... لغُصة أم ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافى عليها ترابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى ... بظهر فلا يخفى علىّ جوابها

فلما أتاه الكتاب لم يدر أخنيس أم حبيش فأطلقهما جميعاً

ضرب مكاتب لبنى مِنْقَر خيمة على قبر غالب فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه انهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ثم قدم عليه وهو بالمِرْبد فقال

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ... خشيت الردى أو أن أرد على قَسْر

فخاطبنى قبر ابن ليلى وقال لى فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق صدق أبى أنخ أنخ ثم طاف فى الناس حتى جمع له كتابته وفضلا

قال ابن عياش لقيت الفرزدق فقلت له يا أبا فراس أنت الذى تقول

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف يقطّعن اذ غيبن تحت السقائف

فقال نعم أنا ، فقلت له ثم قلت بعد ذلك له

لئن نفر الحجاج آل مُعتِّب لقُوا دولة كان العدو يُدَالُها

لقد أصبح الأحياء منهم أذلة وفى الناس موتاهم كلوحا سِبالها

فقال الفرزدق نعم نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه انقلبنا عليه

دخل قوم من بنى ضبة على الفرزدق فقالوا له قبحك الله من ابن أخت قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه « يعنون جريراً » حتى يشتم أعراضنا ويذكر نساءنا فغضب الفرزدق وقال بل قبحكم الله من أخوال فوالله لقد شرفكم من فخرى أكثر مما غضّكم أفأنا ويحكم عرضتكم لسويد بن أبى كاهل حيث يقول

لقد زَرِقت عيناك يا ابن مُكَعْبَر كما كل ضَبِّى من اللؤم أزرق

ترى اللؤم فيهم لائحاً فى وجوههم كما لاح فى خيل الجلائب أبلق

أو أنا عرضتكم للأغلب العجلى حيث يقول

لن تجد الضبى إلا فلا عبداً اذانا وقواما ذلا

مثل قفا المدية أو أذلّا حتى يكون الألأم الأقلا

أو أنا عرضتكم لمالك بن نُوَيرة حيث يقول

ولو يذبح الضَّبى بالسيف لم تجد من اللؤم للضبى لحماً ولا دما

والله لما ذكرت من شرفكم وأظهرت من أيامكم أكثر ألست القائل

وأنا ابن حنظلة الأغر وانى فى آل ضبة للمُعمِّ المُخوِل

فرعان قد بلغ السماء ذراهما واليهما من كل خوف يعقل

دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة وفى صدر مجلسهم فتى أسود وعلى رأسه اكليل فلم يحفل بالفرزدق ولم يُخفِ تهاوناً فغضب الفرزدق من ذلك وقال

جلوسك فى صدر المكان مذلة ورأسك فى الاكليل إحدى الكبائر

وما نطفت كأس ولا لذ طعمها ضربت على حافاتها بالمشافر

لما مات وكيع بن أبى سود أقبل الفرزدق حين أخرج وعليه قميص أسود وقد شقه الى سرته وهو يقول

فان الذى نادى وكيعاً فناله تناول صديق النبي أبا بكر

فمات ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلا قد أبات على وتر

فعلق الناس الشعر فجعلوا ينشدونه حتى دفن وتركوا الاستغفار له

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة فأنشده قصيدته المشهورة التى يقول فيها

فان أبا موسى خليل محمد وكفاه يمنى للهدى وشمالها

فقال ابن أبى بردة هلكت والله يا أبا فراس، فارتاع الشيخ وقال كيف ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثل شعرك فى سعيد وفى العباس بن الوليد؟ «وسمى قوماً» فقال جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولهم، فغضب بلال حتى دعى له بطشت فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن، فكلمه جلساؤه وقالوا قد كفاك الشيخ نفسه وقلما يبقى حتى يموت

لقى الفرزدق الحسين بن على عليهما السلام متوجهاً الى الكوفة خارجا من مكة فى اليوم السادس من ذى الحجة فقال الحسين صلوات الله عليه وعلى آله ما وراءك؟ قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك، قال ويحك معى وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله، فلما قتل الحسين صلوات الله

عليه قال الفرزدق ان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تغير لم يزدها الله الا ذلاً الى آخر الدهر وأنشد فى ذلك

فان أنتمُ لم تثأروا لابن خيركم فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

سمع الفرزدق رجلا يقرأ « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » والله غفور رحيم ، فقال لا ينبغى أن يكون هذا هكذا فقيل انما هو « والله عزيز حكيم » فقال هكذا ينبغى أن يكون

قدم الفرزدق المدينة فى سنة مجدبة ، فمشى أهل المدينة الى عمر بن عبد العزيز فقالوا له أيها الأمير ان الفرزدق قدم مدينتنا هذه فى هذه السنة المجدبة التى قد أهلكت عامة الأموال التى لأهل المدينة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً فلو أن الأمير بعث اليه فأرضاه وتقدم اليه ألاَّ يعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فبعث اليه عمر انك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه فى هذه السنة الجدبة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ومرَّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس فى سقيفة داره عليه مُطْرَف خز أحمر وجبة خز أحمر ، فوقف عليه فقال

أعبد الله أنت أحق ماش وساع بالجماهير الكبار
نما الفاروق أمك وابن أَرْوَى أبوك فأنت منصدع النهار
هما قمرا السماء وأنت نجم به فى الليل يُدْلج كل سار

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ورأى ما أعطاه إياه وسمع ما أمره به عمر من ألا يعرض لأحد ، فدخل على عمر بن عبد العزيز فأخبره ، فبعث اليه عمر ألم أتقدم اليك يا فرزدق ألاَّ تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؟ اخرج فقد أجلتك ثلاثاً فان وجدتك بعد ثلاث نكلت بك ، فخرج وهو يقول

فأجلني وواعدني ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

وقال جرير فى ذلك

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز ومثلك ينفى من المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ضلت ولم تهتد

كان عطية بن جُعال الغُدَانى صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بنى غُدَانة هجاه وعاون جريراً عليه وأنه أراد أن يهجو بني غدانة فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه ويَهَب له أعراضهم ، ففعل ثم قال

أبنى غُدَانة انني حررتكم ووهبتكم لعطية بن جُعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم آنف وسِبال

فبلغ ذلك عطية ، فقال ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة

روى المرزبانى عن أبى الخطاب الأخفش وكان أعلم الناس بالشعر وأنقدهم له وأحسن الرواة ديناً وثقة ، قال لم يَهْجُ جرير الفرزدق الا بثلاثة أشياء يكررها في شعره كلها كذب ، منها جِعْثِن والزبير والقَين ، فأما جعثن فكانت من خير نسائها احتال بنو مِنْقَر ، فأقعدوا انساناً فى طريقها ، وقد خرجت لبعض أمرها ، فرمى بها فوقعت ومضى يعدو ليزيلوا عن أنفسهم شيئاً زعموا أن الفرزدق فعله بهم ، وأما الزبير فانه وقف على مسجد بنى مجاشع فسأل عن عياض بن حمارين أبى حمار فقال النَّعِر بن زَمَّام المجاشعى هو بوادى السباع ، فمضى الزبير يريده وخرج النعر مع الزبير رحمه الله حتى بلغ النَّحيت ثم رجع ، فتبعه عمرو بن جُرْموز فقتله قبل أن ينتهي الى عياض ، وخبر القين أن رجلاً استعان بالفرزدق فسأله أن يمشى معه الى موالي بني سعد فى حاجة ، فقال الفرزدق للمستعين به ان عمتى كان لها قين ، فلما هجانى جرير جعلني قيناً بذلك السبب وان الرجل الذى تستعين بى عليه صاحب

سماد ولئن بلغ جريراً أنى مشيت معك ليجعلنّي كسّاحاً ، فلم يمش معه ، فهذه قصة القين ، قال أبو الخطاب فلم يهجه الا من ثلاث جهات كاذبات فردد ذلك وكرره في شعره ، فمن ذلك قوله

انى تذكرنى الزبير حمامـــة تدعو بمجمع نخلتين هديلا
أفتى الندى وفتى الطعان قتلتمُ وفتى الرياح اذا تهبّ بليـــلا
لو كنت حراً يا ابن قَيْن مجاشع شيعت ضيفك فرسخين وميلا
قتـــل الزبير وأنتمُ جيرانه تبّاً لمن قتل الزبيرَ طويلا
قالت قريش ما أذل مجاشعاً جاراً وأكرم ذا القتيلَ قتيلا

حج سليمان بن عبدالملك ومعه الشعراء فمرّ بالمدينة منصرفاً فأتى بأسرى من الروم نحو من أربع ، فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام وعليه ثوبان ممصران وهو أقربهم منه مجلساً فأدنوا اليه بطريقهم وهو في جامعة فقال لعبد الله بن الحسن قم فاضرب عنقه ، فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع اليه حرسى سيفاً كليلاً فضربه فأبان عنقه وذراعه وأطنّ ساعده وبعض الغُلّ ، فقال له سليمان اجلس فوالله ماضربته بسيفك ولكن بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى الى الوجوه فيقتلونهم حتى دفع الى جرير رجلا فدست له بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع الى الفرزدق أسيراً ، فدست اليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان وضحك الناس معه ، وقد ذكر ذلك الفرزدق في قصيدته التي يذكر فيها قتل قتيبة بن مسلم الباهلي ، قتله وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود اليربوعي وأولها

تحنّ بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول تبتغي البوَّ رائم

يقول فيها

فلا نقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا أثقل الأعناق حملُ المغارم

فهل ضربة الرومى جاعلة لكم ... أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويقطعن أحياناً مناط التمائم

فأجابه جرير بقصيدته التى أولها

ألا حى ربع المنزل المتقادم ... وما حلّ مذ حلت به أم سالم

يقول فيها

ترانى اذا ما الناس عدوا قديمهم ... وفضلَ المساعي مسفراً غير واجم
بأيام قومى ما لقومك مثلها ... بها سهلوا عني خبار الجرائم
اذا ألجمت قيس عناجيج كالقنا ... مجحّن دماً من طول علك الشكائم
سبَوْا نسوة النعمان وابني محرِّق ... وعمران قادوا عنْوَة بالخزائم
وهم أنزلوا الجَوْنين فى حومة الوغى ... ولم يمنع الجونين عقد التمائم
كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً ... وعمرو بن عمرو اذ دعوْا يا لدارم
ولم تشهد الجَوْنين والشِّعب ذا الصفا ... وشدَّات قيس يوم دير الجماجم
أكلفت قيساً أن نبا سيف غالب ... وشاعت له أُحدوثة فى المواسم
بسيف أبى رَغْوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فأُرعشت ... يداك وقالوا مُحْدَث غير صارم
ضربت به عرقوب ناب بصوءر ... ولا تضربون البيض تحت الغمائم
عنيف بهز السيف قَيْنُ مجاشع ... رفيق بأخرات القؤس الكرازم
ستخبر يا ابن القَيْن أن رماحنا ... أباحت لنا ما بين فَلْج وعاسم

وقال الفرزدَق يعرض بسليمان ويعيره بنبو سيف ورقاء بن زهير العبسى عن خالد بن جعفر وبنو عبس أخوال عبد الملك

فان يك سيف خان أو قدر أتى ... بتعجيل نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

موت الفرزدق

أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعل فى قدح وسقيه ، فقال لابنه يا بنىَّ عجلت لأبيك شراب أهل النار ، فقال له يا أبت قُلْ لا إله الا الله وجعل يكررها ، فنظر اليه وجعل يقول

فظلت تغالي باليَفَاع كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

فكان ذا هِجِّيراه حتى مات ، ودخل عليه بلال بن أبى بردة فى مرضه الذى مات فيه وهو يقول

أرونى من يقوم لكم مقامى اذا ما الأمر جل عن الخطاب

الى من تفزعون اذا حثوتم بأيديكم علىَّ من التراب

فقال بلال الى الله الى الله ، وقال عوانة قيل للفرزدق فى المرض الذى مات فيه أوص ، فقال

أوصي تميماً ان قضاعة ساقها ندى الغيث عن دار بدُومة أوجَدْب

فانكم الأكفاء والغيث دُولة يكون بشرق من بلاد ومن غرب

اذا انتجعت كلب عليكم فوسعوا لها الدار فى سهل المقامة والرحب

فأعظم من أحلام عاد حلومهم وأكثرهم عند العديد من الترب

أشـــد حبال بعد حيين مِرّة حبال أُمِرَّت من تميم ومن كلب

وتوفى للفرزدق ابن صغير له قبل وفاته بأيام وصلى عليه ثم التفت الى الناس فقال

وما نحن الا مثلهم غير أننا أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

فلم يلبث أياماً حتى مات ، قال ابنه لبطة أغمى على أبى فبكينا ففتح عينيه وقال أعلىَّ تبكون ؟ قلنا نعم فعلى ابن الراغة نبكي ؟ فقال ويحكم أهذا موضع ذكره؟ وقال

إذا ما دبت الأفيـاء فوقى ... وصاح صدًى علىَّ من الظلام
فقد شمتت أعاديكم وقالت ... أدانيكم من أين لنا المحامى

مات الفرزدق فى سنة أربع عشرة ومائة وقبره بالبصرة وكان أسن حتى قارب المائة ورثاه أبو ليلى المجاشعى فقال

لعمرى لقد أشجى تميماً وهدّها ... على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشـية قدنا للفرزدق نعشه ... الي جدَث فى هُوَّة الارض مُعْمَق
لقد غيبوا فى اللحد من كان ينتمى ... الى كل بدر فى السماء محلِّق
ثوى حامل الأثقال عن كل مُثْقَل ... ودفاع سلطان الغشوم السَّمَلَّق
لسان تميم كلها وعمـــادها ... وناطقها المعروف عند المخنَّق
فمن لتميم بعـد موت ابن غالب ... اذا حل يوم مظلم غـير مشرق
لتبك النساء المعولات ابن غالب ... لجان وعانٍ فى السلاسل موثق

شعراء عدى بن عبد مناة

ذو الرمة

هو غيلان بن عقبة بن مسعود من بنى عديّ بن عبد مناة بن أدّ ويكنى أبا الحارث وذو الرُّمَّة لقب له يقال لقبته به ميَّة وكان اجتاز بخبائها وهى جالسة الى جنب أمها فاستسقاها ماء فقالت قومى فاسقيه ، فقامت فأتته بماء وكانت على كتفه رُمّة وهى قطعة من حبل فقالت اشرب ياذا الرمة ، فلقب بذلك ، وكان له اخوة لأبيه وأمه شعراء منهم مسعود وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته

الى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... وليلى كلانا موجع مات وافده

ولمسعود يقول ذو الرمة

أقول لمسعود بجَرْعاء مالك ... وقد همّ دمعى ان تَسحّ أوائله

ألا هل لذى الأظعان جاوزن مُشْرِفاً ... من الرمل أو سالت بهن سلاسله (١)

ومسعود الذى يقول يرثى أخاه أيضاً ذا الرمة ويرثى أَوْفَى بن دَلْهَم ابن عمه وأوفى هذا أحد من يروى عنهم الحديث

نعى الركب أَوْفَى حين آبت ركابهم ... لعمرى لقد جاؤا بشر فأوجعوا

نَعَوْا باسق الأخلاق لا يخلفونه ... تكاد الجبال الصُّمّ منه تَصَدّع

خَوَى المسجد المعمور بعد ابن دَلْهَم ... فأضحى بأَوْفَى قومه قد تضعضعوا

تعزيت عن أوفى بغَيْلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مُتْرَع

ولم تُنْسِنى أوفى المصيبات بعده ... ولكن نَكْءَ القَرْح بالقرح أوجع

(١) سلاسل الرمل ما انعقد واتصل

وأخوه الآخر هشام وهو رباه وكان شاعراً ولذى الرمة يقول

أغيلان ان ترجع قوى الود بيننا ... فكل الذى ولّى من العيش راجع
فكن مثل أقصى الناس عندى فانني ... بطول التنائى من أخى السوء قانع

وقال ذو الرمة لهشام أخيه

أغرّ هشاما من أخيه ابن أمه ... قوادم ضأن أقبلت وربيع
وهل تخلف الضأن الغزار أخا الفتى ... اذا حل أمر في الصدور فظيع

فأجابه هشام فقال

اذا بان مالي من سوامك لم يكن ... اليك ورب العالمين رجوع
فأنت الفتى ما اهتز في الزهر الندى ... وأنت اذا اشتد الزمان منوع

خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدّهناء فسنحت لهما ظبية فقال ذو الرمة

أقول لدهناوية عوهج[1] جرت ... لنا بين أعلى عرفة بالصّرائم
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النّقا آأنت أم أم سالم

وقال مسعود

فلو تحسن التشبيه والنعت لم تقل ... لشاة النقا آأنت أم أم سالم
جعلت لها قرنين فوق قصاصها ... وظلمفين مسودّين تحت القوادم

فقال ذو الرمة

هى الشبه الا مدريها[2] وأذنها ... سواء والا مشقة فى القوائم

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتى الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طفيلياً وكان مدور الوجه حسن الشعرة جيدها أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن

(١) عوهج طويلة العنق وعرفة موضع والصرائم الرمال (٢) مدريها يعنى قرنيها والمشقة الرقة

الصورة مفوّهها اذا كلمك كلمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء، قال أبو عمرو ختم الشعر بذى الرمة وختم الرجز برُؤْبة وقال الاصمعي كان ذو الرمة أشعر الناس اذا شبّه ولم يكن بالمُفْلِق

وقف الفرزدق على ذى الرمة وهو ينشد قصيدته التى يقول فيها

اذا ارفضّ[1] أطراف السياط وهُلِّلت جُروم المطايا عذبتهن صيدح

فقال ذو الرمة كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال أسمع حسناً، قال فمالي لا أعد فى الفحول من الشعراء؟ قال يمنعك من ذلك ويباعدك ذكر الأبعار وبكاؤك الديار ثم قال

ودَوِّية لو ذو الرُّميمة أمها لقصر عنها ذو الرميم وصيدح
قطعت الى معروفها منكراتها اذا اشتد آل الأمعز المتوضح

وكان هوى ذى الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمى، وتيم وعدى اخوان من الرَّباب، وعُكْل أخوهم ولذلك يقول جرير لعكل

فلا يَضْغَمَنَّ الليث عكلا بغرة وعكل يسمّوْن الفريس المثيبا

الفريس ههنا ابن لجأ وكذلك يفعل السبع اذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت الغنم تَشَمّ موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تَشَمّ ولذلك قال جرير لبنى عدى

وقلت نصاحة لبني عدى ثيابكم ونضح دم القتيل
يحذر عديا مالقى ابن لجأ

مرَّ ذو الرمة بمنزل لامرىء القيس بن زيد مناة يقال له مُرّان به نخل فلم ينزلوه ولم يقروه فقال

نزلنا وقد غار النهار وأوقدت علينا حصى المَعْزاء شمس تنالها

(١) ارفض تفرق من الضرب به والجروم الجسد وهللت جرومها كالاهلة من الهزال وصيدح ناقته

فلما دخلنا جوف مرأة غلقت دساكر لم تُرفع لخير ظلالها
بنينا علينا ظل أبراد يُمْنة على سَمْك أسياف قديم صِقالها
وقد سميت باسم امرىء القيس قرية كرائم صواديها لئام رجالها

فلج الهجاء بين ذى الرمة وبين هشام المرى فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد

وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أُبثُّه تكلمني أحجاره وملاعبه

فقال الفرزدق أهلك البكاء فى الديار والعبد يرتجز بك فى المقابر « يعنى هشاماً » وكان ذو الرمة مستعلياً هشاماً حتى لقى جريرهشاماً فقال عليك العبد «يعنى ذا الرمة » قال فما أصنع يا أبا حَزْرة وأنا راجز وهو يقصِّد والرجز لا يقوم للقصيد فى الهجاء ؟ ولو رفدتنى ، فقال جرير لتهمته ذا الرمة بالميل الى الفرزدق قل له

غضبت لرَجْل من عديّ تشمسوا وفى أى يوم لم تشمس رجالها
وفيم عديّ عند تَيْم من العلا وأيامنا اللاتى تعـــد فعالها
وضبة عمي يا ابن خل فلا ترم مساعى قوم ليس منك سجالها
يماشى عدياً لُؤمها لا تُجنُّه من الناس ما مست عدياً ظلالها
فقل لعدىّ تســـتعن بنسائها عليَّ فقد أعيا عدياً كبارها رجالها
أذا الرُّمّ قد قلدت قومك رُمَّة بطيئاً بأمر المطلقين انحلالها

فلما بلغت هذه الأبيات ذا الرمة قال والله ما هذا بكلام هشام ولكنه كلام ابن الأتان ، فلما كان بعد ذلك لقى ذو الرمة جريراً فقال تعصبت [1] على خلك للمرئى ، فقال جرير حيث فعلت ماذا ؟ قال حين تقول للمرئى كذا وكذا ، فقال جرير لأنك أهلك البكاء فى دار مية حتى أبحته محارمك ، فقال ذو الرمة لا ولكن

(١) ذلك لأن النوار بنت خل ام حنظله بن مالك من رهط ذى الرمة

اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك ، قال كذلك هو ، قال فوالله ما فعلت وحلف له بما يرضيه ، قال فأنشدنى ما هجوت به المرئى ، فأنشده قوله

نبت[1] عيناك عن طلل بحُزْوى عفته الريح وامتنح القِطارا

فأطال جداً ، فقال له جرير ما صنعت شيئاً أفأرفدك ؟ قال نعم ، قال قل له

يعُدّ الناســـبون الى تميم بيوت العز أربعة كبارا
يعدون الرَّباب لهم وعمراً وســعداً ثم حنظلة الخيارا
ويهلك بينها المرئىُّ[2] لغواً كما أُلغيت فى الدية الحُوَارا

فغلبه ذو الرمة بها ، ومَرَّ ذو الرمة بالفرزدق فقال له أنشدنى أحدث ما قلت فى المرئى ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أعد ، فأعاد ، فقال كذبت وايم الله ما هذا لك ولقد قاله أشد لَحْيين منك وما هذا الاشعر ابن الأتان ، فلما سمعها المرئى جعل يلطم وجهه ويصرخ ويدعو بويله ويقول قتلنى جرير قتله الله هذا والله شعره الذى لو نقطت منه نقطة فى البحر لكدرته قتلنى وفضحنى ، فلما استعلى ذو الرمة هشاماً أتى هشام وقومه جريراً فقالوا يا أباحزرة عادتك الحسنى ، فقال هيهات ظلمت أخوالي قد أتانى ذو الرمة فاعتذر إلىَّ وحلف فلست أعين عليهم ، فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعنز وأعانوه على مكاتبته فقال أبياتاً عينية يفضل فيها بنى امرىء القيس على بنى عديّ وهشاماً على ذي الرمة ، ومات ذو الرمة فى تلك الأيام ، فقال الناس غلبه هشام وانما مات ذو الرمة بعقب ارفاد جرير إياه على المرئى ، فقال الناس غلبه ولم يغلبه ، انما مات قبل الجواب

(١) نبت عيناك أى أنكرته ، وعفته درسته ، وامتنح من المنحة وهى العطية
(٢) المرئى نسبة الى امرىء القيس والغيت أهملت والحوار لا يؤخذ فى الدية

ذو الرمة ومَىّ

كان ذو الرمة يشبب بمَىّ بنت طلبة بن قيس بن عاصم المِنْقَرى ، وكان أول ماقاد المودة بينهما أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بُغاء إبل لهم ، قال بينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش فعدلنا الى حواء عظيم فقال لى أخى وابن عمى ائت الحواء فاستسق لنا ، فأتيته و بين يديه فى رواقه عجوز فاستسقيت فالتفتت وراءها فقالت يامَىّ اسق الغلام ، فدخلت عليها فاذا هى تسبح علقة لها وهى تقول

يا من يرى برقاً يمر حينا ... زمزم رعداً وانتحى يمينا
كأن فى حافاته حنينا ... أو صوت خيل ضُمّر يَرْدِينا

ثم قامت تصب فى شكوتى ماء وعليها شوذب لها ، فلما انحطت على القربة رأيت مولًى لم أر أحسن منه ، فلهوت بالنظر اليها وأقبلت تصب الماء فى شكوتى والماء يذهب يميناً وشمالا ، فأقبلت على العجوز فقالت أما والله ليطولن هُيامك بها ، وملأت شكوتى وأتيت أخى وابن عمى ولففت رأسى فانتبذت ناحية وقد كانت مَىّ قالت لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك فأنشأت أقول

قد سخرت أخت بنى لبيد ... وهربت منى ومن مسعود
رأت غلامى سفر بعيد ... يَدَّرِعان الليل ذا السدود
مثل ادِّراع اليلمَق الجديد

وهو أول قصيدة قلتها ثم أتممتها

هل تعرف المنزل بالوحيد ... قفراً محاه أبَدُ الأبيد
والدهر يُبْلِى جِدَّة الجديد ... لم يُبق غير مُثَّل[1] رُكود
على ثلاث باقيات سود ... وغيرَ باقى ملعب الوليد

(١) منتصبات يعنى الأثافى — ركود مقيمات

وغير مرضوخ[١] القفا موتود ... أشعث باقى رُمَّة التقليد

نعم فأنت اليوم كالمعمود ... من الهوى أو شبه المورود[٢]

يا مى ذات المبسم المبرود ... بعد الرقاد والحشا المخضود[٣]

والمقلتين وبياض الجيد ... والكشح من أدماء عنود[٤]

عن الظباء مُتْبِع فرود ... أهلكتنا باللوم والتفنيد

رأت شحوبى ورأت تخديدى ... من مُجْحفات زمن مريد[٥]

نقحن جسمى عن نضار العود ... بعد اهتزاز الغصن الأملود[٦]

لا بل قطعتُ الوصل بالصدود ... قد عجبت أخت بنى لبيد

ضاف ذو الرمة زوج مى فى ليلة ظلماء وهو طامع فى ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته فيقربه فيراها ويكلمها ففطن له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج اليه قِراه وتركه بالعراء وقد عرفته مية ، فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان فقال

أراجعة يامى أيامنا الأولى ... بذى الأَثْل أم مالهن رجوع

فغضب زوجها وقال قومى فصيحي به يا ابن الفاعلة وأى أيام كانت لي معك بذى الأثل ؟ فقالت ياسبحان الله ضيف والشاعر يقول ، فانتضى السيف وقال والله لأضربنك به حتى آتى عليك أو تقولي ، فصاحت به كما أمرها زوجها ، فنهض على راحلته فركبها وانصرف عنها مغضباً يريد أن يصرف مودته عنها الى غيرها فمر بفلج فى ركب وبعض أصحابه يريد أن يرقع خفه فاذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر واذا خرقاء فيهن وهى امرأة من بنى عامر فاذا جارية حلوة شهلاء

---

(١) مرضوخ مدقوق يعنى الوتد والرمة القطعة من الحبل فى هذا الوتد لم تنزع

(٢) المورود الخمرة والعمود ما انضمت عليه الضلوع من البطن والمعمود الذى ضعف

(٣) المخضود أيبس الرطب والخضد الغض اذا كسرته (٤) العنود من النوق التى ترعى ناحية (٥) الشحوب تغير اللون والتخديد المطوى الجلد والمريد المتكبر

(٦) الأملود الأملس

فوقعت عين ذى الرمة عليها فقالت لها جارية أترقعين لهذا الرجل خفه ؟ فقالت تهزأ به أنا خرقاء لا أحسن أعمل ، فسماها خرقاء ، وترك ذكر مى يريد أن يغيظ بذلك ميا فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ثم لم يلبث أن مات ، قال ابن سلام كانت خرقاء تحل فلجا ويمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم وكانت تجلس معها فاطمة بنتها فحدثنى من رآها فلم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول أنا منسك من مناسك الحج « لقول ذى الرمة فيها »

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

نزل ركب بأبى خرقاء فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها وهى لا تعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لها أبوها هل تعرفين الرجل الذى سقيته صبوحك ؟ قالت لا والله ، قال هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل ، فوضعت يدها على رأسها وقالت واسوءتاه وابؤساه ودخلت بيتها فمارآها أبوها ثلاثاً

ومن قول ذي الرمة يشبب بخرقاء

أقول بذى الأرطى عشية أتلعت الى الركب أعناق الظباء الخواذل
لأدمانة من وحش بين سويقة وبين الجبال العفر ذات السلاسل
أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى مشابهَ جُنّبتِ اعتقال الحبائل
فعيناك عيناها ولونك لونها وجيدك الا أنها غير عاطل

قالت كثيرة أم ذي الرمة

على وجه مَيّ مسحة من ملاحة وتحت الثياب الخزى لو كان باديا
ألم ترَ أن المـــاء يخبث طعمه ولو كان لون الماء فى العين صافيا

ونحلتهما ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد أيمانه ماقالها ، قال وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابى أشبب بها وأمذقها ثم أقول هذا ؟ ثم اطلع على أن كثيرة قالتهما ونحلتهما إياه

قال أبو سوار الغَنوى رأيت مية واذا معها بنون لها صغاراً ، فقال له محمد بن سلام صفها لي ، فقال مسنونة الوجه طويلة الخد شَمَّاء الأنف عليها وسم جمال ، قال أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمة فيها ؟ قال نعم كانت تسح سحا ما رأى أبوك مثله

قال صالح بن الهذيل خرجت أريد الحج ، فمررت بالمنزل الذى تنزله خرقاء ، فأتيتها فاذا امرأة جزْلة عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم ، فسلمت ، ونسبتني ، فانتسبت لها وهى تنزلني حتى انتسبت الى أبى ، فقالت حسبك أكرمت ما شئت ما اسمك ؟ قلت صباح ، قالت وأبو من ؟ قلت أبو المغلس ، قالت أخذت أول الليل وآخره قال فما كان لي همة الا الذهاب عنها

وقال محمد بن الحجاج التميمى حججت فلما صرت بمران منصرفاً اذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له ، فجئته ، فاستنشدته ، فقال لي اليك عني فانى مشغول عنك وألححت عليه ، فقال أرشدك الى بعض ما تحب ، انظر الى ذلك البيت الذى يلقاك فان فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرمة ، فمضيت نحوه ، فطوحت بالسلام من بعيد ، فقالت ادْنُه ، فدنوْت ، فقالت انك لحضرى فمن أنت ؟ قلت من بنى تميم وأنا أحسب أنها لا معرفة لها بالناس ، قالت من أى تميم ؟ فأعلمتها ، فلم تزل تنزلنى حتى انتسبت الى أبى فقالت الحجاج بن عمير بن يزيد ؟ قالت رحم الله أبا المثني قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمير بن يزيد فعاجلته المنية شاباً ، حياك الله يا بنىَّ وقربك من أين أقبلت ؟ قلت من الحج ، قالت فمالك لا تمر بى وأنا أحد مناسك الحج ان حجك ناقص فأقم حتى تحج أو تكفر بعتق ، قلت وكيف ذلك ؟ قالت أما سمعت قول غيلان عمك ؟

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

وكانت وهى قاعدة بفِناء البيت كأنها قائمة من طولها بيضاء شهلاء نخمة الوجه ،

فسألتها عن سنها ، فقالت لا أدرى الا أنى كنت أذكر شمر بن ذى الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام مرَّ بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسمها فى قومه ، وكان أبى قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمالات ، قال ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت هيهات يا عمة ذهب ذلك منك ، قالت لا تقل يا بنىَّ أما سمعت قول قُحَيْف فيَّ

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولوعمرت تعمير نوح وجلت

ثم قالت رحم الله ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة عذب المنطق حسن الوصف مقارب الرصف عفيف الطرف ، فقلت لها لقد أحسنت الوصف ، فقالت هيهات أن يدركه وصف رحمه الله ورحم من سماه اسمه ، فقلت ومن سماه ؟ قالت سيد بنى عديّ الحصين بن عبدة بن نعيم ، ثم أنشدتني لنفسها فى ذي الرمة

لقد أصبحت فى فرعى مَعَدّ مكان النجم فى فلك السماء
اذا ذكرت محاسنه تدرت بحار الجود من نحو السماء
حصين شاد باسمك غير شك فأنت غياث مَحْل بالفِناء
اذا ضلت سحابة ماء مُزْن تثج بحار جودك بارتواء
لقد نضرت باسمك أرض قحط كما نُثرت عدى بالثراء

فقلت أحسنت يا خرقاء فهل سمع ذلك منك ذو الرمة ؟ قالت إى وربى ، قلت فماذا قال ؟ قالت قال شكر الله لك ياخرقاء نعمة بيت شكرها من ذكرها ، فقالت أثقلنا حقها ثم قالت اللهم غفرا هذا فى اللفظ ونحتاج الى العمل

قال صالح بن سليمان كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة وأهل البادية يعجبهم شعره ، وكان صالح بن سليمان راوية شعر ذى الرمة فأنشد يوماً قصيدة له وأعرابى من بنى عدى يسمع فقال أشهد عنك انك لفقيه تحسن ما تلو وكان يحسبه قرآنا

قال حماد الراوية قال الكميت حيث سمع قول ذى الرمة

أعاذل قد أكثرت من قول قائل وعيب على ذى الود لوم العواذل

هذا والله ملهم وما علم بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لأولى الألباب مثله ، أحسن ثم أحسن ، ولما أنشد قوله فى هذه القصيدة

دعانى وما داعى الهوى من بلادها اذا ما نأت خرقاء عنى بغافل

قال لله بلاد هذا الغلام ما أحسن قوله وما أجود وصفه ولقد شفع البيت الأول بمثله فى جودة الفهم والفطنة وقال قول مستسلم ، وقل حماد ما أخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ، وقالوا لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذى الرمة ولا أحسن جواباً ، كان كلامه أكثر من شعره ؟ وقال الأصمعى ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حباً أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل رصين ، وقال أبوعبيدة ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف وعفاف فى الحكم ، وقال عمارة بن عقيل كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذى الرمة فقال أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه اليه أحد غيره ، وقال حماد الراوية قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه ، وقال أبو عمرو ختم الشعر بذى الرمة وختم الرجز برؤبة ، فقيل له فما تقول فى هؤلاء الذين يقولون ؟ قال كلّ على غيرهم ان قالوا حسناً فقد سبقوا اليه وان قالوا قبيحاً فمن عندهم ، وقال حماد أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وذو الرمة أحسن أهل الاسلام تشبيهاً ، وقال ابن شُبْرُمة سمعت ذا الرمة يقول اذا قلت كأن ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لسانى ، وقال الأصمعى كان ذو الرمة أشعر الناس اذا شبه ولم يكن بالمفلق ، وسئل جرير عن شعر ذى الرمة فقال بعرظباء ونقط عروس تضمحل عن قليل

قال ذو الرمة من شعرى ما طاوعنى فيه القول وساعدنى ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جننت به جنوناً ، فأما ما طاوعني القول فيه فقولي

خليلى عوجا من صدور الرواحل بجمهور[1] حزوى فابكيا فى المنازل

وبعده

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة من الوجد أو يشفى نَجِىَّ البلابل

وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى

أأن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وبعده

كأنها بعد أحوال مضين لها بالأَشْيَمين[2] يمان فيه تسهيم

وأما ما جننت به جنوناً فقولى

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنه من كُلًى[3] مَفْرِيّة سرب

وكان جرير يقول ما أحببت أن ينسب الىّ من شعر ذى الرمة الا قوله « ما بال عينك » فان شيطانه كان له فيها ناصحاً

قال سلمة بن محارب كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، وقال عيسى ابن عمر قال لى ذو الرمة ارفع هذا الحرف ، فقلت له أتكتب ؟ فقال بيده على فيه اكتم علىّ فانه عندنا عيب

قيل لذى الرمة انما أنت راوية الراعى ، فقال أما والله لئن قيل ذاك ما مثلى ومثله الا شاب صحب شيخاً فسلك به طرقا ثم فارقه فسلك الشاب بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قط ، وقال الأصمعى انما وضع من ذى الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح وقد مدح بلال بن أبى بردة فقال

رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعى بلالا

فلما أنشده قال له أولم ينتجعنى غير صيدح ؟ ياغلام أعطه حبل قتّ لصيدح ، فأخجله

---

(١) الجمهور العظيم من الرمل (٢) الأشيمان جبلان من جبال الرمل بالدهناء واليمانى البرد وفيه تسهيم اى تخطيط (٣) الكلى جمع كلية وهى رقعة تكون فى أصل عروة المزادة ومفرية أى مقطوعة على وجه الاصلاح وسرب سائل

عاب الحكم بن عوانة الكلبي ذا الرمة فى بعض قوله فقال فيه

وجدتك من كلب اذا ما نسبتها ... بمنزلة الحيتان من ولد الضب
فلو كنت من كلب صحيحاً هجوتها ... جميعاً ولكن لا إخالك من كلب
ولكننى أخبرت انك مُلْصَق ... كما أُلصقت من غيرها ثُلْمة القعْب
تدهدى فخرت ثُلْمة من صحيحه ... فلُزّ بأخري بالغراء وبالشَّعب

دخل ذو الرمة على بلال بن أبى بردة وكان بلال راوية فصيحاً أديباً فأنشده بلال أبيات حاتم طيئ

لحا الله صُعلوكا منـــاه وهمه ... من العيش أن يلقى لَبوساً ومطعما
يرى الخمس تعذيباً وان نال شبعة ... يبت قلبـــه من قلة الهم مبهما

هكذا أنشد بلال ، فقال ذو الرمة يرى الخمص تعذيباً وانما الخمس للابل وانما هو خمص البطن ، فضحك بلال ، وكان ضحاكا ، وقال هكذا أنشدنيه رواة طيء فرد عليه ذو الرمة ، فضحك ، ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال كيف تنشدها ؟ وعرف أبو عمرو الذى به فقال كلا الوجهين جائز ، فقال أتأخذون عن ذى الرمة ؟ فقال انه لفصيح وانا لنأخذ ، بتمريض ، وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبى عمرو والله لولا أنى أعلم أنك حطبت فى حبله وملت مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد اليك اثنان بعده

قيل لبلال بن جرير أى شعر ذى الرمة أجود ؟ فقال « هل حبل خرقاء بعد اليوم مرّموم » انها لمدية الشعر ، أقول هو من قصيدة لذى الرمة أولها

أعن ترسمت[1] من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم
كأنها بعـد أحوال مضين لها ... بالأشيمَيْن[2] يمانٍ فيه تسهيم
أودى بها كل عرّاص[3] ألثّ بها ... وجائل من عجاج الصيف مهجوم

(١) ترسم نظر رسومها ومسجوم مصبوب صباً (٢) الاشيمان جبلان من حبال الرمل الرمل بالدهناء واليمانى بردفيه تسهيم أى تخطيط (٣) العراص السحاب الكثير البرق ، ألث أقام ومهجوم هجم عليه

ودمنةً [١] هيجت شوقى معالمها كأنها بالهِدَمْلات الرواسيم
منازل الحى اذ لا الدار نازحة بالاصفياء واذ لا العيش مذموم
كادت بها العين تنبو [٢] ثم ثبتها معارف الدار والجُون اليَحاميم
هل حبل خرقاء بعد الهجر مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم
أم نازح الوصل مخلاف بشيمته لونان منقطع منه فمصروم
لا غيرَ أنا كأنا من تذكرها وطول ما قد نأتنا [٣] نُزّع هيم
تعتادنى زفرات من تذكرها تكاد تنفضّ منهن الحيازيم [٤]
كأننى من هوى خرقاء مطَّرَف [٥] دامى الأَظَلِّ بعيد السَّأْو مهيوم

وهى أربعة وثمانون بيتاً

وقال ابن سلام كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قَتادة من الحسن وابن سيرين كان يروي عنهما ويروى عن الصحابة وكذلك ذو الرمة وهو دونهما ويساويهما في بعض شعره

قال عنبسة النحوي قلت لذى الرمة وسمعته ينشد ويقول

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

هلا قلت فعولان ، فقال لو قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيراً لك ، أى انك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين وأراد عنبسة وعينان فعولان

قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكِناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله

---

(١) دمنة عطف على منزلة والهدملات رمال مشرفات والرواسيم الطوابع (٢) تنبو ترتفع لا تكاد تعرفها والجون السود يعنى الاثافى واليحاميم السود أيضاً (٣) نأتنا بعدت عنا ونزع مشتاقون وهيم عطاش (٤) الحيازيم الصدور وما اشتملت عليه (٥) المطرف بعير قد اشترى حديثا والاظل أصل الخف والسأو الهمة والمهيوم من الهيام وهو داء تستحسر منه جلود الابل تأخذها كالحمى تشرب فلا تروى

اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح ، فشق ناقته وجعل يتأخر بها و يفكر ثم عاد فأنشد « اذا غير النأى المحبين لم أجد » فقيل أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذى الرمة ما أنشده وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة انما هذا مثل قول الله عز وجل « ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها » ونما معناه لم يرها ولم يكد

قال رؤبة لبلال بن أبى بردة علام تعطى ذا الرمة ؟ فو الله انه ليعمد الى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم

قال الأصمعى قال رجل رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجرى على لحيته « مابال عينيك منها الماء ينسكب » فلما انتهى الى قوله

تُصغى اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى فى غَرْزها تثب

قلت يا أخا بني تميم ما هكذا قال عمك ، قال وأى أعمامى يرحمك الله ؟ قلت الراعى ، قال وما قال ؟ قلت قوله

فلا تُعجل المرء عند البرو ك وهى بركبته أبصر
وهى اذا قام فى غَرْزها كمثل السفينة أو أَوْفر
ومُصغية خدها بالزما م فالرأس فيها له أصعر
حتى اذا ما استوى طبقت كما طبق المِسْحَل الأَغبر

فأُرْتِج عليه ساعة ثم قال انه نعت ناقة ملك ونعتّ ناقة سوقة ، فخرج منها على رؤس الناس

قال محمد بن الحجاج الأسيدى مررت على مَيَّة وقد أسنت فوقفت عليها وأنا شاب فقلت يامية ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله

أما أنت عن ذكراك مَيَّة مُقْصر ولا أنت ناسى العهد منها فتذكر

تهيم بها ما تستفيق ودونها حجاب وأبواب وستر مستر

فضحكت وقالت رأيتنى يا ابن أخى وقد وليت وذهبت محاسنى ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرَّة في عين المقرور ، ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره ثم صاحت يا أسماء اخرجى ، فخرجت جارية كالمهاة مارأيت مثلها فقالت أما لمن شبب بهذه وهَويها عذر ؟ فقلت بلى ، فقالت والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لازدريت هذه ازداءك اياى اليوم ، انصرف راشداً

ومما قاله فى مى

هى البرء والاسقام والبرء والمنى وموت الهوى فى القلب منى المبرح

وكان الهوى بالنأى يمحى فيمتحى وحبك عندى يستجد ويربح

اذا غير النأى المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أرسلت خرقاء الى القُحَيف العقيلى تسأله أن يشبب بها فقال

لقد أرسلت خرقاء نحوي حُويها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

قال رجل من بنى النجار خرجت أمشى فى ناحية البادية فمررت على فتاة قائمة على باب بيت فقمت أكلمها ، فنادتنى عجوز من ناحية الخباء ما يقيمك على هذا الغزال النجدى؟ فوالله ما تنال خيراً منه ولا ينفعك ، قال وتقول هى دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة

وان لم يكن إلا مُعَرَّس ساعة قليل فانى نافع لي قليلها

فسألت عنهما فقيل لي العجوز خرقاء ذى الرمة والفتاة بنتها

ومما يغني به فى قصيدته العينية

أمنزلتى مى سـلام عليكما هل الا زمن اللائى مضين رواجع
وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاثُ الأثافى والديار البلاقع
توهمتها يوماً فقلت لصاحبى وليس بها إلا الظباء الخواضع
وموشيةً سُحْم الصياصى كأنها مُجَلَّلة حُوٌّ عليها البراقع
قِفِ العيس ننظر نظرة فى ديارها فهل ذاك من داء الصبابة نافع
فقال أما تغشى لميـة منزلا من الأرض إلا قلت هل أنا راجع
وقلّ إلى أطلال مى تحيـة تحيا بها أو أن تُرِشَّ المدامع

ومما أنشده لجمع فيهن مى

نظرت إلى أظعان مى كأنهـا ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه
فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكاء الفتى خاف الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعـاتبه
وقد حلفت بالله ميـة ما الذى أحدثهـا الا الذى أنا كاذبه
اذاً فرمانى الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فقالت مية ويحك ياذا الرمة خف الله وعواقبه ثم أنشد حتى بلغ قوله

اذا سرحت من حب مى سوارح على القلب أمته جميعاً عوازبه

فقالت لها احداهن قتلته قتلك الله ، فقالت مية ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يطير بلحية عصمة بن مالك راوى الحديث ثم أنشد حتى أتى على قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا لك الوجه فيها أو نضا الدرع سالبه
فما شئت من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جاذبه

فقالت احداهن فقد بدا لك الوجه وتنوزع القول فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فقالت لها مية قاتلك الله فماذا تأتين به؟

ومما يغنى به من شعره

اذا هبت الأرواح من أي جانب ... به أهل مى هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما ... هوى كل نفس حيث كان حبيبها

توفى ذو الرمة فى خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة ودفن بحُزْوَى وهى الرملة التى كان يذكرها فى شعره وكان يريد هشاماً وقال فى طريقه ذلك

بلاد بها أهلون لست ابن أهلها ... وأخرى بها أهلون ليس بها أهل

قال جبر بن رباط أنشد ذو الرمة الناس شعراً له وصف فيه الفلاة بالثعلبية ، فقال له حَلبس الأسدي انك لتنعت الفلاة نعتاً لا تكون منيتك الا بها ، قال وصدر ذو الرمة على أحد جَفْرى بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة ، فلما أشرف على البصرة قال

انى لعانيها وانى لخائف ... لما قال يوم الثعلبية حلبس

ويقال ان هذا آخر شعر قاله ، فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ولم تكن تنفر منه وعليها شرابه وطعامه ، فلما دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال انه قال عند ذلك

ألا أبلغ الفتيان عني رسالة ... أهينوا المطايا هن أهل هوان

فقد تركتني صيدح بمضلة ... لسانى ملتاث من الطَّلوان[1]

فوردت ناقته على أهله فى مياههم فركبها أخوه وقص أثره حتى وجده ميتاً وعليه خلع الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه ، وكانا آخر ما قاله

يارب قد أشرفت نفسى وقد علمت ... علماً يقيناً لقد أحصيت آثارى

يامخرج الروح من جسمى اذا احتضرت ... وفارج الكرب زحزحني عن النار

(١) بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش ويقال العليان

عمرو بن الحصين

هو عمرو بن الحصين مولى تميم من شعراء الشراة

حديث طالب الحق

هو عبد الله بن يحيى الكندي الذى تسميه الخوارج طالب الحق

كان عبد الله بن يحيى من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، فرأى باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه ، وكتب الى أبي عبيدة ومسلمة بن أبي كريمة الذى يقال له كرديز مولى بني تميم وكان ينزل في الأزد والى غيره من الإباضية بالبصرة يشاورهم فى الخروج ، فكتبوا اليه « إن استطعت ألاّ تقيم يوماً واحداً فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدرى متى يأتى عليك أجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء » وشخص اليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى وغيره من الإباضية فبايعوه وقصدوا دار الامارة ، وعلى حضرموت ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه ، أقام عبد الله بن يحيى بحضرموت وكثر جمعه وسموه طالب الحق ، ثم توجه الى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في الفين و بلغ القاسم بن عمر أخا يوسف ابن عمر وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى فخرج يريده فى سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير فلقيه عبد الله بلحج قريباً من أبين فهزمه ومضى الى صنعاء فدخلها بعد حرب شديدة وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ وذكر وحذر ثم قال « انا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا اليه ، الاسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن امامنا ، رضينا بالحلال حلالا لا نبغى به بديلا ولا نشترى به شيئاً قليلا ،

وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى وعليه المعول ، من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك فى أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم الى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد عَدْل فيما حكم وندعو الى توحيد رب العالمين واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله ، أيها الناس ان من رحمة الله ان جعل فى كل فَتْرة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل من أهل الهوى ويصبرون على الألم فى جنب الله تعالى يقتلون على الحق فى سالف الدهور شهداء فما نسيهم ربك وما كان ربك نَسِيًا أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به فأبْلُوا الله بلاء حسناً فى أمره وذكره أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، وأقام بصنعاء أشهراً يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه ويكف عن الناس فكثر جمعه وأتته الشُّراة من كل جانب ، ولما جاء وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبَلْج بن عقبة وأبرهة بن الصباح فى تسعمائة وأمره ان يقيم بمكة اذا صدر الناس ويوجه بلجا الى الشام فقدم المختار مكة يوم التَّرْوية وعليها عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك فكره قتالهم ودعاهم الى الهُدْنة ، فقالوا نحن بحجنا أَضَنُّ وعليه أشَحّ ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفِر الناس النَّفْر الأخير ، فلما كان النَّفْر الأول نفر عبد الواحد وخلى مكة لأبى حمزة فدخلها بغير قتال وسار الى المدينة وجهز جيشاً الى الخوارج فساروا حتى نزلوا قُدَيد ، فلم يَرُعهم الا القوم قد خرجوا عليهم فقاتلهم الشُّراة وأكثروا القتل فيهم ولم يفلت منهم كثير أحد وكانت الموقعة لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة وبلغت قتلى قُديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا منهم من قريش ٤٥٠ ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالى ٧٠٠ ودخل الشراة المدينة بدون قتال فدخل أهلها فى طاعته وكف عنهم وقالت نائحة أهل المدينة تبكي قتلى قديد

ما للزمان ومالية أفنت قُدَيداً رجاليه
فلأبكين سريرة ولأبكين علانية
ولأبكين اذا خلو ت مع الكلاب العاوية
ولأثنين على قُدَيد يسوء ما أبلانيه

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى بني تميم

ما بال همك ليس عنك بعازب يَمْري سوابق دمعك المتساكب
وتبيت تكتلىء النجوم بمقلة عبرى تسر بكل نجم دائب
حذر المنية أن تجيء بداهة لم أقض من تبع الشراة مآربي
فأقود فيهم للعدا شنِجَ النسا عبل الشوى أسوان ضمر الحالب
متحدراً كالسيد أخلص لونه ماء الحسيك مع الجلال اللاتب
أرمي به من جمع قومي معشراً بُوراً الى جبرية ومعايب
في فتية صُبُر ألفهم به لفّ القداح يدَ المفيض الضارب
فنديرُ نحن وهم فيما بيننا كأس المنون تقول هل من شارب
فنظل نُسقيهم ونشرب من قنًا سمر ومُرْهفة النصول قواضب
بينا كذلك نحن جالت طعنة نجلاء بين لهًا وبين ترائب
جوفاء مُنْهِرة (١) تُرِي تامورها ظُبتا سنان كالشهاب الثاقب
أهوى لها شق الشمال كأنني حفَض (٢) لقًى تحت العجاج العاصب
يارب أوجبها ولا تتعلقن نفسي المنون لدى أكف قرائب
كم من أولي مقة صحبتهم شرًا فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب
متأوهين كأن في أجوافهم ناراً تسعرها أكف حواطب
تلقاهم فتراهم من راكع أو ساجد متضرع أو ناحب

(١) أنهر الطعنة وسعها والتامور الدم (٢) الحفض المتاع

يتلو قوارع تمترى عبراته فيجودها مرئ المرىء الحالب
سبر مجانفة الأمور أطبة للصدع ذى النبأ الجليل مذائب
ومبرئين من المعايب أحرزوا خصل المكارم أتقياء أطايب
عدوا صوارم للجلاد وباشروا حد الظبات بأنف وحواجب
ناطوا أمورهم بأمر أخ لهم فرمى بهم قحم الطريق اللاحب
متسربلى حلق الحديد كأنهم أسد على لحق البطون سلاهب
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل تنفى عداها جانباً عن جانب
تحمى أعنتها وتحوى نهجها لله أكرم فتية وأشايب
حتى وردن حياض مكة قطنا يحكين واردة اليمام القارب (١)
ما ان أتين على أخى جبرية الا تركنهم كأمس الذاهب
فى كل معترك لهم من هامهم فلق وأيد علقت بمناكب
سائل بيوم قديد عن وقعاتها تخبرك عن وقعاتها بعجائب

دخل أبو حمزة المدينة سنة ١٣٠ ، فرقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال «يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم ، وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم ، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم فقلتم لا ، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فان ظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه فقلتم لا ، فقلنا لكم فخلوا بيننا وبينهم فان ظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم فيأكم بينكم فأبيتم وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم ، يا أهل المدينة مررت بكم فى أزمان الأحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم فركبتم اليه تسألونه

(١) القارب طالب الماء ليلا

أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعها عنكم ، فزاد الغني غنى والفقير فقراً ، فقلتم جزاك الله خيراً فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم » وانتخب مروان من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم عبد الملك بن عطية السعدي أحد بني سعد بن بكر ، وقال أبو صخر حين بلغه قدوم ابن عطية

قل للذين استضعفوا لا تعجلوا ... أتاكم النصر وجيش جحفل
عشرون ألفاً كلهم مسربل ... يقدمهم جلد القوى مستبسل
دونكم ذاك يمين فاقبلوا ... وواجهوا القوم ولا تستخجلوا
عبد المليك القلبي الحوّل ... أقسم لا يفلى ولا يرجّل
حتى يبيد الأعور المضلّل ... ويقتل المصباح والمفضل

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم ، وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة ليقاتل ابن عطية ، فلقيه بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ١٣٠ ، فقتل بلج وأكثر أصحابه ولم يرجع الى أبي حمزة الا ثلاثون رجلاً ، وخرج أبو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلاً يقال له المفضل عليها فدعا عبد الرحمن ابن أسيد الى قتالهم ، فالتف عليه البربر والزنج وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامة أصحابه فلم يبق بالمدينة منهم أحد ، وأتى ابن عقبة المدينة فأقام بها شهراً ، ثم توجه الى مكة فلقي جنود أبي حمزة فقهرهم وقتل أبو حمزة وقتلت معه امرأته وهي ترتجز وتقول

أنا الجعيداء وبنت الأعلمْ ... من سال عن إسمي فاسمي مريم
بعت سواريّ بسيف مخذم

وذهب فلّ الشراة الى عبد الله بن يحيى فأقبل من صنعاء معه أصحابه يريد قتال ابن عطية ، وبلغ ابن عطية خبره فشخص اليه ، فالتقوا ، فأكثر أهل الشام القتل فيهم ولم يزالوا حتى قتل عبد الله بن يحيى وأكثر من معه ، فقال عمرو بن الحصين يرثيه وأبا حمزة

هبّت قبيل تبلج الفجر هند تقول ودمعها يجرى
أن أبصرت عيني مدامعها ينهل واكفها على النحر
أنّي اعتراك وكنت عهدي لا سرب الدموع وكنت ذاصبر
أقذى بعينك ما يفارقها أم عائر أم مالها تذري
أم ذكر اخوان فجعت بهم سلكوا سبيلهم على خبر
فأجبتها بل ذكر مصرعهم لا غيره عبراتها تمري
يا رب أسلكني سبيلهمُ ذا العرش واشدد بالتقى أزرى
في فتية صبروا نفوسهمُ للمشرفية والقنا السمر
تالله ألقى الدهر مثلهمُ حتى أكون رهينة القبر
أوفى بذمتهم اذا عقدوا وأعف عند العسر واليسر
متأهلين لكل صالحة ناهون من لاقوا عن النكر
صمت اذا احتضروا مجالسهم وزن لقول خطيبهم وقر
الا تجيبهمُ فانهمُ رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضى للخوف بين ضلوعهم يسرى
تلقاهمُ إلا كأنهمُ خشوعهم صدروا عن الحشر
فهمُ كأن بهم جوى مرض أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم فيه غواشي النوم بالسكر
إلا كذا خلساً وآونة حذر العقاب وهم على ذعر
كم من أخ لك قد فجعت به قوام ليلته الى الفجر
متأوه يتلو قوارع من آي القران مفزع الصدر
نصب تجيش بنات مهجته من خوف جيش مشاشة القدر
ظمآن وقدة كل هاجرة تراك لذته على قدر

تراك ما تهوى النفوس اذا رُغَب النفوس دعت الى النزر
والمصطلى بالحرب يسعرها بغبارها وبفتية سُعُر
يجتاحها بأفَلَّ ذى شُطَب عَضْب المضارب قاطع يُفْرى
لا شئ يلقاه أسر له من طعنة فى ثُغْرة النحر
مُنْهِرة منه تجيش بما كانت عواصى جوفه تجرى
كخليلك المختار أَذْكِ به من مغتد فى الله أو مُسْر
خواض غمرة كل مَتْلَفة فى الله تحت العِثْير الكَدْر
تراك ذى النَّخوات مختضبا بنجيعه بالطعنة الشَّزْر
وابن الحصين وهل له شبه فى العرف أَنَّى كان والنُّكر
بشهامة لم تَحْنِ أضلعه لذوى أخوته على غمر
طَلْق اللسان بكل محكمة رآب صدع العظم ذى الوقر
لم ينفكك في جوفه حزن تَغْلِى حرارته وتستشرى
ترقى وآونة يخفضها بتنفس الصُّعَداء والزَّفر
ومخالطى بَلْج وخالصتى سَمّ العدو وجابرى الكسر
نِكل الخصوم اذا هم شَغَبوا وسِداد ثَلْمة عورة الثَّغْر
والخائض الغمرات يخطِر فى وسط الأَعادى أيما خَطْر
بمُشَطَّب أو غير ذى شُطَب هام العدى بذُبابه يَفْرى
وأخيك أبرهة الهِجان أخى الحرب العَوان ملقح الجمر
بمُرِشَّة (١) فَرْغا تَثِج دما ثَجّ الغوى سُلافة الخمر
والضارب الأخدود ليس لها أحد ينهنهها عن السَّحْر (٢)

(١) المرشة الطعنة ورشاشها دمها والفرغاء الواسعة (٢) الضربة الأخدود هى التى يخد فى الجلد أى بشق والسحر الرئة

وولى حكمهم فجعت به عمرو فوا كبدى على عمرو
قوال محكمة وذى فهم عفّ الهوى متثبت الأمر
ومسيب فاذكر وصيته لا تنسها ما كنت ذا ذكر
فكلاهما قد كان محتسبا لله ذا تقوى وذا برّ
فى مُخْبِتين ولم أسمهمُ كانوا يدى وهم أولو نصرى
وهمُ مساعر فى الوغى رُجُح وخيار من يمشى على العفر
حتى وفَوْا لله حيث لقُوا بعهود لا كذب ولا غدر
فتخالسوا مهجات أنفسهم وعداتهم بقواضب بُتْر
وأسنة ركبن فى لُدُن خطية بأكفهم زهر
تحت العَجاج وفوقهم خرَق تخفقن من سود ومن حمر
فتفرجت عنهم كأنهمُ لم يغمضوا عيناً على وِتْر
فشعارهم نيران حربهمُ ما بين أعلى الشِّحر فالحجر (١)
صَرْعَى نخالجة تنوبهمُ وجوامع (٢) لحماتهم تفرى

ثم ذهب ابن عطية الى صنعاء فأنقاها من الخوارج

(١) الشحر صقع بين عدن وعمان والحجر ديار ثمود بوادى القرى (٢) الجامعة الغل

شعراء أسد

أيمن بن خريم

هو أيمن بن خُريم بن فاتك الأسدي من أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر

شاعر اسلامى أموى ، وكان يتشيع ، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفّين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها

وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان منازعة ، فتعصب لكل واحد منهما أخواله وكان أيمن حاضراً فاعتزل هو ورجل من قومه يقال له ابن كوز وقال

أأقتل بين حجاج ابن عمرو ... وبين خصيمه عبد العزيز
أنقتل ضلّة فى غير شىء ... ويبقى بعدنا أهل الكنوز
لعمر أبيك ما أوتيت رشدي ... ولا وفقت للحرز الحريز
فانى تارك لهما جميعاً ... ومعتزل كما اعتزل ابن كوز

أصاب يحيى بن الحكم جارية فى غزاة وبها وضح ، فقال أعطوها أيمن بن خريم وكان موضحاً ، فأنشأ يقول

تركت بني مروان تندى أكفهم ... وصاحبت يحيى ضلّة من ضلاليا
فانك لو أشبهت مروان لم تقل ... لقومى هجرا ان أتوك ولا ليا

قال عبد الملك بن مروان يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعر ومرة بالبحر الأجاج ، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم فى بني هاشم ؟

نهاركمُ مكابدة وصوم ... وليلكمُ صلاة واقتراء

وليتم بالقران وبالتزكى فأسرع فيكمُ ذاك البلاء
بكى نجد غداة غد عليكم ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل أرض فارقوها عليكم لا أبالكم البكاء
أأجعلكم وأقواماً سواء وبينكمُ وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء

دخل نصيب يوماً الى عبد العزيز بن مروان فأنشده قصيدة له امتدحه بها ، فأعجبته وأقبل على أيمن بن خريم ، فقال كيف ترى شعر مولاى ؟ قال هو أشعر أهل جلدته ، فقال هو أشعر والله منك ، قال أمنّى أيها الأمير ؟ فقال إى والله ، قال لا والله ولكنك طرف ملول ، فقال له لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك ، فقال له ائذن لي أيها الأمير فى الانصراف ، قال ذلك اليك ، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان وقال فيه

ركبت من المقطّم فى جُمادَى الى بشر بن مَرْوان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر عمود الدين ان له عمودا
ودع بشراً يقوّمهم ويُحْدِثْ لأهل الزيغ إسلاماً جديدا
وانا قد وجدنا أم بشر كأُم الأسد مِذْكاراً ولودا
كأن التاج تاج أبى هِرَقْل جَلَوْه لأعظم الأيام عيدا
يخالف لونه ديباج بشر اذا الألوان خالفت الخدودا

يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز ، ولما أتى بشراً نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً ، فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه ؟ فقيل له ليس على الأمير حجاب ولا ستر ، فدخل وهو يقول

يُرَى بارزاً للناس بشر كأنه اذا لاح فى أثوابه قمر بدر

ولو شاء بشر أغلق الباب دونه طماطم[1] سود أو صقالبة شُقْر
أبى ذا ولكن سهل الاذن للتى يكون له فى غبِّها الحمد والشكر

فضحك اليه بشر وقال إنا قوم نحجب الحرم وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم

لما طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق وهم لا يُغنون شيئاً قال أيمن

أتينا بهم مائتى فارس من السافكين الحرام العَبيطا
وخمسون من مارقات النساء يسحبن للمنديات[2] المروطا
وهم مائتا ألفٍ ذوى قَوْنَس يَئطّ العراقان منهم أطيطا
رأيت غزالة ان طرّحت بمكة هودجها والغبيطا
سمت للعراقين فى جمعها فلاقى العراقان منها البَطيطا[3]
ألا يستحى الله أهل العرا ق أن قلدوا الغانيات السموطا
وخيل غزالة تسبى النساء وتحوي النهاب وتحوي النبيطا

ومن قوله

وصهباء جُرْجانية لم يَطُفْ بها حنيف ولم تَنْغَر[4] بها ساعة قدر
ولم يشهد القَسُّ المهيئم نارها طروقاً ولا صلى على طبخها حبر
أتانى بها يحيى وقد نمت نومة وقد غابت الجوزاء وانحدر النَّسر
فقلت اصطبحها أو لغيري أَسقها فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها فى العصور التى خلت فكيف التصابى بعد ما كلأ[5] العمر
اذا المرء وفّى الاربعين ولم يكن له دون ما يأتى حجاب ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى ولو مد أسباب الحياة له العمر

(١) الطمطم بالكسر من فى لسانه عجمة لا يفصح (٢) المنديات المخزيات
(٣) البطيط الأمر العجيب (٤) تغلى (٥) كلأ انتهى الى آخره وأقصاه

كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء فلما أسن ضعف وازداد غرامه بهن فدخل اليه يوماً أيمن فقال كيف أنت ؟ فقال بخير يا أمير المؤمنين ؟ قال فكيف بقوتك ؟ فقال كما أحب والله الحمد انى لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر وأشرب العسّ المملوء وأرتحل البعير الصعب وأنصبه وأركب المهر الأرن فأذلله وأفترع العذراء ولا يقعدنى عنها الكبر ولا يمنعنى عنها الحصر ولا يُزوينى منها الغمر ولا ينقص مني الوطر ، فغاظ عبد الملك قوله وحسده فمنعه العطاء وحجبه وقصده بما كره حتى أثر ذلك فى حاله ، فقالت له امرأته ويحك اصدُقني عن حالك هل لك جرم ؟ قال لا والله ، قالت فأى شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر مالقيته ؟ فأخبرها ، فقالت انا لله من ههنا أتيت ، أنا أحتال لك فى ذلك حتى أزيل ماجرى عليك فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك ، فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجه فقالت أسألك أن تستعدى لى أمير المؤمنين على زوجى ، قالت وماله ؟ قالت والله ما أدرى أنا مع رجل أو حائط وان له لسنين ما يعرف فراشى فسليه أن يفرق بينى وبينه ، فخرجت عاتكة الى عبد الملك فذكرت ذلك له وسألته فى أمرها ، فوجه الى أيمن بن خريم فحضر فسأله عما شكت منه فاعترف به ، فقال أولم أسألك عاماً أول عن حالك فوصفت كيت وكيت ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل ليتجمل عند سلطانه ويتجلد على أعدائه بأكثر مما وصفت نفسى به وأنا القائل

لقيت من الغانيات العُجابا ... لو أدرك منى الغوانى الشبابا
ولكن جمع النساء الحسان ... عناء شديد اذا المرء شابا
ولو كِلْت بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب الثيابا
اذا لم تُنِلهن من ذاك ذاك ... جحدنك عند الأمير الكتابا
يَذُدن بكل عصا ذائد ... ويصبحن كل غداة صِعابا

إذا لم يخالطن كل الخلا ط أصبحن مُخْرَنطمات غضابا
علام يكحلن حور العيون ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
ويعركن بالمسك أجيادهن ويدنين عند الحجال العِيابا
ويبرقن إلا لما تعلمون فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال أولى لك يا ابن خُرَيم لقد لقيت منهن تَرَحاً فما ترى أن نصنع فيما بينك وبين زوجك ؟ قال تستأجلها سنة وأداريها لعلى أستطيع امساكها ، قال أفعل ذلك وردها اليه وأمر له بما فات من عطائه وعاد الى بره وتقريبه

الحكم بن عبدل

هو الحكم بن عبْدل الأسدى من غاضرة بن مالك ثم من بني أسد بن خزيمة شاعر مجيد مقدم فى طبقته هجّاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج أحدب ومنزله ومنشؤه الكوفة . من شعره وفيه غناء

لقد حثّوا الجمال ليهربُوا منا فلم يئلوا
على آثارهن مُقَلَّص السربال معتمل
وفيهم قلبك المتبو ل بالحسناء مختبل
مخففة بحمل حما ئل الديباج والحلل
أسائل عاصما فى السر أين تراهمُ نزلوا
فقال همُ قريب منك لو نفعوك اذ رحلوا

كان للحكم حاجة الى عبد الملك بن بشر بن مروان فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام حتى جاء رجل فقال انى رأيت لك رؤيا ، فقال هاتها ، فقصها عليه ، فقال ابن عبدل وأنا قد رأيت أيضاً ، قال هات ما رأيت ، فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مُسهَّد ... فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فحبوتني فيما أرَى بوليدة ... مغنوجة حسن علىَّ قيامها
وببَدْرة حملت إليَّ وبغلة ... شهباء ناجيةٍ يصلُّ لجامها
ليت المنابر يا ابن بشر أصبحت ... ترقى وأنت خطيبها وامامها

فأعطاه عبد الملك كل ما ذكر

دخل على ابن هبيرة وكان بخيلا فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال

أتيتك في أمر منَ آمر عشيرتى ... وأعمى الأمور المفظعات جسيمها
فان قلت لى فى حاجتى أنا فاعل ... فقد ثلجت نفسى وولى همومها

قال أنا فاعل ان اقتصدت فما حاجتك ؟ قال غرم لزمني فى حمالة ، قال وكم هى ؟ قال أربعة آلاف ، قال نحن مناصفوكها ، قال أصلح الله الامير أتخاف علىَّ التخمة ان أتممتها ؟ قال أكره أن أعود الناس هذه العادة ، قال فأعطني جميعها سراً وامنعنى جميعها ظاهراً حتي تعود الناس المنع وإلا فالضرر عليك واقع ان عوضتهم نصف مايطلبون ، فضحك ابن هبيرة وقال ماعندنا غير ما بذلناه لك ، فجثا بين يديه وقال امرأته طالق لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان ، قال أعطوه إياها قبحه الله فانه ما علمت حلاف مَهين ، فأخذها وانصرف

وقع طاعون بالكوفة أفنى بنى غاضرة ومنهم زِرّ بن حبيش وكانوا ظرفاء فقال الحكم بن عبدل يرثيهم

أبعد بني زِرّ وبعد ابن جَنْدل ... وعمرو أرجّي لذة العيش فى خفض
مضَوْا وبقينا نأمُل العيش بعدهم ... ألا ان من يبقى على إثر من يمضى
فقد كان حولى من جياد وسالم ... كهول مساعير وكل فتى بضّ
يرى الشح عاراً والسماحة رفعة ... أغرّ كعود البانة الناعم الغض

سأل محمد بن حسان حاجة لرجل سأله مسألته اياها وهى أن يضع عنه ثلاثين

درهماً من خراجه ، فقال أماتنى الله ان كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ، فقال فيه

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً ... وكنت أراه ذا وَرَع وقصد
يقول أماتنى ربى خداعاً ... أمات الله حسان بن سعد
فلولا كسبه لوُجدتَ فَسْلاً ... لئيم الكسب شأنك شأن عبد
ركبت اليه فى رجل أتانى ... كريم يبتغى المعروف عندى
فقلت له و بعض القول نصح ... ومنه ما أسر له وأبدى
تَوَقَّ كرائم البكرى انى ... أخاف عليك عاقبة التعدى
أقرب كل آصرة ليدنو ... فما يزداد منى غير بعد
فأقسم غير مستثن يميناً ... أبا بخر لتتخمن ردى

واشتهرت هذه القصيدة حتى ان كان المُكارى يسوق بغله أو حماره فيقول عدّ أمات الله حسان بن سعد فاذا سمع ذلك أبوه قال بل أمات الله ابنى محمدا فهو عرضني لهذا البلاء فى ثلاثين درهماً

كان الحكم صديقاً لبشر بن مروان فرأى منه جفاء لشغل عرض له فغاب عنه شهراً ثم التقيا فقال يا ابن عبدل مالك تركتنا وقد كنت لنا زواراً ؟ فقال

كنت أثنى عليك خيراً فلما ... أضمر القلب من نوالك ياسا
كنت ذا منصب قَنَيت حيائى ... لم أقل غير أن هجرتك باسا
لم أُطق ما أردت بى يا ابن مروا ... ن ستلقى اذا أردت أناسا
يقبلون الخسيس منك ويُثنو ... ن ثناء مُدَخْساً دخماسا

فقال له لانسومك الخسيس ولا نريد منك ثناء مدخساً ووصله وحمله وكساه

ولما مات بشر رثاه بقوله

أصبحت جَمَّ بلابل الصدر ... متعجباً لتصرف الدهر

ما زلت أطلب فى البلاد فتى ليكون لي ذُخراً من الذُّخر
ويكون يُسعدنى واسعده فى كل نائبة من الأمر
حتى اذا ظفرت يداى به جاء القضاء بحَيْنِه يجرى
انى لفى هم يبـاكرنى منه وهم طارق يسرى
فلأصبرن وما رأيت دوا للهمّ غير عزيمة الصبر
والله ما استعظمت فرقته حتى أحاط بفضله خُبرى

كان الحكم أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله ، فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نوفل

عصا حكم فى الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى ما أردت من عصاى حتى صيرتها ضحكة ؟ واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع

كان للحكم صديق أعمى يقال له أبو عُلية ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما الى منزل بعض اخوانهما ، والحكم يُحمل ، وأبو علية يقاد ، فلقيهما صاحب العَسَس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا فى الحبس نظر الحكم الى عصا أبى علية موضوعة الى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول

حبسي وحبس أبى علية من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد لا الرجل منه ولا اليدان
هذا بلا بصر هنا ك وبي يَخُبّ الحاملان

يا من رأى ضَبّ الفلا ة قرين حوت في مكان
طِرْفي وطرف أبي علية دهرنا متوافقان
من يفتخر بجواده فجوادنا عكازتان
طِرْفان لا علفاهما يشرى ولا يتصاولان
هبني وإياه الحريق أكان يسطع بالدخان

وكان اسم أبي علية يحيى ، فقال فيه الحكم أيضاً

أقول ليحيى ليلة الحبس سادرا ونومي به نوم الأسير المقيد
أعنّي على رعي النجوم ولحظها أُعنك على تحبير شعر مقصّد
ففي حالتينا عبرة وتفكر وأعجب شيء حبس اعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازه يهدي الى السبل أكمها وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد

ولي الشُّرطة بالكوفة رجل أعرج ، ثم ولى الامارة آخر أعرج ، وخرج ابن عبدل وكان أعرج ، فلقي سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل

ألق العصا ودع التحامق والتمس عملاً فهذي دولة العُرْجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فان الربع للشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير ، فبعث اليه بمائتي درهم وسأله أن يكف عنه

صحب ابن عبدل معروف بن بشر حيناً ، فأبطأ عنه بصلته ، فتغيب عنه أياماً ثم أتاه ، فقال أين كنت ؟ قال أصلح الله الأمير خطبت بنت عم لي فأرسلت إليّ إن لي أشاوَى [1] على الناس وديوناً فانطلق فاجمع ذلك ثم ائتني فأفعل ، ففعلت ، فلما أتيتها بحاجتها كتبت إليّ تؤيّسني وتقول

(٢) أشاوى جمع أشياء

سيخطئك الذى أملت مني ... اذا انتقضت عليك قُوَى حبالى
كما أخطاك معروف بن بشر ... وكنت تعده لك رأس مال
فلا والله لو كرهت شمالى ... يميني ما وصلت بها شمالى

فضحك ابن بشر وقال ما ألطف ما سألت، وأمر له بعشرة آلاف درهم

أراد عمر بن هُبيرة أن يُغْزِى الحكم فاعتل بالزَّمانة، فحمل وألقى بين يديه فجرده فاذا هو أعرج مفلوج فوضع عنه الغزو وضمه اليه وشخص به معه الى واسط، فقال الحكم

لعمري لقد جردتني فوجدتني ... كثير العيوب سيء المتجرد
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ... ووفقت مني للقضاء المسدد

خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى الى مسجد بني غاضرة، وقد أقيمت الصلاة، فنزل يصلي، واجتمع الناس لمكانه فى الطريق، وأشرف النساء من السطوح، فلما قضى صلاته قال لمن هذا المسجد؟ قالوا لبني غاضرة، فتمثل قول الشاعر

ما إن تركن من الغواضر مُعْصِراً ... الا قصمن بساقها خلخالا

فقالت له امرأة من المشرفات

ولقد عطفن على فزَارة عَطفة ... كَرّ المنيح وجلن ثم مَجالا

فقال يزيد من هذه؟ فقالوا بنت الحكم بن عبدل، فقال هل تلد الحية الا حية؟ وقام خجلاً

كان ابن عبدل أعرج أحدب وكان من أطيب الناس وأملحهم، فلقيه صاحب العَسَس ليلة وهو سكران محمول في مَحَفَّة، فقال له من أنت؟ فقال يا بغيض أنت أعرف بى من أن تسألنى من أنا، فاذهب الى شغلك، فانك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة، فضحك الرجل وانصرف عنه

دخل ابن عبدل على ابن هُبيرة فقال له أنشدنى شيئاً ، فقال أنشدك مقولة أيها الأمير ، قال هات ، فأنشده هذه الأبيات وهى قديمة ، وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويروي أنها لأعشى همدان

نجمّ ولا نعطى وتعطى جيوشهم ... وقد ملؤا من مالنا ذا الأكارع
وقد كفونا عُدَّة وروائعـــا ... فقد وأبى رُعنا كمُ بلروائع
ونحن جلبنا الخيل من ألف فرسخ ... اليكم بمحمر من الموت ناقع

فغضب ابن هبيرة من تعريضه وقال له والله لولا أنى قد أمنتك واستنشدتك لضربت عنقك

كانت للحكم جارية سوداء وقد كان يميل اليها ، فولدت ابناً أسود ، فكان من أعرم الصبيان ، فقال فيه

يارب خال لك مسود القفا ... لا يشتكي من رجله مس الحفا
كأن عينيـــه اذا تشوفا ... عينا غراب فوق نيق[1] أشرفا

ولد للحكم ابن فسماه بشراً ، ودخل على بشر بن مروان فقال

سميت بشراً ببشر الندى ... فلا تفضحنى بتصداقها
اذا ما قريش قريش البطا ... ح عند تجمع آفاقها
تسامت قرومهمُ للندى ... تبارى الرياح بأوراقها
فمالك أنفع أموالها ... وخلقك أكرم أخلاقها

فأمر له بألفى درهم وقال له استعن بهذه على أمرك

اقترض ابن عبدل مالا من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يقضيهم المال عند طلوع الهلال ، فلما بقى من الشهر يومان قال

قد بات همى قِرْناً أكابده ... كأنما مضجعى على حَجَر

(١) النيق أرفع موضع فى الجبل

من رهبة أن يرى هلال غد فان رأوه فحق لي حذرى
وفقد بيضاء غادة كملت كأنها صورة من الصور
أصبحت من أهلىَ الغداة ومن مالي على مثل ليلة القدَر

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم مالهم عليه وأضعفه له فقال

لما أتاه الذى أصبت به وأنشدوه إياه فى شعرى
جاد بضعفى ماحل من غرمى عفواً فزالت حرارة الصدر
لأشكرن الذى منت به مادمت حياً وطال لي عمرى

اجتمع الشعراء الى الحجاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجاج انما شعر ابن عبدل كله هجاء وشعر سخيف ، فقال قد سمعت قولهم فاستمع مني ، قال هات ، فأنشده قوله

وانى لأستغنى فما أبطَرُ الغنى وأعرض ميسورى لمن يبتغى قرضى
وأعسر أحياناً فتشتد عسرتى فادرك ميسور الغنى ومعى عِرضى
وما نالنى حتى تجلت فأسفرت أخو ثقة فيها بقرض ولا فرض
ولكنه ميب الاله ورحلنى وشدي حيازيم المطية بالغَرْض (١)
لأكرم نفسى أن أُرَى متخشعاً لذى منة يعطى القليل على النَّحْض (٢)
قد امضيت هذا فى وصية عَبْدَل ومثل الذى أوصى به والدى أُمضى
أكف الأذى عن أسرتي وأذوده على انني أجزى المقارض بالقرض
وأبذل معروفي وتصفو خليقتى اذا كُدِّرت أخلاق كل فتى مَحْض
وأقضى على نفسي اذا الحق نابني وفى الناس من يُقْضَى عليه ولا يقضى
وأمضى همومى بالزَّماع لوجهها اذا ما الهموم لم يكد بعضها يمضي
وأستنقذ المولى من الأمر بعدما يزِلّ كمازلّ البعير عن الدَّحض (٣)

(١) الغرض حزام الرحل (٢) النحض اللحم (٣) الدحض الزلق

وأمنحه مالي وودى ونصرتى وان كان محنىَّ الضلوع على بغضى
ويغمره سيبي ولو شئت ناله قوارع تبرى العظم من كلم مَضّ (١)
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائى ولا أرضى

فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم فى كل مرة يعطيهم

الكميت

هو الكُميت بن زيد بن خُنيس الأسدى من ثعلبة بن دُودان بن أسد شاعر مقدم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القَحْطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها، وكان فى أيام بنى أمية ولم يدرك بنى العباس وكان معروفا بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره، ولم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة والمناقضة بينه وبينهم شائعة فى حياته وبعد وفاته حتى ناقض دِعْبِل وابن أبى عُيَيْنَة قصيدته المذهبة بعد وفاته وأجابهما أبو الذلفاء البصرى مولى بني هاشم عنها، وكانت بينه وبين الطِّرِماح خُلْطة ومودة لم تمكن بين اثنين، على تفاوت المذهب والعصبية والديانة، كان الكميت شيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مُضَر متعصباً لأهل الكوفة والطرماح خارجى صُفْرى قحطانى عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لأهل الشام، فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء؟ قال اتفقنا على بغض العامة

لما قال قصيدته التى مطلعها ـ ألا حييت عنا يا مدينا ـ وهجا فيها قبائل قحطان غضب عليه خالد القَسْرى فاشترى جوارى روَّاهن قصائد الكُمَيت الهاشميات ودسهن الى هشام بن عبد الملك فلما سمع تلك القصائد منهن وعلم قائلها كتب الى

(١) المض مصدر مضه يمضه مضاً فأقام المصدر مقام الفاعل كما قالو رجل عدل أى عادل

خالد أن يقطع لسان الكميت ويده فهرب الى الشام واستجار بمَسْلَمة بن هشام واستجار أيضاً بقبر معاوية بن هشام وكان قد مات حديثاً فكلم أبناؤه فيه جدهم فأحضره هشام وقال له يا كميت أنت القائل

والا تقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها نردي بنا وهي شُزَّب

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أما بعد فانى كنت أتَدَهْدَى فى غَمْرة ، وأعوم في بحر غَواية ، أخنى علىَّ خَطَلها ، واستفزنى وَهَلُها ، فتحيرت فى الضلالة وتسكعت فى الجهالة ، مُهْرِعاً عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية ، فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحَوْبة بالتوبة ، واصفح عن الزَّلة ، واعف عن الجرمة ، ثم قال

كم قال قائلكم لعاً لكَ عند عثرته لعاثر
وغفرتمُ لذوي الذنو ب من الأكابر والأصاغر
أبني أميـــة انكم أهل الوسائل والأواصر
ثمتى لكل ملمـــة وعشيرتى دون العشائر
أنتم معـاون للخلا فة كابراً من بعد كابر
بالتسعـة المتتابعيـــن خلائفاً وبخير عاشر
والى القيامة لا تزا ل لشافع منكم وواتر

ثم قطع الانشاد وعاد الى خطبته فقال إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ، ومناط المتتجعين بحبله ، من لا تحل حَبْوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين — فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغَواية ، ودَلَّاك فى العماية ؟ قال الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد عزما — فقال ايه أنت القائل

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب

فقال بل أنا القائل

الى آل بيت أبى مالك مناخ هو الأرحب الأسهل
نَمَتْ بأرحامنا الداخلا ت من حيث لا ينكر المدخل
بمرة والنضر والمالكيـ ـن رهط هم الأنبل الأنبل
وبارى خزيمة بدر السما ح والشمس مفتاح ما نأمل
وجدنا قريشاً قريش البطاح على ما بنى الأول الأول
بهم صلحَ الناس بعد الفساد وحيص من الفتق مارَ عبْلوا[1]

فقال له وأنت القائل

لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعدُ أو كهشام
من يمت لا يمت فقيداً ومن يَحْيَ فلا ذو إلّة ولا ذو زِمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يَرْقُب فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة، فقال بل أنا القائل يا أمير المؤمنين

فالآن صرت الى أميـ ـة والامور الي مصاير
والآن صرت بها المصيـ ـب كمهتد بالامس حائر
يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحة الأخاير
من عبد شمس والاكا بر من أمية فالاكابر
ان الخلافة والإلـ ـف برغم ذى حسد وواغر
دَلَفا من الشرف التلـ ـيد اليك بالرفد الموافر
فحللت مُعْتَلَج البطا ح وحل غيرك بالظواهر

فقال له ايه أنت القائل

فقل لبنى أميـة حيث حلوا وان خفت المهنّد والقطيعا

(١) رعبل الثوب مزقه وحاص الثوب خاطه بلا رقعة

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجَوْركمْ أجيعا
بمرضيِّ السياسة هاشمى يكون حياً لأمته ربيعا

فقال له لا تثريب يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب قال بماذا ؟ قال بقولي الصادق

أورثته الحِصان أم هشام حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيباً نظيرا
وكساه أبو الخلائف مَرْوا ن سَنِيَّ المكارم المأثورا
لم تجَهَّم له البطاح ولكن وجدتها له مَعاناً [1] ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر وكان الى جانبه ، ثم قال قد رضيت عنك يا كميت ، فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تزيد فى تشريفى ولا تجعل لخالد علىّ امارة ، قال قد فعلت ، وكتب له بذلك وأمر له بأربعين الف درهم وثلاثين ثوباً هشامية

كان هشام قد اتهم خالد بن عبد الله وكان يقال انه يريد خلعك فوجد بباب هشام يوماً رقعة فيها شعر فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهى

تألَّق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدْر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قِدْر الحرب وهى مقرة لكفيك واجعل دون قِدر جعالها
ولن تنتهى أو يبلغ الأمر حده فنَلْها برِسْل قبل الاَّ تنالها
فتَجْشِمَ منها ما جشَمت من التى بسُوراءَ هرَّت نحو حالك حالها
تلافَ أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا تخاف انحلالها
فما أبرم الأقوام يوماً لحيلة من الأمر الا قلدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرها وان لم تبح من لا يريد سؤالها

(١) المعان المنزل

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة فجُمعوا ، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم ، فقال شعر من تشبه هذه الأبيات ؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم انه كلام الكميت ، فقال هشام نعم هذا الكميت ينذرني بخالد بن عبد الله

وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس فأدخلت اليه والكميت حاضر ، فقال له يا أبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها ؟ قال إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى ان لها مثلا فى الدنيا فلا تفوتنك ، قال فصفها لي فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال

هى شمس النهار في الحسن الا ... انها فضلت بقتل الظراف
غضة بضة رخيم لعوب ... وعثة المتن شختة[1] الأطراف
زانها دلها وثغر نقى ... وحديث مرتل غير جاف
خلقت فوق منية المتمني ... فاقبل النصح يا ابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل ، وأمر له بجائزة سنية

جاء الكميت الى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له انى قد قلت شيئاً فاسمعه منى يا أبا فراس ، قال هاته فأنشده قوله

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ... ولا لعبا منى وذو الشوق يلعب
ولم تلهنى دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربنى بنان مخضب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن الي أهل الفضائل والنهى ... وخير بنى حواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نابني أتقرب
بنى هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منى جناحى مودة ... الى كنف عطفاه أهل ومرحب

(١) الشخت الدقيق الصامر من الأصل لا هزالا

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا محباً على انى أذم وأغضب
وأرمى وأرمى بالعداوة أهلها وانى لأوذى فيهمُ وأؤنب

فقال له قد طربت الى شئ ما طرب اليه أحد قبلك ، فأما نحن فلا نطرب ولا طرب من كان قبلنا الا الي ما تركت أنت الطرب اليه ، وقال له يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى

لما خرج زيد بن على كتب الى الكميت اخرج معنا أنست القائل

ما أبالي اذا حفظت أبا القا سم فيكم ملامة اللوام

فكتب اليه الكميت

تجود لكم نفسى بما دون وثبة تظل لها الغربان حولي تحجل

دخل الكميت على خالد القسرى فأنشده قوله فيه

لو قيل للجود من حليفك ما ان كان الا اليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذَّنَب
أحرزت فضل النِّضال فى مَهَل فكل يوم بكفك القَصَب
لو أن كعباً وحاتماً نشرا كانا جميعاً من بعض ما تَهَب
لا تُخلف الوعد ان وعدت ولا أنت عن المعتفين تحتجب
ما دونك اليوم من نوال ولا خلفك للراغبين منقلب

فأمر له بمائة الف درهم

ومن شعره وفيه غناء

هلا سألت معالم الأطلال والرسم بعد تقادم الأحوال
دِمَنا تَهيج رسومُها بعد البِلَى طربا وكيف سؤال أعجم بالي
يمشين مشى قَطا البِطاح تأوَّدا قُبَّ البطون رواجح الأكفال
من كل آنسة الحديث حَيِيَّة ليست بفاحشة ولا متفال

أقصى مذاهبها اذا لاقيتها في الشهر بين أسرّة وحجال
وتكون ريقتها اذا نبهتها كالشهد أو كسُلافة الجِرْيال

وهذا الشعر من قصيدة له يمدح بها مخلد بن يزيد المهلب يقول فيها

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال
فعدت بهم همماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال
فكأنما عاش المهلّب بينهم بأغرّ قاس مثاله بمثال
في كفه قصبات كل مقلد يوم الرهان وقوت كل نصال
ومتى أزنك بمعشر وأزنهم بك ألف وزنك راجح الأثقال

قال ابن شُبْرُمة للكميت انك قلت في بني هاشم فأحسنت وقلت في بني أمية أفضل ، قال انى اذا قلت أحببت أن أحسن

قال ابن كناسة كان الكميت طويلا أصم ولم يكن حسن الصوت ولا جيد الانشاد فكان اذا استُنشد أمر ابنه المستهل فأنشد وكان فصيحاً حسن الانشاد

كان الكميت مداحاً لأبان بن الوليد البَجَلي وكان أبان له محباً واليه محسناً ، فمدح الكميت الحكم بن الصَّلْت وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر بقصيدة أولها

طربت وهاجك الشوق الحثيث

فلما أنشده إياها وفرغ دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة ثم دعا بأبان بن الوليد فأدخل عليه وهو مكبل بالحديد فطالبه بالمال ، فالتفت الكميت فرآه فدمعت عيناه وأقبل على الحكم فقال أصلح الله الأمير اجعل جائزتي لأبان واحتسب بها له من هذا النجم ، فقال له الحكم قد فعلت ردوه الى السجن ، فقال له أبان يا أبا المستهل ماحل له على شيء بعد ، فقال الكميت للحكم أبى تسخر أصلح الله الأمير ؟ فقال الحكم كذب قد حل عليه المال ولولم يحل لاحتسبنا له مما يحل ، فقال له حوشب بن يزيد الشيباني وكان خليفة الحكم أصلح الله الأمير أتشفع حمار بني أسد في عبد

بجيله ؟ فقال له الكميت لئن قلت ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا ، وكان يقال ان حوشباً فر عن أبيه فى بعض الحروب فقتل أبوه ونجا هو وفيه يقول الشاعر

نجى حُشاشته وأسلم شيخه لما رأى وقع الأسنة حوشب

التقت رَيّا بنت الكميت وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة وهما حاجتان فتساءلتا حتى تعارفتا فدفعت بنت أبان الى بنت الكميت خلخالي ذهب كانا عليها ، فقالت لها بنت الكميت جزاكم الله خيراً يا آل أبان فما تتركون بركم بنا قديماً ولا حديثاً ، فقالت لها بنت أبان بل أنتم فجزاكم الله خيراً فانا أعطيناكم مايبيد ويفني وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد يتناشده الناس فى المحافل فيحيي ميت الذكر ويرفع بقية العقب

دخل الكميت على أبى جعفر محمد بن على عليهما السلام فقال له يا كميت أنت القائل

فالآن صرت إلى أميـــة والامور الى مصاير

قال نعم قد قلت ولا والله ما أردت به إلا الدنيا ولقد عرفت فضلكم ، قال أما ان قلت ذلك ان التَّقِيَّة لتحل

سئل معاذ الهَرّاء من أشعر الناس ؟ قال أمن الجاهليين أم من الاسلاميين ؟ قالوا بل من الجاهليين قال امرؤ القيس وزهير وعَبِيد بن الابرص ؟ قالوا فمن الاسلاميين ؟ قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعى ، فقيل له يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت ، قال ذاك أشعر الأولين والآخرين

لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت

فبهم صرتُ للبعيد ابن عم واتهمت القريب أى اتهام
مبدياً صفحتى عن الموقف المعـــلم بالله قوتى واعتصامى

قال استقتل المرائى

كان سبب هجاء الكميت أهل اليمن أن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم ابن عياش الكلبي كان يهجو على بن أبى طالب عليه السلام و بنى هاشم جميعاً وكان منقطعاً الى بنى أمية فانتدب له الكميت فهجاه وسبه فأجابه ولج الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يفتضح فى شعره عن على عليه السلام لما وقع بينه و بين هشام وكان يظهر أن هجاءه اياه فى العصبية التى بين عدنان وقحطان ، فكان ولد اسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمى يردون شعر الكلبي ، فهجا أهل اليمن جميعاً إلا هذين فانه قال فى آل علقمة

ولولا آل علقمة اجتدعنا بقايا من أنوف مصلمينا

وقال فى اسماعيل

فان لاسمعيل حقاً واننا له شاعبو الصدع المقارب للشعب

وكان لآل علقمة عنده يد لان علقمة آواه ليلة خرج الى الشام وأم اسمعيل من بنى أسد فكف عنهم لذلك

قال الكلبى

ما سرنى أن أمى من بنى أسد وأن ربى نجانى من النار

وأنهم زوجونى من بناتهمُ وان لي كل يوم الف دينار

فأجابه الكميت

يا كلب مالك أم من بني أسد معروفة فاحترق يا كلب بالنار

لكن أمك من قوم شنئت بهم قد قنعوك قناع الخزى والعار

فقال له الكلبي

لن يبرح اللؤم هذا الحى من أسد حتى يفرق بين السبت والأحد

قال المستهل بن الكميت لأبيه يا أبت انك هجوت الكلبى فقلت

ألا ياســـلم من ترب أفى أسماء من ترب
ألا ياســـلم حييت سلى عني وعن صحبى
ألا ياســـلم غنينا وان هيجتما حبى
على حادثة الأيا م لي نصباً من النصب

وغمزت عليه ففخرت ببنى أمية وكنت تشهد عليهم بالكفر فألاَّ فخرت بعلى وبني هاشم الذين تتولاهم ؟ فقال يا بنى أنت تعلم انقطاع الكلبى الى بني أمية وهم أعداء على عليه السلام فلو ذكرت علياً لترك ذكري وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت علياً له ولا أجد له ناصراً من بني أمية ، ففخرت عليه ببني أمية وقلت إن نقضها علىَّ قتلوه وان أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلبته ، فكان كما قال أمسك الكلبى عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبى

اجتمع الكميت وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها فخالفه حماد فى شيء ونازعه ، فقال الكميت أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ قال وما هو الا الظن ؟ هذا والله اليقين ، فغضب الكميت ثم قال لِكَمْ شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولاً لم يحفظه الراوى ، فجعل الكميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا أنشده من شعره جزءًا جزءًا حتى ضجر السامعون ، ثم قال له الكميت فانى سائلك عن شيء من الشعر فسأل عن قول الشاعر (يزيد بن طُعْمة الخَطْمى)

طرحوا أصحابهم فى ورطة قذفَك المَقْلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره فسأله عن قول الآخر

تَدْرينا بالقول حتى كأنما تدرين ولداناً تصيد الرَّهادنا

فأفحم حماد ، فقال له قد أجلتك الى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت

بتفسيرهما وسأل الكميت أن يفسرهما له ، فقال المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم اذا سافروا وتوضع فى الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء والشطر النصيب والمعترك الموضع الذى يختصمون فيه فى الماء فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله تذرينا يعنى النساء أى ختلننا فرمينا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير

مات ورد أخو الكميت فقيل له ألا ترثى أخاك ؟ فقال مرثيته ومرزئته عندى سواء وانى لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه

وقد روى الكميت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمما رواه عن عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علي عليهما السلام فجعل يهل حتى رمى جمرة العقبة ، فسألته عن ذلك فأخبرنى أن أباه فعله ، فحدثت به ابن عباس فقال له لا أم لك أتسألنى عن شئ أخبرك به الحسين بن على عن أبيه والله انها لسنة ، وقال سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » فقال دخلت أنا وأبى الى أبى سعيد الخدرى فسأله أبى عنها فقال معاد آخرته الموت ،

دخل الكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له جعلت فداك ألا انشدك ؟ قال انها أيام عظام ، قال انها فيكم ، قال هات ، وبعث أبو عبد الله الى بعض أهله فقرب ، فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغى أول

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر ، وما أسرّ وما أعلن وأعطه حتى يرضى ، ودخل عليه يوماً فأعطاه ألف دينار وكسوة فقال له الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ، ولكنى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركتها ،

وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب ، ودخل على فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ، فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سَويق ، فحركته بيدها وسقت الكميت ، فشربه ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب ، فهَمَلت عيناه وقال والله لا أقبلها انى لم أحبكم للدنيا

لما قدم ذو الرمة أتاه الكميت ، فقال له انى قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك « ما بال عينك منها الماء ينسكب » ، فقال له وأى شيء قلت ؟ فقال قلت

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب أم كيف يحسن من ذي الشَّيْبة اللعب

حتى أنشده إياها ، فقال له ويحك انك لتقول قولاً ما يقدر انسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت ، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به ولا تقع بعيداً منه ، بل تقع قريباً منه ، قال أوَ تدري لِمَ ذلك ؟ قال لا ، قال لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك ، وأنا أصف شيئاً وصف لي ، وليست المعاينة كالوصف ، فسكت

قال حماد الراوية كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما ، فتخبرانه عنه ، فمن هناك كان علمه

خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم فخرجوا في التبابين[1] ينادون ، لبيك جعفر لبيك جعفر ، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدَهِش ، فلم يعلم ما يقول فزعاً ، فقال أطعمونى ماء ، ثم خرج الناس اليهم فأخذوا ، فجعل يجيء بهم الى المسجد ويؤخذ طِنّ قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل احتضنه ويضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتل زيد بن علي ، فأنشده قوله فيه

(١) التبان بالضم سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين

خرجت لهم تمشى البَراح ولم تكن كمن حصنه فيه الزّجاج المضبب
وما خالد يستطعم الماء فاغراً بعِدلك والداعى الى الموت ينعب

والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، فغضبوا لخالد ، فوضعوا ذباب سيوفهم فى بطن الكميت ، فوجؤه بها ، وقالوا أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟ فلم يزل ينزفه الدم حتى مات

دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي فقال له من أنت ؟ فأخبره ، فقال لا حياك الله ولا حيا أباك هو الذى يقول

فالآن صرت الى أميـــة والأمور الى مصاير

فأطرق استحياءً مما قاله وعرف البيت ، ثم قال له ارفع رأسك يا بنيَّ فلئن قال هذا فلقد قال

لخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم فلم أرَ غصباً مثله حين يغصب

فسلى بعض ما كان به ، وحادثه ساعة ، ثم قال ما يعجبك من النســاء يا مستهل ؟ فقال

غرّاء تسحب من قيام فرعها جَثْلاً يزينـــه سواد أفحم
فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليـــل عليها مظلم

قال يا بنيَّ هذه لا تصاب الا فى الفردوس ، وأمر له بجائزة

لما جاءت المسوّدة سخروا بالمستهل وحملوا عليه حملاً ثقيلاً وضربوه ، فمرَّ ببني أسد فقال أترضَوْن أن يفعل بى هذا الفعل ؟ قالوا له هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم

والمصيبون باب ما أخطأ النا س ومُرْسَى قواعد الاسلام

قد أصابوا فيك فلا نكذب أباك

أخذ العسس المستهل فى أيام أبى جعفر وكان الأمر صعباً ، فحبس ، فكتب الى أبى جعفر يشكو حاله ، وكتب فى آخر الرقعة

لئن نحن خفنا فى زمان عدوكم وخفنا كمُ ان البلاء لراكد

فلما قرأها أبو جعفر قال صدق المستهل وأمر بتخليته

حضر المستهل باب عيسى بن موسى ، وكان يكرمه ، فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب فاستخف به ، وكان آخر من يدخل على عيسى بن موسى قوم يقال لهم الراشدون يؤذن لهم فى القعود ، فأدخل المستهل معهم فقال

ألم ترَ أنى لما حضرت دعيـــت فكنت مع الراشدينا

ففزت بأحسن أسمائهم وأقبح منزلة الداخلينا

ولد الكميت أيام مقتل الحسين بن علي سنة ستين ومات فى سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً

قال المستهل حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثاً ثم قال له يا بنىَّ وددت أنى لم أكن هجوت نساء بنى كلب فعممتهن قذفا بالفجور والله ما خرجت بليل قط الا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ثم قال يا بنىَّ إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج منه الموتى من قبورهم وهم ينبشون منها فيحولون الى قبور غير قبورهم فلا تدفنى فى الظهر ولكن اذا مت فامض بى الى موضع يقال له مَكْران فادفنى فيه ، فدفن فى ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه وهى مقبرة بنى أسد الى الساعة

اسمعيل بن عمار

هو اسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدى من بنى مالك بن ثعلبة ثم من بنى أسد شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية وكان ينزل الكوفة ومن قوله يرثى ابنا له اسمه معن

ياموت مالك مولعاً بضرارى انى عليك وان صبرت لزار

تعدو عليَّ كأنني لك واتر وأؤول منك كما يؤل قراري
نفس البعيد اذا أردتَ قريبة ليست بناجية مع الأقدار
والمرء سوف وان تطاول عمره يوماً يصير لحفرة الحفار
لما علا عظمي به فكأنه من حسن بنيته قضيب نُضار
فجعتني بأعز أهلي كلهم تعدو عليه عداوة الجبار
هلا بنفسي أو ببعض قرابتي أوقعت أو ما كنت للمختار
وتركت ربتي التي من أجلها عفت الجهاد وصرت للامصار

قال له رجل من بني أسد هلم اركب معي الى يوسف بن عمر حتى أكلمه فيك يستعملك على عمل تنتفع به فقال له اسمعيل دعني حتى يحول الحول فنظر الى عمال يوسف يعذبون فقال

رأيت صبيحة النَّيْروز أمراً فظيعاً عن امارتهم نهاني
فررت من العمالة بعد يحيى وبعد النَّهْشلي أبي أبان
وبعد الزور وابن أبي كثير وبعد أشيجع وأبي بطان
فحابِ بها أبا عثمان غيري فما شأن الامارة لي بشان
أحاذر أن أقصر في خراجي الى النيروز أو في المهرجان
أعجل ان أتى أجلي بوقت وحسبي بالمحرِّجة المثاني
فما عذري اذا عرضت ظهري لألف من سياط الشاهجان
تعد ليوسف عداً صحيحاً ويحفظها عليه الجالدان
وأُسحب في سراويلي بقيدي الى حسان معتقل اللسان
فمنهم قائل بُعداً وسُحقاً ومنهم آخران يعذبان
كفاني من امارتهم عطائي وما أخدمت من سبق الرهان
كفاني ذاك منهم ما بقينا كما فيما مضى لي قد كفاني

كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وصيفة مغنية يؤدبها ليهديها الى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة فقال فيها اسمعيل بن عمار

بُوبَ حييت عن جليسك بوبا مخطئاً فى تحيتى أم مصيبا
ما رأينا قتيل حى حبا القا تلَ بالوِتْر أن يكون حبيبا
غير ما قد رُزقت يابوب منى فهنيئاً وان أتيت عجيبا
غير مَنّ به عليك وان كنـــتُ بقدر القِيان طبًا طبيبا
بنت عشر أديبة فى قريش بخٍ فأكرم بهم أباً ونسيبا
أُدبت فى بنى أمية حتى كملت فى حجورهم تأديبا

ثم أهداها ابن عنبسة الى هشام فقال اسمعيل

ألا حييت عنـا ثـــم سقياً لك يا بوبة
وأكرم بك مهـداة وأحبب بك مطلوبة
لقـد عاين من يلقا ك من حسنك أعجوبة
ويا ويلى ويا عولي فنفسى الدهر مكروبة
على هيفاء حوراء على جيداء رُعبوبة

ومن قوله يرثى خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن ابى مُعَيط وكان اليه محسناً

ما لعين تفيض غـير جمود ليس تَرْقا ولا لها من هجود
فاذا قَرّت العيون استهلت فاذا نمن أُولعت بالسهود
أَلِمَعْى ابن خالد خالد الخيـــرات فى يوم زينة مشهود
سنحت لى يوم الخميس غداة القطـــر طير بالنحس لا بالسعود
فتعيفت أنهن لأمر مُفْظِع ما جرينَ فى يوم عيد
فنعت خالد بن أروى وجل الخطـــب فقدان خالد بن الوليد

كان فى جوار اسمعيل رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله ،

وكان اسمعيل له مغضباً فبنى ذلك الرجل مسجداً يلاصق دار اسمعيل وحسنه وشيده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة نهارهم فلا يقدر اسمعيل أن يشرب فى داره ولا يدخل اليه أحد ممن كان يألفه من مغن أو مغنية أو غيرهما من أهل الريبة ، فقال اسمعيل يهجوه ، وكان الرجل يتولى شيئاً من الوقوف للقاضى بالكوفة

بنى مسجداً بنيانه من خيانة ... لعمرى لقد ما كنت غير موفق
كصاحبة الرمان لما تصدقت ... جرت مثلاً للخائن المتصدق
يقول لها أهل الصلاح نصيحة ... لك الويل لا تزنى ولا تتصدق

ولى العسس رجل غاضرى فأخذ بنى مالك وهم رهط اسمعيل بن عمار بأن كانوا معه فطافوا الى الغداة ، فلما أصبح غدا على الوالي مستعدياً على الغاضرى ، فقال له الوالي وكان رجلاً من همدان ما ذا صنع بك ؟ فأنشأ يقول

عسّ بنا ليلته كلّها ... ما نحن فى دنيا ولا آخره
يأمر أشياخ بنى مالك ... أن يحرسوا دون بني غاضره
والله لا يرضى بذا كائنا ... من حكم همدان الى الساهره

فقال له الوالي قد لعمرى صدقت ، ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العسس فى عشائرهم ، ولا يتجاوزوا قبيلة الى قبيلة ، ويكون ذلك بنوائب بينهم

كان لاسمعيل جار يقال له عثمان بن درباس ، فكان يؤذيه ويسعى به الى السلطان فى كل حال ، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشُّراة ، فأخذ وحبس ، فقال يهجوه

من كان يحسدنى جارى ويغبطني ... من الأنام بعثمان بن درباس
فقرب الله منه مثله أبداً ... جاراً وأبعد منه صالح الناس

جار له باب ساج مغلق أبداً عليه من داخل حراس أحراس
عبد وعبـــد وبنتاه وخادمه يدعون مثلهمُ من ليس من ناس
صفر الوجوه كأن السل خامرهم وما بهم غير جهد الجوع من باس
له بنون كأطباء معلقـــة في بطن خنزيرة في دار كناس
ان يفتح الباب عنهم بعد عاشرة تظنهم خرجوا من قعر أرماس
فليت دار ابن درباس معلقة بالنجم بين سـلاليم وأمراس
فكان آخر عهدي منهمُ أبداً وابتعت داراً بغلماني وأفراسي

وقال فيه أيضاً

ليت برذوني وبغلي وجوادي وحماري
كن في الناس وأبدلـــت غداً جاراً بجار
جار صدق يا ابن دربا س والا بعت داري
فتبدلت به من يَمَن أو من نِزار
بدلا يعرف ما اللّـــه وما حق الجوار
لو تبدلت ســـواه طاب ليلي ونهاري
واسترحنا من بلايا ه صغار وكبار
لو جزيناه بها كنـــا جميعاً في فجـــار
أو سكتنا كان ذلا داخلا تحت الشعار

فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان وذكر أنه من الشراة وانهم مجتمعون عنده وانه من دعاة عبد الله بن يحيى وأبي حمزة المختار فسجن فكتب من السجن الى ابن أخ له يقال له معان

أبلغ معاناً عني واخوته قولا وما عالم كمن جهلا
بأنني والمصبِّحات مِنًى يعدُون طوراً وتارة رَمَلا

خلائف أن يكون ودكمُ إياى بعد الصفاء قد أفلا
أإن عرانى دهرى بنائبة أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتمُ الصَّرْمَ أو لعلكمُ ظننتمُ ما أصابني جَلَلا
لا تغفلونا بنى أخى فلقد أصبحت لا أبتغى بكم بدلا
تمسكوا بالذى امتسكت به فان خير الاخوان من وَصلا

فكتب اليه ابن أخيه

ياعم عوفيت من عذابهم النُّكرِ وفارقت سجنهم عجلا
كتبتْ تشكو بنى أخيك وقد أرسل من كان قبلنا مثلا
ابدأهمُ بالصُّراخ ينهزموا فأنت ياعم تبتغى العللا
زعمت أنا نرى بلاءك فى دار بلاء مكبلا جَلَلا
ياعم بئس الفتيان نحن إذاً أما وفى رجلك الكُبول فلا
عليَّ ان كنتَ صادقاً حجج للبيت عامين حافياً رجلا
أبعد عنك الهموم فارج من اللّه خلاصاً وأحسن الأملا

ثم ولي الحكم بن الصَّلت فأطلقه وأحسن اليه فلم يزل يشكره ويمدحه ثم عزل الحكم بعد ذلك فقال اسمعيل فيه

تبارك الله كيف أوحشت الكو فة اذ لم يكن بها الحكم
الحكم العدل فى رعيته الكا مل فيه العفاف والفهم
فأصبح القبر والسريران والمنـ ـبر كالكل من أب يتِموا
يُذرى عليه السرير عبرته والمنبر الشرقى يلتدم
والناس من حسن سيرة الحكم بن الصلت يبكون كلما ظلموا
مثل السكارى فى فرط وجدهمُ إلاَّ عدوا عليه يتهم
يوم جرى طائر النحوس لهم ينزع منه القرطاس والقلم

فأرغم الله حاسديه كما أرغم هُودَ القرود اذ رَغموا
فى سبتهم يوم ناب خطبهمُ والله ممن عصاه ينتقم
انا الى الله راجعون أما للناس عهد يوفى ولا ذمم
حول علينا وليلتان لنا من لذة العيش بئسما حكموا
لا حُكْم إلا لله يظهره يقضى لضِيزَائها التى قسموا
ماذا ترجى من عيشها مضر ان كان من شأنها الذى زعموا

قال محمد بن أنس الأسدي جلست الى اسمعيل بن عمار واذا هو يفتل أصابعه متأسفاً ، فقلت علام هذا التأسف والتلهف ؟ فقال

عيناى مشؤمتان ويحهما والقلب حرّان مبتلًى بهما
عرّفتاه الهوى لظلمهما ياليتنى قبل ذا عدمتهما
هما الى الحَيْن دلّتا وهما دَلاّ على من أحب دمعهما
سأعذِر القلب فى هواه وما سبب كل البلاء غيرهما

سمع اسمعيل رجلا ينشد أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزارى لما ولي العراق ويعجب من ولايته اياها وكان خالد القسرى قد ولى العراق في تلك الأيام فقال اسمعيل أعجب والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة ما است أراه يعجب منه ، ولاية خالد القسرى وهو مخنث دَعِيّ ابن دعى ثم قال

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أميـة بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجباً وأحدث بعده أمر تطير له القلوب وتجزع
بكت المنابر من فزارة شجوها فالآن من قَسْر تضج وتفزع
فملوك خندف أضرعونا للعدى لله دَرّ ملوكنا ما تصنع
كانوا كقاذفة بنيها ضلة سفهاً وغيرَهم تَرُبّ وترضع

كان فى الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين قدمها من الحجاز فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده ، وكان نازلا فى بنى أسد فى

جيران اسمعيل بن عمار ، فكان اسمعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره الى بني عائذ فكان اسمعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما ، وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الاشعث

أمسى لسلاَّمة الزرقاء فى كبدى ... صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صناع القوم يَشْعبه ... وكيف يُشْعب صدع الحب فى كبدى

وفى جواريه يقول اسمعيل

هل من شفاء لقلب لج محزون ... صب بغيب الى ريم ابن رامين
الى ربيحة ان الله فضلها ... بحسنها وسماع ذى أفانين
وهاج قلبى منها مضحك حسن ... ولثغة بعد فى راء وفى سين
نفسى تأبى لكم إلا طواعية ... وأنت تأبَيْن لؤماً أن تطيعيني
وتلك قسمة ضِيزَى قد سمعت بها ... وأنت تتلينها ما ذاك فى الدين
أنت الطبيب لداء قد تلبس بى ... من الجوى فانفثى في فىّ وارقيني
نعم شفاؤك منها أن تقول لها ... أضنيتنى يوم دير الملح فاشفينى
يارب ان ابن رامين له بقر ... عين وليس لنا الا براذيني
لو شئت أعطيته مالاً على قدَر ... يرضى به منك عَيْن الرَّبرب العِين
لا أنس سعدة والزرقاء يوم هما ... بالبلج شرقيه فوق الدكاكين
يغنيان ابن رامين على طرب ... للمسمعات بتشتيت المجنين
اذاك أنعم أم يوم ظَلِلت به ... فراشي الورد فى بستان شورين
يشوى لنا الشيخ شورين دواجنه ... بالجردناج وشحاج الشعانين
نسقى طلاء لعمران يعبِّقه ... يمشى الأصحاء منه كالمجانين
تزل أقدامنا من بعد صحتها ... كأنها ثقلا تقلعن من طين

نمشى وأرجلنـــا مطوية شَلَلا مشى الإِوز التى تأتى من الصين
أو مشى عميان غُمَّ لا دليل لهم سوى العِصِىِّ الى يوم السعانين (١)
فى فتية من بنى تَيم لهوت بهم تَيم بن مُرّة لا تيم العَدِيين
حمر الوجوه كأنا من تحشمنا حسناء شمطاء وافت من فلَسطين
ياعائذ الله لولا أنت من شجنى لولا ابن رامين لولا ما يمنينى
فى عائذ الله بيت ما مررت به الا وُجئت على قلبي بسكين
ياأسد القبة الخضراء أنت لنـا أنس لانك فى دار ابن رامين
ما كنت أحسب أن الأسد تؤنسنى حتى رأيت اليك القلب يدعونى
لولاك تؤنسني بالقرب ما بقيت نفسى اليك ولو مثلت من طين

وحج ابن رامين وحج بجواريه معه وكان محمد بن سليمان اذ ذاك على الحجاز فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم فقال اسمعيل

أية حال ياابن رامـين حال المحبـين المساكين
تركتهـم موتى وما موَّتوا قد جرعوا منـك الأَمرِّين
وسرت فى ركبٍ على طِيَّة ركب تَهامٍ ويمانين
حججت بيت الله تبغى به الـــبر ولم ترث لمحزون
ياراعى الذَّود لقـد رعتهم ويلك من روع المحبـين
فرقت قوماً لا يرى مثلهم ما بين كوفات الى الصين

الزبير بن الأشيم الأسدى

هو والد عبد الله بن الزَّبير ، كان شاعراً وهو الذى يقول

الا يالَقومى للرقاد المؤرق وللربع بعد الغبطة المتفرق
وهم الفتى بالأمر من دون نيله مراتب صَعْبات على كل مرتق

(١) السعانين عيد للنصارى قبل الفصح باسبوع

ويوم بصحراء البديدين قِلته ... بمنزلة النعمان وابن مُحَرِّق
وذلك عيش قد مضى كان بعده ... أمور أشابت كل شأن ومفرق
وغيَّرما استنكرت يا أم واصل ... حوادث إلا تكسر العظم تعرق
فراق حبيب أو تغير حلة ... من الدهر أو رام لشخص مفوِّق
على أنني جَلْد صبور مرزَّأ ... وهل ترك الأيام شيئاً لمشفق

عبد الله بن الزبير

هو عبد الله بن الزَّبير بن الأشيم الأسدي من منقذ بن طريف ثم من بني أسد شاعر كوفي المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأموية وكان من شيعة بني أمية وذوى الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم ، فلما غَلب مُصْعَب بن الزبير على الكوفة اتى به أسيراً فَمَنَّ عليه ووصله وأحسن اليه ، فمدحه وأكثر وانقطع اليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب ، ثم عمى عبد الله بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو أحد الهجائين المرهوب شرهم

قال ابن الأعرابى كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى قتلوا رجلاً من بني الأَشْيَم ابن الأَعشى من رهط ابن الزَّبير دِرْيَة ، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً الى معاوية ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بنى أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير خذ من بني عمك ديتين لقتيلك ، فأبى ، وكان عبد الرحمن يميل الى أهل القاتل ، فغضب على ابن الزبير ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض فخالف ابن الزبير الطريق الى يزيد بن معاوية ، فعاذ به فأعاذه وقام بأمره ، وأمر يزيد أن يهجو عبد الرحمن وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه ، فقال فيه ابن الزبير

أبى الليل بالمرَّان أن يتصرما ... كأنى أسوم العين نوماً محرما

وُرد بثنيـــه كأن نجومه صُوار (١) تناهى من أُراق فقوما
الى الله أشكو لا إلى الناس أنني أَمُصُّ بنات الدهر ثدياً مُصَرَّما (٢)
وسوق نساء يسلبون ثيابها تهب دونها همدان رقاً وخثعما
على أى شيء يا لؤى بن غالب تجيبون من أجرى عليَّ وألجما
وهاتوا فقصوا آية تقرؤنها أحلت بلادي أن تُباح وتظلما
والا فأقصى الله بينى وبينكم وولى كبير اللؤم من كان ألأما
بنو هاشم لو صادفوك تجرها مججت ولم يملك حيازيمك الدما
ستعلم ان زلت بك النَّعل زلة وكل امرىء لاقى الذى كان قدما
بأنك قد ماطلت أنياب حية تزجى بعينيها شجاعاً وأرقما
وكم من عدو قد أراد مَساءتى بغيب ولو لاقيتـــه لتندما
وأنتم بنى حام بن نوح أرى لكم شفاهاً كأذناب المشاجر وُرَّما
فان قلت خالي من قريش فلم أجد من الناس شراً من أبيك وألأما
صغيراً ضغا فى خرقة فأَمَضَّه مربيـــه حتى اذ أهمّ وأفطما
رأى جلدة من آل حام متينة ورأساً كأمثال الجريب مؤوما
وكنتم سقيطاً فى ثقيف مكانكم بنى العبـد لا توفى دماؤكم دما

أول من أخذ بعينة فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان أتاه عبد الله بن الزبير فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثا ، فدعا وكيله وقال اقترض لنا مالاً ، فقال هيهات ما يعطينا التجار شيئاً ، قال فأربحهم ما شاؤا ، فاقترض له أولاً ثمانية آلاف درهم وثانياً عشرة آلاف ، فوجه بها اليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله فى ذلك

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أيادى لم تُمْنن وان هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

(١) الصوار القطيع من البقر وأراق موضع (٢) الثدى المصرم الذى يكوى ليقطع اللبن

رأى خلّتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير فى جناية وضعها عليه وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يلطف فى أمره ويرضى خصومه ويشفع الى ابن أم الحكم فى أمره حتى يخلصه ، فأطلق بشفاعته وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله ، فقال فيه

ألم تر أن الجود أرسل فانتقى حليف صفاء وأتلَ لا يزايله
تخير أسماء بن حصن فبطنت بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلا مجد أسماء فوقه ولا جرى إلا جرى أسماء فاضله
ومحتملٍ ضِغْناً لأسماء لو جرى بسَلْحين من أسماء فارت أباجله
عوى يستجيش النابحات وانما بأنيابه صُمُّ الصفا وجنادله
وأقصر عن مجراة أسماء سعيُه حسيراً كما يلقى من الترب ناخله
وفضّلَ أسماء بن حصن عليهم سماحة أسماء بن حصن ونائله
فمن مثل أسماء بن حصن اذا عدت شآبيبه أم أى شىء يعادله
وكنت اذا لاقيت منهم حطيطة لقيت أبا حسان تَنْدَى أصائله
تَضيفُه غسّان يرجون سَيْبه وذو يمن أحبوشه ومقاوله
فتى لايزال الدهر ما عاش مُخْصباً ولو كان بالموتان يجدى رواحله
فأصبح ما فى الارض خلق علمته من الناس الا باع أسماء طائله
تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ترى الجند والأعراب يغشَوْن بابه كما وردت ماء الكُلاب نواهله
اذا ما أتَوْا بابه قال مرحباً لِجُوا الباب حتى يقتل الجوع قاتله
ترى البازل البُخْتى فوق خوانه مقطعة أعضاؤه ومفاصله
اذا ما أتَوا أسماء كان هو الذى تحلب كفاه الندى وأنامله

تراهم كثيراً حين يغشَوْن بابه فتسترهم جدرانه ومنـــازله

فأعطاه أسماء ألفي درهم

دخل ابن الزبير على عبيد الله بن زياد وعنده أسماء بن خارجة

حنت قلوصي وَهْناً بعد هُدْأتها فهيجت مغرماً صباً على الطرب

حنت الى خير من حث المطى له كالبدر بين أبي سفيان والقنب

تذكرت بقُرَى البلقاء نائلَه لقد تذكرته من نازح غُرُب

والله ما كان بي لولا زيارته وأن ألاقي أبا حسان من أرب

حنت لتَرْجعني خلفي فقلت لها هذا أمامك فالقَيْه فتى العرب

لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه ولا يعاقب عند الحلم بالغضب

من خير بيت علمناه وأكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب (١)

أمر المختار بهدم دار أسماء فما تقدم عليها مضرى لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس فتولت ربيعة واليمن هدمها وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل على شرطة المختار فقال ابن الزبير

تأوب عينَ ابن الزَّبير سُهودُها وولى على ماقد عراها هجودُها

كأن سواد العين أبطن نخلة وعاودها مما تذكر عودها

مُخَصَّرَة من نَحْلِ جَيْحان صعبة أوى بجناحيها وليد يصيدها

من الليل وَهْناً أو شَظِيَّة سنبل أذاعت به الأرواح يُذْرَى حصيدها

اذا طرقت أذرت دموعاً كأنها نفير جُمان بان عنها فريدها

وبتُّ كأن الصدر فيه ذُبالة سنا حرها القنديل ذالكٍ وقودها

فقلت أناجي النفس بيني وبينها كذاك الليالي نحسها وسعودها

(١) كانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه الا أن يسقى من دم ملك فيقول انه من أولاد الملوك

فلا تجزعى مما ألم فانى ... أرى سنة لم يبق الا شريدها
أتانى وعرض الشام بينى وبينها ... أحاديث والأنباء ينمى بعيدها
بأن أبا حسان تهدم داره ... لكيز سعت فساقها وعبيدها
جزت مضراً عنى الجوازى بفعلها ... ولا أصبحت الا بشر جدودها
فما خيركم لا سيداً تنصرونه ... ولا خائفاً ان جاء يوماً طريدها
أخذلانه فى كل يوم كريهة ... ومسئلة ما إن ينادى وليدها
لأمكم الويلات أنى أتيتم ... جماعة أقوام كثير عديدها
فيالبتكم من بعد خذلانكم له ... جوار على الأعناق منها عقودها
ألم تغضبوا تبًّا لكم اذ سطت بكم ... مجوس القرى فى دارها ويهودها
تركتم أبا حسان تهدم داره ... مشيدة أبوابها وحديدها
يهدمها العجلى فيكم بشرطة ... كما نبّ[1] فى شبل التيوس عتودها
لعمرى لقد لف اليهودى ثوبه ... على غدرة شنعاء بان نشيدها
فلو كان من قحطان أسماء شمرت ... كتائب من قحطان صعر خدودها
ففى رجب أو غرة الشهر بعده ... تزوركم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففى النار سقياه هناك صديدها

لما قدم ابن الزبير من الشام الى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاويه يأمره بصيانته واكرامه وقضاء دينه وحوائجه وادرار عطائه فأوصله اليه ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشده

أصرم بليلى حادث أم تجنّب ... أم الحبل منها واهن متقضب
أم الود من ليلى كعهدى مكانه ... ولكن ليلى تستزيد وتعتب
ألم تعلمى ياليل أنى لين ... هضوم وأنى عند بس[2] حين أغضب

(١) نب التيس خاصة صاح عند الهياج والعتود الجدى الذى استكرش (٢) العنبس الاسد

وأنى متى أنفق من المال طارفا ... فانى أرجو أن يثوب المثوب
أإن تلف المال التلاد بحقه ... تشمس ليلى عن كلامى وتتطب
عشية قالت والركاب مناخة ... بأكوارها مشدودة أين نذهب
أفي كل مصر نازح لك حاجة ... كذلك ما أمر الفتى المتشعب
فوالله ما زالت تلبث ناقتى ... وتقسم حتى كادت الشمس تغرب
دعينى ما للموت عنى دافع ... ولا للذى ولّى من العيش مطلب
اليك عبيد الله تهوى ركابنا ... تعسف مجهول الفلاة وتدأب
وقد ضمرت حتى كأن عيونها ... نطاف قلات ماؤها متصبب
فقلت لها لا تشتكى الأين انه ... امامك قرم من أمية مصعب
اذا ذكروا فضل امرئ كان قبله ... فمفضل عبيد الله أثرى وأطيب
وانك لو نشفى بك القرح لم يعد ... وأنت على الأعداء ناب ومخلب
تصافى عبيد الله والمجد صفوة ال ... خليلين ما أرسى ثبير ويذبب
وأنت الى الخيرات أول سابق ... فأبشر فقد أدركت ما كنت تطلب
أعنى بسجل من سجالك نافع ... ففى كل يوم قد سرى لك محلب
فانك لو اياى تطلب حاجة ... جرى لك أهل فى المقال ومرحب

فقال عبيد الله وقد ضحك من هذا البيت الأخير فانى لا أطلب اليك حاجة كم السجل الذى يُرْويك ؟ قال نوالك أيها الأمير يكفيني فأمر له بعشرة آلاف درهم

كان نعيم بن دُجانة صديقاً لابن الزّبير ثم تغير عليه وبلغه عنه قول قبيح فقال فى ذلك

ألا طرقت رُوَيمة بعد هدء ... تخطى هول أنمار واسد
تجوس رحالنا حتى أتتنا ... طروقا بين أعراب وجند
فقالت ما فعلت أبا كثير ... أصح الود أم أخلفت عهدى

كأن المسك ضمّ على الخزامى ... الى أحشائها وقضيب رند
ألا من مبلغ عنى نعيما ... فسوف يجرب الاخوان بعدى
رأيتك كالشموس ترى قريبا ... وتمنع مسح ناصية وخد
فانى ان أقع بك لا أهلّل ... كوقع السيف ذى الأثر الفرند
فأولى ثم أولى ثم أولى ... فهل للدّر يحلب من مردّ

كان عمرو بن الزّبير صديقاً لابن الزّبير، فلما فعل عبد الله بن الزّبير بأخيه عمرو ما فعل من العذاب حتى مات، قال ابن الزبير يرثيه

أيا راكباً إما عرضت فبلغا ... كبير بنى العوّام ان قيل من تعنى
ستعلم ان جالت بك الحرب جوله ... اذا فوّق الرامون أسهم من تغنى
فأصبحت الأرحام حين وليتها ... بكفيك أكراشاً تجر على دمن
عقدتم لعمرو عقدة وغدرتمُ ... بأبيض كالمصباح فى ليلة الدّجن
وكبلته حولا يجود بنفسه ... تنوء به فى ساقه حلق اللبن
فما قال عمرو اذ يجود بنفسه ... لضاربه حتى قضى نحبه دعني
تحدث من لاقيت أنك عائذ ... وصرّعت قتلى بين زمزم والركن
جعلتم لضرب الظهر منه عصيّكم ... تراوحه والأصبحيّة للبطن
تعذر منه الآن لما قتلته ... تفاوت أرجاء القليب من الشطن
جزى الله عنى خالداً شر ما جزى ... وعروة شراً من خليل ومن خدن
قتلتم أخاكم بالسياط سفاهة ... فيالك للرأى المضلل والأفن
فلو أنكم أجهزتمُ اذ قتلتمُ ... ولكن قتلتم بالسياط وبالسجن
وانى لأرجو ان أرى فيك ما ترى ... به من عقاب الله ما دونه يغنى
قطعت من الأرحام ما كان واشجا ... على الشيب وابتعت المخافة بالأمن
وأصبحت تسعى قاسطا بكتيبة ... تهدم ما حول الحطيم ولا تبنى

فلا تجزعن من سنة قد سننتها فما للدماء الدهرَ تُهرق من حقن

ومن قوله يرثى يعقوب بن طلحة وقد قتل يوم الحَرّة وجاء بنعيه رجل يقال له الكروس

لعمرى ما هذا بعيش فيبتغى هنى ولا موت يريح سريع
لعمرى لقد جاءك الكَرَوَّس كاظما على أمر سوء حين شاع فظيع
نعى أسرة يعقوب منهم فأقفرت منازلهم من دُومة فبقيع
وكلهمُ غيث اذا قُحِطَ الورى ويعقوب منهم للأنام ربيع

عرض قوم من أهل المدراء لابن الزبير فى طريقه من الشام الى الكوفة وقد نزل بقَرْقيسيا فاستعدَوْا عليه زُفَر بن الحرث الكلابى وقالوا انه أموى الهوى وكانت قيس يومئذ زبيرية وقرقيسيا وما والاها فى يد ابن الزبير فحبسه زفر أياماً وقيده وكان معه رفيق من بنى أمية يقال له أبو الحدراء فرحل وتركه فى حبسه ثم تكلمت فيه جماعة من مضر فأطلق فقال فى ذلك

أغادٍ أبو الحَدْراء أم متروح كذاك النوى مما تَجِدّ وتَمزح
لعمرى لقد كانت بلاد عريضة لى الروح فيها عنك والمتسرح
ولكنه يدنو البغيض ويَبْعُد الـ حبيب ويناًى فى المزار وينزح
ألا ليت شعرى هل أتى أم واصل كُبول أعَضُّوها بساقىّ تجرح
اذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها صريف خطاطيف بدلوين تُمْتح
تبغى اباها فى الرماق وتنثنى وألوى به فى لجة البحر تمسح
أمرتحل وفد العراق وغودرت تحن بأبواب المدينـــة صيدح
فانك لا تدرين فيما أصابنى أُرَيْثُكَ أم تعجيل سيرك أنجح
أظن أبو الحدراء سجنى تجارة ترجّى وما كل التجارة تربح

لما قدم الحجاج الكوفة واليا عليها صعد المنبر فخطبهم فقال « يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، ان الشيطان قد باض وفرخ فى صدوركم ، ودب ودرج فى حجوركم فأنتم له دين ، وهو لكم قرين ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا » ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبى صفرة ، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه فى جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله ، فجاء عمير بن ضابىء البرجمى فقال أيها الأمير انى شيخ لا فضل فى ولي ابن شاب جَلْد فاقبله بدلا منى ، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص هذا جاء الى عثمان وهو مقتول فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول « أين تركت ضابئاً يانَعْثَل » فقال الحجاج هلا يومئذ بعثت بديلا ياحرسى اضرب عنقه ، وسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا ؟ فقالوا هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت ، فقال أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه فولوا هاربين ، فازدحم الناس على الجسر للعبور الى المهلب حتى غرق بعضهم فقال عبد الله بن الزبير

أقول لابراهيم لما لقيته ... أرى الأمر أمسى واهياً متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابىء ... عميراً واما أن تزور المهلبا
هما خُطَّتا خَسْف نجاؤك منهما ... ركوبك حَوْلياً من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خُراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هى أقربا

دخل عبد الله على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وقال ألم تسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها فى مديحك لأسماء بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر أنشدها فأنشده

اذا مات ابن خارجة بن حِصْن ... فلا مطَرت على الأرض السماء
ولا رجع الوفود بغُنْم جيش ... ولا حملت على الطُّهْر النساء
لَيوم منك خير من أناس ... كثير حولهم نعَم وشاء
فيورك فى بنيك وفى أبيهم ... اذا ذكروا ونحن لك الفداء

فالتفت اليه مصعب وقال له اذهب الى أسماء فمالك عندنا شيء ، فانصرف وبلغ ذلك أسماء فعوضه حتى أرضاه ثم عوضه مصعب بعد ذلك وخص به وسمع مديحه وأحسن عليه ثوابه

لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله وبره وخصه بأنسه لعلمه بهواه فى بنى أمية فقال يمدحه

ألم ترنى والحمد لله أننى ... برئت ودوانى بمعروفه بشر
رعي ما رعى مَرْوان منى قبله ... فصَحَّت له مني النصيحة والشكر
ففى كل عام عاشه الدهر صالحاً ... عليَّ لرب العالمين له نذر
اذا ما أبو مَرْوان خلى مكانه ... فلا تهنأ الدنيا ولا يرسل القطر
ولا يهنىء الناس الولاية بينهم ... ولم يبق فوق الأرض من أهلها شعر
فليس البحور بالذى تخبرونني ... ولكن أبو مَرْوان بشر هو البحر

دخل ابن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل اليه وقف بين يديه وجعل يتأمل من حواليه من بنى أمية ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم فقال له بشر ان نظرك يا ابن الزبير ليدل أن وراءه قولا ، فقال نعم ، قال قل ، فقال

كأن بنى أمية حول بشر ... نجوم وسطها قمر منير
هو الفرع المقدم من قريش ... اذا أخذت مآخذها الأمور
لقد عمت نوافله فأضحى ... غنياً من نوافله الفقير
جبرت مَهيضنا وعدلت فينا ... فعاش البائس الكَلُّ الفقير
فأنت الغيث قد علمت قريش ... لنا والوا كف الجَوْن المطير

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه فقال ابن الزبير

لبشر بن مَرْوان على الناس نعمة ... تروح وغدو لا يطاق ثوابها

به أمَّنَ الله النفوس من الردى وكانت بحال لا تقر ذبابها
دمغت ذوى الأضغان يا بشر عَنْوَة بسيفك حتى ذَلَّ منها صعابها
وكنت لها كهفاً وحصناً ومَعْقِلاً اذا ما القُنَّة الصماء طارت عُقابها
وكم لك يا بشر بن مروان من يد مهذبة بيضاء راس ظرابها
وطدت لنا دين النبي محمد بحلمك اذ هرَّت سفاهاً كلابها
وسدت ابن مروان قريشاً وغيرها اذا السنة الشهباء قل سحابها
رأبت ثآنا واصطنعت أياديا الينا ونار الحرب ذاكٍ شهابها

دخل ابن الزبير على بشر بن مروان متعرضاً له ويسمعه شيئاً من شعره ، فقال بشر أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً لقد نزحت فيه دلوك يا ابن الزبير ، فقال أصلح الله الأمير ان أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً وكانت له عندى أياد كثيرة وكنت لمعروفه شاكراً وأيادي الأمير عندى أجلّ وأملي فيه أعظم وان كان قولى لا يحيط بها ففى فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم وإن أذن لي فى الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب ، فقال هات ، فقال

تداركني بشر بن مروان بعد ما تعاوت الى شِلْوى الذئاب البواسل
غياث الضعاف المرملين وعصمة اليتامى ومن تأوي اليه العباهل
قريع قريش والهمام الذى له أقرت بنو قحطان طراً ووائل
وقيس بن عَيْلان وخِنْدِف كلها أقرت وجن الأرض طراً وحابل
يداك ابن مروان يد تقتل العدى وفى يدك الأخرى غياث ونائل
اذا أمطرتنا منك يوماً سحابة رَوِينا بما جادت عليه الأنامل
فلا زلت يا بشر بن مروان سيداً يُهِلّ علينا منك طَلّ ووابل
فأنت المصفَّى يا ابن مروان والذى توافت اليه بالعطاء القبائل

يُرَجُّون فضل الله عند دعائكم اذا جمعتكم والحجيجَ المنازل
ولولا بنو مَرْوَان طاشت حلومنا وكنا فَرَاشاً أحرقتها الشعائل

فأمر له بجائزة سنية وكساه خلعة وقال له انى أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين فتهيأ لذلك ، قال أنا فاعل أيها الأمير ، قال فماذا تقول اذا وفدت عليه وألفيته إن شاء الله ؟ فارتجل من وقته هذه القصيدة ، ثم قال

أقول أمير المؤمنين عصمتنا ببشر من الدهر الكثير الزلازل
وأطفأت عنا نار كل منافق بأبيض بُهْلول طويل الحمائل
نمته قروم من أمية للعلا اذا افتخر الأقوام وسط المحافل
هو القائد الميمون والعصمة التي أتى حقها فينا على كل باطل
أقام لنا الدين القويم بحلمه ورأى له فضل على كل قائل
أخوك أمير المؤمنين ومن به نُجادُ ونُسقى صوب أسحم هاطل
اذا ما سألنا رِفده هطلت لنا سحابة كفيه بجود ووابل
حليم على الجهال منا ورحمة على كل حاف من مَعَدّ وناعل

فقال بشر لجلسائه كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر وهذه القدرة عليه ، فقال حجار بن أبجر العِجْلي وكان من أشراف أهل الكوفة وكان عظيم المنزلة عند بشر هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً اذا أراد ، فقال محمد بن عُمير ابن عُطارد وكان عدواً لحجار ، أيها الأمير انه لشاعر وأشعر منه الذى يقول

لبشر بن مروان على كل حالة من الدهر فضل فى الرخاء وفى الجهد
قريع قريش والذى باع ماله ليكسب حمداً حين لا أحد يُجْدى
ينافس بشر فى السماحة والنَّدى ليحرز غايات المكارم بالحمد
فكم جبرت كفاك يا بشر من فتى ضَريك وكم عيَّلت قوماً على حمد
وصيرت ذا فقر غنياً ومثرياً فقيراً وكلا قد حذوت بلا وعد

فقال بشر من يقول هذا ؟ قال الفرزدق ، وكان بشر مغضباً عليه ، فقال ابعث اليه فأحضره ، فقال له هو غائب بالبصرة وانما قال هذه الأبيات و بعث بها لأنشدكها ولترضى عنه ، فقال بشر هيهات لست راضياً عنه حتى يأتيني ، فكتب محمد بن عمير الى الفرزدق ، فتهيأ للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه ، فقام عبد الله بن الزبير يهجو محمد بن عمير في مجلسه ، وذلك بحضرة بشر ، فقال

بنى دارم هل تعرفون محمدا ... بدعوته فيكم اذا الأمر حققا
وساميتمُ قوماً كراماً بمجدكم ... وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مُخْفقا
فأصلك دُهمان بن نصر فرِدْهُمُ ... ولا تك وغداً فى تميم معلقا
فان تيماً لست منهم ولا لهم ... أخاً يا ابن دُهمان فلا تك أحمقا
ولولا أبو مَرْوان لاقيت وابلا ... من السوط ينسيك الرحيق المعتقا
أحين علاك الشيب أصبحت عاهراً ... وقلت اسقني الصهباء صِرْفاً مُرَوَّقا
تركت شراب المسلمين ودينهم ... وصاحبت وغداً من فزَارة أزرقا
تبيتان من شرب المدامة كالذى ... أُتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال بشر أقسمت عليك إلا كففت ، فقال أفعل أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذت حِضْنيه بالحق ، وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير وكان عدوه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا عليك غضب الله أشمت حجاراً بمحمد والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك ، أوَ لست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب ؟ قال بلى ولكن محمداً ظلمنى و تعرض لي ولم أكن لأحلم عنه اذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً ، فقال

سَلِيلَ النصارى سدتَ عِجْلاً ومن يكن ... كذلك أهل أن يسود بنى عِجْل

ولكنهم كانوا لئاماً فسُدتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقل
وكيف بعجل ان دنا الفصح واغتدت عليك بنو عجل ومِرْجلكم يغلى
وعندك قسيس النصارى وصُلْبها وغانية صهباء مثل جنى النحل

فلما بلغ حجاراً قوله شكاه الى بشر، فقال له بشر هجوت حجاراً؟ فقال لا والله أعز الله الأمير ما هجوته ولكنه كذب عليّ، وأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل فقال فيهم

تهددنى عجل وما خلت أننى خلاة لعجل والصليب لها بعل
وما خلتنى والدهر فيه عجائب أُعمَّر حتى قد تهددُنى عجل
وتوعدنى بالقتل منهم عصابة وليس لهم فى العز فرع ولا أصل
وعجل أسود فى الرخاء ثعالب اذا التقت الأبطال واختلف النبل
فان تلقنا عجل هناك فما لنا ولا لهمُ والموت منجى ولا وَعْل

لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبدالله بن الزبير من الخروج الى الشام وأراد حبسه لجأ الى سويد بن منجوف واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان فى بلادهم، فقال يمدحه

أليس ورائى ان بلاد تجهمت سويد بن منجوف وبكر بن وائل
حصون بُراها الله لم يُرَ مثلها طوال أعاليها شداد الأسافل
هم أصبحوا كنزى الذى لست تاركا ونَبْلى التى أعددتها للمناضل

أتى ابن الزبير ابراهيم بن الأشتر النخعى، فقال له انى قد مدحتك بأبيات فاسمعهن فقال انى لست أعطى الشعراء، فقال اسمعها منى وترى رأيك، قل هات، فأنشده قوله

الله أعطاك المهابة والتقى وأحل بيتك فى العديد الأكثر
وأقر عينك يوم وقعة خازر والخيل تعثُر بالقنا المتكسر

انى مدحتك اذ نبابى منزلى وذممت اخوان الغنى من معشر
وعرفت أنك لا تخيب مدْ حتى ومتى أكن بسبيل خير أشكر
فهلم نحوى من يمينك منحة ان الزمان ألحّ يا ابن الأشتر

فأمر له بعشرين الف درهم

لما قتل عبدالله بن الزُّبير صلب الحجاج جسمه و بعث برأسه الى عبدالملك فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبد الله بن الزَّبير الأسدى فاستأذنه فى الكلام ، فقال له تكلم ولا تقل الا خيراً وتوخ الحق فيما تقوله فأنشأ يقول

مشى ابن الزُّبير القهقرى فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات
وجئت المجلّى يا ابن مَرْوان سابقا أمام قريش تنفض العذرات
فلا زلت سباقاً الى كل غاية الى المجد نجّاء من الغمرات

فقال له أحسنت ، فسل حاجتك ، فقال له أنت أعلى عينابها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين الف درهم وكسوة ثم قال له كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال لا ولكن أبياتك فى المحلّ وفىّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده

كأنى بعبد الله يركب رَدْعه وفيه سنان زاعبيّ مجرب
وقد فرَّ عنه الملحدون وحلَّقت به و بمن أسناه عُقاء مُغْرب
تولَّوْا فخلَّوه فشال بشلْوه طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّب
بكفى غلام من ثقيف نمت به قريش وذو المجد التليد معتب

فقال له عبد الملك لا تقل غلام ولكن همام وكتب له الى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى

قتل ابن الزُّبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسسون لعبد الملك فقال فيه يهجوه ويعيره بفعله

أيها العائذ فى مكة كم ... من دم أهرقته فى غير دم
أيدٌ عائذة مفصمة ... ويد تقتل من حل الحرام

توفى عبد الله بن الزُّبير بلريّ

الزبير بن عبد الله بن الزبير الأسدى

هو القائل يمدح محمد بن عُيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى

قالت عبيدة موْهِنا ... أين اعتراك الهم أينه
هل تبلغنّ بك المنى ... ما كنت تأْمُل فى عُيينة
بدر له الشيم الكرا ... ئم كاملات فاعتلينه
والجوع يقتله الندَى ... منه اذا قحط ترينه
فهناك يحمده الورى ... أخلاق غيركم اشتكينه

وهو القائل فى بعض بنى عمه

ومولى كداء البطن أو فوق دائه ... يزيد موالى الصدق خيراً وينقص
تلومت أرجو أن يثوب فيرعوى ... به الحلم حتى استيأس المتربص

المرار الفقعسى

هو المرار بن سعيد بن حبيب الفَقْعَسى من فَقْعَس بن طريف ثم من بنى أسد بن خزيمة ، كان قصيراً مفرط القصر ضئيل الجسم وفى ذلك يقول

عدونيَ الثعلب عند العددِ ... حتى استثاروا بى إحدى الأحَدِ
ليثاً هِزَبْراً ذا سلاح معتد ... يرمى بطرف كالحريق الموقد

وكان يهاجى المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسى وفيه يقول المرار

شقيت بنو سعد بشعر مساور ... ان الشقى بكل حبل يخنق

والمساور القائل فيه

ماسرنى أن أمى من بنى أسد وأن ربى ينجينى من النار

أو أنهم زوجونى من بناتهمُ وأن لي كل يوم ألف دينار

والمرار من مخضرمى الدولتين وقيل انه لم يدرك الدولة العباسية

أتى المرار قوماً من بنى عَبْس فوقف على بيوتهم فجعل يحدث نساءهم وينشدهم الشعر فنظروا اليه وهم مجتمعون على الماء فظنوا أنه يعظهن ، ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال فقال له بعضهم أنت يامرار تقف على أبياتنا وتنشد النساء الشعر ، فقال انما كنت أسألهن ، فجرى بينه وبينهم كلام غليظ فوثبوا عليه وضربوه وعقروا بعيره ، فانصرف من عندهم الى بني فقعس فأخبرهم الخبر فركبوا معه حتى أتوا بنى عبس فقاتلوهم فهزموهم وفقأت بنو فقعس من بنى عبس عيناً وقتلوا رجلا ثم انصرفوا ، فحمل أبو شداد النصري لبنى عبس مائتي بعير وغلظوا عليهم فى الدية ، ثم ان بدر بن سعيد أخا المرار قال قد استوفت عبس حقها فعلام أترك ضرب أخى وعقر جمله ، فخرج حتى أتى جمالا لبنى عبس فى المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف فقال للمرار انه والله مايقنع بهـذا ولكن اخرج بنا فخرجا حتى أغارا على ابل لبني عبس فطرداها وتوجها بهـا نحو تَيْماء ، فلما كانا فى بعض الطريق انقطع بِطان راحلة بدرفندر عن رحله فقال له المرار يا أخى أطعنى وانصرف ودع هذه الابل فى النار ، فأبى عليه ، ثم سارا ، فلما كانا فى بعض الطريق عرض لهما ظبي أَعْضَب أحد القرنين ، فقال المرار لبدر قد تطيرت من هذا السـفر ولا والله لا نرجع من هذا السفر أبداً ، فأبى عليه بدر ، فتفرقت عبس فرقتين فى طلب الابل ، فعمدت فرقة الى وادي القُرَى وفرقة الى تيماء ، فصادفوا الابل بتيماء تباع فأخذوا المرار وبدراً ، فرفعوهما الى الوالي وعرفت سِمَات عبس على الابل فدفعت اليهم ورفع المرار وأخوه الى المـدينة ، فضربا وحبسا ، فمات بدر فى الحبس ،

فكلمت عدة من قريش زياد بن عبد الله النصرى فى المرار ، فخلاه ، وقال يرثى أخاه بدراً

ألا يا لقومى للنجلد والصبر ... وللقدر السارى اليك وما تدرى
وللشىء تنساه وتذكر غيره ... وللشىء لا تنساه الا على ذكر
وما لكما بالغيب علم فتخبرا ... وما لكما فى أمر عثمان من أمر

وهى طويلة يقول فيها

ألا قاتل الله المقادير والمنى ... وطيراً جرت بين السُّعافات والحِبْرْ
وقاتل تكذيبى العيافة بعد ما ... زجرت فما أغنى اعتيافي ولا زجرى
تروح فقد طال الثواء وقضيت ... مشاريط[1] كانت نحو غايتها تجرى
وما لقفول بعد بدر بشاشة ... ولا الحى آتيهم ولا أَوْبة السَّفْرْ
تذكرنى بدراً زعازع[2] جَحْرة ... اذا عصفت احدى عشياتها الغُبْرْ
اذا شَوَلنا[3] لم نؤت منها بمحلب ... قرى الضيف منها بالمهند ذى الأَثْر
وأضيافُنا ان نبهونا ذكرته ... فكيف إذاً أنساه غابرة الدهر
اذا سلَّم الساري تهلل وجهه ... على كل حال من يسار ومن عسر
تذكرت بدراً بعد ما قيل عارف ... لما نابه يا لهف نفسى على بدر
اذا خطرت منه على النفس خطرة ... مَرَتْ دمع عيني فاستهلّ على نحرى
وما كنت بكَّاء ولكن تهيجنى ... على ذكره طيبُ الخلائق والخُبْرْ
أعينىَّ انى شاكر ما فعلتما ... وحق لما أبليتمانى بالشكر
سألتكما أن تُسعدانى فجدتما ... عوانين بالتَّسجام يا قُنَّتى قطر
فلما شفانى اليأْس عنه بسلوة ... وأعذرتما لا بل أجل من العذر

(١) علامات (٢) الشديدة الهبوب والجحرة السنة الشديدة المجدبة القليلة المطر
(٣) جمع شائلة وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها

نهيتكما أن تُسهرانى فكنتما صبورين بعد اليأس طاوِيَتى غبر

يقول طويتما أغبار دمعكما والأغبار البقايا كأغبار البن

كان المرار وأخوه بدر لصين وكان بدر أشهرهما بالسرقة وأكثر غارات على الناس ، فأغار بدر على ذَوْد لبعض بنى غَنْم بن دودان فطردها فأخذ ورفع الى عثمان بن حيان المرى وهو يومئذ على المدينة فحبسه ، وطرد المرار طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادى القُرَى ، فرفع الى عثمان فحبسه ، فاجتمعا ومكثا في السجن مدة ، ثم أفلت المرار وبقى بدر في السجن حتى مات محبوساً مقيداً ، فقال المرار وهو فى الحبس

أنارٌ بدت من كُوَّة السجن ضوءها عشية حل الحى بالجزْع فالعقْر
عشية حل الحى أرضاً خصيبة يصيب بها مَسّ الجنائب والقطر
فيا ويلتا سجن اليمامة أطلقا أسيركما ينظر الى البرق ما يفرى
فان تفعلا أحمدكما ولقد أرى بأنكما لا ينبغى لكما شكرى
ولو فارقت رجلي القيود وجدتنى رفيقاً بنص العيس في البلد القفر
جديراً اذا أمْسِى بأرض مضلة بتقويمها حتى يرى وَضَح الفجر

كان بين المرار وبين رجل من قومه لحاء فتقاذفا وتسابّا ثم صارا الى الضرب بالعصا ، فقال فى ذلك

ألم تربع فتخبرك المغانى فكيف وهن مذ حجج ثمان
برئت من المنازل غير شوق الى الدار التى بلوَى أبان

ومن قوله فى ابتداء قصيدة

عزَفْتَ ولم تصرِم وأنت صروم وكيف تصابى من يقال حليم
صددت فأطولت الصدود ولا أرى وصالاً على طول الصدود يدوم

وكان بدر بن سعيد أخو المرار شاعراً وهو الذى يقول

يا حبذا حين تمسى الريح باردة [1] وادي أُشَيَّ وفتيان به هُضُم
مُخَدَّمون كرام فى مجالسهم وفى الرجال اذا لاقيتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم الا يزيدهم حبـــاً الى هِمُ

الكميت بهه معروف

هو الكميت بن معروف بن الكميت الأسدي من فَقْعَس بن طريف ثم من بنى أسد بن خزيمة

شاعر من شعراء الاسلام بدوى وهو أحد المعرقين فى الشعر أبوه معروف شاعر وأمه سعدة شاعرة وأخوه خيثمة أعشى بنى أسد شاعر وابنه معروف شاعر ومن قول الكميت وفيه غناء

نزل المشيب فما له تحويل ومضى الشباب فما اليه سبيل
ولقد أُرانى والشباب يقودنى ورداؤه حسن علىَّ جميل

معروف بهه الكميت بهه ثعلبة

من قوله لعبد الله بن المساور بن هند

وان مناخى أمس يا ابن مساور اليك لمن شرب القراح المصرَّد
تباعدت فوق الحق من آل فَقْعس ولم ترج فيهم ردة اليوم أو غد
وقلت غنىً لا فقر في العيش بعده وكل فتى للنائبات بمَرْصـد
كأنك لم تعلم محل بيوتكم مع الحى بين الغور والمتنجد
فلولا رجال من جذيمة نصرة عددت بلائى ثم قلت لها اعددى

(١) هذه القصيدة من مختار أبى تمام منسوبة الى زياد بن حمل بن سعد التميمى

سعدة أم الكميت

من قولها للكميت وقد تزوج بنت أبى مهوس على مراغمة لها وكراهة لذلك ، فغضبت سعدة وقالت فيه

عليك بأنقاض العراق فقد علت ... عليك بنجدين النساء الكرائم
لعمرى لقد راش ابن سعدة نفسه ... بريش الذُّنابى لا بريش القوادم
بنى لك معروف بناء هدمته ... وللشرف العادىّ بانٍ وهادم

وقالت ترثى ابنها

لأم البلاد الويل ماذا تضمنت ... بأكناف طورَى من عفاف ونائل
ومن وقعات بالرجال كأنها ... اذا عيَّت الأحداث وقع المناصل
يعزى المعزى للكميت فتنتهى ... مقالته والصدر جمّ البلابل

أعشى بنى أسد

هو خيثمة بن معروف أخو الكميت ، من قوله يرثى الكميت وغيره من أهل بيته

هون عليك فان الدهر منجذب ... كل امرىء عن أخيه سوف ينشعب
فلا يغرَّنَّك من دهر تقلبه ... ان الليالى بالفتيان تنقلب
نام الخلى وبتّ الليل مرتفقاً ... كما تزاور يحمى دَفَّه النكب (١)
اذا رجعت الى نفسي أحدثها ... عمن تضمن من أصحابى القُلُب
من اخوة وبنى عم رُزِئتهمُ ... والدهر فيه على مستعتب عتب
عاودت وجداً على وجد أكابده ... حتى تكاد بنات الصدر تلتهب
هل بعد صخر وهل بعد الكميت أخ ... أم هل يعود لنا صبر فنصطحب
لقد علمت ولو مليت بعدهمُ ... انى سأنهَل بالشرب الذى شربوا

(١) تزاور مال والدف الجنب والنكب من النكب وهو داء يأخذ الابل فى مناكبها فتظلع منه

معروف بن الكميت الأسدى

من قوله

قد كنت أحسبنى جَلْداً فهيجنى ... بالشبب منزلة من أم عمار
كانت منازل لا وَرْهاء جافية ... على الحدوج ولا عَطْلاء مقفار
وما تجاورنا اذ نحن ساكنها ... ولا تفرقنا الا بمقـــدار

الحسين بن مطير

هو الحسين بن مُطير بن مكمل مولى بنى أسد بن خزيمة من مخضرمى الدولتين الأُموية والعباسية

شاعر مقدم فى القصيد والرجز ، فصيح قد مدح بنى أميـة وبنى العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذهب الاعراب وأهل البادية وذلك بين فى شعره

ومن رجزه يمدح معن بن زائدة

حديث رَيَّا حبذا دلالها ... تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرىء قد شَفَّه خيالها ... وهى شفاء النفس لو تنالها

يقول فيها يمدحه

سل سـيوفاً محدَناً صِقالها ... صـاب على أعدائه وبالها
وعند مَعْن ذى النـــدى أمثالها

أنشد الاصمعى رجل لدعبل

لا تعجبى يا سلم من رجـل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال هذا سرقه من قول الحسين بن مُطَير

أين أهـل القِباب بالدَّهناء ... أين جـيرانُنا على الأَحساء

فارقونا والأرض ملبسة نَوْ رَ الأقاحي يُجاد بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض عن مَهَلّ السماء

قال المهدى للمفضل الضبي أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدى ، قال وماهى يا أمير المؤمنين ؟ قال قوله

وقد تغدر الدنيا فيُضْحى فقيرها غنياً ويغنَى بعد بؤس فقيرها
فلا تقرُب الأمر الحرام فانه حلاوته تفنى ويبقى مَريرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

وقال فى المهدى قصيدته التي يقول فيها

اليك أمير المؤمنين تعسفت بنا البِيدَ هَوْجاء النَّجاء جنوب
ولولم يكن تَقْدامها ما تقاذفت جبال بها مُغْبَرّة وسُهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب
علا خلقه خلق الرجال وخُلقه اذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
اذا شاهد القواد سار أمامهم جرىء على ما يتقون وَثوب
وان غاب عنهم شاهدتهم مَهابة بها يقهر الأعداء حين يغيب
يَعِفّ ويستحيي اذا كان خالياً كما عف واستحيا بحيث رقيب

فأمر له المهدى بسبعين الف درهم وحصان جواد ، وقال فيه

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم ما كان في الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة فى السود طراً اذاً لابيضت السود

ومن قوله يرثى معن بن زائدة

ألِمّا على مَعْن وقولا لقبره سقيت الغوادى مَرْبعاً ثم مربعا
أيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خُطّت للسماحة مضجعا

أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مُتْرَعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد الجود مجراه مُمْرِعا
أبى ذكر معن أن تموت فعاله ... وان كان قد لاقى حماماً ومصرعا

قيل لأبى عبيدة ما تقول فى شعر الحسين بن مطير ؟ فقال والله لوددت أن الشعراء قاربته فى قوله

مُخَصَّرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودُها
بصُفر تراقيها وحمر أكفهـــا ... وسود نواصيها وبيض خدودها

ومن قوله يصف سحابة مكفهرة نشأت وتتابع منها الرعد والبرق وجاءت بمطر جَود

مستضحك بلوامع مستعبر ... بمدامع لم يَمْرِها الأقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يراوح نَعْيه وبكاء
وكأن بارقه حريق تلتقى ... ريح عليه وعَرْفَج وألاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق فى لجج السواحل ماء

ومن قوله

أحبك يا سلمى على غير ريبة ... وما خير حب لا تَعِف سرائره
أحبك حباً لا أُعَنِّف بعده ... محباً ولكني اذا لِيمَ عاذره
وقد مات قبلى أول الحب فانقضى ... ولومت أضحى الحب قدمات آخره
ولما تناهى الحب فى القلب وارداً ... أقام وسُدَّت عنه يوما مصادره

شعراء كنانة

عبد الله بن علقمة الكنانى

هو عبد الله بن علقمة الكنانى أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة

خرج مع أمه وهو غلام يفَعة لتزور جارة لها وكان لها بنت يقال لها حبيشة ، فأعجبته ووقعت فى نفسه ، ثم رآها مرة أخرى وقد زينت لأمر كان فى الحى ، فازداد بها عجباً وانصرف بأمه فى غداة تمطر ، فمشى معها شيئاً ، ثم أنشأ يقول

وما أدري ، بلى إنى لأدري أصوب القَطر أحسن أم حُبَيش
حبيشة والذى خلق الهدايا وما عن بعدها للصب عيش

فسمعته أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله ، ثم مشيا ملياً فاذا هو بظبي على رَبْوَة من الأرض ، فقال

يا أمتا أخبريني غير كاذبة وما يريد مَسُول الحق بالكذب
أتلك أحسن أم ظبي برابية لا بل حُبَيشة فى عيني وفي أربى

فزجرته أمه وقالت ما أنت وهذا ؟ نزوجك بنت عمك فهى أجمل من تلك ، وأتت امرأة عمه فقالت زيني ابنك له ، ففعلت وأدخلتها عليه ، فلما رآها أطرق فقالت له أمه أيهما الآن أحسن ؟ فقال

اذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبرا
كأن الحشى حر السعير يحُشه وقود الغَضَى والقلب مستعر جمرا

وجعل يراسل الجارية وتراسله حتى علقتها كما علقها ، وكثر قوله للشعر فيها ، فمن ذلك

حبيشة هل جدى وجدك جامع بشملكم شملى وأهلكم أهلى
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الأُلَّتين الى النخل
وهل أشتفى من ريق ثغرك مرة كراح ومسك خالطا ضَرَب النحل

فلما بلغ أهلها خبرها حجبوها عنه مدة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قول الشعر فيها ، فأتوها وقالوا لها عديه السَّرحة ، فاذا أتاكِ فقولي له نشدتك الله ان كنت أحببتني فوالله ما على الأرض شيء أبغض إليَّ منك ونحن قريباً نستمع ما تقولين ، فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون وجلست عند السرحة ، وأقبل عبدالله لوعدها ، فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت الى حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم قريب ، فرجع و بلغه ما قالوا لها أن تقوله ، فأنشأ يقول

لو قلتِ ما قالوا لزدت جوًى بكم على أنه لم يبق ستر ولا صبر
ولم يك حبى عن نوَال بذلته فيُسْلِيَنى عنه التجهم والهجر
وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها ونظرَتها حتى يغيبني القبر

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد الى بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمره أن يدعوهم الى الاسلام فان أجابوه والا قاتلهم ، فصبحهم خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء ، فخافوه فظعنوا ، وكانوا قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة فى الجاهلية ، وحديث ذلك أن نفراً من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياههم وكان يقال لهم لَعَقة الدم وكانوا ذوي بأس شديد ، فجاءت بنو عامر ، فقالوا للقرشيين إياكم أن يكون معكم رجل من فَهْم لأنه كان له عندهم ذَحْل ، قالوا لا والله ما هو معنا ، وهو معهم ، فلما راحوا أدركهم العامريون ، ففتشوهم ، فوجدوا الفهمى معهم ، فقتلوه وقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فقال راجزهم

ان قريشاً غدرت وعادة نحن قتلنا منهمُ بغادة
عشرين كهلاً ما لهم زيادة

وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبى العاصى أبو عثمان بن عفان وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة والفاكه بن الوليد بن المغيرة ، فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحرث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً ، وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحرث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار فأشار الى ذلك ضِرار بن الخطاب بقوله

دعوت الى خطة خالداً من المجد ضيعها خالد
فوالله أدرى أضاهى بها من الغم أم صدره بارد
ولو خالد عاد فى مثلها لتابعه عَنَق وارد

وقال ضرار أيضاً

أرى ابني لؤي أسرعا ان يسالما وقد سلكت أبناؤها كل مسلك
فان أنتمُ لم تثأروا برجالكم فدوكوا الذى أنتم عليه بمِدْوك (١)
فان أداة الحرب ماقد جمعتمُ ومن يتق الأقوام بالشر يترك

فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم ، وكانت بنو سليم طلبتهم بمالك بن خالد ابن الشَّريد واخوته كُرْز وعمر والحرث وكانوا قتلوهم فى موطن واحد ، فلما صبحهم خالد في ذلك اليوم ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نفوراً ، وقال لهم خالد أسلموا تسلموا ، قالوا نحن قوم مسلمون ، قال فألقوا سلاحكم وانزلوا ، قالوا لا والله ، فقال جذيمة بن الحرث أحد بني أقرم ياقوم لاتضعوا سلاحكم والله مابعد وضع السلاح الا القتل ، قالوا لا والله لا نلقى سلاحنا ولاننزل ما نحن منك ولا لمن

(١) المدوك حجر يسحق به الطيب

معك بآمنين ، قال خالد فلا أمان لكم ان لم تنزلوا ، فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت البقية فرقتين فأصعدت فرقة وسفلت أخرى ، قال عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمى كنت يومئذ فى جند خالد فبعثنا فى أثر ظُعن مُصعدة يسوق بهن فتية ، فقال أدركوا أولئك ، فخرجنا فى أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق ، فلما انتهينا اليه جعل يقاتلنا وهو يقول

رَخِّين أذلال المروط واربعن مشي حَيِيَّات كأن لم يُفْزَعن
ان تمنع اليوم النساء تمنعن

فقاتلنا طويلاً فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن ، فخرج الينا غلام كأنه الاول فجعل يقاتلنا ويقول

أقسمت ما ان خادر ذو لِبْدة شَثْن البنان فى غداة بَرْدة
جَهْم المحيَّا ذو شبال وَرْدة يُرْزم بين أيكة وجحدة
ضارٍ بتأكال الرجال وحده بأصدق الغداة مني نَجْدة

فقاتلناه حتى قتلناه وأدركنا الظعن فأخذناهن فاذا فيهن غلام وضىء به صفرة فى لونه كالمنهوك فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله ، فقال لنا هل لكم فى خير ؟ قلنا وما هو ؟ قل تدركون بى الظعن أسفل الوادى ، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته « اسلمى يا حبيش عند نفاد العيش » فأقبلت اليه جارية بيضاء حسناء فقالت « وانت فاسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء » فقال « سلام عليكم دهرا وأنت بقيت عصرا » فقالت « وأنت سلام عليك عشرا وشفعاً تَتْرَى وثلاثاً وترا » فقال

ان يقتلونى يا حُبَيش فلم يدع هواك لهم مني سوى غلة الصدر
وأنت التى أخليت لحمى من دمى وعظمى وأسبلت الدموع على نحرى

فقالت له

ونحن بكينا من فراقك مرة وأخرى وآسيناك فى العسر واليسر
وأنت فلا تبعَد فنعم فتى الهوى جميل العفاف في المودة والستر

فقال لها

أريتك اذ طالبتكم فوجدتكم بحَلْيـة أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السُّرَى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت اذ أهلنامعا أثيبى بود قبل احدى البوائق
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى ويناًى الامير بالحبيب المفارق
فانى لا ضيعت سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق

قال ابن أبى حدرد فضربنا عنقه فتقحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه ووضعت رأسه فى حجرها وجعلت ترشفه وتقول

لا تبعدن ياعمر حياً وهالكاً فحق بحسن المدح مثلك من مثلى
لا تبعدن ياعمر حياً وهالكاً فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل
فمن لطِراد الخيل تشجر بالقنا وللعجز يوماً عند قرقرة البُزْل

وجعلت تبكى وتردد هذه الأبيات وان رأسه لفى حجرها ، وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه ، فسأله هل أنكر عليه أحد ما صنع ؟ فقال نعم رجل أصفر رَبْعة ورجل أحمر طويل ، فقال عمر أنا والله يارسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو ابنى عبد الله ، وأما الآخر فهو سالم مولى أبى حذيفة ، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه ، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى

أبى حذيفة أسيرين كانا معهما فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بعد فراغه من حُنَين و بعث معه بابل وورق وأمره أن يَدِيَهم ، فوداهم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال على قدمت عليهم فقلت لهم هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحلوا رسول الله صلى الله عليه رسلم مما علم ومما لا يعلم ؟ قالوا نعم ، فدفعته اليهم وجعلت أُدِيهم حتى انى لَأُدِى مِيلَغَة الكلب ، وفضلت فضلة فدفعتها اليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلوها ؟ قال نعم ، قال فوالذى أنا عبده لهى أحب إليّ من حمر النعم ، وقالت سلمى بنت عمبس

وكم غادروا يوم الغُمَيصاء من فتى ... أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيد كهل عليـــه مهابة ... أصيب ولما يعلُه الشيب واضحا
أحاطت بخُطّاب الأيامى وطلقت ... غداة اذٍ من كان منهن ناكحا
ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا

جويرية بنت خالد بن قرط الكنانية

تُكْنى أم حكيم زوجة عبيدالله بن العباس . قالت فى ابنيها اللذين قتلهما بُسْر ابن أَرطاة أحد بني عامر بن لؤى باليمن

ألا من بين الاخويـــن أمهما هى الثكلى
تسائل من رأى ابنيها وتستبغى فمـــا تُبْغى
فلما استيأست رجعت بعَبْرة واله حرَّى
تتـــابع بين ولولة وبين مدامع تترَى

و كانت قد أصابها وله على ابنيها فكانت لا تعقل ولا تصغى الا الى قول من أعلمها انهما قد قتلا ولا تزال تطوف فى المواسم تنشد ابنيها بهذه الابيات

يا من أحسّ بُنَيَّ اللذين هما ... كالدُّرتين تَشَظَّى عنهما الصَّدف
يا من أحس بنيَّ اللذين هما ... سمعي وطرْفي فطرفي اليوم مختطف
يا من أحس بنيي اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بُسْرا وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
أنحى على وَدَجَيْ طفليَّ مرهفة ... مشحوذة وعظيم الافك يقترف
حتى لقيت رجالا من أَرومته ... شم الأنوف لهم فى قولهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته ... هذا لعمر أبى بسر هو السَّرف
من دل والهـــة حرَّى مفجعة ... على حبيبين غابا اذ مضى السلف

وكان من حديث ذلك ان معاوية بن أبى سفيان بعث بُسْر بن أَرطاة بعد تحكيم الحكمين وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ حي فى جيش، فمر بسر لذلك على وجهه حتى انتهى الى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب على عليه السلام وأهل هواه وهدم بها دوراً، ومضى الى مكة فقتل نفراً من آل أبى لهب، ثم أتى السراة فقتل من بها من أصحابه، وأتى نَجْران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثى وابنه وكانا من أصهار عبيد الله بن العباس عامل على عليه السلام، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله وكان غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر فلم يصادفه بسر ووجد ابنين له صبيين فأخذهما بسر « لعنه الله » وذبحهما بيده بمدية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً الى معاوية، وبعث معاوية غيره ففعلوا فعله فقصد الغامدى الى الأنبار فقتل ابن حسان البكرى وقتل رجالا ونساء من الشيعة، فبلغ ذلك علياً فخرج حتى أتى المنبر فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال « أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيم الخسف ودُيّث (١) بالصَّغار، وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا

(١) ذلل

ونهاراً وسراً واعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فو الذى نفسى بيده ما غزى قوم قطّ فى عُقْر [١] دارهم الا ذلوا ، فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظِهْرياً حتى شُنَّت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد [٢] قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيراً ونساء ، والذى نفسى بيده لقد بلغني أنه كان يُدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالها [٣] ورُعُثها ، ثم انصرفوا موفورين لم يُكْلم [٤] أحد منهم كَلْما ، فلو أن امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندى فيه ملوماً بل كان عندى به جديراً ، ياعجبا كل العجب عجب يميت القلب ويَشْغَل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر [٥] هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً تُرْمون ولا ترمون ويُغار عليكم ولا تُغيرون ويُعصى الله عز وجل فيكم وترضَوْن ، اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ [٦] ، وان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة [٧] القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا ، فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طَغام [٨] الاحلام ويا عقول رَبّات الحجال ، والله لقد أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان ، ولقد ملأتم قلبى غيظاً حتى قالت قريش ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، لله دَرّهم ومن ذا يكون أعلم بها منى أو أشد لها مِراساً ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع ، يقولها ثلاثاً ، فقام اليه رجل ومعه أخوه فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى « رب انى

---

(١) أصل (٢) هم بنو غامد بن نصر بن الازد (٣) الاحجال الخلاخيل واحدها حجل بالكسر والرعث هى الشنوف الواحدة رعثة بفتح الراء وسكون العين والجمع رعثات وجمع الجمع رعث (٤) لم يجرح (٥) التضافر التعاون والتظاهر (٦) الصر شدة البرد (٧) اشتداد حرارة الصيف (٨) الطغام من لا عقل له ولا معرفة عنده

لا أملك الا نفسي وأخي » فمرنا بأمرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد ، فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ؟ ثم نزل

وكتب عقيل بن أبي طالب الى أخيه علي عليه السلام « أما بعد فان الله جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه ، انى خرجت معتمراً فلقيت عبد الله ابن أبي سَرْح فى نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلقاء ، فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم : يا أبناء الطلقاء العداوة لنا منكم والله غير مستنكرة قديماً تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمره ، فأسمعنى القوم وأسمعتهم ، ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموال أهلها ثم انكفأ راجعاً ، فأفّ لحياة فى دهر قد أمر عليكم الضحاك ، وما الضحاك ، وهل هو الا فَقْع قرقرة وقد طنّت ؟ وبلغني أن أنصارك قد خذلوك فاكتب الىّ يا ابن أمّ برأيك فان كنت الموتَ تريد تحملت اليك ببنى أبيك وولد أخيك فعشنا ما عشت ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقا ، فأقسم بالله الأعز الأجل ان عيشاً أعيشه فى هذه الدنيا بعدك لَعيش غير هنيء ولا مَرىء ولا نجيع والسلام ، فأجابه على بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد كلأنا الله واياك كلاءة من يخشاه بالغيب انه حميد مجيد ، فقد قدم علىّ عبد الرحمن بن عبيد الأزدى بكتابك يذكر أنك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلا من قُدَيد فى نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، وانك تنبأ عن ابن أبي سَرْح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبَغاها عِوَجاً فدع ابن أبي سرح عنك ودع قريشاً وتَرْكاضهم فى الضلال وتَجوالهم فى الشقاق فان قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك اجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجهلوا فضله وكادوه بالعداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وساقوا له جيش الأمرّين ، اللهم فاجز عني قريشاً

الجوازى فقد قطعت رحمى وتظاهرت علىّ والحمد لله على كل حال ، وأما ماذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحِيرة فهو أقل وأذل من أن يقرب من الحيرة ، ولكنه جاء فى جريدة فأخذ على السماوة ومرّ بواقصة وشراف وما الى ذلك الصقع فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن فى السير وقد طفلت الشمس للاياب ، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا [١] فولى ولم يصبر وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً [٢] بعد ما أخذ منه بالمخنّق [٣] ولم يبق مته الا الرمق فلأْيا بلأْى مانجا [٤] وأما ما سألت أن أكتب اليك فيه فرأيى قتال المحلّين حتى ألقى الله ، لا يزيدنى كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عنى وحشة ، لانى محق والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت على الحق ، وما الخير كله الا بعد الموت لمن كان محقاً ، وأما ما عرضته علىّ من مسيرك اليّ ببنى أبيك وولد أخيك فلاحاجة لى فى ذلك ، فأقم راشداً مهدياً ، فوالله ما أُحب أن تهلكوا معى ان هلكت ، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعاً متخشعاً ، ولا مقراً للضيم واهناً ، ولا سلس الزمام للقائد ، ولا وطىء الظهر للراكب المقتعد ، ولكنه كما قال أخو بني سليم

فان تسأليني كيف أنت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز عليّ أن ترى بى كآبة ... فيشمت باغ أو يسر حبيب

والسلام

---

(١) كناية عن السرعة التامة فان حرفين ثانيهما حرف لين سريعا الانقضاء عن السمع

(٢) الجريض المغموم (٣) المخنق الحلق محل ما يوضع الخناق

(٤) لأيا مصدر محذوف العامل ومعناه الشدة والعسر وما بعده مصدرية ونجا فى معنى المصدر أى عسرت نجاته عسراً بعد عسر

ثم ان بسرا كر راجعاً وانتهى خبره الى عليّ عليه السلام أنه قتل عبدالرحمن وقُثَم ابني عبيد الله بن عباس ، فسرح حارثة بن قُدامة السعدى فى طلبه وأمره أن يَجدَّ السير ، فخرج مسرعاً ، فلما وصل الى المدينة وانتهى اليه قتل علي وبيعة الحسن رضى الله تعالى عنه ركب فى السلاح ودعا أهل المدينة الى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال والله لتبايعُن ، فلما رأى أهل المدينة الجد منه بايعوا الحسن عليه السلام وكر راجعاً الى الكوفة ، ولما بلغ علياً قتل بسر للصبيين جزع لذلك جزعاً شديداً ودعا على بسر « لعنه الله » ، فقال اللهم اسلب دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله ، فأصابه ذلك وفقد عقله ، وكان يَهْذِي بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات « لعنه الله » ولما كانت الجماعة واستقر الأمر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر ، فقال له عبيد الله أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ، قال بسر نعم أنا قاتلهما ، فقال عبيد الله أما والله لَوَدِدْت أن الأرض كانت أنبتتني عندك ، فقال بسر فقد أنبتتك الآن عندى ، فقال عبيد الله ألا سيف ؟ فقال له بسر هاك سيفى ، فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر أخزاك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك ، ذاك رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بى قبلك ، فقال عبيد الله أجَلْ والله وكنت أثني به ، قال الأصمعى وسمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن عباس تندب ابنيها « بالأبيات السابقة » فرقّ لها واتصل ببُسْر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنيه ، فخرج بهما الى وادى أوطاس فقتلهما وهرب وقال

يا بُسْر بسرَ بني أرطاةَ ما طلعت ... شمس النهار ولا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين هم ... عين الهدى وسمام الأسوق القاسى
ماذا أردت الى طفلى مولهة ... تبكي وتنشد من أثكلت فى الناس
إمَّا قتلتهما ظلماً فقد شَرِقت ... من صاحبيك قناتى يوْم أوطاس
فاشرب بكأْسهما ثُكْلاً كما شربت ... أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

تم الجزء الخامس

ويليه الجزء السادس وأوله

شعراء الديل بن بكر

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	**شعراء عكل**
٢	سويد بن كراع العكلي
١٠	**شعراء تميم**
١٠	مالك بن الريب المازني
١٩	هلال بن الأسعر المازني
٢٢	مسعود بن خرشة المازني
٢٣	قطري بن الفجاءة المازني
٢٩	مرة بن محكان السعدي
٣٠	رؤبة
٣٤	أبو نخيلة الحماني
٤٥	حارثة بن بدر الغداني
٦٦	جرير
٩١	الشمردل اليربوعي
٩٧	الأبيرد الرياحي
١٠٤	أبو الهندي الرياحي
١٠٨	المغيرة بن حبناء
١١٥	أبو حزابة
١٣٠	أبو نفيس

ص	الموضوع
١٢٠	مسكين الدارمي
١٢٥	سعيد الدارمي
١٢٧	الفرزدق
١٦٥	**شعراء عدي بن عبد مناة**
١٦٥	ذو الرمة
١٨٣	عمرو بن الحصين
١٩١	**شعراء أسد**
١٩١	أيمن بن خريم
١٩٥	الحكم بن عبدل
٢٠٣	الكميت بن زيد
٢١٦	اسمعيل بن عمار
٢٢٤	الزبير بن الأشيم
٢٢٤	عبد الله بن الزبير
٢٤٠	الزبير بن عبد الله
٢٤٠	أعشى بني أسد
٢٤١	المرار الفقعسي
٢٤٤	الكميت بن معروف

تابع الفهرست

ص	الموضوع
٢٤٤	معروف بن الكميت
٢٤٤	سعدة أم الكميت
٢٤٥	أعشى بن أسد
٢٤٥	معروف بن الكميت
٢٤٦	الحسين بن مطير
٢٤٩	شعراء كنانة
٢٤٩	عبد الله بن علقمة
٢٥٤	جويرية بنت خالد

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السادس

فى الشعراء الاسلاميين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٠١١/٢٥/٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء الديل[1] بنو بكر

أبو الأسود الدؤلي

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤلي من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم ، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وروى عن ابن عباس وغيره ، واستعمله عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم واستعمله علي على البصرة بعد ابن عباس ، وهو كان الأصل فى بناء النحو وعقد أصوله ، دخل الى ابنته بالبصرة فقالت يا أبت ما أشدُّ الحر ، فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد ، فقال لها شهرا ناجر ، فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك ، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل ، فقال له وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه ان الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى « وهذا القول أول كتاب سيبويه » ثم رسم أصول النحو كلها ، فنقلها النحويون وفرعوها ، وروى المدائني قال أمر زياد أبا الأسود أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه فى حدود العربية ، ثم زاد

---

(١) قال عيسى بن عمر الديل بن بكر انما هو الدئل بضم فكسر فترك أهل الحجاز همزه

فيها بعده عَنْبسة بن مَعْدان المَهْري ، ثم جاء عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن احمد الأزدي « وكان صليبة » فلحبه[1] ، ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها

قيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم ؟ « يعنون النحو » فقال أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال عاصم بن أبي النَّجود أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي جاء الى زياد بالبصرة فقال له أصلح الله الأمير اني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم ؟ قال لا ، ثم جاء زياداً رجل فقال مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد مات أبانا وخلف بنون ؟ ردوا الى أبا الأسود ، فرد اليه ، فقال ضع للناس ما نهيتك عنه ، فوضع لهم النحو ، ويروى أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد ، وقال أبو حرب بن أبي الأسود أول باب وضعه أبي من النحو التعجب

قال الجاحظ أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم ما أثور عنه الفضل في جميعها كان معدوداً ، في التابعين ، والفقهاء ، والشعراء ، والمحدثين ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضري الجواب ، والشيعة ، والبخلاء ، والصُّلْع الأشراف ، والبُخْر الأشراف

ومما رواه من الحديث مسنداً قال أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمرَّت به جنازة ، فأثنى على صاحبها خيراً ، فقال عمر وجبت ، ثم مرَّ بأخرى ، فأثنى على صاحبها شراً ، فقال عمر وجبت ، فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟

(١) لحب الطريق أوضحه

فقال قد قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، فقلنا وثلاثة ، قال وثلاثة ، فقلنا واثنان ، قال واثنان ، ثم لم أسأله عن الواحد ، وقال خطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى الناس يوم الجمعة ، فقال ان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة حتى يأتى أمر الله جل وعز ، وروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال فى بول الجارية يغسل وفى بول الغلام ينضح ما لم يأكل الطعام

لما خرج ابن عباس رضى الله عنهما الى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود فى قومه ليرده ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بنى هلال ، فمنعوه وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال نَنشدكم الله ألاَّ تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة الى آخر الأبد وأمير المؤمنين أولى بابن عمه فلا تدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة ، وكتب أبو الأسود الى علي عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاه البصرة ، وكان أبو الأسود كاتباً لابن عباس على البصرة وهو الذى يقول

واذا طلبت من الحوائج حاجة فادع الاله وأحسن الاعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرة فهو اللطيف لما أراد فعالا
ان العباد وشأنهم وأمورهم بيد الاله يقلب الأحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجا تضعضع للعباد سؤالا

كان أبو الأسود قد أسن وكان مع ذلك يركب الى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ولو لزمت منزلك كان أودع لك ، فقال له أبو الأسود صدقت ولكن الركوب يشد أعضائى وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه فى بيتى وأستنشق الريح وألقى اخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتم بى أهلي وأنس بى الصبى واجترأ عليَّ الخادم وكلمنى من أهلي من يهاب كلامى لإلفهم إياى وجلوسهم عندي حتى لعل العَنَزات تبول عليَّ فلا يقول لها أحد هُسْ

كان بين بنى الديل وبين بنى ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته ، فاجتمعوا الى أبى الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحَّ عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة ، فقال له يا أبا الأسود أنت شيخ العشيرة وسيدهم وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سودد ، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ثم قال لقد أكثرت يا ابن أخى فاسمع منى ان الرجل والله ما يعطى ماله الا لاحدى ثلاث خلال ، اما رجل أعطى ماله رجاء مكافأة ممن يعطيه ، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده فى الآخرة أو رجل أحمق خدع عن ماله ، والله ما أنتم أحد هذه الطبقات ولا جئتم فى شيء من هذا ولاعمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتك إياه فى عقلك خير لك من مال أبى الأسود لو وصل الى بنى الديل ، قوموا اذا شئتم ، فقاموا يبادرون الباب

كان طريق أبى الأسود الى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به ، فمر به أبو الأسود يوماً فقال لقومه كأن وجه أبى الأسود وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاق ، فضحك القوم وأعرض عنهم أبو الأسود ، ثم مرَّ به مرة أخرى فقال كلمة أخرى فأفحمه أبو الأسود وضحك القوم منه وقاموا الى أبى الأسود فاعتذروا اليه مما كان ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود حين رجع الى أهله

وأهوجَ مِلْحاح تصامت قبله ... الى سمعه وما بسمعى من باس
ولو شئت قد أعرضت حتى أصيبه ... على أنفه حَدْباء تُعضل بالآسى
فان لسانى ليس أهون وقعة ... وأصغر آثاراً من النحت بالفاس
وذى إحنة لم يُبدها غير أنه ... كذى الخَبْل تأبى نفسه غير وسواس
صفحت له صفحاً جميلا كصفحه ... وعينى وما تدرى عليه واحراسى

وعندى له ان فار فوّار صدره فحاً جبلى لا يعاوده الحامى
وضبّ لحوم الناس أكثر زاده كثير الخنا صعب المحالة هماس
تركت له لحمى وأبقيت لحمه لمن نابه من حاضرى الجن والناس
فكرّ قليلا ثم صدّ كأنما يعَضّ بصُمّ من صدى جبل راسى

خرج أبو الأسود ومعه جماعة أصحاب له الى الصيد ، فجاءه أعرابى فقال له السلام عليك ، فقال أبو الأسود كلمة مقولة ، قال أأدخل ؟ قال وراءك أوسع لك ، قال ان الرمضاء قد أحرقت رجلى ، قال بُلْ عليها أو ائت الجبل يفىء عليك ، قال هل عندك شىء تطعمنيه ؟ قال نأكل ونطعم العيال فان فضل شىء فأنت أحق به من الكلب ، قال الأعرابى ما رأيت قط ألأم منك ، قال أبو الأسود قد رأيتك ولكنك قد أنسيت

خطب أبو الأسود امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرها الى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدث ابن عم له كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطب لها الى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبى الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى في أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارّوها حتى تزوجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك

لعمرى لقد أفشيت يوماً فخانني الى بعض من لم أخش سراً ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل ونادى بما أخفيت منه فأسمعا
فقلت ولم أفحش لعلك عاثر وقد يعثر الساعى اذا كان مسرعا
ولست بجازيك الملامة اننى أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلم أنه عهد بيننا فبن غير مذموم ولكن مودعا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى وأنت نجياً آخر الدهر أجمعا
وكنت اذا ضيعت سرك لم تجد سواك له الا أشت وأضيعا

وقال فيه

أمنت امرأً فى السر لم يك حازماً ... ولكنه فى النصح غير مريب

أذاع به فى الناس حتى كأنه ... بعلياء نار أوقدت بثقوب[1]

وكنت متى لم ترع سرك تلتبس ... قوارعه من مخطئ ومصيب

فما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه ... ولا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عندواحد ... فحق له من طاعة بنصيب

اشترى أبو الأسود جارية فأعجبته وكانت حولاء فعابها أهله عنده بالحول فقال فى ذلك

يعيبونها عندى ولا عيب عندها ... سوى أن فى العينين بعض التأخر

فان يك فى العينين سوء فانها ... مهفهفة الأعلى رداح المؤخر

كان لأبى الأسود صديق من بني تيم بن سعد يقال له مالك بن أصرم وكانت بينه وبين ابن عم له خصومة فى دار له وانهما اجتمعا عند أبى الأسود فحكماه بينهما ، فقال له خصم صديقه انى بالذى بينك وبين هذا عارف فلا يحملنك هذا على أن تحيف علىّ في الحكم ، وكان صديق أبى الأسود ظالماً ، فقضى على صديقه لخصمه بالحق ، فقال له صديقه والله ما بارك الله لى فى صداقتك ولا نفعنى بعلمك وفقهك ولقد قضيت علىَّ بغير الحق فقال أبو الأسود

اذا كنت مظلوماً فلا تلف راضيا ... عن القوم حتى تأخذ النَّصف واغضب

وان كنت أنت الظالم القوم فاطَّرح ... مقالتهم واشغَب بهم كل مشغب

وقارب بذى جهل وباعد بعالم ... جلوب عليك الحق من كل مجلب

فان حدِبوا فاقعس وان هم تقاعسوا ... ليستمكنوا مما وراءك فاحدب

ولا تدعني للجور واصبر على التى ... بها كنت أقضى للبعيد على أبى

(١) الثقوب ما تشعل به النار من صغار العيدان

فانى امرؤ أخشى الهى وأتقى معادى وقد جربت ما لم تجرب

وجه الى الحصين بن أبى الحر العنبرى وهو يلى بعض أعمال الخراج لزياد والى نعيم بن مسعود النهشلى وهو يلى مثل ذلك برسول وكتب معه اليهما وأراد أن يبرّاه ففعل ذلك نعيم بن مسعود ورمى الحصين بكتاب أبى الأسود وراء ظهره ، فأخبر أبو الأسود بذلك فقال

حسبتَ كتابى اذ أتاك تعرضا لسَيْبك ، لم يذهب رجائى هنالكا
وخبرنى من كنت أرسلت أنما أخذت كتابى معرضا بشمالكا
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا
نعيم بن مسعود أحق بما أتى وأنت بما تأتى حقيق بذلكا
يصيب وما يدري ويخطى وما درى وكيف يكون النَّوْك إلا كذلكا

أراد الخروج الى فارس فقالت له ابنته يا أبت انك قد كبرت وهذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم ويسلك الطريق آمناً فانى أخشى عليك فقال

إذا كنت معنياً بأمر تريده فما للمَضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله ان ما تراد به آتيك فاقنع بذا الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للرَّدى من الخفض فى دار المقامة والشَّمل (١)
ولا تحسبيني يا ابنتى عن مذهبي بظنك ان الظن يكذب ذا العقل
وانى ملاق ما قضى الله فاصبري ولا تجعلى العلم المحقق كالجهل
وانك لا تدرين هل ما أخافه أبعديَ يأتى فى رحيلى أو قبلى
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً أصيب وألفته المنية فى الأهل

كان لأبى الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد وكان يغشاه فى منزله ويتحدث اليه فى المسجد وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد

(١) الشمل المقام والخفض

من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه ، فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقة مُخْمَلة[1] أصبهانية من صوف فقال له أبو الأسود ما تصنع بهذه المستقة ؟ فقال أريد بيعها فقال له أبو الأسود انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به اليك فانها من حاجتي ، قال لا بل أكسوكها ، فأبى أبو الاسود أن يقبلها الا بثمنها فبعث بها الى السوق فقومت بمائتي درهم ، فبعث اليه أبو الأسود بالدراهم فردها وقال لست أبيعها الا بمائتين وخمسين ، فقال

بعني نُسيبُ ولا تُثبني انني ... لا أستثيب ، ولا أُثيب الواهبا
ان العطيـــــة خير ما وجهتها ... وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامة ... وملامـــــة تبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم ... فملئت علماً منهم وتجاربا
فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركت عمداً ما هنالك خائبا
فاذا وعدت الوعد كنت كغارم ... دَيْناً أُقِرّ به وأحضر كاتبا
حتى أُنفـــذه على ما قلته ... وكفى عليَّ به لنفسي طالبا
واذا فعلت فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسبا
واذا منعت متعت منعاً بيناً ... وأرحت من طول العناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

كان أبو الأسود يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط ، فقال لمعاوية استرها علي ، فقال نعم ، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها

(١) المستقة فروة طويلة الكم والمخملة التي لها خمل بالفتح وهو هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول

وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال ان امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألاَّ يؤمن على أمور المسلمين

كان يجلس الى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدث اليها وكانت بَرَزة جميلة ، فقالت له يا أبا الاسود هل لك فى أن أتزوجك فانى صَناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور ؟ قال نعم ، فجمعت أهلها فتزوجته فوجد عندها خلاف ماقدره وأسرعت فى ماله ومدت يدها الى خيانته وأفشت سرّه ، فغدا على من كان حاضراً تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم

أرأيت امرأً كنت لم أَبْلُه ... أتانى فقال اتخذنى خليلا
فخاللته ثم أكرمته ... فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيته حين جربته ... كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رفيقاً وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله الا قليلا
ألست حقيقاً بتوديعه ... وإتباع ذلك صَرْماً طويلا

فقالوا بلى والله يا أبا الاسود ، قال تلك صاحبتكم وقد طلقتها لكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم

كان علي بن أبى طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يشيع أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويبغى عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأَسود عنه قال

رأيت زياداً ينتحينى بشره ... وأعرض عنه وهو باد مقاتله
وكل امرىء والله بالناس عالم ... له عادة قامت عليها شمائله
تعودها فيما مضى من شبابه ... كذلك يدعو كلَّ أمر أوائله
ويعجبنى صفحى له وتجملى ... وذو الجهل يحذو الجهل من لايعاجله

فقلت له دعني وشأني اننا كلانا عليه معمل هو عامله
فلولا الذي قد يرتجى من رجائه لجربت مني بعض ما أنت جاهله
لجربت أني أمنح الغيَّ من غوى على وأجزى ما جزى وأطاوله

وقال له

نبئت أن زياداً ظل يشتمني والقول يكتب عند الله والعمل
وقد لقيت زياداً ثم قلت له وقبل ذلك ما خبّت به الرسل
حتامَ تسرقني في كل مجمعة عرضي وأنت اذا ماشئت منتقل
كل امرئ صائر يوماً لشيمته في كل منزلة يبلى بها الرجل

فلما ادعى معاوية زياداً ولاه العراق وكان أبو الاسود يأتيه فيسأله حوائجه فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان فكان أبو الاسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك

رأيت زياداً صدَّ عني بوجهه ولم يك مردوداً عن الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال وحاجتي كداء الجوى في جوفه لا يزايله
فلا أنا ناسٍ ما نسيت فآيس ولا أنا راءٍ ما أريت ففاعله
وفي اليأس حزم للبيب وراحة من الامر لاينسى ولا المرء نائله

نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة الى أبي الأسود في حالة رثة فبعث اليه بدنانير وثياب وسأله أن ينبسط اليه في حوائجه ويستميحه اذا ضاق فقال يمدحه

أبو بحر أمنُّ الناس طراً علينا بعد حي أبي المغيرة
لقد أبقى لنا الحدَثان منه أخا ثقة منافعه كثيرة
قريب الخير سهلاً غير وعرٍ وبعض الخير تمنعه الوُعورة
بصرت بأننا أصحاب حق نُدِلُّ به وإخوان وجيرة

وأهل مَضِيعة فوُجدت خيراً من الخلان فينا والعشيرة
وانك قد علمتُ وكل نفس ترى صفحاتها ولها سريرة
لذو قلب بذي القربى رحيم وذو عين بما بلغت بصيرة
لعمرك ما حباك الله نفساً بها جَشَعَ ولا نفساً شريرة
ولكن أنت لا شَرِس غليظ ولا هشم تنازعه خُؤُورة
كأنا اذ أتيناه نزلنا بجانب روضة رَيَّا مَطيرة

وكان يدخل الى عبيد الله بن زياد فيشكو اليه ان عليه ديناً لحقه لا يجد الى قضائه سبيلاً ، فيقول له اذا كان غد فارفع اليّ حاجتك فانى أحب قضاءها ، فيدخل اليه من غد فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه ثم يعاوده فلا يصنع فى أمره شيئاً فقال أبو الأسود

دعانى أميري كى أفوه بحاجتى فقلت فما رد الجواب ولا استمع
فقمت ولم أُحسِسْ بشيء ولم أصُن كلامى وخير القول ماصين أو نفع
وأجمعت يأساً لا لبانة بعده ولَلَيأس أدنى للعفاف من الطمع

سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه ، فقال يا أبا الأسود ما أصبحت حاتمياً ، قال بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لاتدري أليس حاتم الذى يقول

أما وىّ إما مانع فمبين واما عطاء لاينهنهه الزجر

كان لأبى الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص ، فلما باع أبو الأسود داره فى بنى الدِّيل وانتقل الي هُذَيل قال جار أبى الأسود لبعض جيرانه من هذيل هل يسقيكم من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لاتزال عنده لِقحة أو لقحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب فبلغ أبا الأسود قوله فقال فيه

ان امرأً نبئته من صديقنا يسائل هل أسقى من اللبن الجارا
وإنى لأسقى الجار فى قعر بيته وأشرب ما لا إثم فيه ولا عارا

شراباً حلالا ينزل المرء صاحياً ولا يتولى يقلس الاثم والعارا

كان لأبى الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوْشرة بن سليم فاستعمله عبيد الله بن زياد على جَيّ وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدره وجفاه حوشرة فقال فيه أبو الأسود وفارقه

تروحتَ من رستاق جَيَّ عشية وخلفت فى رستاق جَيَّ أخاً لكا
إخالك ان طال التنائى وجدته نَسِيًّا وان طال التعاشر ملَّكا
ولو كنت سيفاً يعجب الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدهر فلَّكا
ولو كنت أهدى الناس ثم صحبتَه وطاوعته ضل الهدى وأضلكا
اذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وان جرت عن باب الغواية دلكا

كان لأبى الأسود جار يقال له وثاق من خزاعة وكان يحب اتخاذ اللِّقاح ويغالى بها ويصفها ، فأتى أبا الأسود وعنده لِقحة غزيرة يقال لها الصعوف ، فقال له يا أبا الأسود ما بلِقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا فهل لك فى بيعها ؟ فقال أبو الأسود أعلى ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال انى أغتفر ذلك لما أرجوه من غزارتها ، فقال له أبو الأسود بئست الخلتان فيك الحرص والخداع ، أنا لعيب مالي أشد اغتفاراً ، وقال فيه

يريد وثاق ناقتى ويعيبها يخادعني عنها وثاق بن جابر
فقلت تعلم يا وثاق بأنها عليك حمى أخرى الليالي الغوابر
بصرت بها كوماء حَوْساء جَلدة من المولیات الهام حد الظوافر
فحاولت خدعى والظنون كواذب وكم طامع فى خدعتى غير ظافر

وكانت له لِقحة أخرى يقال لها الطيفاء وكان يقول ما ملكت مالاً قط أحب إلىَّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سَدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها شيئاً وافياً ، فأبى أن يبيعه ، وقال فيه

أتانى في الطيفاء أوس بن عامر ليخدعني عنها بجن ضراسها
فسام قليلاً بائساً غير تاجر وأحضر نفساً وانتمى بمكاسها
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله وضعفاً له لما غدوت براسها
أغرك منها ان نحرت حوارها لجيران أم السكن يوم نفاسها
فولى ولم يطمع وفى النفس حاجة يرددها مردودة بايأسها

سأل رجل أبا الأسود فرده، فألحّ عليه، فقال له « ليس للسائل الملحف مثل الرد الجامس » يعني بالجامس الجامد

خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة، وكان قد رآها فأعجبته، فأجابته الى ذلك وأذنت له فى الدخول اليها، فدخل دارها فخاطبها بما أراد، فلما خرج لقيه ابن عم لها كان قد خطبها على أخيه، فقال له ما تصنع ههنا؟ فأخبره بخطبة المرأة، فنهاه عن التعرض لها، ووضع عليها ارصاداً، فكان أبو الأسود ربما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسوا اليه رجلاً يوبخه فى كل محفل يراه فيه، ففعل وأتاه وهو فى نادي قومه، فقال له يا أبا الأسود أنت رجل شريف ولك سن وخطر وعرض وما أرضى لك أن تُلِمّ بفلانة وليست لك بزوجة ولا قرابة فان أهلها قد أنكروا ذلك وتشكوه فإما أن تتزوجها أو تضرب عنها، فقال أبو الأسود

لقد جد فى سلمى الشكاة وللذى يقولون لو يبدو لك الرشد أرشدُ
يقولون لا تبذل بعرضك واصطنع معادك ان اليوم يتبعه غد
وإياك والقومَ الغضابَ فانهم بكل طريق حولهم تترصد
تُلام وتُلحَى كل يوم ولا تُرَى على اللوم الا حولها تتردد
أفادتكها العين الطموح وقد ترَى لك العين ما لا تستطيع لك اليد

وقال

دعوا آل سلمى ظِنَّتى وتعنتى وما زل مني ان ما فات فائت

ولا تُهلكوني بالملامة انما نطقت قليلاً ثم اني لساكت
سأسكت حتى تحسبوني أنني من الجهد في مرضاتكم متماوت
ألم يكفكم أن قد منعتمْ بيوتكم كما منع الغيلَ الأسود البواهت
تصيبون عِرْضي كل يوْم كما علا نشيط بفاس معدن البَرْم ناحت

كان ابن عباس يكرم أبا الأسود لما كان عاملاً لعلي على البصرة ويقضي حوائجه فلما ولي ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر ومامر من عيشي ذكرت وما فَضَل
أميرين كانا صاحبيَّ كلاهما فكلٌّ جزاه الله عني بما فعل
فان كان شراً كان شراً جزاؤه وان كان خيراً كان خيراً اذا عدل

قال أبو الأسود لابنه أبي حرب وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه

أحببْ اذا أحببت حباً مقارباً فانك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضاً مقارباً فانك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الخَنَا فانك راءٍ ما عملت وسامع

كان لأبي الأسود جار من بني حُليس بن يَعْمُر بن نُفاثة بن عدي بن الديل، من رهطه دِنْية، ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الديل، فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى ويؤذيه، فشكا أبو الأسود ذلك الى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه فكان ما اعتذر به اليهم أن قال لست أرميه وانما يرميه الله لقطعه الرحم وسرعته الى الظلم في بخله بماله، فقال أبو الأسود والله ما أجاور رجلاً يقطع رَحِمي ويكذب على ربي، فباع داره واشترى داراً في هُذَيل، فقيل له يا أبا الأسود أبعت دارك؟ قال لم أبع داري وانما بعت جاري، فأرسلها مثلا وقال في ذلك

رماني جاري ظالماً برَميَّة فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى
وقال الذى يرميك ربك جازياً بذنبك والحَوْبات تُعقب ما ترى
جزى الله شراً كل من نال سوءة ويَنْحَل فيها ربَّه الشر والأذى

وقال فيه

لحى الله مولى السَّوء لا أنت راغب اليه ولا رام به من تحاربه
وما قرب مولى السَّوء الا كبعده بل البعد خير من عدو تصاقبه

وقال فيه

وانى لتَثْنيني عن الشتم والخَنَا وعن سب ذى القربى خلائق أربع
حَيَاء واســـلام ولطف وأننى كريم ومثلي قد يضر وينفع
فان أعفُ يوماً عن ذنوب أتيتها فان العصا كانت لمثلي تقرع
وشـــتان ما بيني وبينك انني على كل حال أستقيم وتَظْلَع

كان لأبى الأسود جار في ظهر داره له باب الى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود و بين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما الى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود دِنْية وكان شَرِساً سيء الخلق ، فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه لاتفعل فتضر بأبى الأسود وهو شيخ وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولامؤنة ، فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لانه أضر فكان اذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه و بلغ ذلك أبا الاسود فمنعه وقال فيه

بُليت بصاحب ان أَدْنُ شبراً يزدنى فى مباعـــدة ذراعا
وان أَمْدُدْ له فى الوصل ذَرْعى يزدنى فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسى له الا اتباعاً وتأبى نفســـه الا امتناعا
كلانا جاهـد أدنو ويَنأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه

لنا جيرة سـدوا المجازة بيننا فان أذكروك السدّ فالسدّ أكيس
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزل به سفْع الخطاطيف أملس

وقال فى ذلك

أعصيت أمر أولى النهى وأطعت أمر ذوى الجهالة
أخطأت حين صرَمتني والمرء يعجز لا محالة
والعبـد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة

ودخل على معاوية فقال له لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمة تنفى عنك ، فقال

أفنى الشبابَ الذى فارقت جدَّته كرُّ الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي فى طول اختلافهما شيئاً تخاف عليه لذعة الحدَق

كان أبو الاسود نازلا فى بني قُشَير وكانت بنو قشير عثمانية وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من على عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، فاذا أصبح قال لهم أى جوار هذا ؟ فيقولون له لم نرمك انما رماك الله بسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك

يقول الأرذلون بنو قشير طَوال الدهر لا تنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عليا
أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
بني عم النبي وأقربيه أحب الناس كلهم إليا
فان يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطىء إن كان غيا
هم أهل النصيحة غير شك وأهل مودتى ما دمت حيا
هوًى أعطيته لما استدارت رحى الاسلام لم يعدل سويا

أحبهمُ لحب الله حتى أجيء اذا بعثت على هَوَيَّا
رأيت الله خالق كل شيء هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها أحداً سواهم هنيئاً ما اصطفاه لهم مَرِيَّا

فقالت له بنو قُشَير شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول « فان يك حبهم رشداً أصبه » ، فقال أما سمعتم قول الله عز وجل « وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » أفترى الله عز وجل شك فى نبيه ؟ وقد روى أن معاوية قال هذه المقالة فأجابه بهذا الجواب

كان أبو الأسود له على باب داره دكان يجلس عليه مرتفع عن الأرض الى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان فاذا مر به مار فدعاه الى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمر به ذات يوم فتى فدعاه الى الغداء فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل ثم قال له يا أبا الأسود إن عزمت على الغداء فانزل وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر اليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود ما اسمك يافتى ؟ قال لقمان الحكيم ، قال لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

كان أبو الجارود سالم بن سلمةَ بن نوفل الهذلي صديقاً لأبى الأسود يهاديه الشعر ويجيب كل واحد منهما صاحبه ويتعاشران ويتزاوران ، فولى أبو الجارود ولاية فجفا أبا الأسود وقطعه ولم يبدأه بمكاتبة ولا أجابه عنها فقال فيه أبو الاسود

أبلغ أبا الجارود عنى رسالة يروح بها الغادى لربعك أو يغدو
فيخبرنا ما بال صَرمك بعدما رضيت وما غيرتُ من خُلُق بعد
أأن نلت خيراً سرنى أن تَنالَه تنكرت حتى قلتُ ذو لِبْدَة وَرْدُ
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لى غير أنك لا تعدو
لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا لقد جعلت أشراطُ أوله تبدو
فانى اذا ما صاحب رَثَّ وصله وأعرض عنى قلَّ منى له الوجد

كان لأبى الأسود صديق يقال له الحرث بن خُليد ، وكان فى شرف من العطاء ، فقال لأبى الأسود ما يمنعك من طلب الديوان فان فيه غنى وخيراً ؟ فقال له قد أغنانى الله عنه بالقناعة والتجمل ، فقال كلا ولكنك تتركه اقامة على محبة ابن أبى طالب وبغض هؤلاء القوم ، وزاد الكلام بينهما حتي أغلظ له الحرث ، فهجره أبو الأسود وندم الحرث على ما فرط منه فسأل عشيرته أن تصلح بينهما ، فأتوا أبا الأسود فى ذلك وقالوا له قد اعتذر اليك الحرث مما فرط منه وهو رجل حديد فقال أبو الأسود

لنا صاحب لا كليل اللسان ... فيَصْمُت عنا ولا عارم
وشر الرجال على أهله ... وأصحابه الحَمِق العارم

وقال فيه

اذا كان شىء بيننا قيل انه ... حديد نخالف جهله وترفق
شنئت من الأصحاب من ليس بارحاً ... أزامله زَمْل السقّاء المخرق

كان معاوية بن صَعْصَعَة يلقَى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف له أنه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك فقال فيه أبو الأسود

ولى صاحب قد رابنى أو ظلمته ... كذلك ما الخصمان بَرّ وفاجر
وانى امرؤ عندى وعمداً أقوله ... لآتىَ ما يأتى امرؤ وهو خابر
لسانان معسول عليه حلاوة ... وآخر مسموم عليه الشَّرائر
فقلت ولم أبخل عليه نصيحتى ... وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر
اذا أنت حاولت البراءة فاجتنب ... عواقب قول تعتريه المعاذر
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل ... له فى اعتراض القول انك شاعر
عطفت عليه عَطْفة فتركته ... لما كان يرضى قبلها وهو حاقر

بقافية حذّاء سهلٍ رويُّها وللقول أبواب تُرى ومحاضر
تعزى بها من نومه وهو ناعس اذا انتصف الليل المكلُّ المسافر
اذا ما قضاها عاد فيها كأنه للذته سكران أو متساكر

كان لأبى الأسود زوجتان قشيرية وقيسية فلما أسن وضعف كانت القشيرية موافقة له وصابرة عليه وهي التى يقول فيها

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزاً ومن يُحْبِب عجوزاً يفند
كسحق يمانٍ قد تقادم عهده ورُقعته ما شئت فى العين واليد

وأما القيسية وكانت أشبّهما وأجملهما فالتوت عليه وتنكرت له وساءت عشرتها فقال فيها

تعاتبني عرسى على أن أطيعها لقد كذّبتها نفسها ما تمنت
وظنت بأنى كل ما رضيت به رضيت به يا جهلها كيف ظنت
وصاحبتها ما لو صحبت بمثله على ذُعْرها أُرْوِيَّة لاطمأنت
وقد غرها منى على الشيب والبِلَى جنونى بها جنت حيالى وحنت (١)
ولا ذنب لى قد قلت فى بدء أمرنا ولو عَلِمت ما عُلمت ما تعنّت
تشكّى الى جاراتها وبناتها اذا لم تجد ذنباً علينا تجنت
ألم تعلمى أنى اذا خفت جفوة بمنزلة أبعدت عنها مطيتى
وأنى اذا شقت علىّ حليلتى ذهبت ولم أحنِثْ اذا هى حنت

وفيها يقول

أفاطم مهلاً بعضَ هذا التعبس وان كان منك الجد فالصّرم مُؤيِسى
تشتم لي لما رأتني أحبها كذى نعمة لم يُبدها غيرُ أبؤس
فان تنقضى العهد الذى كان بيننا وتُلْوى به فى ودك المتحلس (٢)

(١) يقال جن وحن وهو من الاتباع كما يقال هش بش (٢) تحلس لكذا طاف له وحام به

فاني فلا يغررك مني تجملي لأسلي البعاد بالبعاد المكنس
وأعلم أن الارض فيها مَنادح[1] لمن كان لم تُسْدد عليه بمحبس
وكنت امرأ لا صحبة السوء أرتجي ولا أنا نوام بغير معرَّس

كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود

ألم تر ما بيني و بين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح باقي الود بيني و بينه كأن لم يكن والدهر فيه عجائب
اذا المرء لم يُحببك الا تكرهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب
فلَلمنأى خير من مُقام على أذى ولا خير فيما يستقل المعاتب

كان لأبي الأسود مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح ، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع فركب فنظر اليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود فقال

اذا كنت تبغي للأمانة حاملاً فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
فان الفتى خِبّ كذوب وانه له نفس سَوْء يجتويها صديقها
متى يخلُ يوماً وحده بأمانة تُفَلّ جميعاً أو يفلّ فريقها
على أنه أبقى الرجال سمانة كما كل مسمان الكلاب سروقها

أتى أبا الاسود نعي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته «وان رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ،

(١) المندوحة ما اتسع من الارض والجمع مناذح

فيا لله هو من قتيل ، وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت الى الله تعالى بالبر والتقى ، والايمان والاحسان ، لقد أطفأ منه نوراً لله فى أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً » ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال « وقد أوصى بالأمامة بعده الى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه ، وسليله وشبيهه فى خلقه وهديه ، وانى لأرجو أن يجبر الله به ما وَهَى ، ويسد به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشدوا » فبايعت الشيعة كلها وتوقف ناس ممن يرى رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا الى معاوية مع رسول دسه اليه يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله فى الصلح ويدعوه الى أخذ البيعة له بالبصرة ويعده ويمنيه فقال أبو الاسود

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرًّا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيَّسها[1] ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثانى والمئينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت ... بأنك خيرها حسباً ودينا

كان أبو حرب بن أبى الاسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها فعاتبه أبوه على ذلك فقال أبو حرب ان كان لي رزق فسيأتينى فقال له

وما طلب المعيشة بالتمنى ... ولكن ألقِ دلوك فى الدِّلاء

(١) خيس المطية ذللها

تجئك بمائها يوماً ويوماً تجئك بحمأة وقليل ماء

وقال يوصي ابنه

لا ترسلن رسالة مشهورة لاتستطيع اذا مضت ادراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحبُ الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدينَّ نميمة حدثتها وتحفظن من الذى أنباكها

اعتذر الى زياد فى شىء جرى بينهما فكأنه لم يقبل عذره فقال

انني مجرم وأنت أحق النـــاس أن تقبل الغداة اعتذارى
فاعف عني فقد سفهت وأنت المر ء تعفو عن الهنات الكبار

فتبسم زياد وقال أما اذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك

سئل أبو الاسود عن رجل واستشير فى أن يولى ولاية فقال أبو الاسود هو ماعلمته أهْيَس أليَس[1] ألدّ مِلْحَس ان أعطَى انتهر وان سئل ازورّ

أوصى أبو الاسود كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً فقال أبو الاسود

لعمرى لقد أوصيت أمس بحاجتى فتى غير ذى قصد علىَّ ولا رؤف
ولا عارفاً ما كان بيني و بينه ومن خير ما أدلى به المرء ماعرف
وما كان ما أملت منه ففاتنى بأول خير من أخى ثقة قرف

توفى أبو الاسود فى الطاعون الجارف سنة ٦٩ وله خمس وثمانون سنة وقد قيل انه مات قبل ذلك وهو أشبه القولين بالصواب لانا لم نسمع له فى فتنة مسعود وأمر المختار بذكر

(١) الاهيس الحاد ، ويقال ناقة لهيساء اذا كانت لاتبرح من المبرك وهو مما يوصف به الشجاع

الحزين

هو عمرو بن عبيد بن وهيب الديلي الكناني من الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة والحزين لقب غلب عليه ويكني أبا الشعثاء من شعراء الدولة الأموية ، حجازي مطبوع ، ليس من فحول طبقته ، وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس ، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ولا كان يَرِيم الحجاز حتى مات

ومن قوله يمدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم ، وكان حسن الوجه حسن المذهب

في كفه خَيْزُران ريحها عَبِق ... من كف أَرْوَعَ في عِرْنينه شَمَم
يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين التي أولها

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

وهو غلط ممن رواهما [1] فيها وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني تنبيء عن نفسها وهي

الله يعلم أن قد جُبت ذا يمن ... ثم العراقين لا يثنيني السَّأَم
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفلها ... كذاك تَسري على الأهوال بي القدَم
ثم المواسم قد أوطأتها زمناً ... وحيث تُحْلَق عند الجمرة اللِّمَم
قلوا دمشق ينبيك الخبير بها ... ثم ائت مصر فثَمَّ النائل العَمَم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى ... وقد تعرضت الحجاب والخدم

(١) أنظر ص ١٥٠ من الجزء الخامس تر أبا الفرج رحمه الله رواهما للفرزدق

حييته بســـــلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم

وبعده البيتان

ترى رءوس بني مَرْوان خاضعة يمشون حول ركابيه وما ظلموا

ان هَشَّ هشواله واستبشر واجذَلا وان همُ آنسوا إعراضــه وَجَموا

كلتا يديه ربيع عند ذى خلف بحر يفيض وهذى عارض هزِم

استشار الحزينَ ابنُ عم له فى امرأة يتزوجها، فقال له ان لها اخوة مشائيم وقد ردوا عنها غير واحد وأخشى أن يردوك فيطلق عليك النساء، فخطبها، فردوه، فقال الحزين

نهيتك عن أمر فلم تقبل النهى وحذرتك اليوم الغُواة الأَشائما

فصرت الى ما لم أكن منه آمناً وأشمتّ أعدائى وأنطقت لائما

وما بهمُ من رغبة عنك قل لهم فان تسألونى تسألوا بىَ عالما

مرَّ الحزين على جعفر بن محمد وعليه أطمار، فقال له يا ابن أبى الشعثاء الى أين أصبحت غادياً ؟ قال أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحرَّة يريد الحج وقد كنت وفدت اليه بمصر فأحسن إلىَّ، قال أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب ؟ قال قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرنى أحد منهم غير هذه الثياب، فدعا جعفر غلاماً فقال له ائتني بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك، فقال أَبْلِ وأَخْلِق، فلما ولى الحزين قال جلساء جعفر له ما صنعت ؟ انه يعمِد الى هذه الثياب التى كسوته إياها فيبيعها ويفسد بثمنها، قال ما أبالي اذا كافأته بثيابه ما صنع بها، فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك، فأحسن اليه وكساه، فلما أصبح أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بلأمس وأنشده

وما زال ينمو جعفر بن محمد الى المجد حتى عَبْهلته[1] عواذله

(١) عبهله عاتبه

وقلن له هل من طريف وتالد من المال الا أنت فى الحق باذله
يحاولنه عن شـــيمة قد علمنها وفى نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال له بأبى أنت وأمى قد سمعت ما قالوا وما رددت عليهم

دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزبير منزله فامتدحه وسأله حاجة ، فقال له ليس الى ما تطلب سبيل ولا نقدر على أن نملأ الناس معاذير وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته ، فقال الحزين أفمن المستحقين أنا ؟ قال لا والله كيف تكون مستحقاً لشىء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمعضلات ! انما المستحق من كف أذاه وبذل نداه وأرغم أعداه ، قال له الحزين أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو أين تبعدنى لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها ؟ فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول

حلفت وما صُبِرت على يمين ولو أدعى الى أيمان صُبْر
برب الراقصات بشِعب قوم يوافون الجِمار لصبح عشر
لو أن اللؤم كان مع الثُّرَيا لكان حليفه عمرو بن عمرو
ولو أنى عرفت بأن عمراً حليف اللؤم ما ضيعت شعرى

وقال أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم ، وجاءه فشكا اليه عمراً فوصله وأحسن اليه

اذا لم يكن للمرء فضل يَزينه سوى ما ادّعى يوماً فليس له فضل
وتلقى الفتى ضَخماً جميلاً رُواؤه يروعك فى النادى وليس له عقل
وآخرَ تنبو العين عنه مهذَّب يجود اذا ما الضخم نهنهه البخل
فيا راجياً عمرو بن عمرو وسَيْبه أتعرف عمراً أم أتاك به الجهل
فان كنت ذا جهل فقد يخطىء الفتى وان كنت ذا حزم اذاً جازت النبل
جهلت ابن عمرو فالتمس سَيْب غيره ودونك مرمىً ليس فى جِدِّه هزل

عليك ابنَ مَرْوان الأَغرَّ محمدا تجده كريماً لا يطيش له نَبْل

فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم وقال له اكفف عن عمرو بن عمرو ولك حكمك ، فقال لا والله ولا بحمر النعم وسودها لو أعطيتها ما كففت عنه لأنه ما علمت كثير الشر قليل الخير متسلط على صديقه فظ على أهله « وخير ابن عمرو بالثريا معلق » ، فقال له محمد بن مروان هذا شعر ، فقال بعد ساعة يصير شعراً ولو شئت لعجلته ، ثم قال

شر ابن عمرو حاضر لصديقه وخير ابن عمرو بالثريا معلق

ووجه ابن عمرو باسر ان طلبته نوالاً اذا جاد الكريم الموفق

فنفس الفتى عمرو بن عمرو اذا غدت كتائب هيجاء المنية تَبْرُق

فلا زال عمرو للبلايا دريَّة تباكره حتى يموت وتطرُق

يهرِ هرير الكلب عمرو اذ رأى طعاماً فما ينفك يبكي ويشهق

فزجره محمد عنه وقال له أفّ لك فقد أكثرت فى الهجاء وأبلغت فى الشتيمة ، وقال فيه

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد ولكنه كَزّ اليدين بخيل

ينام عن التقوى ويوقظه الخنا فيخبط أثناء الظلام فَسول

فلا بشر من عمرو لجار ولا له ذمام ولكن للئام وَصول

مواعيد عمرو تُرَّهات ووجهه على كل ما قد قلت فيه دليل

جبان وفحاش لئيم مذمم وأكذب خلق الله حين يقول

كلام ابن عمرو صوفة وسط بَلْقَع وكف ابن عمرو في الرخاء تطول

فبلغ شعره عمراً فقال ماله لعنه الله ولعن من ولده ؟ لقد هجانى بنية صادقة ولسان صَنَع ذُلَق وما عدانى الى غيرى ، فلقى الحزين عروة بن أذينة فأنشده هذه الأبيات ، فقال له ويحك بعضها كان يكفيك فقد بنيتها ولم تقم أَوَدَها وداخلتها

وجعلت معانيها فى أكمنها ، قال الحزين ذلك والله أرغب للناس فيها ، فقال له عروة خير الناس من حلُم عن الجهال وما أراه الا قد حلم عنك ، فقال الحزين حلم والله عني شاء أو أبى برغمه وصغره ، ثم لقى شبان من ولد الزبير الحزين فتناولوه بألسنتهم وهموا بضربه ، فحال بينه وبينهم ولد مصعب ، فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعة من بني أسد بن عبد العزى سوى بنى مصعب الذين منعوهم منه قال

لحى الله قوماً من قريش تحالفوا ... على البخل بالمعروف والجود بالنكر
فصاروا لخلق الله فى اللؤم غاية ... بهم تضرب الأمثال فى النثر والشعر
فيا عمرو لو اشبهت عمراً ومُصعَباً ... حمدت ولكن أنت منقبض البشر
بني أسد سادت قريش بجودها ... معدًّا وسادتكم معَد مدى الدهر
تجود قريش بالندى ورضيتمُ ... بني أسد باللؤم والذل والغدر
أعمرو بن عمرو لست ممن تعده ... قريش اذا ما هاترُوا الناس بالفخر
أبت لك يا عمرو بن عمرو دناءة ... وخلق لئيم أن تَريش وأن تَبرى

وقال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة

هلال ابن يحيى غرة لا خفا بها ... على الناس فى عسر الزمان ولا اليسر
وسعد[1] بن ابراهيم ظفر موسخ ... فهل يستريح الناس من وسخ الظفر

كان الحزين قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين فى كل شهر منهم ابن أبى عَتيق ، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعْجَف ، وكثيِّر مع ابن أبى عتيق ، فدعا ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين من هذا معك ؟ قال هذا أبو صخر كثير بن أبى جمعة ، وكان قصيراً دميما ، فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوه ببيت ؟ قال لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكن أشتري

(١) هو سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وكان ولى قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه

عرضه منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما فأصغى ، ثم قال لابد لي من هجائه ببيت ، قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ ودعا له بهما ، فأخذهما وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له ائذن له وما عسى أن يقول فيَّ ؟ فأذن له ابن أبي عتيق ، فقال

قصير القميص فاحش عند بيته يعَضّ القراد باســـته وهو قائم

فوثب كثير اليه فوكزه ، فسقط هو والحمار ، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتبسط اليه يدك ؟ قال كثير وأنا ظننته يبلغ فيَّ هذا كله فى بيت واحد

صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لُؤَيّ يلقب بأبي بعرة ، وكان استعمل على سعايات فلم يصنع خيراً ، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فحمدهما ، فقال فى ذلك

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمرا
وجادا كما قصرت فى طلب العلا فحزت به ذماً وحازا به شـــكرا
أُولاك الجعاد البيض من آل مالك وأنتم بنو قَيْن لحقتم به نَزْرا (١)
يسوّق بُغْبوراً (٢) أميراً كأنما تسوق به فى كل مجمعة زبرا
فان يكن البغبور ذم رفيقه قِراه فقد كانت إمارته نكرا
ومتبع البغبور يرجو نواله فقد زاده البغبور فى فقره فقرا

كان على المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل مَخْرَمة بن نوفل ، فجاء الحزين الى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره ، وذهب الى العقيق فشرب وأقبل على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف على باب المسجد كما كان صاحبه عوده فمر به صفوان فأخذه وحبسه وحبس الحمار ، فأصبح والحمار محبوس معه فأنشأ يقول

(١) نصب نزرا على الحال كأنه قال لحقتم به نزرا قليلا من الرجال
(٢) البغبور الحجر الذى يذبح عليه القربان

أيا أهل المدينة خبروني بأى جريرة حبس الحمار
فما للعير من جرم اليكم وما بالعير إن ظُلم انتصار

خرج مع ابن لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الى متنزه لهم ، فسكر الحزين وانصرف فبات في الطريق وسلب ثيابه ، فأرسل الى سهيل يخبره الخبر و يستمنحه فلم يمنحه ، و بلغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل اليه بجميع مايحتاج اليه وعوضه ثمن ثيابه فقال فى ذلك

هلا سهيلا أشبهت أو بعض أعـــمامك ماذي الخلائق الشَّكِسة
ضيعت نَدْمانك الكريم ولم تشفق عليه من ليلة نَحِسة
ثم تعاللت إذ أتاك له صبحاً رسول بعلة طَفِسه (١)
لكنَّ سفيان لم يكن وَكِلا لمـــا أتتنا صِلاته سلسة
سما به أَروع ونفس فتىً أَروعَ ليست كنفسك الدنسة

مرَّ الحزين على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال

لا بارك الله فى كعب ومجلسهم ماذا تجمع من لؤم ومن ضَرَع
لا يدرسون كتاب الله بينهمُ ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب اليه مشايخهم فاعتذروا اليه وسألوه الكف وألَّا يزيد شيئاً على ماقاله ، فأجابهم وانصرف

كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنزر اذا أعطيه و يهجو على مثله فنزل بعاصم ابن عمرو بن عثمان فلم يقِرْه ، فقال يهجوه

سيروا فقد جن الظلام عليكمُ فأنت الذى يرجو القري عند عاصم
ظَلِلنا عليه وهو كالتيس طامحاً نشد على أكبادنا بالعمائم

(١) الطفس القذر النجس

ومالي من ذنب اليه علمته سوى أنني قد جئته غير صائم

فقيل له ان عاصماً كثيراً ما تسمى به قريش ، فقال أما والله لأبيننه لهم فقال

اليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـــن عمرو سرت عيسي فخاب سُراها

فقد صادفت كَزّ اليدين مبخلا جباناً اذا ما الحرب شب لَظاها

بخيلا بما فى رحله غير انه اذا ما خلت عِرس الخليل أتاها

أبو العباس الأعمى

هو السائب بن فرُّوخ مولى بني الديل من كنانة ، من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم وهو الذى يقول في أبى الطفيل عامر بن واثلة صاحب على بن أبى طالب عليه السلام

لعمرك انني وأبا طفيل لمختلفان والله الشهيد

أرى عثمان مهتدياً ويأبى متابعتى وأبَى ما يريد

قال أبو جعفر المنصور خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرنى أنه يريد مروان بشعر امتدحه به فاستنشدته إياه ، فأنشدنى

ليت شعرى أفاح رائحة المســـك وما ان إخال بالخَيف أنسى

حين غابت بنو أُمَيَّة عنه والبهاليل من بنى عبد شمس

خطباء على المنـابر فرسا ن عليها وقالة غـير خُرْس

لا يعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْس

بحلوم اذا الحـلوم تقضت ووجوه مثل الدنانير ملس

فوالله ما فرغ من انشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني ، وافترقنا ، فلما أفضت الخـلافة إليَّ خرجت حاجاً فنزلت أمشى بجبلى زَرود فبصرت بالضرير

ففرقت من كان معى ثم دنوت منه فقلت أتعرفني ؟ قال لا قلت أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان فقال أوّه ،

آمت نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والأسرّة منهم فعليهم حتى الممات سلام

فقلت وكم كان مروان أعطاك بأبى أنت ؟ قال أغنانى أن أسأل أحداً بعده ، فهممت بقتله ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة فأمسكت ، وغاب عن عينى ، فأمرت بطلبه فكأنما البيداء بادت به

ومن قوله يحض بنى أمية على عبد الله بن الزبير

أبني أمية لا أرى لكمُ شبهاً اذا ما التفت الشيِّع
سعَة وأحلاماً اذا نزعت أهل الحلوم فضرها النَّزَع
وحفيظة في كل نائبة شهباء لا ينهى لها الربع
الله أعطاكم وان رَغمت من ذاك أنف معاشر رفعوا
أبني أمية غير انكمُ والناس فيما أُطمعوا طمعوا
أطمعتمُ فيكم عدوكمُ فسما بهم فى ذاكمُ الطمع
فلو أنكم كنتم كقومكمُ مثل الذى كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لَردهمُ حذرُ العقوبة انها تزَع

لما غلب عبد الله بن الزبير على الحجاز جعل يتتبع شيعة بني أمية فينفيهم عن المدينة ومكة حتى لم يبق بها أحد منهم ، ثم بلغه عن أبى العباس نبذ من كلام وانه يكاتب بنى مروان بعوراته ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصلاته ، فدعا به ثم أغلظ له وهم به ، ثم كلم فيه وقيل له رجل مضرور فعفا عنه ونفاه الى الطائف ، فأنشأ يهجوه ويهجو آل الزبير

بنى أسَد لاتذكروا الفخر انكم ... متى تذكروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا
بعيد المنال خيركم لصديقكم ... وشركمُ يغدو عليهم ويَطْرُق
متى تسألوا فضلا تَضِنّوا وتبخلوا ... ونيرانكم بالشر فيها تحرق
اذا استبقت يوماً قريش خرجتمُ ... بني أسد سُكْتاً وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم ... اذا ما قريش للأَضاميم أصفقوا
وما ذاك إلا أن للؤم طابَعاً ... يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

رأى ابن الزبير رجلا من بني أسد بن عبد العزى فى حالة رثَّة فكساه ثوبين وأمر له ببُر وتمر فقال أبو العباس فى ذلك

كست أسد اخوانها ولو انني ... ببلدة اخواني اذاً لكسيت
فلم تر عيني مثل حي تحملوا ... الى الشام مظلومين منذ بريت

لما حج عبد الملك جلس للناس بمكة فدخلوا اليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ، ودخل أبو العباس فلما رآه عبد الملك قال مرحباً مرحباً بك يا أبا العباس أخبرني بخبر الملحد المحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك وأنشدني ما قلت في ذلك ، فأخبره بخبر ابن الزبير وأنه كسا بنى أسد وأحلافها ولم يكسه وأنشده الأبيات ، فقال عبد الملك أقسم على كل من حضر من أوليائى وشيعتى على دعوتهم إلا كسا أبا العباس ، فخلعت حلل الوشى والخز والقُوهىّ وجعلت ترمى عليه حتى اذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع وطرح عليه ، وأمر له عبد الملك بمائة الف درهم

قدم البَعيث المجاشعى مكة وكان أبو العباس لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائز بنى أمية تأتيه من الشام ، وكانت قريش كلها تبَرّه للسانه وتقرباً الى بني أمية ، فصلى البعيث مع الناس وسأل فى حَمالة كانت عليه وكان سؤولا مُلحًّا شديد الطمع

وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه فيقول لا أقبله إلا أن تجيء معي الى الصراف حتى ينقده ويزنه فان لم يفعل ذمه وهجاه ، فشكوه الى أبي العباس الأعمى ، فقال قودوني اليه ، ففعلوا ، فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه وقال له

فهل أنت الا ملصق فى مجاشع ... نفك جرير فاضطررت الى نجد

تظل اذا أعطيت شيئاً سألته ... تطالب من أعطاك بالوزن والنقد

فلا تطمعن من بعد ذا فى عطية ... وثق بقبيح المنع والدفع والرد

فلست بمبق فى قريش خزاية ... تذم ولو أبعدت فيه مدى الجهد

فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يحر جواباً ، فلما جن عليه الليل هرب من مكة

قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس أنشدني مديحك مصعباً ، فاستعفاه ، فقال يا أمير المؤمنين انما رثيته بذلك لأنه كان صديقي ، وقد علمت أن هواي أموي ، قال صدقت ولكن أنشدني ما قلته ، فأنشده

يرحم الله مصعباً فلقد ما ... ت كريماً ورام أمراً جسيما

فقال عبد الملك أجل لقد مات كريماً ، ثم تمثل

ولكنه رام التي لا يرومها ... من الناس الا كل حر معمم

قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس

أفتني ان كنت ثقفاً شاعراً ... عن فتى أعرج أعمى مختلف

سيء السحنة كاب لونه ... مثل عود الخروع البالي القصف

فقال أبو العباس يرد عليه

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولك فى الهيجا وتقوالك الخنا وشتمك المولى وأنك تُبَّع [١]

كان عمر بن أبى ربيعة يرامى جارية لأبى العباس ببنادق الغالية [٢] ، فبلغ أبا العباس ، فقال لقائده قِفْنى على باب بنى مخزوم فاذا مرَّ عمر بن أبى ربيعة فضع يدي عليه ، فلما مرَّ وضع يده عليه ، فأخذ بحُجزَته فقال

ألا من يشتري جاراً نؤماً بجار لا ينام ولا ينيم

ويلبَس بالنهار ثياب ناس وشطر الليل شيطان رجيم

فنهضت اليه بنو مخزوم فأمسكوا فمه وضمنوا له عن عمر ألاَّ يعاود ما يكرهه

(١) يقال رجل تبع نساء وتبع نساء بالكسر اذا كان كلفاً بهن

(٢) الغالية نوع من الطيب والبنادق قطع صغيرة مستديرة منها

شعراء ليث بن بكر

أبو الطفيل

هو عامر بن واثلة بن عبد الله الليثى الكنانى من ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه وعُمر بعده عمراً طويلا ، وكان مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وروى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته وله منه محل خاص ، ثم خرج طالباً بدم الحسين مع المختار ابن أبى عبيد وكان معه حتى قتل وأفلت هو ، وعمر أيضاً بعد ذلك

ومن شعو أبى الطفيل وفيه غناء

أيدعونني شيخاً وقد عشت حِقْبة ... وهنّ من الأزواج نحوى نوازع

وما شاب رأسى من سنين تتابعت ... علىَّ ولكن شيبته الوقائع

لما استقام الأمر لمعاوية لم يكن شىء أحب اليه من لقاء أبى الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلْطف له حتى أتاه ، فلما قدِم عليه جعل يسائله عن أمر الجاهلية ودخل عليه عمرو بن العاص ونفر معه ، فقال لهم معاوية أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبى الحسن ، ثم قال يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلى ؟ قال حب أم موسى موسى ، قال فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب[1] ، والى الله أشكو التقصير ، قال معاوية ان أصحابى هؤلاء لو كانوا سئلوا عنى ما قالوا فيَّ ماقلت لصاحبك ، قالوا اذاً والله لا نقول الباطل ، قال لهم معاوية لا والله ولا الحق تقولون ثم قال معاوية هو الذى يقول

الى رجب السبعين تعترفوننى ... مع السيف فى حوّاء جمّ عديدها

رَجوفٍ كمتن الطَّوْد فيها معاشر ... كغُلْب السباع نِمْرُها وأسودها

(١) الرقوب الذى لا يبقى له ولد أو مات ولده

كهول وشبان وسادات معشر على الخيل فرسان قليل صدودها
كأن شعاع الشمس تحت لوائها اذا طلعت أعشى العيون حديدها
يمورون مَوْرَ الريح أما ذَهِلتم وركت بأكفال الرجال لبودها
شعارهمُ سيما النبي ورايةٌ بها انتقم الرحمن ممن يكيدها
تخطفهم آباؤهم عند ذكرهم كخطف ضوارى الطير صيداً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه أعرفتموه ؟ قالوا نعم هذا أفحش شاعر وألأم جليس ، فقال معاوية يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟ قال ما أعرفهم لخير ولا أبعدهم من شر ، وقام خزيمة الأسدى فأجابه فقال

الى رجب أو غُرّة الشهر بعده تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ففى النار سقياه هناك صديدها

لما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية فى سجن عارم خرج اليه جيش من الكوفة عليه أبو الطفيل فكسروا السجن وأخرجوه فكتب ابن الزبير الى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك ، فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهم أم الطفيل امرأة أبى الطفيل وابنا له صغيراً اسمه يحيى فقال أبو الطفيل فى ذلك

إن يك سيرها مصعب فانى الى مصعب مُذْنِب
أقود الكتيبة مستلئما كأنى أخو غُرّة أجرب
علىَّ دِلاص تخيرتها وفى الكف ذو رونق يقضب

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير وهو يومئذ بمكة فقال أصبحت كما قال الشاعر

فان تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين

قال وما ذاك يا أعرج ؟ قال هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس وعبيد الله

أخوه يطعم الناس فما أبقيا لك ؟ فأحفظه ذلك فأرسل الى صاحب شرطته عبدالله ابن مطيع فقال له انطلق الى ابنى عباس فقل لهما أعمدتما الى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها ؟ بددا عنى جمعكما ومن ضوَى اليكما من ضلال أهل العراق والا فعلت ، فقال ابن عباس قل لابن الزبير ثكلتك أمك والله ما يأتينا من الناس غير طالب فقه وطالب فضل فأى هذين تمنع ؟ فقال ابن الطفيل فى ذلك

لا دَرّ دَرُّ الليالي كيف تُضحكنا ... منها خطوب أعاجيب وتبكينا

ومثل ما تحدث الأيام من غير ... يا ابن الزبير عن الدنيا تُسَلينا

كنا نجىء ابن عباس فيَقْبِسنا ... علماً ويَكْسِبنا خيراً ويَهدينا

ولا يزال عبيد الله مُنْزَعة ... جِفانُه مطعماً ضيفاً ومسكينا

فالبِرّ والدين والدنيا بدارهما ... ننال منها الذى نبغى اذا شينا

ان النبى هو النور الذى كشفت ... به عَمايات باقينا وماضينا

ورهطه عصمة فى ديننا ولهم ... فضل علينا وحق واجب فينا

ولست فاعله أولى منهما رَحِماً ... يا ابن الزبير ولا أولَى به دينا

ففيم تمنعهم عنا وتمنعنا ... منهم وتُؤْذيهمُ فينا وتُؤْذينا

لن يُؤْتى الله من أخزى ببغضهمُ ... فى الدين عزاً ولا فى الارض تمكينا

ومن قوله يرثى ابنا له

خلى طُفَيل علىَّ الهم وانشعبا ... وهد ذلك ركنى هدَّةً عجبا

وابنى سُمَيَّة لا أنساهما أبداً ... فيمن نسيت وكل كان لى وَصَبا

فاملك عزاءك ان رُزْء بُليت به ... فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا

وليس يَشفى حزيناً من تذكره ... الا البكاء اذا ما ناح وانتحبا

فاذ سلكت سبيلاً كنت سالكها ... ولا محالة أن يأتى الذى كتبا

فما لبطنِك من رِىّ ومن شبع ... ولا ظَلِلت بنا فى العيش مرتغبا

ومما روى أبو الطفيل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوَداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ويستلم الركن بمِحْجنه ثم يقبل المحجن ، وقال سمعت علياً عليه السلام يخطب ، فقال سلونى قبل أن تفقِدونى ، فقام اليه ابن الكوَّاء فقال ما الذَّاريات ذَرْواً ؟ قال الرياح ، قال فالجاريات يُسْراً ؟ قال السفن ، قال فالحاملات وِقْراً ؟ قال السحاب ، قال فالمقَسمات أمراً ؟ قال الملائكة ، قال فمن الذين بدلوا نعمة الله كفراً ؟ قال الأفجران من قريش بنو أمية وبنو مخزوم ، قال فما كان ذو القَرْنين أنبياً أم ملَكاً ؟ قال كان عبداً مؤمناً « أو قال صالحاً » أحب الله وأحبه ، ضرب ضربة على قَرْنه الأيمن فمات ، ثم بعث وضرب ضربة على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله

قال بشر بن مروان لأنس بن زنيم أنشدنى أفضل شعر قالته كنانة ، فأنشده قصيدة أبى الطفيل

أيدعونني شيخاً وقد عشت بَرْهة وهن من الأزواج نحوي نوازع

فقال له بشر صدقت هذا أشعر شعرائكم ، وقال له الحجاج أنشدنى قول شاعركم « أيدعونني شيخاً » ، فأنشده ، فقال قاتله الله منافقاً ما أشعره

قال أبو الطفيل يوْماً لم يبق من الشيعة غيري ، ثم تمثل

وخليت سهماً فى الكنانة واحداً سيُرمَى به أو يكسر السهم كاسره

عروة بن أذينة

هو عروة بن أذينة يحيى بن مالك الليثى الكنانى من ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ويكني أبا عامر

شاعر غزِل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدود فى الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس وعبد الله بن عمر العدوى وروى جده مالك بن الحرث

عن عليّ قال خرج مع عليّ بن أبى طالب عليه السلام رجل من قومى كان مصطلماً فخرجت فى أثره وخشيت انقراض أهل بيته ، فأردت أن أستأذن له من عليّ ، فأدركت علياً بالبصرة وقد هزم الناس ودخل البصرة ، فجئته ، فقال مرحباً بك يا ابن الفُقيمية أبدا لك فينا بَداء ؟ قلت والله ان نصرتك لحق وانى لعلى ما عهدت أحب العزلة ، ثم ذاكرته أمر ابن عمي ذلك فلم يبعد عنه فكنت آتيه أتحدث اليه ، فركب يوماً يطوف وركبت معه فانى لأسير الى جانبه اذ مررنا بقبر طلحة فنظر اليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليَّ فقال أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ثم تمثل

وما تدرى وان أزمعت أمراً بأى الأرض يدركك المقيل

والله انى لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ، فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت عليّ وسكتُّ حتى اذا فرغوا أقبل عليّ عليه السلام عليَّ فقال إيه يا ابن الفقيمية والله انه وان قلوا ما سمعت لكما قال أخو جُعْفِيّ

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

ثم أردت أن أكلمه بشيء ، فقلت يا أمير المؤمنين ، فقال ومامنعك أن تقول يا أبا حسن ؟ فقلت أبيت ، فقال والله انها لأحبهما إليَّ لولا الحمق ، ولوددت أنى خنقت بحبل قبل أن يفعل عثمان ما فعل ، وما أعتذر من قيام بحق ولكن العاقبة مما ترى كانت خيراً

قال عروة قدمت مع أبى مكة يوم احترقت الكعبة ، فرأيت الخشب وقد خلصت اليه النار ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة ، فقلت ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير ، فقالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبساً في رأس رمح فطيرت الريح منه شيئاً ، فضربت أستار الكعبة فيما بين اليمانى الى الأسود

أتى هو وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك ، فنسبهم ، فلما عرف عروة قال له ألست القائل

لقد علمت وما الإسراف من خُلُقي ... أن الذى هو رزقى سوف يأتيني
أسعى له فيُعنّيني تطلبه ... ولو جلست أتانى لا يعنيني
وان حظ امرىء غيرى سيبلغه ... لابد لابد أن يحتازه دونى
لا أركب الأمر تُزْرى بى عواقبه ... ولا يعاب به عرضي ولا ديني
كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين
ومن عدو رمانى لو قصدت له ... لم يأخذ النصف مني حين يرميني
ومن أخ لي طوى كَشْحاً فقلت له ... ان انطواءك عنى سوف يَطْوِيني
انى لأنطق فيما كان من أَرَبى ... وأكثر الصمت فيما ليس يَعنينى
لا أبتغى وصل من يبغى مفارقتى ... ولا ألين لمن لا يشتهى لينى

فقال له ابن أذينة نعم ، أنا قائلها ، قال أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ، وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ، ثم افتقده هشام فعرف خبره وأتبعه بجائزة وقال للرسول قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك ، فمضى الرسول فلحقه وأبلغه رسالته ودفع اليه الجائزة فقال قل له قد صدقني ربى

وقال له ابن عائشة المغنى قل لى أبياتاً هزجاً أغني فيها فقال

سليمى أجمعت بينا ... فأين تقولها أينا
وقد قالت لأتراب ... لها زُهْر تلاقينا
تعالَيْ فقد طاب ... لنا العيش تعالَيْنا
وغاب البَرَم الليلة والعين فلا عينا
فأقبلن اليها مسرعات يتهادينا

الى مثل مَهاة الرمل تكسو المجلس الزينا
تمنين منـاهن فكنـا ما تمنينا

وقفت سكينة بنت الحسين على عروة بن أذينة فقالت يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وانك تقي ؟ قال نعم ، قالت أفأنت الذى تقول ؟

قالت وأبثثتُها وجدى فبحت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غَطّى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها بلى ، فقالت جوارى حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم
ومرت به امرأة فقالت له أأنت الذى يقول الناس انك امرؤ صالح وأنت الذى تقول

اذا وجدت أُوار الحب في كبدى عَمَدت نحو سقاء الماء أبترد
هبني بَرَدت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقد

ومن شعره

ان التي زعمت فؤادك ملَّها جُعِلت هواك كما جُعِلت هوًى لها
فبكَ الذى زعمتْ بها وكلا كما يبدى لصاحبه الصبابة كلها
ويبيت بين جوانحى حب لها لو كان تحت فراشها لأقَلَّها
ولَعمرُها لو كان حبك فوقها يوماً وقد ضَحِيَت اذاً لأظلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الفؤاد الى الضمير فسلَّها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلَباقة فأدَقَّهـا وأجَلَّها
لما عرضت مسلماً لي حاجة أرجو معونتها وأخشى دَلَّها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا فقال لعلها معذورة من أجل رِقْبَتها ، فقلت لعلها

لما سمع هذا البيت أبو السائب المخزومى قال أحسن والله ، هـذا والله الدائم العهد الصادق الصبابة لا الذي يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة عنى فأهلى بى أضنّ وأرغب

اذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك (يعني قائل هـذا البيت) لقـد عدا الأعرابى طوره وانى لأرجو أن يغفر الله لعروة لحسن ظنه بها وطلب العذر لها

ومن قوله وفيه غناء

لبثوا ثلاث منًى بمنزل غبطة وهمُ على غرض لعمرُك ماهمُ

ولهن بالبيت العتيق لُبـانة والبيت يعرفهن لو يتكلم

لو كان حيًّا قبلهن ظعائناً حيًّا الحطيمُ وجوههن وزمزم

وكأنهن وقد حسَرن لواغبا بَيْض بأكناف الحَطِيم مُركَّم

قيل لأبى السائب ما أحسن عروة حيث يقول (الابيات السابقة) فقال لا والله ما أحسن ولا أجمل ولـكنه أهجر وأخطل فى صفتهن بهذه الصفة ثم لا يندم على رحيلهن أهكذا قال كثير حيث يقول

تفرق أهواء الحجيج على منى وصدّعهم شعب النوى صبح أربع

فريقان منهم سالك بطن نخـلة وآخر منهم سالك بطن تضرع

فـلم أر داراً مثلها دار غبطة وملقًى اذا التف الحجيج بمجمع

أقل مقيماً راضـــياً بمكانه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

انظر اليه كيف تقدمت شهادة علمه وكنى لسانه ببيانه ، وهـل يغتبط عاقل بمقام لايرضى به ، ولـكن مكره أخوك لا بطل ، والعَرْجى كان أوفى منهما وأولى بالصواب حين تعرض لها نافرة من منى فقال لها عاتباً مستكيناً

عوجى علىّ فسلمى جـبرُ فيم الصـدود وأنتمُ سفْر

ما نلتقى إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفْر

قال خالد صامة قدمت على الوليد بن يزيد فدخلت اليه وهو بمجلس ناهيك به وهو على سرير فغنيته

سرى همي وهم المرء يسري وغار النجم الا قيدَ فِتْر
أراقب في المَجرّة كل نجم تعرض للمجرة كيف يجرى
لِهَمّ ما أزال له مُديماً كأن القلب أُضرم حرَّ جمر
على بكر أخى ولي حميداً وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال لي الوليد أعد ياصام ، ففعلت ، فقال لي من يقول هذا الشعر ؟ قلت عروة بن أذينة يرثى أخاه بكراً ، فقال لى وأى العيش لايصفو بعده ؟ هذا العيش والله الذى نحن فيه على رغم أنفه والله لقد تحجر واسعا

وروى أن سكينة بنت الحسين عليه السلام أنشدت هذا الشعر فقالت من بكر هـذا ؟ أليس هو الأسود الدَّحداح الذى كان يمر بنا ؟ قالوا نعم ، فقالت لقد طاب كل شيء بعده حتى الخبز والزيت

المتوكل الليثى

هو المتوكل بن عبد الله الليثى الكنانى من ليث بن بكر يكنى أبا جهيمة شاعر من شعراء الاسلام وهو من أهل الكوفة ، كان فى عصر معاوية وابنه يزيد ومدحهما

قدم الأخطل الكوفة ، فنزل على قبيصة بن والق ، فقال المتوكل لرجل من قومه انطلق بنا الى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره ، فأتياه فقالا أنشدنا يا أبا مالك ، فقال انى لخاثر يومى هذا ، فقال المتوكل أنشدنا أيها الرجل فوالله لا تنشدنى قصيدة الا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري ، قال ومن أنت ؟ قال أنا المتوكل ، قال أنشدنى ويحك من شعرك ، فأنشده

للغانيات بذي المجاز رسوم فبطن مكة عهدهن قديم
فبمَنْحَرَ البُدْن المقلَّد من مِنًى حُلل تلوح كأنهن نجوم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيم

وأنشده

الشعر لب المرء يَعرضه والقول مثل مواقع النَّبل
منها المقصر عن رَمِيَّته ونوافذ يَذْهبن بالخُصْل

وأنشد

اننا معشر خلقنا صدوراً من يسوي الصدور بالأذناب

فقال له الأَخطل ويحك يا متوكل لو نبحت الخمر فى جوفك كنت أشعر الناس

كان للمتوكل امرأة يقال لها أم بكر ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال لها أليس هذا حين طلاق ، فأبت عليه فطلقها ثم انها برئت بعد الطلاق فقال فى ذلك

طربت وشاقنى يا أم بكر دعاء حمامة تدعو حماما
فبت وبات همي لي نَجِيًّا أعزى عنك قلباً مستهاما
اذا ذكرت لقلبك أم بكر يبيت كأنما اغتبق المداما
خَدَلَّجة تَرِفّ غروب فيها وتكسو المتن ذا خُصَل شِحاما
أبى قلبي فما يهوى سواها وان كانت مودتها غراما
ينام الليل كل خلىّ هم ويأْتى العينَ منحدر سِجاما
على حين ارعويت وكان رأسى كأَن على مفارقه ثَغاما
سعى الواشون حتى أزعجوها ورَثّ الحبل فانجذم انجذاما
فلست بزائل ما دمت حياً مُسِرًّا من تذكرها هُياما
ترجيها وقد شَحَطَت نواها ومَنَّتك المنى عاماً فعاما
خَدَلَّجة لها كَفَل وثير ينوء بها اذا قامت قياما

مُخَصَّرة ترى فى الكشح منها ... على تثقيل أسفلها انهضاما
اذا ابتسمت تلألأ ضوء برق ... تهلل فى الدُّجنَّة ثم دلما
وان قامت تأمل رائياها ... غمامة صَيِّف ولجت غماما
اذا تمشى تقول دَبيبُ شول ... تعرَّج ساعة ثم استقاما
وان جلست فدُمْية بيت عيد ... تصان ولا ترى الا لماما
فلو أشكو الذى أشكو إليها ... الى حجر لراجعنى الكلاما
أحب دنوّها وتحب نأْبي ... وتعتام التنائي لي اعتياما
كأنى من تذكر أم بكر ... جريح أسنة يشكو كلاما
تساقَط أنفساً نفسى عليها ... اذا شَحَطت وتغتم اغتماما
غَشِيت لها منازل مقفراتٍ ... عفت الا الأَياصر والثُّماما
ونؤيا قد تهدم جانباه ... ومبناه بذيى سلَم خياما
صلينى واعلمى أنى كريم ... وان حلاوتى خلطت عُراما
وانى ذو مُجامحة صليب ... خلقت لمن يما كسنى لجاما
فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى ... تجاوب هامتي فى القبر هاما

وفى امرأته هذه يقول ويمدح حوشبا الشيبانى

أجدّ اليوم جيرتك احتمالا ... وحث حداتهم بهمُ عِجالا
وفى الأظعان آنسة لَعوب ... ترى قتلى بغير دم حلالا
أمية يوم دير القَسّ ضنت ... علينا أن تنولنا نوالا
اذا وعدتك معروفاً لونه ... وعجلت التجرم والمِطالا
لها بَشَر نقى اللون صافٍ ... ومَتْن خُطّ فاعتدل اعتدالا
اذا تمشِى تأَوَّد جانباها ... وكاد الخصر ينخزل انخزالا
تنوء بها روادفها اذا ما ... وشاحاها على المتنين جالا
فان تُصبح أميمة قد تولت ... وعاد الوصل صَرْماً واعتلالا

فقد تدنو النوى بعد اغتراب ... بها وتفرق الحى الحلالا
تعبس لي أميمة بعد أنس ... فما أدرى أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مُصافٍ ... رزئت وما أحب به بدالا
أصَرْم منك هذا أم دلال ... فقد عنَّى الدلال إذاً وطالا
أم استبدلت بى ومَلِلْتَ وصلي ... فبوحي لى به ودعي المحالا
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا ... أقاتله على وصلى قتالا
وكم من كاشح يا أم بكر ... من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبست على قناع من أذاه ... ولولا اللهُ كنت له نكالا
أنا الصقر الذى حدثتِ عنه ... عتاق الطير تندحل اندحالا
رأيت الغانيات صدفن لما ... رأين الشيب قد شمل القذالا
فلم يلْوُوا اذا رحلوا ولكن ... تولت عِيرهم بهمُ عجالا

ومنها يهجو عكرمة بن رِبْعِيّ الذى يقال له الفياض ، وكان قد مدحه فحرمه علانية ، ثم بعث اليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال حرمنى على رءوس الناس و يبعث إليَّ سراً

أقلنى يا ابن ربعى ثنائى ... وهبها ملحة ذهبت ضلالا
وهبها مدحة لم تغن شيئاً ... وقولاً عاد أكثره وبالا
وجدنا العز من أولاد بكر ... الى الذُّهلين ترجع والفعالا
أعكرمَ كنت كالمبتاع داء ... رأى بيع الندامة فاستقالا
بنو شيبان أكرم آل بكر ... وأمتهم اذا عقدوا حبالا
رجال أُعطيت أحلام عاد ... اذا نطقوا وأيديها الطوالا
وتيم الله حى حى صدق ... ولكن الرحا تعلو الثّفالا

هجا معن بن جميل أحد بنى لَقيط بن يَعْمُر المتوكلَ الليثى ، وبلغ ذلك المتوكل فترفع على أن يجيبه ، ومكث معن سنين يهجوه ، والمتوكل معرض عنه ، ثم هجاه

بعد ذلك وهجا قومه من بنى الديل هجاءً قذعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية

خليلى عوجا اليوم وانتظرانى ... فان الهوى والهم أمٌّ أبان
هى الشمس يدنو لى قريباً بعيدها ... أرى الشمس ما أسطيعها وترانى
نأت بعد قرب دارها وتبدلت ... بنا بدلاً والدهر ذو حدَثان
فهاج الهوى والشوق لى ذكر حرة ... من المرجحِنّات الثقال حصان
سيعلم قومى أننى كنت سورة ... من المجد ان داعى المنون دعانى
ألا رب مسرور بموتى لو أتى ... وآخر لو أُنعَى له لبكانى
خليلى مالام امرأ مثلُ نفسه ... اذا هى قامت فاربعا ودعانى
ندمت على شتمى العشيرة بعدما ... تغنى بها عود وحن يمانى
قلبت لهم ظهر المِجَنّ وليتنى ... رجعت بفضل من يدى ولسانى
على أننى لم أرم فى الشعر مسلماً ... ولم أَهجُ الا من روى وهجانى
همُ بَطِروا الحلم الذى من سجيتى ... وبدلت قومى شدة بلِيان
ولو شئتمُ أولاد وهب نزعتمُ ... ونحن جميعاً شملنا أخوان
نهيتم أخاكم عن هجائى وقد مضى ... له بعد حول كامل سنتان
فلجّ ومنّاه رجال رأيتهم ... اذا صارمونى يكرهون قرانى
وكنت امرأ يأبى لى الضيم أننى ... صَروم اذا الأمر المهم عنانى
وصول صروم لا أقول لمدبر ... هَلُمّ اذا ما اغتشّمنى وعصانى
خليلى لو كنت امرأ بى سقطة ... تضعضعت أو زلت بى القدمان
أعيش على بغى العداة ورغمهم ... وآتى الذى أهوى على الشَّنآن
ولكننى ثبت المروءة حازم ... اذا صاح طلابى ملأت عِنانى
خليلى كم من كاشح قد رميته ... بقافية مشهورة ورمانى

فكان كذات الحيض لم تبق ماءها ولم تُنق عنها غسلها لأوان

ثم أنه يقول فيها ليزيد بن معاوية

أبا خالد حنّتْ اليك مطيتي على بعد منتاب وهول جنان

أبا خالد فى الأرض نأى ومفسح لذى مرّة يرمى به الرّجوان

فكيف ينام الليل حر عطاؤه ثلاث لرأس الحول أو مئتان

تنأت قلوصى بعد اساآدى السرى الى ملك جزْل العطاء هجان

ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه لبكْر من الحاجات أو لعوان

فأجابه معن بن جميل فقال

ندمت كذاك العبد يندم بعدما غُلبت وسار الشعر كل مكان

ولاقيت قرْماً فى أرومة ماجد كريماً عزيزاً دائم الخطران

أنا الشاعر المعروف وجهى ونسبتى أعِف وتحميني يدى ولسانى

وأغلب من هاجيت عفواً وانني الى معشر بيض الوجوه حسان

فهات اذاً يا ابن الأتان كصاحب الـــملوك أبى أوَ سيد كمهان

فهات كزيد أو كسيحان لاتجد لهم كفؤا أو يبعث الثقلان

قيس بن ذريح

هو قيس بن ذَرِيح الكنانى من ليث بن بكر

كان رضيع الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أرضعته أم قيس ، كان منزل قومه فى ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة

مرّ لبعض حاجته بخيام بنى كعب بن خُزاعة فرأى لُبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت اليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت فى نفسه ، وشرب الماء ، فقالت له أتنزل فتتبرد عندنا ؟

قال نعم ، فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حر لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروى ، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها ، فسلم ، فظهرت له وردت سلامه وتحفَّت به ، فشكا اليها ما يجد منها وما يلقى من حبها وشكت اليه مثل ذلك فأطالت وعرف كل منهما ماله عند صاحبه ، فانصرف الى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها ، فأبى عليه وقال يابني عليك باحدى بنات عمك فهن أحق بك ، وكان ذَرِيح كثير المال موسراً فأحب ألاَّ يخرج ابنه الى غريبة ، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به أبوه فأتى أمه فشكا ذلك اليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها مايحب ، فأتى الحسين بن على بن أبى طالب وابن أبي عَتيق فشكا اليهما ما به وما رد عليه أبوه ، فقال له الحسين أنا أكفيك ، فمشى معه الى أبى لُبْنى ، فلما بصر به أعظمه ووثب اليه وقال يا ابن رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت اليَّ فأتيتك ؟ قال ان الذى جئت فيه يوجب قصدك وقد أتيتك خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذَرِيح ، فقال يا ابن رسول الله ما كنا لنعصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ولكن أحب الأمر الينا أن يخطبها أبوه ذَرِيح الينا أو أن يكون ذلك عن أمره ، فانا نخاف إن لم يسع أبوه فى ذلك أن يكون عاراً وسُبَّة علينا ، فأتى الحسين رضى الله عنه ذَرِيحاً وقومه وهم مجتمعون فقاموا اليه اعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزاعيين ، فقال لذريح أقسمت عليك ألا خطبت لبنى لابنك قيس ، قال السمع والطاعة لأمرك ، فخرج معه فى وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريح على ابنه الى أبيها فزوجه إياها وزُفت اليه بعد ذلك فأقامت معه مدة لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئاً ، وكان أبرّ الناس بأمه فألهته لُبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمه فى نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّى ولم تر للكلام فى ذلك موضعاً حتي مرض قيس مرضاً شديداً ، فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خَلَفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك الى

الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً وألحت عليه فى ذلك ، فأمهل قيساً حتى اذا اجتمع قومه دعاه فقال ياقيس انك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لى سواك وهذه المرأة ليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقرّ به عينك وأعيننا ، فقال قيس لست متزوجاً غيرها أبداً ، فقال له أبوه فان في مالي سعة فتسرَّ بالاماء ، قال ولا أسوءها بشيء أبداً والله ، قال أبوه فانى أقسم عليك إلاّ طلقتها ، فأبى وقال الموت والله أسهل علىَّ من ذلك ولكنى أخيرك خصلة من ثلاث خصال ، قال وماهى ؟ قال تتزوج أنت فلعل الله يرزقك ولداً غيرى ، قال فما فيَّ فضلة لذلك ، قال فدعنى أرتحل عنك بأهلى واصنع ما كنت صانعاً لو متُّ فى علتى هذه ، قال ولا هذه ، قال فأَدَعُ لُبنى عندك وأرتحل عنك فلعلى أسلوها فاني ما أحب بعدُ أن تكون نفسى طيبة انها في خيالى ، قال لا أرضى أو تطلقها وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى فكان يخرج فيقف فى حر الشمس ويجىء قيس فيقف الى جانبه فيُظله بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يفىء الفَيء فينصرف عنه ويدخل الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له ياقيس لاتطع أباك فتهلك وتهلكنى ، فيقول ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً ، فيقال انه مكث كذلك سنة ، ثم هجره أبواه فصار يستأذن عليهما فيردانه حتى طلقها ، فلما بانت لبنى بطلاقه اياها وفرغ من الكلام لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحرّ نشيج ، وبلغها الخبر فأرسلت الى أبيها ليحتملها ، فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبأبل تحمل أثاثها ، فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريته فقال ويحك ما دهانى فيكم ؟ فقالت لا تسألنى وسل لبنى ، فذهب ليُلِمّ بخبائها فمنعه قومها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له مالك ويحك ، تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ، هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً ، فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول

وانى لَمَفْنٌ دمع عينى بالبكا حِذار الذي قد كان أوهو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك إلا أن ما حان حائن

وقال

يقولون لُبنى فتنة كنت قبلها بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائى وعاصيت ناصحي وأقررت عين الشامت المتخلق
وَدِدْت وبيت الله أنى عصيتهم وحملت فى رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر أبيت على أثباج موج مغرق
كأني أرى الناس المحبين بعدها عُصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عينى بعدها كل منظر ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب قريباً منه فجعل ينعق مراراً فتطير منه وقال

لقد نادى الغراب ببين لُبنى فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تَباعدُ دار لُبنى وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهرَ سعيُك فى تباب

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الالمام بها

ألا ياغراب البين ويحك نَبِّنى بعلمك فى لُبنى وأنت خبير
فان أنت لم تخبر بما قد علمته فلا طرت الا والجَناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهمُ كما قد ترانى بالحبيب أدور

وقال أيضاً وقد أدخلت هودجها ورحلت وهى تبكى ويتبعها

ألا يا غراب البين هل أنت مخبرى بخير كما خبرت بالنأى والشر
وقلت كذاك الدهر ما زال فاجعاً صدقت وهل شيء بباق على الدهر

فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها فوقف

ينظر اليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعاً ونظر الى أثر خف بعيرها فأكبّ عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها فلم على ذلك وعنفه قومه فقال

وما أحببت أرضكمُ ولكن ... أقبل إثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى ... بلاء ما أُسيغ له شرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى ... عَيِيت فما أطيق له جوابا

وقال وقد نظر الى آثارها

ألا يا ربع لُبنى ما تقول ... أَبِنْ لي اليوم ما فعل الحُلول
فلو أن الديار تجيب صبًّا ... لرد جوابي الربع المُحيل
ولو أني قدرت غداة قالت ... ودرت وماء مقلتها يسيل
نحرت النفس حين سمعت منها ... مقالتها وذاك لها قليل
شفيت غليل نفسي من فعالي ... ولم أغبر بلا عقل أجول
كأني والله بفراق لُبنى ... تهيم بفقد واحدها ثكول
ألا ياقلب ويحك كن جليداً ... فقد رحلت وفات بها الذَّميل
فانك لاتُطيق رجوع لُبنى ... اذا رحلت وان كثر العويل
ونكم قد عشت كم بالقرب منها ... ولكن الفراق هو السبيل
فصبرًا كل مؤتلفين يوماً ... من الأيام عيشهما يزول

فلما جن عليه الليل انفرد وأوى الى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول

بت والهم يا لُبينى ضجيعي ... وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى ... زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
أتناساكِ كي يَريع فؤادي ... ثم يشتد عند ذاك ولوعي
يالبينى فدتك نفسي وأهلي ... هل لدهر مضى لنا من رجوع

ومما قاله فى ظعنها

أيا كبداً طارت صدوعاً نوافذاً ... ويا حسرتا ماذا تغلغل فى القلب
فأقسم ما عُمْشُ العيون شوارف ... روائم بَوٍّ حائمات على سَقْب
تشممنه لو يستطعن ارتشفنه ... اذا سُفْنه يزددن نكباً على نكب
رئمْن فما تنحاش منهن شارف ... وحاولن حبساً فى المحول وفى الجدب
بأوجدَ مني يوم بانت حمولها ... وقد طلعت أولى الركاب من النقب
وكل ملمات الزمان وجدتها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

خرج قيس فى فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد فأتى بلاد لُبنى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل اليها ، فاشتغل الفتيان بالصيد ، فلما قَضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا اليه وهو واقف ، فقالوا له قد عرفنا ما أردت باخراجنا معك وأنك لم تُرِد الصيد وانما أردت لقاء لبنى وقد تعذر عليك فانصرف الآن ، فقال

وما حائمات حُمْنَ يوْماً وليلة ... على الماء يَغْشَيْنَ العِصِىّ حَوَانِ
عوافي لا يصدُرن عنه لوجهة ... ولا هن من برد الحياض دوان
يَرَيْن حَبَاب الماء والموت دونه ... فهن لأصوات السُّقاة رَوان
بأجهدَ مني حرَّ شوق ولوعة ... عليك ولكن العدو عدانى
خليلى انى ميت أو مكلم ... لبينى بسرى فامضيا وذَرانى
أَنَلْ حاجتي وحدى ويارب حاجة ... قضيت على هول وخوف جنان
فانى أحق الناس ألاَّ تحاورا ... وتطَّرحا من لو يشاء شفانى
ومن قادنى للموت حتى اذا صفت ... مشاربه السم الذُّعاف سقانى

وجعل قيس يعاتب نفسه فى طلاقه لبنى ويقول فألاَّ رحلت بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يرَنى ؟ فكان اذا فقدنى أقلع عما يفعله واذا فقدته لم أتحرج من فعله ، وما كان لو اعتزلته وأقمت فى حيها أو فى بعض بوادى العرب أو عصيته

فلم أُطعه ، هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد وها أنا ذا ميت مما فعلته فمن يرد روحي إليَّ وهل سبيل الى لبنى بعد الطلاق ؟ وكلما قرع نفسه وأنبها بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها وقال

ويلي وعَوْلي عليها حين تَلْفِتني ... من بعد ما أحرزت كفي بها الظَّفَرا
قد قال قلبي لطرفي وهو يعذُله ... هذا جزاؤك مني فاكدم الحجرا
قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني ... فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

وقال أيضاً

بانت لبينى فأنت اليوم متبول ... والرأى عندك بعد الحزم مخبول
أستودع الله لبنى اذ تفارقني ... بالرغم مني وقول الشيخ مفعول
وقد أرانى بلبنى حق مقتنع ... والشمل مجتمع والحبل موصول

وقال

ألا ليت لُبنى فى خلاء تزورنى ... فأشكو اليها لوعتى ثم ترجع
صحا كل ذى لب وكل متيم ... وقلبى بلُبنى ما حييت مروَّع
فيا من لقلب ما يُفيق من الهوى ... ويا من لعين بالصبابة تدمع

وقال فى ليلته تلك

قد قلت للقلب لا لُبناك فاعترف ... واقض اللُّبانة ما قضيت وانصرف
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها ... أُفّ لكثرة ذاك القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتُلتت ... لا تأمنن أبداً من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة ... أهل العقيق وأمسينا على سَرَف
حى يمانون والبطحاء منزلنا ... هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذى سلكته يتنسم روائحها ، فسنحت له ظبية فقصدها ، فهربت منه ، فقال

ألا يا شبه لُبنى لا تُراعى ولا تتيمى قُلَل القلاع

وهى قصيدة طويلة يقول فيها

فوا كبدي وعاودنى وَداعى وكان فراق لُبنى كانخداع
تكنفني الوشاة فأزعجونى فيا لِلّهِ للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى على شىء وليس بمستطاع
كمغبون يعضّ على يديه تبين غَبْنه بعد البياع
بدار مَضيعة تركتك لُبنى كذاك الحَيْن يَهْدِى للمضاع
وقد عشنا نَلَذّ العيش حيناً لو ان الدهر للانسان واع
ولكن الجميع الى افتراق وأسباب الحتوف لها دواع

وبعثت أمه بفتيات من قومه اليه يعبن اليه لُبنى ويعبنه بجزعه وبكائه ، فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعبن لُبنى عنده ويعيرنه بما يفعله ، فلما أطلن أقبل عليهن وقال

يقرّ بعيني قربها ويزيدنى بها كَلَفاً من كان عندى يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبراً امت والله فاعلمي بأول نفس غاب عنها حبيبها

ثم اجتمع النسوة فأطلن الجلوس عنده ومحادثته وهو ساه عنهن ، ثم نادى يا لُبنى ، فقلن له مالك ويحك ؟ فقال خَدِرت رجلى « ويقال ان دعاء الانسان باسم أحب الناس اليه يذهب عنه خَدَر الرجل فناديتها لذلك » وقال

اذا خَدِرت رجلى تذكرت من لها فناديت لُبنى باسمها ودعوت
دعوت التى لو أن نفسى تطيعني لفارقتها من حبها وقضَيْت
بَرَت نَبلُها للصيد لبنى ورَيَّشتْ ورَيَّشتُ أخرى مثلها وبَرَيت
فلما رمتني أقصدتني بسهمها وأخطأتها بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضـــلة فكأنني قربت الى العيّوق ثم هويت
فيا ليت أنى مت قبل فراقها وهل ترجعن فوت القضية ليتُ
فصرت وشيخى كالذى عثرت به غداة الوغى بين العداة كُميت
فقامت ولم تضرر هزالاً سوية وفارسها تحت السنابك ميّت
فان يك تهيامى بلبنى غواية فقد يا ذريح بن الحباب غويت
فلا أنت ما أملت فيَّ رأيتـــه ولا أنا لبنى والحياةَ حويت
فوطن لهلكى منك نفساً فنني كأنك بى قد يا ذريح قضيت

مرض قيس فسأل أبوه فتيات الحى أن يعُدنه ويحدثنه لعله يتسلى أو يعلق بعضهن ، ففعلن ذلك ودخل اليه طبيب ليداويه والفتيات معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته ، فقال

عيد قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب داء شديد
واذا عادنى العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعود ثم أُقضّى انهـــا لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها داء خبل فالقلب منه عميـــد

فقال له الطبيب منذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال قيس

تعلق روحى روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافاً وفى المهد
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باق على كل حادث وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب ان مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المعايب والمساوى فان النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها ، فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعاً وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لُبنى على الناس مثل ما ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر
اذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت ... من البُهْر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتجّ منها اذا مشت ... ومتن كغصن البان مضطمر الخصر

ودخل عليه أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنبه ولامه وقال له يا بنيَّ اتق الله فى نفسك ان دمت على هذا الحال ، فقال

وفى عروةَ العُذْرى ان مت أسوة ... وعمرو بن عَجْلان الذى قتلت هند
وبى مثل ما ماتا به غير أنني ... الى أجل لم يأتنى وقته بعد
هل الحب الا عَبرة بعد زفرة ... وحر على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع تستهل اذا بدا ... لنا علَم من أرضكم لم يكن يبدو

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأنه يزوجه امرأة جميلة فلعله يسلو بها عن لُبنى ، فدعاه الى ذلك ، فأباه وقال

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها ... بشىء من الدنيا وان كان مقنعا
وأزجر عنها النفس اذ حيل دونها ... وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فأعلمهم أبوه بما رد عليه ، قالوا فمره بالمسير فى أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه تقع على امرأة تعجبه ، فأقسم عليه أبوه أن يفعل ، فسار حتى نزل بحى من فزارة ، فرأى هناك جارية حسناء قد حسرت برقع خزّ عن وجهها وهى كالبدر ليلة تمامه ، فقال لها ما اسمك يا جارية ؟ فقالت لُبنى ، فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه ، ثم قالت ان لم يكن هذا قيس بن ذريح انه لمجنون ، فأفاق ، فنسبته فانتسب ، فقالت قد علمت انك قيس ولكن نشدتك بالله وبحق لُبنى الا أصبت من طعامنا ، وقدمت اليه طعاماً ، فأصاب منه باصبعه وركب ، فأتى على أثره أخ له كان غائباً فرأي مناخ ناقته ، فسألهم عنه ، فأخبروه ، فركب حتى رده الى منزله وحلف عليه ليقيمن عنده شهراً ، فقال لقد شققت عليَّ

ولكنى سأتبع هواك والفزارى يزداد اعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصهر ، فقال ياهذا ان فيك لرغبة ولكني في شغل لاينتفع بى معه ، فلم يزل يعاوده والحى يلومونه ويقولون له قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة ، فقال دعونى ففى هذا الفتى يرغب الكرام ، فلم يزل به حتي أجابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبنى وقال أنا أسوق عنك صداقها ، فقال أنا والله يا أخى أكثر قومى مالاً فما حاجتك الى تكلف هذا ، وأنا سائر الى قومى وسائق اليها المهر ، ففعل وأعلم أباه الذى كان منه فسره وساق المهر عنه ورجع الى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته فلم يروه هش اليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر اليها وأقام على ذلك أياماً كثيرة ثم أعلمهم أنه يريد الخروج الى قومه أياماً فأذنوا له فى ذلك ، فمضى لوجهه الى المدينة ، وكان له صديق من الأنصار بها فأتاه فأعلمه الأنصاريّ أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت انه لغدار ولقد كنت أمتنع من اجابة قومى الى التزويج فأنا الآن أجيبهم وقد كان أبوها شكا قيساً الى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها وأمر أباها أن يزوجها رجلا يعرف بخالد بن حِلّزة من بنى عبد الله بن غطفان ، فزوجها أبوها منه ، فجعل نساء الحى يقلن ليلة زفافها

لبينى زوجها أصبح لاحر بواديه
له فضل على الناس بما باتت تناجيه
وقيس ميت حى صريع فى بواكيه
فلا يبعده الله وبعداً لنواعيه

فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرّ نشيج ويبكي أشد بكاء ثم ركب حتى أتى محلة قومها فناداه النساء ما تصنع الآن ههنا قد نقلت لبنى الى زوجها وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن

راحلته وجعل يتمعك موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء، ثم قال

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا ... الى الله فقدَ الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون فجسمه ... نحيل وعهد الوالدين قديم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت ... دموعى فأىّ الجازعين ألوم
أمستعبر يبكى من الشوق والهوى ... أمَ آخر يبكي شَجْوه ويَهيم
تَهَيَّضني من حب لبنى علائق ... وأصناف حب هولهن عظيم
ومن يتعلق حب لبنى فؤاده ... يمت أو يعش ماعاش وهو كليم
فانى وان أجمعت عنك تجلداً ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زماناً شتت الشمل بيننا ... وبينكمُ فيه العدا لمَشوم
أفي الحق هذا أن قلبك فارغ ... صحيح وقلبى فى هواك سقيم

وقال فى رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم فى حيها

بانت لُبينى فهاج القلبَ من بانا ... وكان ما وعدت مَطْلاً ولَيَّانا
وأخلفتك مُنًى قد كنت تأمُلها ... فأصبح القلب بعد البين حيرانا
الله يدرى وما يدرى به أحد ... ماذا أجمجم من ذكراك أحيانا
يا أكمل الناس من قَرْن الى قدم ... وأحسن الناس ذا ثوب وعريانا
نعم الضجيع بعيد النوم تجلبه ... اليك ممتلئاً نوماً ويقظانا
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم ... إلا على العهد حتى كان ما كانا
حتى استفقت أخيراً بعد ما نَكَحت ... فبت للشوق أذْرى الدمع تَهْتَانا
إن تصْرِمى الحبل أو تُمسى مفارقة ... فالدهر يحدث للانسان ألوانا
وما أرى مثلكم فى الناس من بشر ... فقد رأيت به حياً ونسوانا

وشكا أبو لبنى لمعاوية تعرض قيس لابنته بعد طلاقها فكتب معاوية الى الأمير يهدر دمه ان ألم بها وأن يشتد في ذلك فكتب مروان فى ذلك الى صاحب

الماء الذى ينزله أبو لبنى كتاباً وكيداً ووجهت لبنى رسولاً الى قيس تعلمه ما جرى وتحذره وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له انتهى بك الأمر الى أن يهدر السلطان دمك فقال

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا ... ولن يُذهبوا ماقد أجنّ ضميرى
الى الله أشكو ما ألاقى من الهوى ... ومن حُرَقٍ تعتادنى وزَفير
ومن حُرَق للحب فى باطن الحشى ... وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة ... بكاء حزين فى الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غِبْطَة وسرور
فما بَرِح الواشون حتى بدت لهم ... بطون الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

وقال فى إهدار معاوية دمه إن هو زارها

إن تك لُبنى قد أتى دون قربها ... حجاب منيع ما إليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا ... ونُبصر قَرْن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ... ونعلم أيا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القَرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول
الى أن يعود الدهر سَلْماً وتنقضى ... تِراتٌ بغاها عندنا وذُحول

وحج قيس سنة واتفق أن حجت لُبنى فى تلك السنة فرآها فدَهِش وبقى واقفاً ومضت لسبيلها ثم أرسلت اليه بالسلام مع امرأة كانت معها فألفته جالساً وحده ينشد ويبكى

ويومَ مِنًى أعرضتِ عني فلم أقل ... لحاجة نفس عند لُبنى مقالها
وفى اليأس للنفس المريضة راحة ... اذا النفس رامت خطة لا تنالها

فصارت المرأة تحدثه عن لبنى فسألها أن تبلغها سلامه فامتنعت عليه فأنشأ يقول

اذا طلعت شمس النهار فسلمى ... فآيةُ تسليمى عليها طلوعها

بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت ... وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها

ولو أبلغتها جارة قوليَ اسلمى ... بكت جزعاً وارفضّ منها دموعها

وبان الذى تُخفى من الوجد فى الحَشَى ... اذا جاءها عنى حديث يروعها

ولما انصرف الناس من الحج مرض قيس مرضاً شديداً فلم يأته رسولها عائداً فقال

أُلبنى لقد حلَّت عليك مصيبتى ... غداة غد اذ حل ما أتوقع

تُمنينى نَيْلاً وتَلْوِينى قِلًى ... فنفسى شوقاً كل يوم تَقَطع

وقلبك قط لا يلين لما يرى ... فوا كبدى قد طال هذا التضرع

ألومك فى شأنى وأنت مُليمة ... لعمرى وأحْفَى المحب وأقطع

أخبرت أنى فيك ميت حسرتى ... فما فاض من عينيك للوجد مدمع

ولكن لَعمرى قد بكيتك جاهداً ... وان كان دائى كله منك أجمع

صبيحة جاء العائدات يَعُدْنَنى ... فظَلَّت علىَّ العائدات تفَجَّع

فقائلة جئنا اليه وقد قضى ... وقائلة لا بل تركناه ينزع

فما غشيت عيناكِ من ذاك مدمع ... وعينى على مابى بذكراك تدمع

اذا أنت لم تبكى على جنازة ... لديك فلا تبكى غداً حين أرفع

فبلغتها الأبيات فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً ، ثم خرجت اليه ليلاً على موعد ، فاعتذرت وقالت انما أبقى عليك وأخشى أن تقتل فأنا أتحاماك لذلك ولولا هذا لما افترقنا وودعته وانصرفت

ويروى أنه بلغها أنه عليل لما به وأنه سيموت فى سفره هذا ، فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها ما أراه الا كاذباً ومتعللاً لا عليلاً ، فبلغه ذلك فقال

تكاد بلاد الله يا أم معمر ... بما رحُبَتْ يوماً عليَّ تضيق
تكذبني بالود لُبنى وليتها ... تَكَلَّفُ مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني ... لكم والهدايا المشْعَرَات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها ... حَياءً ومثلي بالحياء حقيق
أذود سَوامَ النفس عنك وماله ... على أحد الا عليك طريق
فاني وان حاولت صَرْمي وهجرتي ... عليك منَ آحداث الردى لشفيق
ولم أرَ أياماً كأيامنا التي ... مررن علينا والزمان أنيق
ووعدك إيانا ، ولو قلت عاجل ، ... بعيد كما قد تعلمين سَحيق
وحدثتني يا قلب أنك صابر ... على البين من لُبنى فسوف تذوق
فمت كمداً أو عش سقيماً فانما ... تكلفني ما لا أراك تُطيق
أطعت وشاة لم يكن لك فيهمُ ... خليل ولا جار عليك شفيق
فان تك لما تسألُ عنها فانني ... بها مغرم صب الفؤاد مشوق
بلُبنى أنادي عند أول غشية ... ويَثْنى بها الداعي لها فأُفيق
شهدت على نفسي بأنك غادة ... رَدَاح وأن الوجه منك عتيق
وأنكِ لم تجزيني بصَحابة ... ولا أنا للهجران منك مطيق
وأنك قسمت الفؤاد فنصفه ... رهين ونصف في الحبال وثيق
صَبوحي اذا ماذرَّت الشمس ذكركم ... ولي ذكركم عند المساء غَبوق
اذا أنا عزيت الهوى أو تركته ... أتت عبَرات بالدموع تسوق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشى ... وبين التَّراقي واللَّهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي ... فبعض لبعض في الفعال فووق
سلي هل قلاني من عشير صحبته ... وهل مل رحلي في الرفاق رفيق
وهل تجتوي القوم الكرام صحابتي ... اذا اغبر مخشي الفِجاج عميق

وأكتم أسرار الهوى فأميتها اذا باح مزاح بهن بروق
سعى الدهر والواشون بيني وبينها فقطع حبل الوصل وهو وثيق
هل الصبر الا أن أصد فلا أرى بأرضك الا أن يكون طريق

ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من ابله ، وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها ، فعرف أبوه أنه انما يريد لُبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك ، فلم يقبل منه وأخذ ابله وقدم بها المدينة ، فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لُبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها ، فقال له اذا كان غد فأتني في دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن ، قال نعم ، ومضى زوج لُبنى اليها ، فقال لها اني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها فأعدي له طعاماً ، ففعلت ، فلما كان الغد جاء قيس فصوت بالخادم قولي لسيدك صاحب الناقة بالباب ، فعرفت لُبنى نَغْمته فلم تقل شيئاً ، فقال زوجها للخادم قولي له ادخل ، فدخل فجلس ، فقالت لُبنى للخادم قولي له يا فتى مالك أشعث أغبر ؟ فقالت له ذلك ، فتنفس ثم قال لها هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة ، فقالت لها لبنى قولي له حدثنا حديثك ، فلما ابتدأ يحدث كشفت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حديثك وأسبلت الحجاب ، فبهت ساعة لا يتكلم ، ثم انفجر باكياً وخرج ، فناداه زوجها ويحك ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك وان شئت زدناك ، فلم يكلمه وخرج فاغترز في رحله ومضى ، وقالت لبنى لزوجها ويحك هذا قيس بن ذريح فما حملك على ما فعلت به ؟ قال ما عرفته ، وجعل قيس يبكي في طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله ، ثم قال

أتبكي على لُبنى وأنت تركتها وأنت عليها بالملا أنت أقدر
فان تكن الدنيا بلُبنى تقلبت علىَّ فللدنيا بطون وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضع وللكف مُرْتاد وللعين منظر

وللحائم العطشان رِيّ بريقها وللمَرِح المختال خمر ومسكر
كأنى لها أُرجوحة بين أَحْبُل اذا ذُكِرَة منها على القلب تَخْطِر

وعاد الى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم ، فأنكروه وسألوه عن حاله ، فلم يخبرهم ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت فدخل اليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله ، فقال ويحكم أترونى أمرَضت نفسى أو وجدت سلوة بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء ؟ أولى فى ذلك صنع ؟ هذا ما اختاره لي أبواي وقتلانى به وقال

لقد عذبتَني يا حب لُبنى فقَعْ إما بموت أو حياة
فان الموت أروح من حياة تدوم على التباعد والشَّتات
وقال الأَقربون تَعَزَّ عنها فقلت لهم اذا حانت وفاتى

ودست اليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له استنشده فان سألك عن نسبتك فانتسب له خزاعياً ، فاذا أنشدك فقل له لِمَ تزوجت بعدها حتى أجابت الى أن تزوجت بعدك واحفظ ما يقول لك حتى ترده عليَّ ، فأتاه الرسول ، فسلم وانتسب خزاعياً وذكر أنه من أهل الشام واستنشده ، فأنشده قوله « وقد ذكرت قبل »

فأقسم ما عُمْش العيون شوارف روائم بوّ حانيات على سقب

فقال له الرجل فلِمَ تزوجت بعدها ؟ فأخبره الخبر ، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوجها وأنه لو رآها فى نسوة ما عرفها وأنه ما مد يده اليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب ، فقال له الرجل فانى جار لها وانها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك ، فحمِّلني اليها ما شئت أؤده اليها ، قال تعود اذا أردت الرحيل ، فعاد اليه لما أراد الرحيل ، فقال تقول لها

ألا حَيِّ لُبنى اليوم ان كنت غاديا وأَلمم بها من قبل أَلاَّ تلاقيا

وأهدِ لها منك النصيحة انها ... قليل ولا تخش الوشاة الأدانيا
وقل انني والراقصاتِ الى منًى ... بأجبل جمْع ينتظرن المناديا
أصونك عن بعض الأمور مَضِنَّة ... وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا
تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً ... يردْنَ فما يصدُرْن الا صواديا
فان أحْنَ أو أهلك فلست بزائل ... لكم حافظاً ما بلَّ ريقي لسانيا
أقول اذا نفسي من الوجد أصعدت ... بها زَفْرة تعتادني هي ما هيا
وبين الحَشَى والنحر مني حرارة ... ولوعة وجد تترك القلب ساهيا
ألا ليت لُبنى لم تكن لِيَ خُلَّة ... ولم ترني لُبنى ولم أدرِ ما هيا
سلي الناس هل خبَّرتُ سرك منهم ... أخا ثقة أو ظاهر الغشّ باديا
يقول لي الواشون لما تظاهروا ... عليك وأضحى الحبل للبين واهيا
لعمري لقَبْلَ اليوم حملت ما ترى ... وأنذرت من لُبنى الذي كنت لاقيا
خليليَّ مالي قد بَليتُ ولا أرى ... لبيني على الهجران الا كما هيا
ألا يا غراب البين مالك كلما ... ذكرت لبيني طرت لي عن شمالياً
أعندك علم الغيب أم لست مُخبري ... عن الحي الا بالذي قد بدا ليا
جزعت عليها لو أرى لِيَ مَجْزَعاً ... وأفنيت دمع العين لو كان فانيا
حياتك لا تغلي عليهـــا فانه ... كفى بالذي تلقى لنفسك ما هيا
تمر الليالي والشهور ولا أرى ... ولوعي بها يزداد الا تماديا
فما عن نوال من لُبيني زيارتي ... ولا قلة الالمام ان كنت قاليا
ولكنها صدت وحملت من هوى ... لها ما يؤُود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي على وزنها وقافيتها لتشابههما فقلما يتميزان

قال يحيى بن على الكنانى شهر أمر قيس بالمدينة ، وغنى فى شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم ، فلم يبق شريف ولا وضيع الا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس لما به ، وجاء زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها ، وقال قد فضحتني بذكرك ، فغضبت وقالت يا هذا انى والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دُلس أمرى عليك ، ولقد علمت أنى كنت زوجته قبلك ، وأنه أُكره على طلاقى ، ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه ان ألمّ بحينا فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل ، فتزوجتك وأمرك الآن اليك ، ففارقني فلا حاجة بى اليك ، فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجوارى المدينة يغنينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك ، فلا تزداد الا تمادياً وبعداً ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئاً من ذلك أحرّ بكاء وأشجاه ، وكانت امرأة من موالى بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء وأكرمهن وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة ، فلما طالت علة قيس قال له أبوه انى لأعلم أن شفاءك فى القرب من لبنى ، فارحل الى المدينة ، فرحل اليها حتى أتى دار الضيافة التى لزوج بريكة ، فوثب غلمانه الى رحل قيس ليحطوه ، فقال لا تفعلوا فلست نازلاً أو ألقى بريكة فانى قصدتها فى حاجة فان وجدت لها عندها موضعاً نزلت بكم والا رحلت ، فأتوها فأخبروها ، فخرجت اليه ، فسلمت عليه ورحبت به وقالت حاجتك مقضية كائنة ما كانت فانزل ، فنزل ودنا منها فقال أأذكر حاجتى ؟ قالت إن شئت ، قال أنا قيس بن ذَرِيح ، قالت حياك الله وقربك ، ان ذكرك لجديد عندنا فى كل وقت ، قال وحاجتي أن أرى لُبنى ولو نظرة واحدة كيف شئت ، قالت ذلك لك ، فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره ، ثم أهدى لها هدايا كثيرة وقال لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك ، ففعلت وزارتها مراراً ثم قالت لزوجها أأنت خير من زوجى ؟ قال لا ، قالت أفلُبنى خير مني ؟ قال لا ، قالت فما بالي أزورها ولا تزُورنى ؟ قال ذلك اليها ، فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها

أن قيساً عندها ، فتسارعت الى ذلك وأتتها ، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ، ويسألها فتخبره ثم قالت أنشدني ما قلت في علتك ، فأنشدها قوله

أعالج من نفسي بقايا حُشاشة ... على رَمَق والعائدات تعود
فان ذكرت لُبنى هَشِشت لذكرها ... كما هش للثدى الدَّرور وليد
أجيب بلُبنى من دعانى تجلداً ... وبى زَفَرَات تنجلى وتعود
تعيد الى روحى الحياة وانني ... بنفسى لو عاينتني لأَجود

وفيها يقول

ألا ليت أياماً مضين تعود ... فان عُدْنَ يوْماً إنني لسعيد
سقى دار لُبنى حيث حلت وخيمت ... من الأَرض منهلٌ الغمام رعيد

وتمامها

على كل حال ان دنت أو تباعدت ... فان تَدْنُ منا فالدنو مزيد
فلا اليأْس يسليني ولا القرب نافعى ... ولُبنى مَنوع ما تكاد تجود
كأَنى من لُبنى سليم مسهَّد ... يظَلّ على أيدى الرجال يَميد
رمتنى لُبينى فى الفؤاد بسهمها ... وسهم لُبينى للفؤاد صَيودْ
سلا كل ذى شَجْو عامت مكانه ... وقلبي للُبنى ما حييت ودود
وقائلة قد مات أوهو ميت ... وللنفس منى أن تَفيض رصيد
أعالج من نفسى بقايا حُشاشة ... على رَمَق والعائدات تعود

وعاتبته على تزوجه فحلف أنه لم ينظر اليها ملء عينيه ثم قال

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى ... عَلَق بقلبى من هواك قديم
يبقى على حدث الزمان وريبه ... وعلى جفائك انه لكريم
فصرمتِه وصَحَحْتِ وهو بدائه ... شتان بين مصحح وسقيم

وأريته زمناً فعـــاذ بحلمه ان المحب عن الحبيب حليم

فلم يزل معها يحدثهـا ويشكو اليها أعفَّ شكوى وأكرم حديث حتى أمسى فانصرفت ووعدته الرجوع اليه من غد فلم ترجع وشاع خبره فلم ترسل اليه رسولا فـكتب هذه الأبيات فى رقعة ودفعها الى بريكة وسألها أن توصلها اليها ورحل متوجهاً الى معاوية والأبيات

بنفسى من قلبي له الدهرَ ذاكر ومن هو عني معرض القلب صابر

ومن حبه يزداد عندى جِدَّة وحبى لديه مُخْلِق العهـد داثر

ثم ارتحل الى معاوية فدخل الى يزيد فشكا ما به اليه وامتدحه ، فرق له وقال له سـل ماشئت ، إن شئت أن أكتب الى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت ، قال لا أريد ذلك ولـكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد وأتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمى ، قال لو سألت هـذا من غير أن ترحل الينا فيه لما وجب أن تمنعه فأقم حيث شئت وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به فى اهدار دمه ، فقدم الى بلده وبلغ الفزاريين خبره والمـامه بلبنى فكاتبوه فى ذلك وعاتبوه ، فقال للرسول قل للفتى (يعنى أخا الجارية التى تزوجهـا) يا أخى ما غررتك من نفسى ولقد أعلمتك انى مشغول عن كل أحد وقد جعلت أمر أختك اليك فأمض فيه من حكمك مارأيت فتكرم الفتى عن أن يفرق بينهما ، فمـكثت فى خباء له مدة ثم ماتت

ومن قوله فى لُبنى

اذا ذكرت لبنى تأوه واشتكى تأوه محموم عليه البلابل

يبيت و يُضْحِي تحت ظل منية به رَمَق تبكى عليه القبائل

قتيل لُبنى صدع الحب قلبه وفى الحب شغل للمحبين شاغل

وقال ابن أبى عتيق لقيس يوماً أنشدنى أحر ما قلت في لُبنى ، فأنشده

وانى لأهوى النوم فى غير حينه لعل لقاء فى المنـــام يكون
تحـدثني الأحلام أنى أراكم فيا ليت أحلام المنـــام يقين
شهدت بأنى لم أحُلْ عن مودة وأنى بكم لو تعلمين ضـنين
وأن فؤادى لايلين الى هوى سواك وان قالوا بلى سـيلين

فقال ابن أبى عتيق لقد ما رضيت به منها يا قيس ، قال ذلك جهد المقل
وأنشد له أحمد بن يحيى ثعلب وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره

سقى طَلَلَ الدار التى أنتمُ بها حيًا ثم وَبْلٌ صَيّب وربيع
مضى زمن والناس يستشفعون بى فهل لى الى لبنى الغداة شفيع
سأصرم لبنى حبلك اليوم مُسجلا وان كان صَرْم الحبل منك يروع
وسوف أُسلى النفس عنك كماسلا عن البلد النائى البعيـد نزيع
وان مسنى للضر منك كآبة وان نال جسمى للفراق خشوع
يقولون صَبٌّ بالنساء موكل وما ذاك من فعل الرجال بديع
ندمت على ما كان منى ندامة كما ندم المغبون حـين يبيع
فقدتك من نفس شَعَاع ألم أكن نهيتك عن هـذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرقت هناك ثنايا ما لهن طلوع
الى الله أشكو نية شقت العصا هى اليوم شتى وهى أمْسِ جميع
فيا حُجُرات الدار كيف تحملوا بذى سَـلَم لا جادكن ربيع
فلولم يَهِجْنى الظاعنون لهـاجنى حمـائم وُرْق فى الديار وقوع
تداعَيْن فاستبكَيْن من كان ذاهوى نوائح لم تَقْطُر لهن دموع
اذا أمرتنى العاذلات بهجرها أبت كبـد عما يقلن صديع
وكيف أطيع العاذلات وذكرها يؤرقنى والعـاذلات هجوع

وقال عبد الملك بن عبد العزيز أنشدت أبا السائب المخزومى قول قيس

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد ... لها مثلاً فى سائر الناس يوصف

فمنهن حب للحبيب ورحمة ... بمعرفتى منه بما يتكلف

ومنهن ألاّ يعرِض الدهرَ ذكرُها ... على القلب إلا كادت النفس تتلف

وحب بدا بالجسم واللون ظاهر ... وحب لدى نفسى من الروح ألطف

فقال أبو السائب لا جرَم والله لأُخلصن له الصفاء ، ولأَغضبن لغضبه ، ولأَرضين لرضاه

وقصيدة قيس العينية من جيد شعره وهى

عفا سَرِف من أهله فسُراوع ... فجنبا أَريك فالتلاع الدوافع (١)

فَغَيْقة فالأَخياف أخياف ظبية ... بها من لبينى مَخْرَف ومرابع (٢)

لعل لبينى أن يحل لقاؤها ... ببعض البلاد ان ما حُمَّ واقع (٣)

بجزْع (٤) من الوادى خلاءٍ أنيسه ... عفا وتخطته العيون الخوادع

ولما بدا منها الفراق كما بدا ... بظهر الصَّفا الصَّلْد الشقوق الشوائع (٥)

تمنيت أن تلقى لُبينـاك والمنى ... تعاصيك أحياناً وحيناً تطاوع

وما من حبيب وامق لحبيبه ... ولا ذى هوى إلا له الدهرُ فاجع

وطار غراب البين وانشقت العصا (٦) ... ببَيْن كما شق الأديم الصوانع

ألا ياغراب البين قد طرت بالذي ... أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

---

(١) سرف وسراوع وأريك مواضع والتلاع واحده تلعة وهى مسيل ماء ارتفع من الارض الى بطن الوادى والدوافع جمع دافعة وهى التى تدفع الماء (٢) أخياف ظبية موضع والمخرف الذى يقيم فيه فى الخريف والمربع الموضع الذى يقيم فيه فى الربيع (٣) حم قدر

(٤) جزع الوادى منعطفه والخوادع واحدتها خادعة وهى التى لاتنام (٥) الصفا الصخر والصلد الصلب الذى اذا أصابه شيء صلد أى صوت والشوائع جمع شائعة وهى الظاهرة

(٦) أى تفرقت الجماعة

وانك لو أبلغتها قيلك اسلمى ... طوت حزناً وارفض منها المدامع
أتبكي على لُبنى وأنت تركتها ... وكنت كآت غيَّه وهو طائع
فلا تبكين فى إثر شيء ندامة ... اذا نزعته من يديك النوازع
فليس لأمر حاول الله جمعه ... مُشِتّ ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تعنه اذا لم تلاقها ... وان تلقها فالقلب راض وقانع
فياقلب خبرنى اذا شطت النوى ... بلُبنى وصدت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المُشِتّ مع الجَوَى ... أمَ آنت امرؤ ناسى الحياء فجازع
فما أنا ان بانت لبينى بهاجع ... اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى ... ضجيع الأسى فيه نِكاس روادع (١)
فلا خير فى الدنيا اذا لم تُواتنا ... لُبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يُكنُّها ... وايای هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا (٢) ... ونُبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تَطَا تحت رجليها بساطاً (٣) وبعضه ... أطاه برجلى ليس يطويه مانع
وأفرح أن تُمسى بخير وان يكن ... بها الحدث العادى ترعني الروائع (٤)
كأنك بِدْع لم تر الناس قبلها ... ولم يطَّلعك الدهر فيما تطالع
فقد كنت أبكى والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ما البين صانع
وأهجركم هجر البغيض وحبكم ... على كبدى منه كلوم صوادع
وأعجَل للاشفاق حتى يشُفَّني ... مخافة شحط الدار والشمل جامع
وأعمِد للارض التى من ورائكم ... لترجعنى يوماً عليك الرواجع

---

(١) المستشعر الذى لبس الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد والجوى الهوى الباطن والأسى الحزن ونكاس جمع نكس بالضم وروادع جمع رادعة وهى التى تردعه عن الحركة والتهرف (٢) دجا ألبس بظلمته كل شيء (٣) البساط الارض الواسعة
(٤) ترعنى تفزعنى

فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى ... وياحبها قَعْ بالذى أنت واقع
لعمرى من أمسى وأنت ضجيعه ... من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
ألا تلك لُبنى قد تراخى مزارها ... وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به ... جوَى حُرَق قد ضُمِّنتها الأَضالع
أبائنة لبنى ولم تقطع المدى ... بوصل ولا صَرْم فييأس طامع
يظَلّ نهار الواهين نهاره ... وتَهْدِنُه[1] فى النائمين المضاجع
سواي فليلى من نهارى وانما ... تقَسَّم بين الهالكين المصارع
ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى ... لما حملته بينهن الأَضالع
له وَجَبات[2] إثر لُبنى كأنها ... شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا دجا ... لى الليل هزتنى اليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعنى والهم بالليل جامع
وقد نشأت فى القلب منك مودة ... كما نشأت فى الراحتين الأَصابع
أبى الله أن يلقى الرشاد متيم ... ألا كل أمر حُمَّ لا بد واقع
هما بَرّحابى مُعْوِلَين كلاهما ... فؤاد وعين ماقُها[3] الدهرَ واسع
اذا نحن أنقدنا البكاء عشية ... فموعدنا قَرْن من الشمس طالع
وللحب آيات تبَيَّن بالفتى ... شحوب وتعْرَى من يديه الأَشاجع[4]
وما كل ما منتك نفسك خالياً ... تلاقى ولا كل الهوى أنت تابع
تداعت له الأَحزان من كل وجهة ... فحن كما حن الظُّؤَار السواجع[5]
وجانب قرب الناس يخلو بهمه ... وعاوده فيها هُيام مراجع

(١) تهدنه تسكته (٢) وجبات خفقات (٣) المأق من العين الجانب الذى يلى الانف
(٤) الاشاجع عروق ظاهر الكف (٥) الظؤار جمع ظئر وهى التى عطفت على ولد غيرها والسواجع جمع ساجعة وهى التى تمد حنينها على جهة واحدة

أراك اجتنبت الحي من غير بغضة ولو شئت لم يجنح اليك الأصابع
كأن بلاد الله ما لم تكن بها وان كان فيها الخلق قفر بلاقع
ألا انما أبكي لمـــا هو واقع وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال عليَّ الهم من كل جانب ودامت ولم تقلع على القواجع
فمن كان محزوناً غداً لفراقنا فلآن فليبكي لمـــا هو واقع
فليس محب دائماً لحبيبـــه ولا ثقة الا له الدهر فاجع

ذكر أكثر الرواة أن قيساً ولُبنى ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال انه مات قبلها فبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه ، ومنهم من قال بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها ، وقيل خرج ومعه جماعة من أهله ، فوقف على قبرها فقال

ماتت لُبينى فموتهـا موتى هل تنفعن حسرتى على الفوت
وسوف أبكى بكاء مكتئب قضى حياة وجداً على ميت

ثم أكب على القبر حتى أغمى عليه ، فرفعه أهله الى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكالماً ثلاثاً حتى مات ، فدفن الى جنبها

مطيع بن إياس

هو مطيع بن إياس الديلى الكنانى من الديل بن بكر يكني أبا سلمى شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وليس من فحول الشعراء فى تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً ، حلو العشرة ، مليح النادرة ماجناً متهماً فى دينه بالزندقة ، ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فِلَسْطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فى وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوج بها ، فولد له مطيع ، كان منقطعاً الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفاً بعده فى دولتهم ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم لا يكسد عند

أحد منهم ، ثم انقطع فى الدولة العباسية الى جعفر بن أبى جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحد منهم خبراً الا حكاية بوفوده على سليمان بن علي ، وأنه ولاه عملا وأحسبه مات فى تلك الأيام

ومن قوله وفيه غناء وكان الوليد بن يزيد يستحسنه

إكليلها ألوان ووجهها فتّان
وخالها فريدٌ ليس لها جيران
اذا مشت تَثَنَّت كأنها ثعبان
قد جُدِّلت فجاءت كأنها عِنان

كان مطيع ويحيى بن زياد والحارثى وابن المقفع ووالبة بن الحُباب يتنادمون ، ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك ، وكانوا جميعاً يرمَوْن بالزندقة

ومن قول مطيع يرثى يحيى بن زياد

يا أهل بكُّو لقلبي القَرِح وللدموع الذوارف السُّفُح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم يبتكر ولم يَرُح
ياخير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمسى للمدح

مرَّ مطيع بالرصافة فنظر الى جارية قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسناً وحواليها وصائف يرفعن أذيالها ، فوقف ينظر اليها الى أن غابت عنه ، ثم التفت الى رجل كان معه وهو يقول

لما خرجن من الرُّصا فة كالتماثيل الحسانِ
يَخْفُفْن أحور كالغزا ل يميس في جَدَل العِنان
قطعن قلبى حسرة وتقسما بين الأمانى
ويلي على تلك الشما ئل واللطيف من المعانى

يا طول حرّ صبابتى بين الغوانى والقيان

رحل مطيع الى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له ، فلما رأته ابنته قد صح العزم على الرحيل بكت ، فقال لها

اسكتى قد حززت بالدمع قلبى طالما حز دمعكن القلوبا
دَعى أن تقطعى الآن قلبى وتُرِيني فى رحلتى تعذيبا
فعسى الله أن يدافع عني رَيْبَ ما تحذرين حتى أؤبا
ليس شىء يشاؤه ذو المعالى بعزيز عليه فادعى المجيبا
أنا فى قبضة الاله اذا ما كنت بعيداً أو كنت منك قريبا

مدح مطيع الغمر بن يزيد بقصيدته التى يقول فيها

لا تَلْحَ قلبك فى شقائه ودع المتيم فى بلائه
كفكف دموعك أن تفيـ ـض بناظر غَرِق بمائه
ودع النسيب وذكره فبحسب مثلك من عَنائه
كم لذة قد نلتها ونعيم عيش فى بهائه
بنواعم شبه الدُّمَى والليل فى ثِنْيَى عمائه
واذكر فتى بيمينه حَتْفُ الزمان لدى التوائه
واذا أميـة حصلت كان المهذب فى انتمائه
واذا الأمور تفاقمت عِظَماً فمصدرها برائه
واذا أردت مديحه لم يُكْدِ قولُك فى بنائه
فى وجهه علم الهدى والمجد في عِطْفَي ردائه

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية ، وحركته ورفعت من ذكره ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه

وقال يستعطف يحيى بن زياد فى هجرة كانت بينهما وتباعد

يا مسمى باسم النبي الذى خص به الله عبده زكريَّا
فدعاه الاله يحيى ولم يجعل له الله قبل ذاك سَمِيَّا
كن بصب أمسى بحبك بَرّا ان يحيى كان برًّا تقيا

وقال يرثيه بعد وفاته

قد مضى يحيى وغودرت فردا نصب ما سَرَّ عيون الأعادى
وأرى عينىَ مذ غاب يحيى بدلت من نومها بالسهاد
وسَدَتْه الكف مني تراباً ولقد أرثى له من وساد
بين جيران أقاموا صموتاً لا يُحيرون جواب المنادي
أيها المُزْن الذى جاد حتى أعشبت منه متون البوادى
اسق قبراً فيه يحيى فانى لك بالشكر مواف مغاد

وفد مطيع الى يزيد بن جرير بن خالد بن عبد الله القسرى وقد مدحه بقصيدته

أمن آل ليلى عزمت البكورا ولم تَلْق ليلي فتَشْفى الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا لليلى وجارات ليلى زَوْرا
ليالىَ أنت بها مُعْجَبٌ تَهيم اليها وتعصى الأميرا
واذ هى حَوْراء شبه الغزال تُبصر فى الطَّرْف منها فُتورا
تقول ابنتي اذ رأت حالتى وقربتُ للبين عَنْساً وكُورا
الى من أراك وقتك الحتو فَ نفسى تجشمت هذا المسيرا
فقلت الى البَجَلِيّ الذى يَفُكّ العُناة ويُغنى الفقيرا
أخى العرف أشبه عند النَّدَى وحملِ المئين أباه جريرا
عشير الندى ليس يرضى الندى يَدَ الدهر بعد جرير عشيرا
اذا استكثر المجتدون القليل للمعتفين استقل الكثيرا
اذا أعسر الخير في المجتدين كان لديه عتيداً يسيرا

رليس بمانع ذى حاجة ولا خاذل من أتى مستجيرا
فنفسى وقتك أبا خالد اذا ما الكُماة أغاروا النمورا
الى ابن يزيد أبى خالد أخى العرف أعملتها عَيْسجورا(١)
لنلقى فواضل من كفه فصادفت منه نوالا غزيرا
فان يكن الشكر حسن الثنا ء بالعرف مني تجدنى شكورا
بصيراً بما يستلذ الرُّوا ة من مُحْكَم الشعر حتى يسيرا

فلما بلغ يزيد خبره دعا به ليلا ، ولم يعلم أحداً بحضوره ، ثم قال له قد عرفت خبرك وانى متعجل لك جائزتك ساعتى هذه فاذا حضرت غداً فانى سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء وأزودك بنفقة طريقك وأصرفك لئلا يبلغ أبا جعفر خبرى فيهلكني فأمر له بمائتي دينار ، فلما أصبح أتاه فاستأذنه في الانشاد ، فقال له يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى ، وفى أى شىء أنا حتى ينتجعني الشعراء ؟ لقد أسأت إلىّ لأنى لا أستطيع تبليغك محابك ولا آمن سخطك وذمك ، فقال له تسمع ماقلت فانى أقبل ميسورك وأبسط عذرك ، فاستمع منه كالمتكلف المتكره فلما فرغ قال لغلامه كم مبلغ ما بقى من نفقتنا ؟ قال ثلثمائة درهم ، قال أعطه مائة لنفقة طريقه ومائة ينصرف بها الى أهله واحتبس لنفقتنا مائة درهم ، ففعل الغلام ذلك وانصرف مطيع عنه شاكراً ولم يعرف أبو جعفر خبره

ومن قوله

خليلى مُخلف أبدا يمنيني غداً فغدا
و بعد غد و بعد غد كذا لا ينقضى أبدا
له جمر على كبدى اذا حركته وَقَدا
وليس بلابث جمر الـ ـغضى أن يحرق الكبدا

(١) الناقة السريعة القوية

سكر مطيع ليلة فعربد على يحيى بن زياد فهجره يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً فكتب اليه مطيع

إن تصلني فمثلك اليوم يُرْجَى عفوه الذنب عن أخيه ووصلهُ
ولئن كنت قد هممت بهجرى للذى قد فعلت انى لأهلهُ
وأحق الرجال أن يغفر الذنـــب لاخوانه الموفَّرُ عقـله
الكريم الذى له الحسب الثا قب فى قومه ومن طاب أصله
ولئن كنت لا تصاحب إلا صاحباً لا يزِلّ ما عاش فعله
لا تجـده وان جهِدْت وانى بالذى لا يكاد يوجد مثـــله
انما صاحبى الذى يغفر الذنـــب ويكفيه من أخيه أقله
الذى يحفظ القديم من العهـــد وان زَلّ صاحب قلّ عذْله
ورعى ما مضي من العهد منه حين يودى من الجهالة جهله
ليس من يظهر المودة افكا واذا قال خالف القولَ فعله
وصـــله للصديق يوماً فان طا ل فيومان ثم ينْبَتّ حبـله

فصالحه يحيى وعاد لعشرته

وقال أيضاً فى ذلك

كنت ويحيى كيد واحدة نَرمى جميعاً ونرامى معا
إن عضني الدهر فقد عضه يوجعنـا ما بعضنا أوجعا
أو نام نامت أعين أربع منا وان أسهر فلن يَهْجعا
يسرنى الدهر اذا سره وان رماه فلنـــا فجعا
حتى اذا ما الشيب فى مفْرَقى لاح وفى عارضه أسرعا
سعى وشـاة فشَوْا بيننا وكاد حبل الود أن يقطعا
فلم أَلُمْ يحيي على فعـله ولم أقل مَلَّ ولا ضـيعا

لكن أعداء لنا لم يكن شيطانهم يرى بنا مطمعا
بينا كذا غاشٍ على غِرَّة فأوقد النيران مستجمعا
فلم يزل يوقده دائباً حتى اذا ما اضطرمت أقلعا

دعا مطيع صديقاً له من أهل بغداد الى بستان له بالكرخ يقال له بستان صباح فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ فكتب مطيع الى يحيي بن زياد الحارثى يخبره بأمره و يتشوقه قال

كم ليلة بالكرخ قد بتها جذلان فى بستان صباح
فى مجلس تنفَح أرواحه ياطيبها من ريح وأرواح
يدير كأساً فاذا ما دنت حُفَّت بأكواب وأقداح
في فتية بيض بهاليل ما ان لهم فى الناس من لاح
لم يهْنِنى ذاك لفقد امرىء أبيض مثل البدر وضاح
كأنما يشرق من وجهه اذا بدالي ضوء مصباح

فلما قرأ يحيي هذه الأبيات قام من وقته فركب اليهم وحمل اليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملّوا ثم انصرفوا

اجتمع حماد الراوية ومطيع ويحيي بن زياد وحكم الوادى يوماً على شراب لهم فى بستان بالكوفة وذلك فى زمن الربيع ودعوا جوهر المغنية فقال مطيع فى ذلك

خرجنا نمتطى الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا
ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا
وجوهر عندنا تحكى بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حسناً اذا ما زدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا

مدح مطيع مَعْن بن زائدة بقصيدته التى أولها

أهلا وسهلا بسيد العرب ذى الغُرر الواضحات والنجب
فتى نِزار وكهلها وأخى الـــجود حوى عانيه من كَثَب
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طراً فى السهل والرحب
أبو العُفاة الذى يلوذ به من كان ذا رغبة وذا رَهَب
جاء الذى تفرج الهموم به حين يُلَزُّ الوَضين بالحَقَب
جاء وجاء المضاء يَقْدُمه رأى اذا هم غير مؤتشِب
شهم اذا الحرب شب دائرها أعادها عودة على القطب
يطفىء نيرانها ويوقدها اذا خبت نارها بلا حطب
الا بوقع المذَكَّرات يُشَبَّـــهْنَ اذا ما انتُضِين بالشهب
لم أر قِرْنا له يبارزه الا أراه كالصقر والخرب
ليث بخِفَّان قد حمى أَجَما فصار منها فى منزل أَشِب
شبلاه قد أدَّبا به فهما من شبهه فى جد وفى لعب
قد ومقا شكله وسيرته وأحكما منه أكرم الأَدب
نعم الفتى تُقرن الصعاب به عند تجاثى الخصوم للرُّكَب
ونعم ما ليلة الشتاء اذا اســـتنبح كلب القرى فلم يُجَب
لا نعم عنـــده مخالفة مثل اختلاف الصَّعود والصَّبب
يحضره لا فلا يهم بها ومنه تُضحى نَعَمْ على أَرَب
ترى له الحلم والنهى خلقاً فى صولة مثل جاحم اللهب
سيف الامامين ذاك وذا اذا قـل بناء الوفاء والحسب
ذا هَوادة لا تخاف نَبْوتها ودينه لا يشاب بالريب

فلما سمعها معن قال ان شئت مدحناك كما مدحتنا وان شئت أثبناك ، فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج الى الثواب فأنشأ يقول

ثناء من أمير خير كسب لصاحب فاقة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى ومامثل الدراهم من دواء

فضحك معن وقال لقد لطفت حتى تخلصت منها ، صدقت لعمرى ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بثلاثين الف درهم وخلع عليه وحمله

ومن شعره فى ابنة أحد الدهاقين كان يهواها وفارقها

أسعدانى يا نخلتى حُلْوان وابكيالي من ريْب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يفْـ ـرُق بين الأُلاَّف والجيران
ولعمرى لو ذقتما ألم الفر قة قد أبكا كما الذى أبكانى
أسعدانى وأيقنا أن نحساً سوف يلقـا كما فتفترقان
كم رمتني صروف هذى الليالى بفراق الأحباب والخلان
غير أنى لم تلق نفسى كما لاقيـ ـت من فرقة ابنة الدَّهقان
جارة لى بالرَّيّ تذهب همى ويسلى دنوهـا أحزانى
فجعتني الأيام أغبط ما كنـ ـت بصدع للبين غير مُدان
وبرغمي أن أصبحت لا تراها العـ ـين منى وأصبحت لا ترانى
ان تكن ودعت فقد تركت بى لَهَبًا فى الضمير ليس بوان
كحريق الضِّراب فى قصب الغا ب رمته ريحان مختلفان
فعليك السلام ما ساغ سلا ما عقلى وفاض لسانى

ومما يغني فيه من شعره

ألا ان أهل الدار قد ودعوا الدارا وقد كان أهل الدار فى الدار أجوارا
يبكى على إثر الجميع فلا يرى سوى نفسه فيها من القوم ديارا

وصف رجل مطيعاً فقال لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا فتضح ، ووصفه آخر فقال كان اذا حضر ملك واذا غاب عنك شاقك واذا عرفت بصحبته فضحك

قدم مطيع من سفر فقدم بالرغائب ، فاجتمع هو وحماد عجرد بصديقته ظبية الوادى ، وكان مطيع قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد ، فلما جلسوا يشربون غنت ظبية الوادى

أظن خليلي غدوة سيسير ... وربى على ألا يسير قدير
عجبت لمن أمسى محباً ولم يكن ... له كفن فى بيته وسرير

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع

ما أبالي اذا النوى قربتهم ... ودنونا من حل منهم وسارا

فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمها

كان لمطيع صديق يقال له عمر بن سعيد فعاتبه فى أمر قينة يقال لها مكنونة كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها ، وقال له ان قومك يشكونك ويقولون انك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة ، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها ، فأنشأ مطيع يقول

قد لامني فى حبيبتى عمر ... واللوم فى غير كنهه ضجر
قال أفق ، قلت لا ، فقال بلى ... قد شاع فى الناس عنكما الخبر
قلت قد شاع فاعتذاري مما ... ليس لي فيه عندهم عذر
عجز لعمرى وليس ينفعني ... فكفّ عنى العتاب يا عمر
وارجع اليهم وقل لهم قد أبى ... وقل لي لا أفيق فانتحروا
أعشق وحدى فيؤخذون به ... كالترك تغزو فيقتل الخزر

كان المنصور يريد البيعة للمهدى وكان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلك ، فأمر باحضار الناس ، فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء فأكثرت فى وصف المهدى وفضائله وفيهم مطيع ، فلما نوع من كلامه فى الخطباء وإنشاده فى الشعراء قال يا أمير المؤمنين حدثني فلان عن فلان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلاً كما ملئت جَوْراً ، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك ، ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال نعم مخافة من المنصور ، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدى ، ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لا يأنس به قال أرأيتم هـذا الزنديق اذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى استشهدنى على كذبه ، فشهدت له خوفاً وشهد كل من حضر عليَّ بأنى كاذب ، وبلغ الخبر جعفر بن أبى جعفر وكان مطيع منقطعاً اليه يخدمه ، فخافه وطرده عن خدمته

كان مطيع مع اخوان له على نبيذ وعندهم قينة تغنيهم ، فأومأ اليها مطيع بقبلة فقالت له تراب ، فقال

ان قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا
ورماه الحب منـه بسهام فأصـــابا
قد دهاه شادن يلـــبس فى الجيد سخابا
فهو بدر فى نقاب فاذا ألقى النقابا
قلت شمس يوم دَجْن حسرت عنها السحابا
أحضر الناس بما أكـــرهه منـه جوابا
فاذا قلت أنلني قبـــلة قال ترابا

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع وكان يظهر للناس تألهاً ومروءة وسمتاً حسناً وكان ربما دعا مطيعاً ليلة من الليالي أن يصير اليه ، ثم قطعه عنه شغل ، وجاء مطيع فلم يجده ، فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه فأنشدهم فيه

ويلي ممن جفانى وحبـه قد برانى
أغرّ كالبدر تعشى بحسنه العينان
جارى لا تعذلانى فى حبـه ودعانى

فرب يوم قصير في جوسق وجنان
بالراح فيه يحيا والقصف والريحان
وعندنا قينتان وجهاهما حسنان
عوداهما غرِدان كأنما ينطقان
وعندنا صاحبان للدهر لا يخضعان
فكنت أول حام وأول السرعان
في فتية غير ميل عند اختلاف الطعان
من كل خوف مخيف في السر والاعلان
حمال كل عظيم يضيق عنه اليدان
وان ألح زمان لم يستكن للزمان
فزال ذاك جميعاً وكل شيء فان
مَن عاذري من خليل موافق مَلِذان
مداهن متوان يكني أبا دهمان
متى يعدك لقاء فالنجم والفرقدان
وليس يعتم الا سكران مع سكران
يسقيه كل غلام كأنه غصن بان
من خندريس عُقار كحمرة الأرجوان

فلقيه بعد ذلك أبو دهمان فقال عليك لعنة الله فضحتني وهتفت بي وأذعت سري لا أكلمك أبداً ولا أعاشرك ما بقيت فما تفرق بين صديقك وعدوك

قال علي بن القاسم كنت آلف مطيع بن إياس وكان جاري وعنفني في عشرته جماعة وقالوا لي انه زنديق ، فأخبرته بذلك ، فقال وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدل على ذلك ؟ أو هل وجدتني أخل بالفرائض من صلاة أو صوم ؟ فقلت والله

ما اتهمتك ولكني أخبرتك بما قالوا واستحييت منه ، فعجل على السكر ذات يوم فى منزله ، فنمت عنده ومطرنا فى جوف الليل وهومعى ، فصاح بى مرتين أو ثلاثاً فعلمت أنه يريد أن يصطبح فكسِلت أن أجيبه ، فلما تيقن أنى نائم جعل يردد على نفسه بيتاً قاله وهو

أصبحت جَمّ بلابل الصدر عصراً أكاتمه الى عصر

فقلت فى نفسى هذا يعمل شعراً فى فن من الفنون فأضاف اليه بيتاً ثانياً وهو

ان بحت طُلّ دمى وان تركت وَقَدت علىّ توقد الجمر

فقلت فى نفسى ظفرت بمطيع فتنحنحت ، فقال لي أما ترى هذا المطر وطيبه ؟ اقعد بنا حتى نشرب أقداحاً ، فاغتنمت ذلك ، فلما شربنا أقداحاً قلت له زعمتُ أنك زنديق ، قال وما الذى صح عندك أنى زنديق ؟ قلت قولك « وأنشدته البيتين » فقال لي وكيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ قلت والله ما سمعت معهما ثالثاً ، فقال بلى قد قلت ثالثاً ، قلت فما هو ؟ قال

ما جناه على أبى حسن عمر وصاحبه أبو بكر

كان مطيع نازلاً بكَرْخ بغداد وكان بها رجل يقال له الفهمى مغن محسن ، فدعاه مطيع ودعا بجماعة من اخوانه ، وكتب الى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الأبيات

عندنا الفهمى مسرور وزَمّار مجيد
ومعاذ وعياذ وعمير وسعيد
ونَدامى يُعملون القَلْز[1] والقَلْز شديد
بعضهم ريحان بعض فهمُ مسك وعود
غابت الأنحس عنهم وتلقتهم سعود
فترى القوم جلوساً والخنا عنهم بعيد

(١) القلز نوع من الشرب

ومطيع بن إياس فهو بالقصف وليد
وعلى كر الجديديـــن وما حل جليد

فأتاه يحيى فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهدى فضحك لما بيعت جوهر التى كان مطيع يشبب بها قال

صاح غراب البين بالبين فكمدت أنشق بنصفين
قد صار لي خِدْنان من بعدها هم وغم شر خِـدْنين
أفدى التى لم ألق من بعدها أنساً وكانت قرة العين
أصبحت أشكو فرقة البين لما رأت فرقتهم عيني

كان مطيع يهوى جارية يقال لها ريم وقال فيها

ويوم ببغداد نعمنا صباحه على وجه حمراء المدامع تُطْرِب
ببيت ترى فيه الزجاج كأنه نجوم الدُّجَى بين الندامى تَقَلَّب
يصرف ساقينا ويقطُب تارة فياطيبها مقطوبة حين يقطُب
علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المذهب
فما زلت أسقى بين صنج ومِزْهر من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وفيها يقول

يا ريم قد أتلفت روحى فما منها معى الا القليل الحقير
هل لك فى أجر تجازَىْ به فى عاشق يرضيه منك اليسير
يقبل ما جـدت به طائعاً وهو ان قل لديه كثير
لعمرىَ من أنتِ له صاحب ماغاب عنه فى الحياة السرور

وفيها يقول

يا ريم يا قاتلـــتي ان لم تجودى فعِدى
بيضت بالمَطْل وإخلا فك وعدي كبـدى

حالفت عيني سهدى وما بهـــا من رمد
يا ليتني فى الأحـد أبليت مني جسدى
لمن به من شقوتى أخذت حتفي بيدى

ولمطيع فى جوهر

يا بأبى وجهك من بينهم فانه أحسن ما أبصر
يا بأبى وجهك من رائع بشبهه البدر اذا يزهر
جارية أحسن من حليها والحلى فيه الدر والجوهر
وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر مكنونة يا حبـذا ما جلبت بربر
كأن في ريقتها قهوة صب عليها بارد أسمر

ومن قول مطيع

واهاً لشخص رجوت نائله حتى انثني لي بوده صلفا
لانت حواشيه وأطمعني حتى اذا قلت نلته انصرفا

قال رجل من أهل الشام كنت يوماً نازلا بدير كعب وقد قدمت من سفر فاذا أنا برجل قد نزل الدير معه ثقـل وآلة وعَيْبة ، فـكان قريباً من موضعى فدعا بطعام فأكل ودعا الراهب فوهب له دينارين واذا بينه وبينه صداقة ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ومعه الراهب اذ دخل الدير رجل فجلس معهما فقطع حديثهما وثقل فى مجلسه وكان غَثَّ الحديث فأطال ، فجاءنى بعض غلمان الرجـل النازل فسألته عنه فقال هذا مطيع بن إياس ، فلما قام الرجل وخرج كتب مطيع على الحائط شيئاً وجعل يشرب حتى سكر ، فلما كان من غد رحل فجئت موضعه فاذا فيه مكتوب

طربة ما طربت فى دير كعب كدت أقضى من طربتى فيه نَحْبى
وتذكـــرت اخوة ندماء لي فهاج البكاء تذكارُ صحبى

حين غابوا شتّى وأصبحت فرداً ونأوْا بين شرق أرض وغرب
وهمُ ما همُ فحسبي لا أبـــغي بديلا بهـم لعمرك حسبي
أيهـــا الداخل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبي
خفّ عنـا فأنت أثقل واللّـــه علينا من فرسخي دير كعب
ومن النـاس من يخف ومنهم كرحى البزر ركبت فوق قلبي

ومن قوله في صديق له فارقه

أيا ويحه لا الصبر يملك قلبه فيصبر لمـــا قيل سار محمد
فلا الحزن يفنيه ففي الموت راحة فحتى متى في جهـده يتجلد
قدّاضحى صرعاً باديات عظامه سوى أن روحاً بينها تتردد
كئيباً يمنى نفسه بلقـــائه على نأيه والله بالحزن يشهد
يقول لها صبراً عسى اليوم آئب بالفك أو جاء بطلعته الغد
وكنتَ يداً كانت بها الدهر قوتي فأصبحت مضنى منذ فارقني اليد

ومن قوله

طبيبيَّ داويتما ظاهـراً فمن ذا يداوي جوًى باطنا
فقوما اكويانى ولا ترحمـا من الكي مستحصفاً راصنا
ومرّا على منزل بالغُمَيـــم فاني عهدت به شادنا
فتور القيام رخيم الكلام كان فؤادي به راهنا

بلغ مطيعاً أن حمـاد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله في منقذ بن بدر الهلالي فأجابه منقذ عنه بجواب ، فاستخفهما عجرد وطعن عليهما فقال فيه مطيع

أيهـا الشاعر الذي عاب يحيى ومنقذا
أنت لو كنت شاعراً لم تقل فيهما كذا
لستَ والله فاعلمن لدى النقد جَهْبذا

تعدل الصبر بالرضا وتشيب الصفو بالقذى

قال أبو منيع الأحدب كنت جالساً مع مطيع بن اياس فمرت بنا مكنونة جارية المروانية وكان مطيع وأصحابنا يألفونها فلم تسلم وعبث بها مطيع فشتمته فالتفت إليّ وأنشأ يقول

فديت من مرَّ بنا يوماً ولم يتكلم
وكان فيما خلا منه كلما مرَّ سلم
وان رآنيَ حيا بطرفه وتبسم
لقد تبدل فيما أظن والله أعلم
فليت شعريَ ماذا عليَّ فى الود ينقم
يا رب انك تعلم انى بمكنونَ مُغرم
وأننى فى هواها ألقى الهوان وأعظم
يا لائمى فى هواها احفظ لسانك تسلم
واعلم بأنك مهما أكرمت نفسك تُكرم
ان الملول اذا ما مل الوصال تجرم
أولى فما لي أُجفَى من غير ذنب وأحرم

كان مطيع يألف جوارى بربر ويألف منهن جاريتها المسماة جوهر وفيها يقول

خافي الله يا بربر لقد أفتنت ذا العسكر
اذا ما أقبلت جوهر يفوح المسك والعنبر
وجوهر درة الغوا ص من يملكُها يجبر
أما والله يا جوهر لقد فقت على الجوهر
لها ثغر حكى الدر وعينا رشأ أحور
فلا والله ما المهدى أولى منك بالمنبر

فان شئت ففى كفيـــك خلع ابن أبى جعفر

وفيها يقول

أنت ياجوهر عندى جوهرة ... فى قياس الدرر المشتهرة
أو كشمس أشرقت فى بيتها ... قذفت فى كل قلب شررة
وكأنى ذائق من فمهـا ... كلما قبلت فاها سكرة

وبيعت جوهرة فاشترتهـا امرأة هاشمية من ولد سليمان بن على كانت تغني بالبصرة وأخرجتها فقال مطيع فيها

لاتبعُدِيـــى ياجوهر ... عنا وان شط المزارُ
ويلى لقد بعدت دياركِ سلمت تلك الديار
يشفى بريقتها السقا ... م كأن ريقتها العُقار
بيضاء واضحة الجبيـــن كأن غرتها نهار
القلب قلبى وهو عنـــد الهاشمية مستعار

دعا مطيعاً صديق له الى بستان بكَلْوَاذَى ، فمضى اليها فلم يستطبها فقال يهجوها

بلد تمطر التراب على النا ... س كما تمطر السماء الرَّذاذا
واذا ما أعاذ ربى بلاداً ... من خراب كبعض ماقد أعاذا
خربت عاجلا ولا أمهلت يوْ ... ماً ولا كان أهلها كَلْوَاذَى

جلس مطيع فى العلة التى مات فيها فى قبة خضراء وهو على فرش أخضر فقال له الطبيب أى شيء تشتهى اليوم ؟ قال أشتهى ألا أموت ، ومات فى علته هـذه وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت من خلافة الهادى

شعراء هذيل

أبو صخر الهذلي

هو عبد الله بن سلم السهمى أحد بني مرمض من هُذَيل

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأُموية وكان مواليًا لبني مروان متعصباً لهم ، وله فى عبد الملك بن مَرْوان مدائح وفى أخيه عبد العزيز وعبد العزيز بن خالد بن أسيد ، وحبسه ابن الزبير الى أن قتل

لما ظهر عبد الله بن الزبير بالحجاز وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم فى مَرْج راهط وغيره دخل عليه أبو صخر الهذلي فى هُذَيل وقد جاؤه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواه فى بنى أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال علام تمنعني حقاً لي وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت فى الاسلام حدثاً ولا أخرجت من طاعة يداً ، قال عليك بنى أمية فاطلب عندهم عطاءك ، قال إذاً أجدهم سِباطاً أكفهم سمحة أنفسهم بذلاء لأموالهم ، وهابين لمجتديهم كريمة أعراقهم ، شريفة أصولهم زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبهم وسببهم ، ليسوا اذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا هم فى قريش كقفعة القاع ، لهم السودد فى الجاهلية والملك فى الاسلام ، لا كمن لا يعد فى عِيرها ولا نفيرها ، ولا حكم آباؤه فى نَفيرها وقطميرها ، ليس من أحلافها المطيبين ، ولا من سادتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسودين ، وكيف تقاتَل الرءوس بالأذناب ؟ وأين النصل من الجفن والسنان من الزُّجّ والذُّنابَى من القُدَامَى ؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد والسوقة على الملك ،

والجامع بخلاً على المطعم فضلاً ، فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه ، واهتزّ من قرنه الى قدمه ، وامتقع لونه ، ثم قال له يا ابن البوالة على عقبيها ويا جلف يا جاهل أما والله لولا الحرمات الثلاث حرمة الاسلام وحرمة الحرم وحرمة الشهر الحرام لأخذت الذى فيه عيناك ، ثم أمر به الى سجن عارم ، فحبس به مدة ، ثم استوهبته هذيل ومن له من قريش خؤلة فى هذيل ، فأطلقه بعد سنة وأقسم ألاَّ يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً ، فلما كان عام الجماعة وولي عبد الملك وحج لقيه أبو صخر ، فلما رآه عبد الملك قربه وأدناه وقال له انه لم يَخْفَ عليَّ خبرك ولا ضاع لك عندي هواك ولا موالاتك ، فقال اذ شفى الله منه نفسى ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوباً مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالي ما فاتني من الدنيا ، ثم استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فمثل بين يديه قائماً وأنشأ يقول

عفت ذا عِرْق عُصْلها (١) فرِئامها ... فضَحْياؤها وحش قداً جْلَى سوامُها
على أن مَرْسَى خيمة خف أهلها ... بأبطح مِحْلاَل (٢) وهيهات عامها
اذا اعتلجت فيها الرياح وأدرجت ... عشياً جرى فى جانبيها قُمامها (٣)
فان مَعاجى للخيام وموقفى ... برابية البَنْدين (٤) بال ثُمامها
لَجهل ولكني أسلى ضَمانة ... يضَعِّف أسرارَ الفؤاد سقامها
فأقصر فلا ما قد مضى لك راجع ... ولا لذة الدنيا يدوم دوامها
وفدِّ أمير المؤمنين الذى رمى ... بجَأْواء (٥) جُمهور تمور إكامها
من أرض قرى الزيتون مكة (٦) بعدما ... غُلبنا عليها واستُحِلّ حرامها

(١) عصل ورئام وضحياء مواضع بذات عرق (٢) أرض محلال أكثر الناس الحلول بها
(٣) القمامة الكناسة (٤) البند الذى يسكر من الماء يعنى بيوتاً ألقى عليها ثمام وشجر ينبت
(٥) كتيبة جأواء أى كدراء اللون فى حمرة وهو لون صدأ الحديد والاكام جمع أكم وهو جمع أكمة (٦) مكة مفعول رمى

وألحد فيها الفاسقون وأفسدوا ... فخافت فواشيها [1] وطار حمامها
يشج بها عَرْض الفلاة تعسفاً ... وأمّا اذا يخفى من الأرض علامها
فصبحهم بالخيل تزحف بالقنا ... وبيضاء مثل الشمس يبرُق لامها
له عسكر ضافى الصفوف عَرَمْرَم ... وجمهورة يزهى العدو احتدامها
فطهر منهم بطن مكة ماجد ... أبيّ شباة الضيم حين يُسامها
فدع ذا وبشر شاعري [2] أم مالك ... بأبيات مخزى طويل عُرامها
فان تبد تجدع منخريك بمدية ... مشرشرة حرّى رميض [3] حسامها
وان تخفَ عنا أو تخفْ من أذاتنا ... تنوشك نابا حيـــة وسِمَاها
ولولا قريش لاستُرِقت عجوزكم ... وطالت على قُطْبَىْ رحاها احتزامها

فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء ومثله صلة من ماله وكساه وحمله

كان أبو صخر منقطعاً الى أبي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد مداحاً له ، فقال له يوماً ارثني يا أبا صخر وأنا حي حتى أسمع كيف تقول وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إياي في حياتي ؟ فقال له أعيذك بالله أيها الأمير بل يبقيك الله ويقدمني قبلك ، فقال ما من ذلك بد ، فرثاه بقصيدته التي يقول فيها

أبا خالد نفسي وقت نفسك الرَّدَى ... وكانت بها من قبل عثرتك العُثْر
لِنَبْكك يا عبد العزيز قلائص ... أضرَّ بها نَصُّ الهواجر والزجر
سَمَوْن بنا يجتبن كل تنوفة ... تضِلّ بها عن بيضهن القطا الكُدْر
فما قدِمت حتى تواتر سيرها ... وحتى أُنيخت وهي طالعة دُبْر
ففرج عن ركبانها الهمّ والطوى ... كريمُ المحيا ماجد واجد صقْر

(١) الفواشي كل شيء منتشر من المال كالغنم السائمة والابل وغيرها لانها تفشو أي تنتشر في الارض (٢) رجلان من كنانة كانا مع ابن الزبير يمدحانه ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه (٣) الرميض من النصال الحاد

أخو شتوات تقتل الجوع داره ... لمن جاء لا ضيق الفناء ولا وعر
ولا تهنىء الفتيانَ بعدك لذة ... ولا بلَّ هامَ الشامتين بك القطر
فان تُمسِ رمساً بالرصافة ثاوياً ... فما مات يا ابن العيص نائلك الغُمْر
وذى وَرَق من فضل مالك ماله ... وذى حاجة قد رِثْتَ ليس له وفر
فأضحى مُريحاً بعد ما قد يؤوبه ... وكلَّ به المولى وضاق به الأمر

فأضعف عبد العزيز جائزته ووصله وأمر أولاده فروَوْا القصيدة

كان لأبي صخر ابن يقال له داوود لم يكن له ولد غيره، فمات، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خواط، فقال يرثيه

لقد هاجني طيف لداود بعد ما ... دنت فاستقلت تاليات الكواكب
ومافى ذهول اليأس عن غير سلوة ... رواح من السقم الذي هو غالبى
وعندك لو يحيا صَداك فنلتقى ... شفاء لما غادرت يوم التَّناضب
فهل لك طِب نافعى من علاقة ... تُهيِّمني بين الحَشى والترائب
تشكيتها اذ صدّع الدهر شعبنا ... فأمست قداً عيت فى الرُّقى والطبائب
ولولا يقين أنما الموت عَزْمة ... من الله حتى يبعثوا للمحاسب
لقلت له فيما أُلِمّ برمسه ... هل أنت غداً غادٍ معى فمصاحبى
فماذا ترى فى غائب لا يُغِبُّنى (١) ... فلست بناسيه وليس بآئب
سألت مليكى اذ بلانى بفقده ... وفاة بأيدى الروم بين المقانب
تَنُونى وقد قدمت ثأرى بطعنة ... تجيش بقلاّس من الجوف ثاعب (٢)
وقد خفت أن ألقى المنايا وانني ... لتابع من وافى حمام الجوالب
ولما أطاعن فى العدو تنفُّلاً ... الى الله أبغى فضله وأضارب

(١) أغب الزائر القوم جاءهم يوماً وتركهم يوماً (٢) ثاعب سائل وقلاس مبالغة من القلس وهو أن تخرج الطعنة الدم

وأعطفْ وراء المسلمين بشدة على دُبُر مخلٍ من العيش ذاهب

وبلغه أن رجلا من قومه عابه وقدح فيه فقال

بل قد أتانى ناصح عن كاشح بعداوة ظهرت وزَغْر[1] أقاول

أفَحِين أحكمني المشيب فلا فتًى غُمْر ولا قَحْم وأعصَلَ[2] بازلى

ولبست أطوار المعيشة كلها وعرفت من حق وراع عواذلى

وذببت عن أفناء خِنْدف كلها بمؤبَّدات للرجال عُدامل

أصبحت تقرضنى وتقرع مَرْوتى بَطَراً ولم يَرْعَب شعابك وابلى

وتَنلْك أظفارى ويُبْرِك مِسْحَلى برى الشَّسيب من السَّراء الذابل[3]

فتكون للباقين بعدك عبرةً وأطأ جبينك وطأة المتثاقل

كان أبو صخر يهوى امرأة من قضاعة مجاورة فيهم يقال لها ليلى بنت سعد وتكنى أم حكيم وكانا يتواصلان برهة من دهرهما، ثم تزوجت ورحل بها زوجها الى قومه، فقال فى ذلك أبو صخر

ألَمّ خيال طارق متأوِّب لأم حكيم بعد ما نمت موصِب

وقد دنت الجَوْزاء وهى كأنها ومِرْزَمُها[4] بالغَوْر ثور وبَرْبَب

فبات شرابى فى المنام مع المنى غَرِيض اللَّمى يَشفى جوى الحزن أشنب

قُضاعية أدنى ديار تَحُلُّها قَناة وأنَّى من قناةَ المُحَصَّب

سراج الدجى تغتلّ[5] بالمسك طَفْلة فلاهى متفال ولا اللون أكْهَب

وميثة ما تحت الثياب عميمة هضيم الحشى بكر المجسَّة ثيب

تعلقتها خَوْداً لذيذاً حديثها ليالي لا تُعْدَى ولا هى تحجب

---

(١) الزغر الكثرة (٢) أعصل اشتد ويراد بذلك كمال العقل والتجربة

(٣) المسحل المبرد والشسيب القوى والسراء تتخذ منه القسى (٤) المرزمان نجمان مع الشعريين (٥) تغتل تتطيب

فكان لها ودي ورَيْعة مَيْعتي ... وليداً الى أن رأسي اليوم أشيب
فلم أر مثلي أيأست بعد علمها ... بودي ولا مثلي على اليأس يَطْلب
ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سَبْسَب
لظلَّ صَدَى صوتي وان كنت رِمة ... لصوت صَدَى ليلى يَهَش ويَطْرَب

وقال وهي من مختار شعر هذيل

لليلى بذات البَين دار عرفتها ... وأخرى بذات الجيش آياتها عفْر
وقفت برَسْميها فلما تنكرا ... صَدَفت وعيني دمعها سَرب هَمْر
وفي الدمع ان كُذِّبتُ بالحب شاهد ... يبين ما أُخفي كما بَيَّن البدر
صبرت فلما غال نفسي وشفَّها ... عَجاريف[1] ماتأتي به غُلِب الصبر
اذا لم يكن بين الحبيبين رِدّة ... سوى ذكر شيء قد مضى درَس الذكر
اذا قلت هذا حين أسلو يَهيجني ... نسيم الصبا من حيث يَطَّلع الفجر
وانى لتعروني لذكراك فَتْرَة ... كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
صدقتِ أنا الصب المصاب الذي به ... تَباريح حب خامر القلبَ أو سحر
أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أغبِط الوحش ان أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذُّعْر
فياهجر ليلى قد بلغت بي المدى ... وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر
ويا حبها زدني جوًى كل ليلة ... ويا سلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فليست عشيات الحمى برواجع ... لنا أبداً ما أورق السَّلَمُ النَّضر
واني لآتيها وفي النفس هجرها ... بتاتاً لأُخرى الدهر ما وضح الدهر

(١) حوادث

فما هو الا أن أراها فُجاءة فأُبْهَتُ لا عُرْف لدىّ ولا نُكْر
تكاد يدى تَنْدى اذا ما لمستها وينبت فى أطرافها الورق الخضر

ومن قوله

بيد الذى شَعَف الفؤاد بكم فرجُ الذى ألقَى من الهم
همٌّ منَ آجلك ليس يكشفه الا مليك جائز الحكم
فاستيقني ان قد كَلِفْت بكم ثم افعلى ما شئت عن علم
ولَمَا بقيتِ ليبقَيَنَّ جوى بين الجوانح مُضْرِعٌ جسمى
ويُقِرّ عينى وهى نازحة ما لا يَقَرُّ بعين ذى الحلم
أطلال نعم اذ كلفت بها يادِينَ هذا القلب من نُعْم
ولو آنني أُسقى على سَقَمى بلَمَى عوارضها شفت سقمى
ولقد عجبت لنَيْل مقتدر يَسِطِ[1] الفؤاد بها ولا يُدْمى
يرمى فيجرحني برَمْيته فلو آننى أرْمِى كما يرمى
أو كان قلب اذ عزمت له صَرْمى وهجرى كان ذا عزم
أو كان لي غُنْم بذكركم أمسيت قد أثريت من غنمى

عبيد الله بن عتبة

هو عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود الهذلى من سعد بن هُذيل بن مدركة أحد وجوه الفقهاء الذين روى عنهم الفقه والحديث وهو أحد السبعة من أهل المدينة وهم (١) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (٢) عروة بن الزبير (٣) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام (٤) سعيد بن المسيب (٥) خارجة ابن زيد بن ثابت (٦) سليمان بن يسار (٧) وعبيد الله بن عبد الله ، وكان ضريراً

(١) وسطه يسطه حل وسطه

روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبى هريرة ، وكان ابن عباس يقدمه ويؤثره ، وروى عنه الزهرى وابن أبى الزناد وغيرهما من نظرائهما ، قال الزهرى كان عبيد الله بن عبد الله يلطف لابن عباس فكان يعزه عزاً ، وقال كنت أخدم عبيد الله حتى ان كنت لأستقى الماء الملح وان كان ليسأل جاريته فتقول غلامك الأعمش ، وقال أدركت أربعة بحور عبيد الله أحدهم ، وقال سمعت من العلم شيئاً كثيراً فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت في شِعْب من الشعاب فوقعت فى الوادى ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول ليت لى مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بدية ، وقال لوكان عبيد الله بن عبد الله حياً ماصدرت الاعن رأيه ولوددْت انلى بيوم من عبيد الله غرماً ، قال ذلك فى خلافته

دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله على عمر بن عبد العزيز وهوأمير المدينة فقال عروة لشيء حدّث به من ذكر عائشة وعبدالله بن الزبير سمعت عائشة تقول ما أحببت أحداً حبي عبد الله بن الزبير لا أعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوى ، فقال عمر انكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيباً ، فقال عروة بركة عائشة كانت أوسع من ألاّ يرى لكل مسلم فيها حق ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرحم والمودة التى لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحد ، فقال عمر كذبت ، فقال عروة هذا عبيد الله يعلم أنى غير كاذب وان من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين ، فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء ، فأفَّف بهما عمر وقال اخرجا عنى ، ثم لم يلبث أن بعث الى عبيد الله رسولا يدعوه لبعض ما كان يدعوه اليه فكتب اليه عبيد الله

لَعَمْرُ ابن ليلى وابن عائشة التى ... لمروان أدته أب غير زُمَّلِ
لوَانّهمُ عمًّا وجداً ووالداً ... تآسوا فسنوا سنة المتعطل
عذرت أبا حفص وان كان واحداً ... من القوم يهدى هديهم ليس يأتلى

ولكنهم فاتوا وجئت مصلِّياً تقرِّب اثر السابق المتمهل
وعمت فان تسبق فضيء مبرِّز جواد وان تُسبق فنفسك فاعذُل
فمالك بالسلطان أن تحمل القذى جفون عيون بالقذى لم تكحل
وما الحق أن تهوى فتُسعف بالذى هويت اذا ما كان ليس بأعدل
أبى الله والأحساب أن ترغم الخنا نفوس كرام بالخنا لم توكل

جاء الى عمر فاستأذن عليه فرده الحاجب وقال له عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو مختلٍ به ، فانصرف غضبان ، وكان فى صلاحه ربما صنع الأبيات فقال لعمر

أبِنْ لى فكن مثلى أو ابتغ صاحباً كمثلك انى تابع صاحباً مثلي
عزيز اخائى لا ينال مودتى من الناس الا مسلم كامل العقل
وما يلبث الفتيان أن يتفرقوا اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل

فأخبر عمر بأبياته فأرسل اليه يُقسم أنه ماعلم باتيانه ولا برد الحاجب اياه فعذره وأول هذه الأبيات

وانى امرؤ من يُصفِنى الود يَلْقَنى وان نزحت دار به دائم الوصل

ومنها

ولولا اتقائى الله قلت قصيدة تسير بها الركبان أبردُها يغلى
بها تنقض الأحلاس فى كل منزل وينفى الكرَى عنه بها صاحب الرحل
كفانى يسير اذ أراك بحاجتى كليلَ اللسان ما تُمِرّ وما تُحلى
تلاوذ بالأبواب منى مخافة الملامة والاخلاف شر من البخل

كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله يتجالسون بالمدينة زماناً ثم ان ابن حزم ولى امرتها وولى عراك القضاء وكانا يمران بعبد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان وكان ضريراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول

ألا أبلغا عنى عِراك بن مالك ولا تدَعا أن تثنيا بأبى بكر

فقد جعلت تبدو شواكل منكما ... كأنكما بي مُوقَران من الصخر
وطاوعتماني داعكا[1] ذا معاكة ... لعمري لقد أزرى ومامثله يُزرى
ولولا اتقائي ثم بقياي فيكما ... لَلُمتكما لوماً أحرّ من الجمر
فمسّا تراب الارض منها خلقتما ... ومنها المعاد والمصير الى الحشر
ولا تأنفا أن تسألا وتسلما ... فما خشي الانسان شراً من الكبر
فلو شئت أن أُلفي عدواً وطاعناً ... لألفيته أو قال عندي في السر
فان أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ... ضحكت له حتى يلِجّ ويستشري

ولعبيد الله شعر فحل جيد ليس بالكثير منه قوله

اذا كان لي سر فحدثته العدى ... وضاق به صدري فللناس أعذر
وسرك ما استودعته وكتمته ... وليس بسر حين يفشو ويظهر

وقوله لابن شهاب الزهري

اذا قلت أما بعد لم يُثنَ منطقي ... فحاذر اذا ما قلت كيف أقول
اذا شئت أن تلقى خليلاً مصافياً ... لقيت ، واخوان الثقات قليل

وأنشد لنفسه

لعمر أبي المُحصين أيام نلتقي ... لما لا نلاقيها من الدهر أكثر
يعدون يوماً واحداً ان أتيتها ... وينسَوْن ما كانت على الدهر تهجر
وان أُولع الواشون عمداً بوصلنا ... فنحن بتجديد المودة أبصر

ومن جيد شعره وسهله

أعاذل عاجلُ ما أشتهي ... أحب من الآجل الرائث
سأُنفق مالي على لذتي ... وأوثر نفسي على الوارث
أبادر اهلاك مستهلك ... لمالي أو عبث العابث

(١) الدعك الحمق والرعونة والمعك كالفرح الأحمق والمعاكة مصدره

وقوله يفتخر فى أبيات

اذا هى حلت وسط عوذ بن غالب فذلك وُدّ نازح لا أطالعه
شددت حيازيمى على قلب حازم كتوم لما ضُمَّت عليه أضالعه
أناجى رجالاً لست مطلعَ بعضهم على سر بعض ان صدرى واسعه
بنى لي عبد الله فى ذروة العلا وعُتْبة مجداً لا تزال مصانعه

وقوله وفيه غناء

ان يك ذا الدهر قد أضربنا من غير ذَحْل فربما نفعا
أبكي على ذلك الزمان ولا أحسب شيئاً قد فات مرتجعا
اذ نحن فى ظل نعمة سلفت كانت لها كل نعمة تبعا

قدمت امرأة من ناحية مكة من هذيل وكانت جميلة فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم ، فقال فيها

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجُدْت ولم يصعب عليك شديد
وحُبُّكِ يا أم الصبى مُدَلِّهِى شهيدي أبو بكر وانى شهيد
ويعلم وجدي القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفى سليمان علمه وخارجة يُبدي لنا ويُعيد
منى تسألي عما أقول فتخبري فالحب عندي طارف وتَليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيب ، فقال والله لقد أَمِنَ أن نسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها

والأبيات التي أولها

لعمرى لئن شطَّت بعثْمة دارُها لقد كدت من وشك الفراق أليح[1]

(١) أهلك

أروح بهمّ ثم أغـــدو بمثله ويُحسب أنى فى الثياب صحيح

قالها فى زوجة له كانت تسمى عَشْمة ، فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة منها قوله يذكر ندمه على طلاقها

كتمتَ الهوى حتى أضر بك الكتم ولامك أقوام ولومهمُ ظلم
ألا من لنفس لا تموت فينقضى عَناها ولا تحيا حياة لها طعم
أأترك اتيان الحبيب تأثماً الا ان هجران الحبيب هو الاثم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

ومما قاله فيها وغنى فيه

عفت أطلال عَشمة بالغميم فأضحت وهى موحشة الرسوم
وقد كنا نحـــل بها وفيها هضيم الكشح جائلة البَريم (١)

ومنه وفيه غناء

تغلغل حب عَشْمة فى فؤادي فباديه مع الخافي يســـير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم (٢) فالتأم الفُطور
أكاد اذا ذكرت العهد منها أطير لو أن انساناً يطير
غنى النفس ان أزداد حباً ولكنى الى صـــلة فقير
وأنفذ قادحاك سواد قلبى فأنت عليَّ ما عشـــنا أمير

فقيل له أتقول فى مثل هذا ؟ فقال فى اللدود (٣) راحة المفؤود

مات عبيد الله سنة ١٠٢ ويقال سنة ٩٩ أو سنة ٩٨

(١) الخلخال (٢) ليم أصله لئم أى شد وجمع والفطور جمع فطر بالفتح وهو الشق
(٣) اللدود بالفتح ما يصب بالمسعط من الدواء فى أحد شق الفم

أمية بن أبى عائذ

هو أمية بن أبي عائذ العَمْرى أحد بني عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيل شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأُموية وكان أحد مداحى بنى مَرْوان ، وله فى عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان قصائد مشهورة ، وفد الي عبد العزيز الى مصر قاصداً له ، وقد امتدحه بقصيدته التى أولها

ألا ان قلبي مع الظاعنينا حزين فمن ذا يعزى الحزينا
فيالك من رَوْعة يوْمَ بانوا بمن كنت أحسب ألا تَبِينا

وفيها يقول

الى سيد النـاس عبد العزيـــز أعملت للسير حَرْفاً أمونا
صُهابيـــة كعَلاة القُيو ن من ضرب جوهرها يخلصونا
اذا أزبدت من تبارى المطـــيّ خِلْتَ بها خَبَلاً أو جنونا
تؤم النواعش والفَرْقَدَيـــن تنضب للقصد منها الجبينا
الى معدن الخير عبد العز يز تبلغنا ظُلَّعاً قد حفينا
ترى الأُدْم والعِيس تحت المسو ح يَرْعُدن من عرق الأَيْن جونا
تســـير بمدحى عبد العزيـــز ركبان مكة والمنجدونا
محبَّرة من صريح الـكلا م ليس كما لفق المحدثونا
وكان امرأً سيداً ماجداً يُصفي الفنيق ويفنى الهجينا

وطال مقامه عند عبد العزيز وكان يأنس اليه ووصله صلات سنية فاشتاق الى البادية والى أهله فقال لعبد العزيز

متى راكب من أهل مصر وأهله بمكة من مصرَ العشيةَ راجع
بلى انهـا قد تقطع الخَرْق ضُمَّر تبارى السُّرى والمسعفون الزعارع

متى ما تَجزِها يا ابن مَرْوان تعترف بلاد سليمى وهى خَوْصاء ظالع
وباتت تؤمُّ الدار من كل جانب لتخرج واستدت عليها المصارع
فلما رأت ألاَّ خروج وانما لها من هواها ما تُجِنّ الأَضالع
تمطت بمجد سبطرى فطالعت وماذا من اللوح اليمانى تطالع

فقال له عبد العزيز اشتقت الى أهلك يا أمية ، قال نعم والله أيها الأمير ، فوصله وأذن له

ومما يغنى فيه من شعره يصف به ناقته

تمر كجَنْدِلة المنجنيق يُرْمَى بها السور يوم القتال
فماذا تُخَطْرِف[1] من قُلة ومن حَدَب وإكام تَوال
ومن سيرها العَنَق[2] المسبَطِرّ والعَجْرَفيَّة بعد الكَلال

ومنه

أفاطم حُييت بالأسعد متى عهدنا بك لا تَبْعَدى
تبارك ذو العرش ماذا نرى من الحسن فى جانب المسجد
فان شئت آليت بين المقا م والركن والحجر الأسود
أنساك ما دام عقلى معى أمد به أمد السرمد

(١) تخطرف الشيء اذا جاوزه وتعداه والقلة أعلى الجبل والجدب جدور فى صبب والاكام جمع أكمة (٢) العنق السير السريع والمسبطر الممتد والعجرفية مشى فيه خرق وقة مبالاة والكلال التعب

شعراء قريش

شعراء الحارث بن فهر

ابن هَرْمة

هو ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة من بنى الحارث بن فِهْر ، وفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يعد من قريش ، وقيس بن الحرث هم الخُلُج وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم فى بني الحرث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً ، وسموا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه من عدوان ومن بنى نصر بن معاوية ، وأهل المدينة يقولون انما سموا الخلج لانهم نزلوا بالمدينة على خلج وواحدها خليج فسموا بذلك ، ولهم بالمدينة عدد

كان لابراهيم عم يقال له هرمة الأعور فأرادت الخلج نفيه منهم فقال أمسيت ألأم العرب دَعِيَّ أدعياء ثم قال يهجوهم

رأيت بنى فِهْرٍ سِباطاً أكفهم ... فما بال أنبوبى أكفهم قُفْدا[1]

ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم ... من المجد الا دعوة ألحقت كدا

على ذى أيادى الدهر أفلح جدهم ... وخبتم فلم يصنع لكم جِدكم جَدا

جاء رجل من أسلم عبد الله بن حسن ببباديته وعنده ابن هرمة ، فقال ابن هرمة لعبد الله أصلحك الله سل الأسلمى أن يأذن لي أن أخبرك خبرى وخبره

(١) الأقفد الكز اليدين والرجلين القصير الاصابع والجمع قفد

فقال له عبد الله بن حسن ائذن له ، فأذن له الأسلمى ، فقال ابراهيم انى خرجت أصلحك الله أبغى ذَوْداً لي فأوحشت وتضيفت هـذا الأسلمى فذبح لي شاة وخبز لى خبزاً وأكرمنى ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ، ثم خرجت أيضاً فى بُغاء ذود لى فأوحشت فضفته فقرانى بلبن وتمر ، ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ثم خرجت فى بُغاء ذود لي فقلت لو ضفت هـذا الأسلمى فاللبن والتمر خير من من الطَّوَى ، فضفته فجاءنى بلبن حامض ، فقال الأسلمى قد أجبته أصلحك الله الى ماسأل فسله أن يأذن لى أن أخبرك لم فعلت ، فقال ائذن له ، فأذن له ، فقال الأسلمي ضافنى فسألته من هو ؟ فقال رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التى ذكر ووالله لو كان غيرها عندى لذبحته له حين ذكر أنه من قريش ، ثم غدا من عندى وغدوت على الحى فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ قلت رجل من قريش ، فقالوا لا والله ماهو من قريش ولـكنه دعى فيها ، ثم ضافنى الثانية على أنه دعى فى قريش فجئته بلبن وتمر وقلت دعى قريش خير من غيره ، ثم غدا من عندى وغدوت على الحى فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ قلت الرجل الذى قلتم عليه انه دعى فى قريش فقالوا لا والله ما هو بدعيّ فى قريش ولـكنه دعى أدعياء قريش ، ثم جاءنى الثالثة فقريته لبناً حامضاً ووالله لو كان عندى شر منه لقريته اياه ، فانخذل ابن هرمة وضحك عبد الله وضحك جلساؤه معه

لقى ابن ميادة ابن هرمة فقال ابن ميادة والله لقد كنت أحب أن ألقاك لابد من أن نتهاجى وقد فعل الناس ذلك قبلنا ، فقال ابن هرمة بئس والله ما دعوت اليه وأحببته وهو يظنه جاداً ، ثم قال له ابن هرمة أنا والله الذى أقول

انى لميمون جواراً وانني ... اذا زجر الطير العدا لمَشوم

وانى لملآن العِنان مناقل ... اذا ماونى يوماً أَلَفُّ سؤوم

فود رجال أن أمى تقنعت ... بشيب يُغَشّى الرأس وهى عقيم

فقال ابن ميادة وهل عندك جزاء ثكلتك أمك ؟ أنت ألأم من ذلك ما قلت الا مازحاً

امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ، فقال لا تقع مني هذه قال ويحك انها كثيرة ، قال ان أردت أن تهنيني فأبح لى الشراب فانى مغرم به ، قال ويحك هذا حد من حدود الله ، قال احتل لي يا أمير المؤمنين ، قال نعم ، فكتب الى والي المدينة من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين ، فجعل الجلواز [1] اذا مر بابن هرمة سكران قال من يشترى الثمانين بالمائة ؟

روى مصعب بن عبد الله عن أبيه قال لقيني ابن هرمة فقال لى يا ابن مصعب أتفضل علىَّ ابن أذينة أما شكرت قولى

فمالك مختلاً عليك خصاصة ... كأنك لم تنبت ببعض المنابت

كأنك لم تصحب شعيب بن جعفر ... ولا مصعباً ذا المكرمات ابن ثابت

يعني مصعب بن عبد الله ، فقلت يا أبا اسحق أقلنى وروّنى من شعرك ماشئت فانى لم أرو لك شيئاً ، فروانى عباسياته

مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحى وبعث اليه بالمديح مع ابن ربيح فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز وكان ابن هرمة مريضاً فقال قصيدته التى يقول فيها

انى دعوتك اذ جُفيت وشفَّنى ... مرض تضاعفنى شديد المشتكى

وحُبست عن طلب المعيشة وارتقت ... دونى الحوائج في وُعور المرتقى

فأجب أخاك فقد أناف بصوته ... يا ذا الاخاء ويا كريم المرتجى

ولقد جفأت صبيب عُكَّة [2] بيتنا ... ذوبا ومزت بصفوه عنك القذى

فخذ الغنيمة واغتنمنى انني ... غُنْم لمثلك والمكارم تشترى

لا ترمينّ بحاجتى وقضائها ... ضوج الحجاب كما رمى بى من رمى

فركب الى جعفر بن سليمان نصف النهار ، فقال ما نزعك يا أبا عبد الله فى

(١) الجلواز الشرطى (٢) العكة زقيق صغير للسمن وجفأ القدر أمالها وصب مافيها

هذا الوقت ؟ قال حاجة لم أر فيها أحداً أكفى منى ، قال وما هي ؟ قال قدمدحنى ابن هرمة بهذه الأبيات فأردت من أرزاقى مائة دينار ، قال ومن عندى مثلها ، قال ومن الأمير أيضاً ؟ فجاءت المائتا دينار الى ابن هرمة فما أنفق منها الا ديناراً واحداً حتى مات ورد الباقى الى ورثته

أصابت ابن هرمة أزمة فركب الى الحسن بن زيد ببطن أزهر فدخل المسجد فلما مالت الشمس خرج الحسين مشتملا على قميصه فقال لمولى له أذن فأذن ، ثم قال له أقم فصلى ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال مرحباً بك يا أبا اسحق ، قال نعم بأبى أنت وأمى أبيات قلتها ، وقد كان عبد الله وحسن وابراهيم بنو حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه ، فقال هاتها فقال

أما بنو هاشم حولى فقد قرعوا ... نبل الضباب التى جمعت فى قرن
فما بيثرب منهم من أعاتبه ... الا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلا من عطيته ... على هنٍ وهن فيما مضى وهن

قال حاجتك ، قال لابن أبى مضرس علىَّ خمسون ومائة دينار ، فقال لمولى له ياهيثم اركب هذه البغلة فأتنى بابن مضرس ، فما صلى العصر حتى جاء به فقال له مرحباً بك يا ابن أبى مضرس أمعك ذكر حقك على ابن هرمة ؟ قال نعم ، قال فامحه ، فمحاه ، ثم قال ياهيثم بع ابن أبى مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار وكل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً ، فانصرف من عنده فلقيه بعد ذلك محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة وقد بلغه الشعر فغضب لأبيه وعمومته فقال ويلك أنت القائل « على هن وهن فيما مضى وهن » فقال لا ولكنى الذى أقول لك

لا والذى أنت منه نعمة سلفت ... نرجو عواقبها فى آخر الزمن
لقد أتيت بأمر ما عمدت له ... ولا تعمده قولى ولا سننى

فكيف أمشي مع الأقوام معتدلا وقد رميت برىء العود بالأبَن
ما عيرت وجهه أم مهجنة اذا القتام تغشّى أوجه الهجن

وأم الحسن أم ولد ، قيل لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن والله ما أراد الفاسق غيرى وغير أخوى حسن وابراهيم وكان عبد الله يجرى على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه ، فأتاه يعتذر فنحي وطرد ، فسأل رجالا أن يكلموه فردهم ، فيئس من رضاه واجتنبه وخافه ، فمكث ما شاء الله ، ثم مر عشية وعبد الله على زَرْبِيّة فى ممر المنبر ولم تكن تبسط لأحد غيره فى ذلك المكان ، فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشى فكأن عبد الله رق له فأمر به فرد اليه فقال يافاسق ياشارب الخمر « على هنوهن » تفضل الحسن علىّ وعلى أخوى ، فقال بأبى أنت وأمى ورب هذا القبر ما عنيت الا فرعون وهامان وقارون أفتغضب لهم ، فضحك وقال والله ما أحسبك الا كاذبا قال والله ما كذبتك ، فأمر بأن ترد عليه جرايته

وقال وليس فيها حرف يعجم الا ما اصطلح عليه الكتاب من تصييرهم مكان الف ياء مثل أعلى فانها فى اللفظ بالالف وهى تكتب بالياء ومثل رأى ونحوهذا وهو فى التحقيق فى اللفظ بالألف وانما اصطلح الكتاب على كتابته بالياء

أرَسمُ سودة مَحْلٌ دارس الطلل معطل رده الأحوالُ كالحُلَل
لما رأى أهلَها سدوا مطالعها رام الصدود وعاد الود كالمَهَل
وعاد ودُّك داء لا دواء له ولو دعاك طَوال الدهر للرَّحَل
ما وصل سودة الا وصل صارمة أحلها الدهر داراً مأكل الوعل
وعاد أمواهها سُدْماً[1] وطار لها سهم دعا أهلها للصرم والعِلَل
صدوا وصدَّ وساء المرء صدهم وحام للورد رُدْهاً حومة العَلَل[2]

(١) مياه سدم متغيرة من طول المكث (٢) حومة الماء كثرته والعلل الشرب الثانى والرده مستنقع الماء

وحَلَّؤوه رِدَاها ماؤها عسل ... ما ماء رَدْه لعمر الله كالعسل
دعا الحمَام حماماً سد مسمعه ... لما دعاه ودهر طامح الأَمل
طموح سارحة حُومٍ ملمَّعة ... ومُمْرع السر سهل ما كد السهل
وحاولوا رد أمر لا مرد له ... والصَّرم داء لأَهل اللوعة الوُصُل
أحلك الله أعلى كل مكرمة ... والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهل موارده سَمْح مواعده ... مسود لكرام سادة حمل

كان المِسْور بن عبد الملك المخزومى يعيب شعر ابن هرمة وكان عالماً بالشعر والنسيب ، فقال فيه ابن هرمة

إياك لا أُلزمن لَحْيِيك من لُجُمى ... نكلاً ينكل قرَّاضاً من اللجم
يَدِقّ لَحْيِيك أو تنقاد متبعاً ... مشى المقيد ذي القِرْدان والحَلَم (١)
انى اذا ما امرؤٌ خَفَّت نَعامته ... إليَّ واستحصدت منه قوى الوَذَم (٢)
عقدت في ملتقى أَوداج لَبَّته ... طوق الحمامة لا يَبْلَى على القدم
انى امرؤٌ لا أصوغ الحَلْى تَعمله ... كفاى لكن لسانى صائغ القلم
ان الأَديم الذى أمسيت تَقْرِظه (٣) ... جهلاً لذو نَغَل باد وذو حَلَم
ولا يَئِطّ (٤) بأيدي الخالقين ولا ... أيدي الخوالق الا جيد الأَدَم

قال ابن هَرْمة ما رأيت أحداً قط أسخى ولا أكرم من رجلين ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وابراهيم بن طلحة بن عمرو ، أما ابراهيم بن طلحة فأتيته ، فقال أحسنوا ضيافة أبى اسحاق ، فأتيت بكل شىء من الطعام ، فأردت أن أنشده ،

---

(١) الحلم جمع حلمة وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله فاذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقاً ، والقردان واحده قراد وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه (٢) الوذم السيور بين آذان الدلو والعراقى (٣) قرظ الاديم دبغه بالقرظ ، والنغل مصدر نغل الاديم فسد دباغه والحلم مصدر حلم الاديم فسد فى العمل ووقع فيه دود فتثقب (٤) يئط يصوت والخالق من خلق الاديم قدره قبل أن يقطعه

فقال ليس هذا وقت الشعر ، ثم أخرج الغلام إليَّ رقعة ، فقال ائت بها الوكيل ، فأتيته بها ، فقال ان شئت أخذت لك جميع ما كتب به وان شئت أعطيتك القيمة ، قلت وما أمر لي به ؟ فقال مائتا شاة برِعائها وأربعة أجمال وغلام جمَّال ومظلة وما تحتاج اليه وقوتك وقوت عيالك سنة ، قلت فأعطني القيمة ، فأعطانى مائتى دينار ، وأما ابراهيم بن عبد الله فأتيته فى منزله بمُشاش على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان فدخل الى منزله ثم خرج إليَّ برزمة ثياب وصرة من دراهم ودنانير وحلى ثم قال والله ما أبقينا فى منزلنا ثوباً الا ثوباً نوارى به امرأة ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً ، وقال يمدح ابراهيم بن طلحة

أرقتني تلومني أم بكر ... بعد هُدْء واللوم قد يؤذيني
حذرتنى الزمان ثمت قالت ... ليس هذا الزمان بالمأمون
قلت لما هَبَّتْ تحذرنى الدهـ ... ـر دعى اللوم عنك واستبقيني
ان ذا الجود والمكارم ابرا ... هيمَ يَعنيه كل ما يَعْنيني
قد خبرناه فى القديم فألفينـ ... ـا مواعيده كعين اليقين
قلت ما قلت للذى هو حق ... مستبين لا للذى يُعطيني
نَصَحت[1] أرضَنا سماؤك بعدا ... لجَدْب منها وبعد سوء الظنون
فرعينا آثار غيث هَراقتـ ... ـه يدا مُحكَم القوى ميمون

كان السرى بن عبد الله باليمامة وكان يتشوق الى ابن هَرْمة ويحب أن يفد عليه ، فقيل له ما يمنعك أن تكتب اليه ؟ فيقول أخاف أن يكلفنى من المؤونة ما لا أطيق ، فكتب بذلك الى ابن هَرْمة ، فكره أن يقدَم عليه الا بكتاب منه ، ثم غلب فشخص اليه ومعه راويته ابن ربيح ، فقيل له ما يمنعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كُتب به اليك ؟ قال الذى منعه

(١) نصحت أمطرت

من الكتاب إليَّ ، ولما علم السرى بقدومه سر بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً ، ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ، وكان ابن هرمة قصيراً دميماً أريمص وكان راويته طويلاً جسيماً نقى الثياب ، فسلم على السرى ثم قال له أصلحك الله انى قلت شعراً أثنيت فيه عليك ، فقال أنشد ، فقال هذا ينشد ، فجلس ، فأنشده ابن ربيح قصيدته التى أولها

عوجا على ربع ليلى أم محمود ... كيما نسائله من دون عبّود
عن أم محمود اذ شط المزار بها ... لعل ذلك يشفى داء معمود
فعرجا بعد تغوير وقد وقفت ... شمس النهار ولاذ الظل بالعود
شيئاً فما رجعت أطلالُ منزلة ... قَفْر جوابا لمحزون الجوى مُودِ

ثم قال فيها يمدح السرى

ذاك السَّرِىّ الذى لولا تدفقه ... بالعرف مات حليف العُرْف والجود
من يعتمدك ابن عبد الله مجتمعاً ... لسَيْب عرفك يعمد خير معمود
يا ابن الأُساة الشُّفاة المستغاث بهم ... والمطعمين ذُرَى الكُوم القماحيد (١)
والسابقين الى الخيرات قومهمُ ... سبق الجياد الى غاياتها القُود
أنت ابن مسلَنْطَح البطحاء منبتكم ... بطحاء مكة لا روس القَراديد (٢)
لكم سقايتها قِدْماً ونَدْوتها ... قد حازها والد منكم لمولود
لولا رجاؤك لم تَعْسِف بنا قُلُص ... أجوازَ مهمهة قَفْر الصُّوَى (٣) بيد
لكن دعانى وميض لاح معترضاً ... من نحو أرضك فى دُهْم مناضيد

وأنشده أيضاً

أفي طَلَل قَفْر تحمل آهله ... وقفت وماء العين ينهلّ هامله

(١) ناقة مقحاد عظيمة السنام والجمع مقاحيد (٢) القردود ما ارتفع من الأرض وغلظ والجمع قراديد (٣) الصوى الاعلام

تسائل عن سلمى سفاهاً وقد نأت بسلمى نوى شحط فكيف تسائله
وترجو ولم ينطق وليس بناطق جواباً محيلٌ قد تحمل آهله
ونُؤْى كخط النون ما إن تبينه عفته ذيول من شمال تذائله[1]

ثم قال فيها

فقل للسَّرِيّ الواصل البرِّ ذى الندى مديحاً اذا ما بُثَّ صُدق قائله
جواد على العِلاَّت يهتز للندى كما اهتز عَضْب أخلصته صياقله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله فعاشوا وراح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خِدْنه ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا أرض حَجْر[2] وغيرها من الأَرض حتى عاش بالبقل آكله
وأنت ترجَّى للذى أنت أهله وتنفع ذا القربى لديك وسائله

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله « عوجا نُحَيّ الطلول بالكثب » يقول فيها يمدحه

دع عنك سلمى وقل مخبرة لما جد الجد طيب النَّسَب
مَحْض مصفَّى العروق يحمده فى العسر واليسر كل مرتغب
الواهب الخيل فى أَعِنَّتها والوصفاء الحسان كالذهب
مجداً وحمداً يفيده كرماً والحمد فى الناس خير مكتسب

فلما فرغ ابن ربيح قال السَّرِيّ لابن هرمة مرحباً بك يا أبا اسحاق ما حاجتك ؟ قال جئتك عبداً مملوكاً ، قل بل حراً كريماً وابن عمّ فما ذاك ؟ قال ما تركت لي مالاً الا رهنته ، ولا صديقاً الا كفته ، فقال له السرى وما

(١) الذألان الاسراع (٢) حجر مدينة اليمامة

دينك ؟ قال سبعمائة دينار ، قال قد قضاها الله جل وعز عنك ، فأقام أياماً ثم قال يتشوق الى بلده ويمدحه

أأَلحمامة فى نخـــل ابن هَدَّاج هاجت صبابةَ عانى القلب مهتاج
أم المخبِّر أن الغيث قد وضعت منه العِشار تماماً غير إخْداج[1]
شَفَّت شوائفها بالفَرْش من مَلل الى الأعارف من حزن فأوجاج
حتى كأن وجوه الأرض مُلْبَسة طرائقاً من سَدَى عَصْب وديباج

يقول فيها فى مدح السرى

أما السرى فانى سوف أمدحه ما المادح الذاكر الاحسان كالهاجى
ذاك الذى هو بعد الله أنقذنى فلست أنساه إنقاذي وإخراجى
ليث بحَجْر اذا ما هاجه فزع هاج اليـــه بإلجام واسراج
لاحبونك مما أصطفى مِدَحاً مصاحبات لعُمَّار وحجاج
أُسدى الصنيعة من بر ومن لطف الى قَرُوع لِباب الملك وَلَّاج
كم من يد لك فى الأقوام قد سلفت عند امرىء ذي غنى أوعند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار فى قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار يعرِّض[2] بها أهله ومائة دينار اذا قدم على أهله

اجتمع قوم من قريش فزاروا ابن هرمة ، فقال لهم ما جاء بكم قالوا سمعنا شعرك فدعانا اليك سمعناك تقول

ان امرأً جعل الطريق لبيته طُنُباً وأنـكر حقـــه للئيم

وسمعناك تقول

واذا تَنَوَّر طارق مستنبح نبحت فدلته علىَّ كلابى
وعَوَيْن يســتعجلنه فلقينه يضربنه بشراشر الأذناب

(١) الاخداج أن تلد قبل تمام خلقها (٢) أى يهدى لهم بها هدية والعراضة بالضم الهدية

وسمعناك تقول

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل
لا أُمتع العوذَ بالفصال ولا أبتاع الا قريبة الأجل

فقال أما سمعتم قول الله تعالى للشعراء «وأنهم يقولون ما لا يفعلون»

قال العباس بن عبد الملك وكان بخيلاً لا يحب أن يعطى أحداً شيئاً ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني ؟ فبلغ ذلك ابن هرمة وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان

ومعجبٍ بمديح الشعر يمنعه من المديح ثواب المدح والشفقُ
يا آبى المدح من قول يحبره ذو نيقة من حواشى شعره أنَق
انك والمدحَ كالعذراء يعجبها مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرَق

ثم قال يمدح عبد الواحد بن سليمان

أهل المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون اذا قالوا له صدقوا
لا يستقر ولا تخفى علامته اذا القنا شال فى أطرافها الحرَق
فى يوم لا مال عند المرء ينفعه إلا السنان وإلا الرمح والدَّرَق
يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق
يكاد بابك من جود ومن كرم من دون بوابه للناس يندلق
انى لأَطوِى رجالا أن أزورهم وفيهمُ عكَر الأَنعام والورق
طى الثياب التي لو كُشِّفت وجدت فيها العواوير فى التفتيش والخرق
وأترك الثوب يوماً وهو ذو سعَة وألبَس الثوب وهو الضيق الخلَق
اكرام نفسى وأنى لا يوافقني ولو ظَميت فحُمْتُ المشربُ الرَّنق

فلما قال هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد وهو أمير على الحجاز فأمر له

بثلثمائة دينار وخلعة موشية من ثيابه وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقحة ومائة شاة وسأله عما يكفيه كل سنة ويكفى عياله من البر والتمر ، فأخبره فأمر له بذلك أجمع لسنة ، وقال له هذا لك علىّ مادمت فى الدنيا واقتطعه الى نفسه وأنس به وقال له لست بمحوجك الى غيرى أبداً ، فلما عزل عبد الواحد عن المدينة تصدى للوالي مكانه وامتدحه ، ولم يلبث عبد الواحد أن ولى بعد ذلك وبلغه الخبر فأمر أن يحجب عنه ابن هرمة وطرده وجفاه ، فلم يدع بالمدينة وجيهاً ولا رجلا له نباهة وقدر من قريش إلا سأله أن يشفع له فى أن يعيده الى منزلته عنده فيأبى ذلك ، فلما أعوزته الحيلة أتى عبد الله بن حسن فقال يا ابن رسول الله ان هذا الرجل كان يكرمنى وأخذ علىّ ألا أمدح غيره فأعطيته بذلك عهداً ثم دعانى الشره والكد الى أن مدحت الوالى بعده وقص عليه القصة وسأله أن يشفع له فركب معه ، فلما دخل عبد الله بن حسن الى عبد الواحد قام فعانقه وأجلسه الى جنبه ثم قال له أحاجة غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ، قال كل حاجة لك مقضية الا ابن هرمة ، فقال له إن أردت ألا تستثني فى حاجتى فافعل ، قال قد فعلت ، قال فحاجتى ابن هرمة ، قال قد رضيت عنه وأعدته الى منزلته ، قال أفتأذن له أن ينشدك ؟ قال تُعفينى من ذلك ، قال أسألك أن تفعل ، قال ائتوا به فدخل عليه وأنشده قوله فيه وهى من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد شعر ابن هرمة

صرمت حبائلا من حب سلمى ... لهند ما عهدت لمستراح
فإنك ان تقم لا تلق هنداً ... وان ترحل فقلبك غير صاح
يظل نهاره يهذى بهند ... ويأرق ليله حتى الصباح
أعبد الواحد المحمود انى ... أغصّ حذار سخطك بالقراح
فشلّت راحتاى وجال مهرى ... فألقانى بمشتجر الرماح
وأقعدنى الزمان فبت صفراً ... من المال المعزّب والمراح

اذا نخمت غيرك فى ثنائى ... ونصحى فى المغيب وفى امتداحى
كأن قصائدى لك فاصطنعنى ... كرائم قد عُضِلن عن النكاح
فان أك قد هفوت الى أمير ... فعن غير التطوع والسماح
ولكن سقطة عيّت علينا ... وبعض القول يذهب فى الرياح
لعمرك انني وبنى عدى ... ومن يهوى رشادى أو صلاحي
اذا لم ترض عنى أو تصلنى ... لفى حين أعالجه مُتاح
وانك ان حططت اليك رحلى ... بغربىّ السَّراة لذو ارتياح
هششْت لحاجة ووعدت أخرى ... ولم تبخل بناجزة السراح
وجدنا غالباً خلقت جناحا ... وكان أبوك قادمة الجناح
اذا جعل البخيل البخل تُرْساً ... وكان سلاحه دون السلاح
فان سلاحك المعروف حتى ... تفوز بعِرض ذى شيم صحاح

ولما سمع عبد الله بن حسن قوله

وجدنا غالباً كانت جناحا ... وكان أبوك قادمة الجناح

غضب حتى انقطع زره ثم وثب مغضباً ، فأدركه ابن هرمة وقال له جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ، فقال ولكن لا جزاك الله خيراً ، أتقول لابن مروان « وكان أبوك قادمة الجناح » بحضرتى وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن على بن أبى طالب عليه السلام ، فقال جعلني الله فداك انى قلت قولا أخدعه به طلباً لدنياه ووالله ماقست بكم أحداً قط أفلم تسمعنى قد قلت فيها « وبعض القول يذهب فى الرياح » فضحك عبد الله وقال قاتلك الله ما أظرفك

ومن قوله يمدحه

أجارتنا رَوّحى نَغْمة ... على هائم النفس مهتاجها
ولا خير فى ود مستكره ... ولا حاجة دون انضاجها

يقول فيها يمدح عبد الواحد

كأن قتودى على خاضب ... زفوف العشيات هدّاجها
الى ملك لا الى سوقة ... كسته الملوك ذري تاجها
تحلى الوفود بأبوابه ... فتلقى الغنى قبل ارتاجها
بقرّاع أبواب دور الملو ... ك عند التحية ولّاجها
الى دارذى حسب ماجد ... حمول المغارم فراجها
ركود الجفان غداة الصبا ... ويوم الشمال وارهاجها
وقفت بمدحيه عند الحجا ... زأنشد بين حجاجها
اذا قيل من خير من يرتجى ... لمعترّ فهر ومحتاجها
ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بالجامها قبل اسراجها
أشارت نساء بنى غالب ... اليك به قبل أزواجها

ومن مدائح ابن هرمة لعبد الواحد

أجارتنا بذي نفر أقيمى ... فما أبكى على الدهر الذميم
أقيمى وجه عامك ثم سيرى ... بلا واهي الجوار ولا مُليم
فكم بين الأقارع فالمنقّى ... الى أُحُد الى أكناف ريم
الى الجمّاء من خد أسيل ... نقى اللوم ليس بذى كلوم
ومن عين مكحلة المآقى ... بلا كحل ومن كشح هضيم
أرقت وغاب عنى من يلوم ... ولكن لم أنم أنا للهموم
أرقت وشفّنى وجع بقلبي ... لزينب أو أُميمة أو رَعوم
أقاسى ليلة كالحول حتى ... تبدى الصبح منقطع البريم
كأن الصبح أبلق فى حُجول ... يشبّ وينقى ضرب الشكيم
رأيت الشيب قد نزلت علينا ... روائعه بحجة مستقيم
اذا ناكرته ناكرت منه ... خصومة لا ألدّ ولا ظلوم

وودعني الشباب فصرت منه كراض بالصغير من العظيم
فدع ما لا يرد عليك شيئاً من الجارات أو دِمَن الرسوم
وقل قولا تُطَبِّق مَفْصِليه بمدحة صاحب الرأى الصَّروم
لعبد الواحد الفَلَج المعلَّى علا خلق النفورة والخصوم
دعته المكرمات فناولته خطام المجد فى سن الفطيم

دخل ابن هرمة على المنصور وقال يا أمير المؤمنين انى قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله ، قال وماعسى أن تقول فيَّ بعد قول كعب الأشقرى في المهلب

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً غِزارا

فقال قد قلت أحسن من هذا ، فقال هات فأنشده

له لحظات عن حِفافَيْ سريره اذا كرَّها فيها عِقاب ونائل
فأم الذى أمنت آمنة الرَّدَى وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال له المهدى يا أمير المؤمنين قد تكلف فى سفره اليك نحوها ، فقال له المنصور يابني انى وهبت له ما هو أعظم من ذلك وهبت له نفسه أليس هو القائل يمدح عبد الواحد بن سليمان « اذا قيل من خير من يرتجى » الأبيات السابقة

ومما يغنى فيه من شعره

في حاضر لَجِب بالليل سامره فيه الصواهل والرايات والعكر (١)
وخُرَّد كلمها حور مدامعها كأنها بين كُثبان النَّقا البقر

مرت إبل لمحمد بن عمران تحمل علفاً ، فقال محمد بن عبد العزيز الزهرى لابن هرمة ألا تستعلف محمد بن عمران ؟ وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه ، فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولا حتى وقف على ابن عمران فأبلغه رسالته ، فرد اليه الابل بما عليها وقال ان احتجت الى غيرها زدناك ، فأقبل ابن هرمة على

(١) العكر بالتحريك ما فوق خمسمائة من الابل

محمد بن عبد العزيز فقال له اغسلها عني فانه ان علم أنى استعلفته ولا دابة لى وقعت منه فى سوءة ، قال بماذا ؟ قال تعطينى حمارك ، قال هو لك بسرجه ولجامه ، فقال ابن هرمة من حفر حفرة سوء وقع فيها

قال ابن هرمة

ومهما ألام على حبهم فانى أحب بنى فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنن القائمة

فلقيه بعد ذلك رجل فسأله من قائلها ، فشتم قائلها ، فقال له ابنه يا أبت ألست قائلها ؟ قال بلى ، قال فلم شتمت نفسك ؟ قال أليس أن يشتم الانسان نفسه خير من أن يأخذه ابن قَحْطَبَة

قال عمر بن عبد العزيز وافينا الحج فى عام من الأعوام الخالية فأصبحنا بالسيالة فاذا ابن هرمة يستأذن على أخى محمد بن عبد العزيز فأذن له ، فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله ألا أخبرك ببعض ما تستظرف ؟ قال بلى وربما فعلت يا أبا اسحق ، قال فانه أصبح عندنا ههنا منذ أيام محمد بن عمران واسمعيل بن عبد الله بن جبير وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين فاذا رسوله يأتينى أن أجب ، فخرجت حتى أتيته فأخبرنى بظَلَع جمليه وقال لي أردت أن أبعث الى ناضحين لي بعَمْق لعلى أوتى بهما الى هنا لأمضى عليهما و يصير هذان الظالعان الى مكانهما نفرغ لنادارك واشتر لنا علفاً واستلنه بجهدك فانا مقيمون ههنا حتى تأتى جمالنا ، فقلت له فى الرحب والقرب والدار فارغة وزوجته طالق ان اشتريت عود علف ، عندى حاجتك منه ، فأنزلته ودخلت الى السوق فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْل ولا جِداء ولا طُرفة ولا غير ذلك الا ابتعت منه فاخره و بعثت اليه به مع دجاج كان عندنا ، فبينا أنا أدور فى السوق اذ وقف علىَّ عبد لاسمعيل بن عبد الله يساومنى بحمل علف لي فلم أزل أنا وهو حتى أخذه منى بعشرة دارهم وذهب به فطرحه لظهره

وخرجت عند الرواح أتقاضى العبد ثمن حملى فاذا هو لاسمعيل بن عبد الله ولم أكن دريت ، فلما رآنى مولاه حيانى ورحب بى وقال هل من حاجة ياأباإسحق ؟ فأعلمه العبد ان العلف لى ، فأجلسنى فتغديت عنده ثم أمر لى مكان كل درهم منها بدينار وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد فبعثت الىّ بخمسة دنانير ، وراحوا وخرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائى وقلت عند ابن عمران عوض منها ، فأقام عندى ثلاثاً وأتاه جملاه فما فعل بى شيئاً ، فبينا هو يترحل وفي نفسه منى مالا أدرى به اذ كلم غلاماً له بشىء فلم يفهم ، فأقبل علىّ فقال ما أقدر على افهامه مع قعودك عندى والله آذيتني ومنعتنى ما أردت ، فقمت مغتماً بالذى قال حتى اذا كنت على باب الدار لقينى انسان فسألنى هل فعل الىّ شيئا ؟ فقلت أنا والله بخير اذ تلف مالى وربحت بدنى ، وطلع علىّ وأنا أقولها فشتمنى والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي وزعم أنه لولا احرامه لضربنى وراح وما أعطانى درهماً فقلت

يا من يُعين على ضيف ألمّ بنا ... ليس بذي كرم يرجى ولا دين
أقام عندى ثلاثاً سنة سلفت ... أغضيت فيها على الأقذاء والهُون
مسافة البيت عشر غير مشكلة ... وأنت تأتيه فى شهر وعشرين
لست تبالى فوات الحج ان بقيت ... ذات الكَلال وأسمنت ابن حرقين
تحدث النار عما فيك من كرم ... هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزُن ما تحوى وتجمعه ... أبا سليمان من أشلاء قارون
مثل ابن عمران آباء له سلفوا ... يجزون فعل ذوى الاحسان بالهُون
ألا تكون كاسمعيل ان له ... رأياً أصيلاً وفعلاً غير ممنون
أو مثل زوجته فيما ألم بها ... هيهات من أمها ذات النطاقين

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز نحن نعينك يا أبا اسحق (لقوله يامن يعين) قال قد رفعك الله عن العون الذي أريده ما أردت الا رجلا مثل عبدالله

خنزيرة وطلحة أطباء الكلبة يمسكونه لى وآخذ خوط سلمة فأوجع به خواصره ، ولما بلغ فى انشاده قوله « مثل ابن عمران آباء له سلفوا » قال عذراً الى الله تعالى واليكم انى لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله ، ونزل اليه اسمعيل بن جعفر فلم يكلمه حتى ضرب أنفه وقال له أفعنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يادعي ؟ فدخل القوم بينهما ، وجاء رسول محمد بن طلحة الى ابن هرمة يدعوه ، فذهب اليه فقال ما الذي يلغى من هجائك أبا سليمان ؟ والله لا أرضى حتى تحلف ألا تقول له أبداً الا خيراً وحتى تتلقاه فترضاه اذا رجع وتحتمل كل ما زل به اليك وتمدحه ، قال أفعل بالحب والكرامة ، قال واسمعيل بن جعفر لا تعرض له الا بخير ، قال نعم فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها ، واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران

ألم تر أن القول يخلُص صدقه ... وتأبى فما تزكو لباغ بواطله
ذممت امرأ لم يطْبَع الذم عرضه ... قليلا لدى تحصيله من يشاكله
فما بالحجاز من فتى ذا إمارة ... ولاشرف الا ابن عمران فاضله
فتى لا يطور الذم ساحة بيته ... وتشقى به ليل التمام عواذله

مدح ابن هرمة محمد بن عمران فألفاه راويته وقد جاءته عِير له تحمل غلة قد جاءته من الفُرع أو خيبر ، فقال له رجل كان عنده اعلم والله ان أبا ثابت عمران ابن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه ، فقال انما أراد أبو ثابت أن يعرضنى للسانه ، قودوا اليه القطار ، فقيد اليه

قدم جرير المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه فقال جرير القرشي أشعرهما والعربى أفصحهما

قال ابن هرمة يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله

ولما رأيت الحادثات كنفْنني ... وأورثنى بُؤسَى ذكرت أبا الحكم

سليل ملوك سبعة قد تتابعوا هم المصطفَوْن والمصفَّوْن بالكرم

فلاموه وقالوا أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا ؟ قال نعم ، وكانت له ابنة يلقبها عينة فقال

كانت عينة فينا وهي عاطلة بين الجواري فحلاها أبو الحكم

فمن لحانا على حسن المقال له كان المُليم وكنا نحن لم نُلَم

أرسل ابن هرمة الى عبد العزيز بن المطلب كتاباً يشكو فيه بعض حاله ، فبعث اليه بخمسة عشر ديناراً ، فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك ، فقال انا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب وكان عبد العزيز قد خطب امرأة من ولد عمر ، فردته ، فخطب امرأة من بني عامر بن لُؤَيّ فزوجوه ، فقال ابن هرمة

خطبت الى كعب فردوك صاغراً فحولت من كعب الى جذم عامر

وفي عامر عز قديم وانما أجازك فيهم هزل أهل المقابر

وقال فيه أيضاً

أبالبخل تطلب ما قدمت عرانين جادت بأموالها

فهيهات خالفت فعل الكرام خلاف الجمال بأبوالها

جلس ابن هرمة مع قوم على شراب ، فذكر الحكم بن المطلب فأطنب في مدحه ، فقالوا انك لتكثر ذكر رجل لو طرقته الساعة في شاة يقال لها غرّاء تسأله إياها لردك عنها ، فقال أهو يفعل هذا ؟ قالوا إيْ والله ، وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجَب ، وكانت في داره سبعون شاة تحلب ، فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدق الباب ، فخرج اليه غلامه ، فقال له أعلم أبا مروان بمكاني ، وكان قد أمر ألاَّ يحجب ابن هرمة عنه ، فأعلمه به فخرج اليه متشحاً فقال أفي مثل هذه الساعة يا أبا اسحاق ؟ فقال نعم جعلت فداك ولد لأخ لي مولود فلم تدِرَّ عليه أمه ، فطلبوا له شاة حلوبة فلم

يجدوها ، فذكرت شاة عندك يقال لها غراء ، فسألني أن أسألكها ، فقال أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ؟ والله لا تبقى في الدار شاة الا انصرفت بها ، سقهن معه يا غلام ، فساقهن ، فخرج بهن الى القوم ، فقالوا ويحك أي شيء صنعت ؟ فقص عليهم القصة ، وكان فيهن ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة

قال عمر بن أيوب الليثي شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكر ، فلما حضرت الصلاة تحرك فقال لي وهو يتوضأ ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أن الوليد قتل ، فرفع رأسه إليَّ وقال

وكانت أمور الناس مُنْبَتَّةَ القُوى فشد الوليد حين قام نظامها

خليفة حق لا خليفة باطل رمى عن قناة الدين حتى أقامها

ثم قال له إياك أن تذكر من هذا شيئاً فاني لا أدري ما يكون

كان ابن الأعرابي يقول ختم الشعر بابن هرمة

كان ابن هرمة مغرماً بالنبيذ فمر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد دخلوا اليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها ، فقال لهم أنا في طلب مثلها منذ دهر أما سمعتم قولي

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا ليس يفلح والله هذا أبداً

أنشد لابن هرمة

ما أظن الزمان يا أم عمرو تاركاً ان هلكت من يبكيني

فكان كذلك لقد مات فما كان يحمل جنازته الا أربعة نفر حتى دفن بالبقيع

ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها

ان الغواني قد أعرضن مقلية لما رمى هدفَ الخمسين ميلادي

ثم عمر بعدها مدة طويلة

شعراء عامر بن لؤى

ابن قيس الرقيات

هو عبد الله بن قيس العامرى من عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ، وانما لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية ، وهو شاعر قريش فى الاسلام.

أتى الى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى فقال له يا عمي انى قد قلت شعراً فاسمعه فانك ناصح لقومك فان كان جيداً قلت وان كان رديئاً كففت ، فقال له أنشد ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

علل القوم يشربوا ... كي يلذّوا ويطربوا
انما ضلل الفؤا ... د غزال مربرب
فرشته على النما ... رق سعدي وزينب
منع اللهو والهوى ... وسُرَى الليل مصعب
وسياط على أكفّ ... رجال تقلب

فقال له يا ابن أخى قل فانك شاعر ، وهذه الأبيات يقولها فى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان مروان بن الحكم لما ولى المدينة ولاه شرطته ، فقال انى لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالاً من غيرها ، فأعانه بمائتى رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطاً شديداً ، فدخل المِسْوَر بن مَخْرمة على مروان فقال أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب ؟ فقال

ليس بهذا من سياق عتب ... يمشى القطوف وينام الركب

وبقى الى أن ولى عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير ،

فقال له عمرو اهدم دور بني هاشم وآل الزبير ، فقال لا أفعل ، فقال انتفخ سَحْرُك يا ابن أم حريث أَنْق سيفنا ، فألقاه ولحق بابن الزبير ، وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كل مبلغ وهدم دار ابن مطيع التى يقال لها العَتقاء ، وضرب محمد بن المنذر مائة سوط ، ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه ، فقال له محمد أتضرب عروة ؟ فقال نعم الا أن تحتمل ذلك عنه ، فقال أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه ، وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه الى ابن الزبير وكان المسور ابن مخرمة أحد من هرب منه ، ولما أفضى الأمر الى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين وقال للناس ان عمراً مات مرتداً عن الاسلام

وكان ابن قيس زبيرى الهوى وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك ، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله هرب فلجأ الى عبد الله بن جعفر فسأل عبد الملك في أمره فأمنه ، قال ابن قيس خرجت مع مصعب حين بلغه شخوص عبد الملك اليه ، فلما نزل مصعب بمَسكِن ورأى معالم الغدر ممن معه دعا بمال ومناطق فملأ المناطق من ذلك المال وألبسنى منها وقال لي انطلق حيث شئت فانى مقتول ، فقلت له لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك ، فأقمت معه حتى قتل ، ثم مضيت الى الكوفة فأول بيت صرت اليه دخلته فاذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان ، فرقيت فى درجة لها الى مشربة فقعدت فيها ، فأمرت لي المرأة بما أحتاج اليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقيم لي ما يصلحنى وتغدو عليَّ فى كل صباح فتسألنى بالصباح والحاجة ولا تسألنى من أنا ولا أسألها من هى وأنا فى ذلك أسمع الصياح فيَّ والجعل ، فلما طال بى المقام وفقدت الصياح فيَّ وغرِضت بمكانى غدت عليَّ تسألني بالصباح والحاجة ، فعرفتها أنى قد

غرضت وأحببت الشخوص الى أهلي ، فقالت لي نأتيك بما تحتاج اليه ان شاء الله تعالى ، فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رَقِيت إليَّ وقالت اذا شئت ، فنزلت ، وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج اليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك ، فركبت وركب العبد معي حتى طرقت أهل مكة ، فدققت منزلي ، فقالوا من هذا ؟ فقلت عبد الله بن قيس الرقيات ، فولولوا وبكوا وقالوا ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت ، فأقمت عندهم حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة ، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يعشي أصحابه ، فجلست معهم وجعلت أتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي فقال ابن قيس ؟ قلت ابن قيس جئتك عائذاً بك ، قال ويحك ما أجدّهم في طلبك وأحرصهم علي الظفر بك ولكني ساً كتب الى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك أرق شيء عليها ، فكتب اليها يسألها أن تشفع الى عمها وكتب الى أبيها يسأله أن يكتب اليها كتابا يسألها الشفاعة ، فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها هل من حاجة ؟ فقالت نعم لي حاجة ، فقال قد قضيت كل حاجة لك الا ابن قيس ، فقالت لا تستثن عليَّ شيئاً ، فنفح بيده فأصاب خدها ، فوضعت يدها على خدها ، فقال لها يا ابنتي ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة لك وان كانت ابن قيس ، فقالت ان حاجتي ابن قيس تؤمنه فقد كتب إليَّ أبي يسألني أن أسألك ذلك ، قال فهو آمن فمريه يحضر مجلسي العشية ، فحضر ابن قيس وحضر الناس حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له فلما دخل عليه قال يا أهل الشام أتعرفون هذا ؟ قالوا لا ، قال هذا عبد الله بن قيس الرقيات الذي يقول

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشامَ غارة شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن بُراها العقيلةُ العذراء

فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هـذا المناغق ، قال الآن وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطي قد أخرت الاذن له لتقتلوه فلم تفعلوا ، فاستأذنه ابن قيس أن ينشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها

عاد له من كثيرة[1] الطرب فعينـــه بالدموع تنسكب
كوفيـــة نازح محلتها لا أَمَم[2] دارها ولا صَقَب
والله ما ان صَبَتْ إليَّ ولا ان كان بيني وبينها سبب
الا الذى أورثت كثيرة فى الـــقلب وللحب سَوْرة عجب

حتى قال فيها

ما نقموا من بني أمية إلـــا أنهم يحلُمون ان غضبوا
وانهم سادة الملوك فمـــا تصلح الا عليهم العرب
ان الأَغر الذى أبوه أبوالـــعاصى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فوق منبره جفت بذاك الأقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرِقه على جبين كأَنه الذهب

فقال له عبد الملك يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأَنى من العجم وتقول فى مصعب

انما مصعب شهاب من اللَّـــه تجلت عن وجهه الظلماء
ملـكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأَمان فقد سبق لك ولـكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً ، فقال ابن قيس لعبد الله بن جعفر ما نفعني أمانى تركت حياً كميت لا آخـذ مع الناس عطاء أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر كم بلغت من السن ؟ قال ستين سنة ، قال تعمر نفسك ، قال عشرين سـنة من ذي قبل فذلك ثمانون سنة ، قال كم

(١) هى الكوفية التى آوته (٢) يقول انها ليست بقريبة والصقب الملاصقة

عطاؤك ؟ قال ألفا درهم ، فأمر له بأربعين ألف درهم وقال ذلك لك عليَّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك ، فعند ذلك قال ابن قيس يمدح عبد الله

تقدَّت[1] بى الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الله انه ... تجود له كف بطىء[2] غِرارها
أتيناك نُثني بالذى أنت أهله ... عليك كما يثنى على الروض جارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر ... لكان قليلاً فى دمشق مزارها
فان مت لم يوصل صديق ولم تقُم ... طريق من المعروف أنت منَارها
ذكرتك أن فاض الفُرات بأرضنا ... وجاش بأعلى الرقمتين بحارها
وعندى مما خوَّل الله هَجْمة ... عطاؤك منها شوْلها[3] وعِشارها
مباركة كانت عطاء مبارك ... تمانح كبراها وتَنْمى صغارها

ومن قوله يمدحه

اذا زرت عبد الله نفسى فداؤه ... رجعت بفضل من نداه ونائل
وان غبت عنه كان للود حافظاً ... ولم يك عنى فى المغيب بغافل
تداركنى عبد الاله وقد بدت ... لذى الحقد والشَّنْآن منى مقاتلى
فأنقذنى من غَمْرة الموت بعد ما ... رأيت حياض الموت جُمّ المناهل
حبانيَ لما جئته بعطيـــة ... وجارية حسناء ذات خلاخل

---

(١) تقدت سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطىء وهذا البيت مما عيب على ابن قيس لانه نقض صدره بعجزه فقال فى أوله سار سيرا بغير عجل ثم قال سواء عليها ليلها ونهارها وهذا غاية الدأب فى السير فناقض معناه فى بيت واحد وأنشد ابن أبى عتيق هذا البيت فقال كانت هذه فيما أرى عمياء (٢) يعنى ان منعها المعروف بطىء وأصل الغرار أن تمنع الناقة درتها ثم يستعار فى كل ما أشبه ذلك (٣) الشول النوق التى شالت بأذنابها وكرهت الفحل وذلك حين تلقح واحدتها شائل

ومن قوله فى كثيرة

ظعنت لتحزُننا كثيرة ولقد تكون لنا أميرة
أيام تلك كأنها حوراء من بقر غريرة
شبت (١) أمام لِداتها بيضاء سابغة الغديرة
رَيَّا الروادف غادة بين الطويلة والقصيرة
حلت فلاليح السوا د وحل أهلي بالجزيرة
صفراء كالسِّيراء لم تشمِط عذوبتها بحورة (٢)
من نسوة كالبَيض فى الـ ـأدْحِيِّ بالدَّمَث المطيرة
لم يصطلين غداً ولم يضربن للبَهْم الحظيرة
جبْن (٣) الفروج من المرا جل والمضلعة المَنيرة
فوق الجلود يفوح فى أردانها عبَق الذَّريرة
انى امرؤ لا يزدرى دفعى عن أعراض العشيرة
فى بيتها حسباً ومن أخلاق صالحها سريرة
أنفى القراقير الصغا ر وأحطم الفلك الكبيرة
أمى لقيس في الذرى وأبى لعاتكة المهيرة
بنت العواتك من بنى ذَكوان لا عَدْمَى فقيرة
فى بيتها عدد الرجا ل وحولها مُضَر الكبيرة
بنيت عليها مثل ما بنيت على البيت الضفيرة (٤)
تدعو فيأتيها بها الـ ـجرد البهاليل الذكورة
بالمرد والشَّمْط المحـ ـزَّبة الخضارمة المغيرة

(١) سبقت بالشباب (٢) مرارة (٣) جبن قطعن والمراجل ضرب من البرود والمضلعة المسيرة والمنير من النير (٤) حجارة تبنى تمنع السيل من الماء مثل المسقاة

يخطِفْن أنفاساً كما خطفت أرانبها الصقورة
وأَرومة عادية فيها وقبْص[1] حصًى كثيرة
أي امرىء حقر الرجا ل فنفسه تلك الحقيرة
بل رب دنيا قد رأيت كبيرة حقاً مزِيرة
فأخال ذلك باطلاً ما لم يكن عملاً ذخيرة

ومن قوله فيها

لجِجْت بحبك أهل العراق ولولا كثيرة لم تلجَج
فليت كثيرة لم تلقنى كثيرة أخت بني الخزرج
وما كلمتنا ولكنها جلَت فرقة القمر الأبْلج
تخاف كثيرة من حولها وتقتل بالنظر الأدعج
فكدت أموت وقد حملت خطيئته ربَّة الدُّمْلُج

جاء ابن قيس سعيد بن المسيب فهش وقال مرحباً بظفر من أظفار العشيرة ما أحدثت بعدى ؟ قال قد قلت أبياتاً واستفتيتك فى بيت منها فاسمعها ، قال هات ، فأنشده

هل للديار بأهلها علم أم هل تُبين فينطق الرسم
قالت رُقَيَّة فيم تَصْرِمنا أرُقَىَّ ليس لوجهك الصَّرم
تخطو بخلخالين حشوهما ساقان مارَ عليهما اللحم
ياصاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا فى البكا اثم

فقال سعيد لا والله ما أبكانى ، فقال ابن قيس

بل ما بكاؤك منزلا خلَقاً قفراً يلوح كأنه رسم

قال سعيد اعتذر الرجل ، ثم أنشد

(١) والقبص العدد الكثير

أتلبث فى تكريت لافى عشيرة شهود ولا السلطان منك قريب
وأنت امرؤ للحزم عندك منزل وللدين والاسلام منك نصيب

قال سعيد لايقام على ذلك فاخرج منهـا ، قال قد فعلت ، قال قد أصبت أصاب الله بك

قال سعيد بن سلم دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق وانه لمعتمر اذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه فسلمنا عليه فرد سلامنا ، ثم قال لنوفل يا أبا سعيد من أشعر أشاعرنا أم شاعركم ؟ « يعنى ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة » فقال نوفل حين يقولان ماذا يا أبامحمد ؟ قال حين يقول صاحبنا

خليلىّ ما بال المطىّ كأنمـا تراها على الأدبار بالقوم تنكُص
وقد أبعد الحادى سُراهن وانتحى لهن فما يألو عجول مقلّص
وقد قطعت أعناقهن صبابة فأنفسها ممـا تُكلّف شُخّص
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ما شئت ، فقال له نوفل صاحبكم أشهر بالقول فى الغزل أمتع الله بك وصاحبنا أكثر أفانين شعر ، قال صـدقت ، فلما انقضى ما بينهما جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة ، فلما انصرفنـا قلت لنوفل أتراه يستغفر الله من انشاد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال كلا هو كثير الانشاد والاستنشاد للشعر فيه ولـكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه

ومن قوله وفيه غناء

أمست رقية دونها البشر فالرقة البيضـاء فالغمر

ومنـه

رُقَيَّ بعيشك لا تهجرينا ومنينا المني ثم امطلينا
عدينا فى غد ان شئت إنا نحب وان مطلت الواعدينا

فاما تُنجزي وعدي واما نعيش بما نؤمل منك حينا
أغرك انني لاصبر عندى على هجر وانك تصبرينا
ويوم تبعتكم وتركت أهلى حنين العَود يتبع القرينا

ومنه

رقيـة تيمت قلبى فوا كبدى من الحب
نهـانى اخوتى عنها وما بالقلب من عتب

ومنه

حب ذاك الدلال والغَنَج والتى فى عينها دَعَج
والتى ان حدثت كذبت والتى فى وعدها خَلَج
وترى فى البيت صورتها مثل ما فى البيعة السُّرُج
خبرونى هل على رجل عاشق فى قُبـلة حرج

ومنه

قد أتانا من آل سُعْدى رسول حبـذا ما يقول لي وأقول
من فتاة كأنها قَرْن شمس ضاق عنها دمالج وحجول
حبـذا ليلتى بمرة كلب غال عنى بها الـكوانين غول

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان وكتب الى عبد العزيز يسأله ذلك فامتنع عليه وكتب اليه يقول له « لي ابن ليس ابنك أحب الىَّ منه ، فان استطعت ألا يفرق بيننا الموت وأنت لى قاطع فافعل » فرق له عبد الملك وكف عن ذلك فقال عبد الله بن قيس فى ذلك

يخلُفُك البيض من بنيك كما يخلف عود النَّضار فى شعبه
ليسوا من الخِرْوع الضعيف ولا أشباه عيـدانه ولا غَرَبه
شُمّ العرانين ينظرون كما جَلَّت صقور الصلب من حدبه (١)

(١) جات نظرت والصلب موضع وحدبه ما ارتفع منه

نحن على بيعة الرسول وما أعطيت من عجمه ومن عربه
بها نُصرنا على العدو ونر عى الغيب فى نأيه وفي قُرْبه
فأتى اذا ما دعوت فى الزَّغَف لـــمسرود ابدانه وفى حُبَبه
يهدى رِعالا أمام أرعن لا يعرف وجه البلقاء فى لجبه

فقال عبد الملك لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلا ضيقاً وتهدده وشتمه وقال أليس هو القائل

على بيعة الاسلام بايعن مُصْعَبا كراديس من خيل وجمعاً مباركا
تدارك أخرانا وتمضى أمامنا ويتبع ميمون النقيبة ناسكا
اذا فرغت أظفاره من كتيبة أمال على أخرى السيوف البواتكا

فلما بلغ عبد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال

بشر الظبي والغراب بسُعْدَى مرحباً بالذى يقول الغراب
قال لى ان خير سعدي قريب قد أنى أن يكون منه اقتراب
قلت أنى يكون ذاك قريباً وعليه الحصون والأبواب
حبذا الرِّيم ذو الوشاحين والقَصْـــر الذى لا تناله الأسباب
ان فى القصر لو دخلت غزالا مصفقاً موصداً عليه الحجاب
أرسلت أن فدتك نفسى فاحذر ههنا شرطة عليك غضاب
أقسموا ان رأوك لا تطعم الما ء وهم حين يقدرون ذئاب
قلت قد يغفل الرقيب ويُغْفِي شُرْطة أو يحِنْ منها انقلاب
وعسى الله أن يؤتى أمراً ليس فيه على المحب ارتقاب
لرجعي فاقرئى السلام عليها ثم ردى جوابنا يا رَباب
حدثيها ما قد لقيت وقولى حق للعاشق الكريم ثواب
رجل أنت همه حين يُمْسِى خامرته من أجلك الأوصاب
لا أشَمّ الريحان الا بعيني كرماً انما تشَم الكلاب

ربَّ زارٍ عليَّ لم يَرَ مني عثرة وهو مِمأس كذاب[1]
خادع الله حين جلله الشيـــب فأضحى قد بان منه الشباب
يأمر الناس أن يَبَرُّوا وينسى وعليه من كِبْرة جِلْباب
استفيقن فليس عندك علم لا تنامنّ أيهـا المغتاب
أيهـا المستحل لحمي كله من ورائي ومن وراك الحساب
تخِتل الناس بالـكتاب فهلا حين تغتابني نهاك الـكتاب
لست بالمُخْبت التقي ولا المحـــض الذي لا تزِيمه الأَنساب
انني والتي رمت بك كرهاً ساقطاً خلفها عليك التراب
لتـلومن غِبّ رأيك فينا حين تبقى بعرضك الأَندابِ

ومن قوله يصف الثُّرَيا بنت عبد الله

يا سليمان إن تلاق الثريا تلق عيش الخلود قبل الهلال
حبذا الحج والثريا ومن بالـــخَيف من أجلها ومُلْقى الرحال
دُرة من عقائل البحر بكر لم تنلها مثاقب اللآّل[2]
تعقد المئزر السُّخام من الخـــز على حَقْو بادن مِكْسال
قطنت مكة الحرام فشطت وعدتني نوائب الأَشغال

ومن قوله

بكرت على عواذلي يلحَيْنَني وألومهنـه
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنَّهْ[3]
ان العواذل لمنني ولن أطيع أمورهنه
فيما أُفيد من الغنى والله سوف يُبينهنّه
ولقد عصيت الناهيا ت النائرات جيوبهنه

(١) المأس النمام (٢) الذى يثقب اللؤلؤ (٣) نعم

حتى ارعويت الى الرشا ... د وما ارعويت لنهيهنه
ووجدت مسكا خالصاً ... قد ذرّ فوق عيونهنه
واذا تُضمَّخَ بالعبيـ ... ـر الوَرْدزان وجوههنه
يخفين فى المشى القريـ ... ـب اذا يزرن صديقهنه
وبنات كسرى فى الحريـ ... ـر عوامل يخدُمنهنه
متعطفات بالبرو ... دعلى البغال وفُرْهنه
واذا قعدن على البغال ... مَلَت ظهور بغالهنه

ومن قوله

أم البنين سلبتني حلمى ... وقتلتني فتحملى اثمى
وتركتني أدعوالطبيب وما ... لطبيبكم بالداء من علم
بالله يا أم البنين ألم ... تخشَىْ عليك عواقب الاثم
لله درُّك فى ابن عمك إذ ... زودته سقَماً على السقُم
وتركته يمشى وليس له ... عقل يعيش به مع الحزم
جنيَّة الأعلى وأسفلها ... وَحِل موزَّرة من اللحم
وبوجهها ماء الشباب ولم ... تُقْبَلْ (١) بملعون ولاجَهْم
لم تدر ما نَدْهُ الجمال ولم ... تَرْبِق (٢) بربق أول البَهْم

ومن قوله يمدح سلاَّمة القس وريا

لقد فتنت رَيَّا وسلامة القسَّا ... فلم تتركا للقسّ عقلا ولا نفسا
فتاتان أما منهما فشبيهة الـ ... ـهلال وأخرى منهما تشبه الشمسا
فتاتان فى سعد السعود ولدتما ... ولم تلقيا يوماً هواناً ولا نحسا
تُكِنَّان أبشاراً رقاقاً وأوجهاً ... عتاقاً وأطرافاً مخضَّبَة مُلْسا

(١) أى لم تتلق عند ولادتها (٢) أى لم تشده والربق الحبل

ومن قوله فى عائشة بنت طلحة

ان الخليط قد آزمعوا تركي ... فوقفت فى عَرَصاتهم أبكي
جنِّية خرجت لتقتلنا ... مطلَّية الأَقراب[1] بالمسك
قامت تحيينى فقلت لها ... ويلى عليك وويلتى منك
عجباً لمثلك لا يكون له ... خَرْج العراق ومنبر الملك
ترمى لتقتلنا بأسهمها ... ونُزِنُّها[2] بالحلم والنسك
يا حبذا أم البنين على ... ما كان من بذل ومن ترك
ان تُسلمي نُسلم وان تدَعى الـ ... إسلام لانخذُلك فى الشرك

ومن قوله يمدح بني أمية

تقول سلمى ألا تنام اذا ... نمنا ؟ فقلت الهمومُ والأَرَق
تمنعنى وادِّكار نصر بنى ... عمىَ اذ جارانيَ الرَّهَق
يا سلم نأى الديار عن بلد الـ ... ـوالد ذل ورحبها ضَيَق
لو كان حولى بنى أمية لم ... ينطق رجال اذا همُ نطقوا
ان جلسوا لم تضق مجالسهم ... أو ركبوا ضاق عنهم الأُفق
بالخيل والرَّجْل والزُّهاء ترى ... تخفق أوساط غابه الخِرَق
قد كنت في معشر أَعِزّ بهم ... فى حلق من ورائهم حلَق
كم فيهمُ من فتى أخى ثقة ... عن منكبيه السربال منخرق
يمشى الى الموت حين يُبصره ... كما مشى فحل صِرْمة حنِق

ومن قوله يشبب بأم البنين

أصحوت عن أم البنـ ... ـين وذكرها وعنائها
وهجرتها هجر امرىء ... لم يقْلِ حمل اخائها

(١) جمع قرب بالضم وهو الخاصرة (٢) نتهمها

من خيفة الأعداء أن يوهوا أديم صفائها
قرشية كالشمس أشـــرق نورها ببهائها
زادت على البيض الحســـان بحسنها ونقائها
لما اسبكرّت للشبا ب وقنعت بردائها
لم تلتفت للِداتها ومضت على غُلوائها

ثم وصل هذه الأبيات بأبيات يمدح بها عبد الملك فقال

أنت ابن مُعتلَج البطا ح كديّها فكَدائها
فالبيت ذى الأركا ن فالمستنّ من بطحائها
فمحل أعـــلاها الى عرَفاتهـــا فخِرائها
من سرها فيها ومعـــدن برها ووفائها
أوفى قريش بالعـــلا فى حكمها وقضائها
وأشـــدها آخيّة فى عزها وثَرائها
وأمدها عند العلا كنفاً بحبل رِشائها
ولأنت أعلمها بها وأصحها عن دائها
وأتمها نســـباً اذا نسبت الى آبائها
ولبطن عائشـــة التى فضلت أروم نسائها
متعطَّف الأعياص حو ل سريرها وفِنائها
ولدت أغرّ مباركاً كالبدر وسط سمائها
فى ليلة لا نحس في سَحَريّها وعِشـــائها
لن البلاد سوى بلا دك ضاق عرض فضائها
فاجمع بَنِيَّ الى بنيـــك فأنت خير رِعائها
نشهدك منـا مشهداً ضَنْكاً على أعدائها

نحن الفوارس من قريـــش يوْم جِدّ لقائها
وأعـــدها رِفْدًا اذا رَفَدت (١) بِرَفد انائها
وأعمهـــا بسِجالها وأضنّهـــا بدمائها
وأَحشّها للنار ليـــلة صِرِّها وشـــتائها
حين القَتار الى الفتا ة أحب من أحمائها

ولما قال « ولبطن عائشة » قال له عبد الملك قل « ولنسل عائشة » فقال لا بل « ولبطن عائشة » حتى ردد ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى الا « ولبطن عائشة ». وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن العاصى بن أمية

وقال فيها

بان الخليط الذى به نثق واشتد دون المليحة القلق
من دون صفراء فى مفاصلها لين وفى بعض بطشها خُرُق
قد تفرَق الله فى المحارم أو تعجز فى نفسها فتنمحق
انى لأُخلى لها الفراش اذا قَصَّع (٢) فى حُضن عِرسه الفَرِق
من غير بغض لها لدىّ ولـــكن ذاك منى سجية خلق
لست بجَشّامة له كَرِش يأكل ما اسطاع ثم يغتبق
قد بَرِمت عرسه بمضجعه ودت لو ان العِجَوّل ينطلق
يظَلّ ينفى الوليد عن عُقَب الـــقِدر قليل الحياء منسحق
ليس عَسٍ أن يقال مر به أفراس صدق وأَينق عُتُق
اما بجـاه الى الملوك وامـــا فى ظلال الرايات تختفق
تُمَّت أُلُفى لدى قراعهمُ يحمل بَزّى ذو مَيعة تئق
طِرْف لديه الجياد متعبة ساطٍ اذا ما يُبلّه العرق

(١) الرفد بالكسر القدح والرفد بالفتح المصدر فجعله اناء (٢) قصع تلفف

ومن قوله يمدح عبد العزيز بن مروان من قصيدة أولها

طرقته أسماء أم حلما أم لم تكن من رجالنا أمما

يقول فيها

فُجعت بالغرّ من أمية حا شى واحداً نجتلى به الظلما
أعني ابن ليلى عبد العزيز ببا ب اليون[1] تغدو جفانه رُذُما
يلتفت الناس حول منبره اذا عمود البرية انهدما
مجرّب الحزم فى الأمور وان خفّت حلوم بأهلها حَلُما
يذهب الحمد باليدين كما ذاهب فرسانُ غارةٍ نَعَما
أغر أشياخه العُصاة[2] بنو أمية المرغمون من رغما
أشياخ صدق نموا بمعتلج البطحاء كانوا لقومهم عصما
نالوا مواريث من جدودهمُ فورّثوها مروان والحكما
أهل الحمالة والدّسيعة[3] والمفنون عند الشدائد البُهَما
اخترت عبد العزيز مرتغباً والله للمرء خير من قسما
من البهاليل من أمية يز داد اذا ما مدحته كرما
لايحسب المِدحة الخداع ولا يدرك تياره اذا التطما
جاءت به حرة مهذبة كلبية كان بيتها دَعِما
مِلْ أَصْبَغيات والفوارع لا يحملن فوق الكواهل الحُزَما
هن العرانين من قضاعة أمـ ـنا بيتهن يمنع الذمما
يغدو وفرسانه مواكبه ذا يَلْمَق[4] ناشياً ومستلما
تُكنّه خرقة[5] الدّرفس من الشمـ ـس كليث يفرج الأَجَما

(١) اسم لموضع الفسطاط (٢) هم بنو العاص بن أمية (١) الدسيعة العطية الجزيلة
(٤) اليلمق القباء مستلما مستلئما (٥) هى الراية

دانت له الوحش والسباع كما ... دانت مجوس الأُبُلّة الصنما
يقوت شبلين عند مُطْرَقة ... قد ناهزا للفِطام أو فُطِما
لم يأت يوم الا وعندها ... لحم رجال أو يولَغان (١) دما
مُضَبَّر (٢) يحبس الخميس وان ... بَلَّت يداه بقرنه ندما
كأنما كسرت سواعده ... فما استوى جَبرها ولا التأما
قد جربت وقعه السباعُ فما ... تغمز منه ضعفاً ولا هرَما
فذاك شبهته ابن ليلى ولكنَّ ابن ليلى يفوقه شيما
من يهَب البُخت والولائد كالـ ... ـغزلان والخيل تعلُك اللُّجما
والهَجْمة (٣) الجِلّة الجراجر والـ ... ـأعبد فيها تشبه الأَكما
والوصفاء الحسان والذهب الـ ... ـأحمر مجداً إفادة قُحَما
مجداً تليداً بناه أوله ... أدرك عاداً وقبلها إرَما
ينكر لا ان لا لمنكرة ... من فيه الا محالفاً نَعَما

ومن قوله فى علة عبد الله بن جعفر التى مات فيها

بات قلبي تشفُّه الأَوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأَضلاع
من حديث سمعته منع النو ... م فقلبي مما سمعت يُراع
اذ أتانا بما كرهنا أبو السلَّا ... س كانت بنفسه الأَوجاع
قال ما قال ثم راغ سريعاً ... أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم ... بك لا بالذى عنيت الصُّداع
أبنَ أسماء لا أبالك تعني ؟ ... انه غير هالك نفاع

(١) كان ابن قيس قال أو يالغان ثم غيرته الرواة فقد قال يونس ان ذلك لا يجوز فقيل له قد قاله ابن قيس الرقيات وهو حجازى فصيح فقال ليس بفصيح ولا ثقة شغل نفسه بالشرب بتكريت (٢) مضبر شديد تلزيز العظام مكتنز اللحم (٣) الهجمة من الابل ما بين السبعين الى المائة والجلة المسان منها والجراجر العظام

هاشمى بكفه من سجال الـــــمجد سَجْل يهان فيها المتاع
سئم الناس كل ذلك منه شيمة الجود ليس فيه خداع
لم أجد بعدك الأخلاء الا كشماد به قذًى أو نقاع (١)
بيته من بيوت عبد مناف مد أطنابَه المكان اليفاع
منتهى المجد والنبوة والخيـــــر اذا قصر اللئام الرِّضاع
فستأتيك مدحة من كريم نله من ندى سجالك باع

ومن قوله لما ارتحل من الجزيرة الى فِلَسطين من قصيدة أولها

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابيت اذ رأيت المشيبا

يقول فيها

هزئت أن رأت بى الشيب عِرْسى لا تلومى ذؤابتي أن تشيبا
ان يشب مَفْرِقى فان قريشاً جعلت بينها الحروب حروبا
فاظعِنى فالحقى بقومك انى لا أرى أن أقيم فيكم غريبا
فانزلي بنى كنانة تلقَيْ فيهم العز ان دعوت قريبا
حيث ان خرَّ سيف مولاك لم تخشَيْ من الناس من تَجَنَّى الذنوبا
ثم لم تعدَمى اذا شئت منا فارساً يوْم نجـــــدة وخطيبا
طالما قد نزلتُ فى غدوات (٢) الـــــأرض أَقْرُو بك المكان الخصيبا
حين للعيش لذة ولنا حا ل ولم تَجعل الخطوب خطوبا
فأرى الدهر قد تغير بالنا س وقد كانت الشعوب شعوبا
لن ترَىْ بعد مَرْج آل أبى الضَّيْـــــزن ضيماً ولن أُقاد جنيبا
حلَق من بنى كنانة حولي بفِلَسْطين يسرعون الركوبا
من رجال تُفني الرجال وخيل رُجُم بالقنا تسُدُّ الغيوبا (٣)

(١) واحده نقع وهو الغبار (٢) نواحيها (٣) غيوب الارض مطمأنتها أى تسدها الخيل

لا يبالون من أقام اذا ما كشفوا بالسيوف يوماً عصيبا
ذاك خير من البليخ ومن صو ت ذئاب يملّ يدعون ذيبا
ان قوم الفتى هم الكنز فى دنياه والحال تسرع التغليبا
قد أطيع الخليل ما لم أر العجز وأعلو بعد الشّهوب سهوبا
بأولات البُرَى عليها رحال الـمَيْس يتبعن بالرسيم الغبيبا(١)

ومن قوله يمدح عبد الله بن الزبير من كلمة أولها

زودتنا رقية الأحزانا يوم جازت حمولها سكرانا
رائحات عشية عن قُدَيد واردات مع الضحى عُسفانا

يقول فيها

قل لفِنْد يشيع الأظعانا طالما سر غيبنا وكفانا
أنا من أجلكم هجرت بنى زيـد ومن أجلكم أحب أبانا
ودخلنا الديار ما نشتهيها طمعاً أن ننالها أو ترانا
وابن أسماء خير من مسح الركـن فعالا وخيرهم بنيانا
واذا قيل مَن هِجان قريش كنت أنت الفتى وأنت الهِجانا

ومن قوله

ليت شعرى أأول الهَرْج هـذا أم زمان من فتنة غير هَرْج
ان يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجّى
ملك يطعم الطعام ويسقى لبن البُخْت فى عِساس الخَلَنْج
جلب الخيل من تهامة حتى بلغت خيله قصور زَرَنْج
حيث لم تأت قبله خيل ذى الأكـتاف يوقفن بين قُفّ ومَرْج

وهذا الشعر يقوله ابن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة

(١) الغبيب متن الارض

عامداً لمحاربة عبد الملك بن مروان ، وكان السبب فى ذلك انه لما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبدُ الملك عبد الرحمن بن الحكم فى المسير الى العراق ومناجزة مصعب ، فقال يا أمير المؤمنين قد واليت عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك ، وعامك هذا عام حارد فأرح نفسك ورجلك ، ثم ترى رأيك ، فقال انى أبادر ثلاثة أشياء ، الشام أرض المال بها قليل فأخاف أن ينفد ماعندى ، وأشراف أهل العراق قد كاتبونى فدعونى الى أنفسهم ، وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا وفقدت أعمارهم وأنا أبادر بهم أحب أن يحضروا معى ، ثم دعا يحيى بن الحكم وكان يقول من أراد أمراً فليشاور يحيى بن الحكم فاذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه ، فقال ما ترى فى المسير الى العراق ، قال أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق فلعن الله العراق ، فضحك عبد الملك ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره فقال يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً فأقم عامك هذا ، فقال لمحمد بن مروان ما ترى؟ قال أرجو أن ينصرك الله أقمت أم غزوت فشمر فان الله ناصرك ، فأمر الناس فاستعدوا للمسير ، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجه ياأمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأى أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه ، فقال لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب انى لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل

ومستخبر عنا يريد بنا الردي ومستخبرات والعيون سواكب

ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان ونادى مناديه ان أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان ، وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا عدونا يُطلّ علينا « يعنون الخوارج » فأرسل اليهم المهلب وهو بالموصل وكان عامله عليها فولاه قتال الخوارج وخرج مصعب فقال بعض الشعراء

أكلّ عام لك باجَيرا تغزو بنا ولا تُفيد خيرا

وكان مصعب كثيراً ما يخرج الى باجَيرا يريد الشام ثم يرجع ، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأحوفية ونزل مصعب بمَسْكِن الى جنب أَوَانا وخندق ، ثم تحول ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، فقدم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه كل واحد منهما الى جيش والأمير محمد ، وقدم مصعب ابراهيم ابن الأشتر ، ثم كتب عبد الملك الى أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلاً منهم ، فقال عبد الملك لمن حضره ويحكم ما أصبهان هذه ؟ تعجباً ممن يطلبها ، وكتب لابراهيم بن الأشتر لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعتني ، فجاء ابراهيم بالكتاب الى مصعب فقال هذا كتاب عبد الملك ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي فأطعني فيهم ، قال أصنع ماذا ؟ قال تدعوهم فتضرب أعناقهم ، قال أقتلهم على ظن ظننته ؟ قال فأوقرهم حديداً وابعث بهم الى أرض المدائن حتى تنقضي الحرب ، قال إذاً تفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعب بأصحابه ، قال فان لم تفعل فلا تُمدني بهم فانهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً وهم يريدون كل يوم أميراً ، فأرسل عبد الملك الى مصعب رجلا يدعوه الى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة ، فأبى مصعب ، فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال اللهم انصر محمداً اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة ، وقدم مصعب ابراهيم بن الأشتر فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا قليلاً ، فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد ، فأرسل محمد الى عبد الملك أن بشراً قد ضيع لواءه ، فصرف عبد الملك الأمر كله الى محمد وكف الناس وتواقفوا وجعل أصحاب ابن الأشتر يهمون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه ، فأرسل

عبد الملك الى محمد ناجزهم ، فأبى ، فأوفد اليه رسولاً آخر وشتمه ، فأمر محمد رجلا فقال له قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتيني من قبل عبد الملك ، وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة الى وقت رآه فكره أن يفسد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجه اليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد ، فلما رأوه أرسلوا الى محمد بن مروان ان هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال ردوه بأشد ما رددتم به من جاء قبله ، فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب وقال حركوهم قليلاً ، فتهايج الناس ، ووجه مصعب الى ابراهيم عتاب بن ورقاء الرِّياحى يعجز ابراهيم ، فقال قد قلت له لا تمدنى بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقتتلوا ، وأرسل ابراهيم بن الأشتر الى أصحابه بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه فى رأيه ألاَّ تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهل الشام عنكم ، فقالوا فلم لا ننصرف ؟ وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً ، وصبر ابراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل ، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر ، فذهب ، ثم رجع الى محمد فقال رأيتهم منكسرين ، وأصبح مصعب فدنا منه ودنا محمد بن مروان حتى التقوا فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان ، فدنا الى مصعب ثم ناداه فداك أبى وأمى ان القوم خاذلوك ولك الأمان ، فأبى قبول ذلك ، فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى بن مصعب ، فقال أبوه انظر ما يراه محمد ، فدنا منه ، فقال له انى لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان وناشده ، فرجع الى أبيه فأخبره ، فقال انى أظن أن القوم سبقونا فان أحببت أن تأتيهم ، فقال والله لا تتحدث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك ، قال فتقدم حتى أحتسبك ، فتقدم وتقدم ناس معه فقتل وقتلوا وترك أهل العراق مصعباً وحده حتى بقى فى سبعة ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فشد عليه مصعب فقتله ثم شد على الناس

فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مِرْفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيفرِجون عنه ، ثم يرجع ويقعد على المرفقة حتى فعل ذلك مراراً ، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبيان فدعاه الى المبارزة ، فقال له اعزب يا كلب وشد عليه مصعب فضربه على البَيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصب رأسه ، وجاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال جعلت فداك قد تركك القوم وعندى خيل فاركبها وانج بنفسك ، فدفع فى صدره وقال ليس أخوك بالعبد ، فرجع ابن ظَبيان الى مصعب فحمل عليه وزرق زائدة بن قُدامة مصعباً ونادى يالثارات المختار ، فصرعه ، ونزل اليه عبيد الله بن ظَبيان فاحتز رأسه ، فأتى به عبد الملك بن مروان ولما وضعه بين يديه سجد ، قال ابن ظبيان فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب قتلت ملكين من قريش فى يوم واحد ثم وجدت نفسى تنازعني الى الحياة فأمسكت ، فقال ابن قيس الرقيات يرثى مصعباً

ان الرزية يوم مَسْكِن والمصيبة والفجيعة
بابن الحَواريّ الذي لم يَعْدُه يوم الوقيعة
غدرت به مضر العرا ق وأمكنت منه ربيعة
وأصبتِ وترك يا ربيـ ـعَ وكنت سامعة مطيعة
يالهف لو كانت لها بالدَّير يوم الدير شيعة
أو لم يخونوا عهده أهل العراق بنو اللكيعة
لوجدتموه حين يعـ ـدو لا يعرس بالمضيعة

وقال يرثيه

لقد أورث المصرين خزياً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عنـ ـد اللقاء تميم
ولو كان بكرياً تعطف حوله كتائب يَغْلى حَيْهُا ويدوم

ولـكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مُضَرى يوْم ذاك كريم
جزى الله كوفياً هناك ملامة وبصريهم ان المليم مُليم
وان بنى العلَّات أخلَوْا ظهورنا ونحن صريح بينهم وصميم
فان نَفْن لا يبقوا أولئك بعدنا لذى حرمة في المسلمين حريم

وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن علي عليه السلام وعن قتله فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك فقال متمثلا

فان الأولى بالطّف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت أن مصعباً لا يفر أبداً ، ولما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بازاء شبيب الشاري قال له الناس لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة فقال لهم ما تنحونى والله اليه أنتن ، وهل ترك مصعب لكريم مفَرّاً ، ثم تمثل قول الكَلحبة

اذا المرء لم يغْشَ المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

قال شيخ من أهل مكة فلما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدث به اماء مكة فى الطريق ، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم فنظرت اليه والكآبة على وجهه وجبينه يرشح عرقاً ، فقلت لآخر الى جنبى ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله انه لخطيب فما تراه يهاب ؟ قال أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب وهو بفظيع تذكره غير ملوم ، فقال عبد الله بن الزبير الحمد لله الذى له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، الا انه لم يذِل والله من كان الحق معه وان كان مفرداً ضعيفاً ولم يعز من كان الباطل معه وان كان في العدة والعدد والكثرة ، ثم قال انا قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى حزننا من ذلك فان لفراق الحميم لَذْعة يجدها حميمه عند

المصيبة ، ثم يرعوى من بعدُ ذوالرأى والدين الى جميل الصبر ، وأما الذى سرنا منه فانا قد علمنا ان قتله شهادة له وانه عز وجل جاعل ذلك لنا وله ذخيرة ان شاء الله ، ان أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار الصالحين ، انا والله مانموت حتف أنوفنا مانموت الاقتلا قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل رجل منهم فى جاهلية ولا اسلام قط ، وان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لايزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا علىَّ لا آخذها أخذ الأَشِرِ البَطِرِ ، وان تدبر عنى لا أبك عليها بكاء الحزن المنهمر ، ثم نزل ، وقال رجل من بنى أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً

لعمرك ان الموت منا لمولع ... بكل فتى رَحْب الذراع أريب
فان يك أمسى مصعب نال حتفه ... لقد كان صُلْب العود غير هَيوب
جميل المحيا يوهن القِرْن غَرْبه ... وان عضه دهر فغير رَهوب
أتاه حِمام الموت وسط جنوده ... فطاروا شلالا واستقوا بذَنوب
ولو صارحوا نالوا حُباً وكرامة ... ولكنهم دلّوْا بغير قلوب

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى ، فقال أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عباس وولى العراقين ثم زحف الى الحرب فبذلت له الأَمان والحِباء والولاية والعفو عما خلص فى يده فأبى قبول ذلك واطَّرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره وأقبل بسيفه قَرْماً يقاتل مابقى معه الا سبعة نفر حتى قتل كريماً

ومن قول ابن قيس يمدح مصعباً

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

رأت بى شيبة فى الرأ س منى ما أغيبها
فقالت أبن قيس ذا ؟ وغير الشيب يعجبها
رأتني قد مضت منى وغضّات صواحبها
ومثلك قد لهوت بها تمام الحسن أعيبها
لها بعل غيور قا عد بالباب يحجبها
يرانى هكذا أمشى فيوعدنى ويضربها
ظَلِلت على نمارقها أُفدِّيها وأخلُبها
أحدثها فتومن لى فأصدُقها وأكذبها
ودع هذا ولكن حا جة قد كنت أطلبها
الى أم البنين متى يُقَرِّبها مقربها
أتتنى فى المنام فقلـ ـت هذا حين أُعقبها
فلما أن فرحت بها ومال على أعذبها
شربت بريقها حتى نَهِلت وبت أشربها
وبت ضجيعها جَذْلا ن تعجبني وأعجبها
وأضحكها وأبكيها وألبسها وأسلُبها
أعالجها فتصرعني فأرضيها وأغضبها
فكانت ليلة فى النو م نسمرُها ونلعبها
فأيقظنا مناد فى صلاة الصبح يرقبها
فكان الطيف من جنـ ـية لم يُدْرَ مذهبها
يؤرقنا اذا نمنا ويبعد عنك مَسْرَبها
لمصعب عند جد القو ل أكثرها وأطيبها
وأمضاها بألوية يسد الفجَّ مِقْنبها

اذا خرجت برابيـة سرايـاهـا وموكبهـا
بنصر الله يعـلوها ويمريهـا ويغلبهـا
ويُذكيهـا بكفيه اذا ما لاح كوكبها

سلمة بن عياش

مولى بني حِسْل بن عامر بن لؤى . من مخضرمي الدولتين ، وكان يتدين ويتصون ، وانقطع الى جعفر ومحمـد ابني سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ومدحهما فأكثر وأجاد ، ومما مدحهما به وفيه غناء قوله

أرقت وطالت ليلتى بأبان لبرق سرى بعد الهدوء يمان
يضىء بأعلام المدينة هُمَّدا الى أَمَج فالطلح طلح قنان

يقول فيها

وردت خليجى جعفر ومحمد وكل بدِىٍّ من نداه سقانى
هما ابنا رسول الله وابنا ابن عمه فقد كرم الجدان والأبوان

ومن قوله وفيه غناء

أنار بدت وَهْنًا لعينك ترمض ببغداد أم سار من البرق مُومِض
يضىء سناه مُكْفَهِراً كأنه حناتم سود أو عِشار تَمَخَّض

يقول فيها

ولولا انتظاري جعفراً ونواله لما كان فى بغداد ما أتبرض

ومن قوله يرثى أبا سفيان بن العلاء

لعمرك لا تعفو كلوم مصيبة على صاحب إلا فجعت بصاحب
تقطع أحشائى اذا ما ذكرتكم وتنهل عينى بالدموع السواكب
وكنت امرأ جلداً على ما ينوبنى ومعترفاً بالصبر عند المصائب

فهل أبو سفيان ركنى ولم أكن جزوعا ولا مستنكراً للنوائب
غنينا معاً بضعاً وستين حجة خليلى صفاء ودنا غير كاذب
فأصبح لما حالت الأرض دونه على قربه مني كمن لم أصاحب

ومن قوله يتغزل فى جارية يهواها اسمها بربر وهى جارية لمحمد بن سليمان.

الى الله أشكو ما ألاقى من القلى لأهلى وما لاقيت من حب بربر
على حين ودعت الصبابة والصبا وفارقت أخدانى وشمرت مئزرى
نأى جعفر عنا وكان لمثلها وأنت لنا فى النائبات كجعفر

وقد وهبها له محمد ، وفيها يقول وفيه غناء

أظن الحب من وجدى سيقتلنى على بربر
وبربر درة الغوا ص من يملكها يحبر
فخافى الله يا بربر فقد أفتنت ذا العسكر
بحسن الدل والشكل وريح المسك والعنبر
ووجه يشبه البدر وعيني جؤذر أحور

شعراء جمح

أبو دهبل

هو وهب بن زَمْعة بن أسيد الجمحى من بنى جمح بن عمرو بن هُصص بن كعب وأمه من هُذَيل وإياها يعني بقوله

أنا ابن الفروع الكرام التى هُذَيل لأَبياتها سابلة
هُمُ ولدونى وأشبههم كما تشبه الليلة القابلة

كان أبو دَهْبَل رجلاً جميلاً شاعراً وكانت له حُجة يرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن

ومن قوله يفخر بقومه

قومى بنو جُمَح قوم اذا انحدرت شَهْباء تُبصر فى حافاتها الزَّغَفا
أهل الخلافة والموفون ان وعدوا والشاهدو الروع لاعُزْلاً ولا كُشُفا

وله أيضاً

أنا أبو دَهْبَل وَهْبٌ لوَهَب من جُمَح فى العز منها والحسب
والأُسْرة الخضراء والعِيص الأَشِب ومن هُذَيل والدى عالي النسب
أورثني المجدَ أب من بعد أب رمحى رُدَيْنى وسيفى المستلب
وبَيْضتى قَوْنسها من الذهب درعى دِلاص سَرْدها سرد عجب
والقوس[1] فَجَّاء لها نبل ذَرِب محشورة أحكم منهن القطب
ليوم هيجاء أعدت للرَّهب

(١) قوس فجاء بان وترها عن كبدها وذرب حاد ومحشورة من حشر السنان دققه ولطفه

كان أبو دهبل يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جَزْلة تجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والأخبار وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها ، وكانت هى أيضاً محبة له ، وكان أبو دهبل رجلا سيداً من أشراف بنى جُمَح ، وكان يحمل الحَمالات ويعطى الفقراء ويَقْرى الضيف ، وكانت عمرة توصيه بحفظ مابينهما وكتمانه فضمن لها ذلك ، واتصل مابينهما فوقفت عليه زوجته فدست الى عمرة امرأة داهية من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتها طويلا ، ثم قالت فى عرض حديثها انى لأعجب لك كيف لاتتزوجين أبا دهبل مع مابينكما ؟ قالت وأى شىء يكون بيني وبين أبى دهبل ؟ فتضاحكت وقالت أتسترين عني شيئاً قد تحدث به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز فى أسواقها والسقاة فى مواردها فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه ؟ فوثبت من مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير اليها ، وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت اليه بما كره ففى ذلك يقول

تطاول هذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشى عَبْرتى ما تُفْرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما ... خلال ضلوعى جمرة تتوهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المني ... وطوراً اذا ما لج بى الحزن أنشَج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن الى أن يوصل الحبل أحوج
رأوا غِرّة فاستقبلوها بإلبهم ... فراحوا على مالا يحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم ... فلم يَنْهَهم حلمى ولم يتحرجوا
فليت كوائناً من أهلى وأهلها ... بأجمعهم فى قعر دِجلة لججوا
هم منعونا ما نحب وأوقدوا ... علينا وشبّوا نار صَرْم تأجّج
ولو تركونا لاهدى الله سعيهم ... ولم يُلْحموا قولا من الشر يُنْسَج
لأوشك صَرْف الدهر يفرق بيننا ... ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج

عسى كربة أمسيت فيها مقيمة ... يكون لنا منها نجاة ومخرج
فيُكبت أعداء ويَجذل آلِف ... له كبد من لوعة الحب تَلْعَج
وقلت لعباد وجاء كتابها ... لهذا وربى كانت العين تَخْلُج
وانى لمحزون عشية زرتها ... وكنت اذا ما جئتها لا أُعرِّج
أخطط فى ظهر الحصير كأنني ... أسير يخاف القتل ولهان مُلْفَج (١)
وأشفق قلبى من فراق خليلة ... لها نسب فى فرع فِهْر متوج
وكف كهُدَّاب الدِّمَقْس لطيفة ... بها دوس حناء حديث مدرج
يجول وشاحاها ويغتصّ حِجْلها ... ويشبع منها وفق عاج ودُمْلُج
فلما التقينا لجلجت فى حديثها ... ومن آية الصَّرْم الحديث الملَجْلَج

وقال فيها

يا عَمْرَ حُمَّ فراقكم عَمْرا ... وعزمتِ منا النأى والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو كرم ... يحمى الذِّمار ويكره الصهرا
ان كان هذا السحر منك فلا ... ترعَىْ علىَّ وجددى السحرا
احدي بني أَوْد كلفت بها ... حملت بلا وتر لنا وترا
وترى لها دَلاًّ اذا نطقت ... تركت بناتِ فؤاده صُعْرا
كتساقط الرطب الجنى من الـ ... أفنان لا نَشْرا ولا نَزْرا
أقسمت ما أحببت حبكم ... لا ثيباً خلقت ولا بكرا
ومقالة فيكم عَرَكت بها ... جنبى أريد بها لك العذرا
ومريد سركمُ عدلت به ... فيما يحاول معدلا وَعْرا
قالت يقيم بنا لنجزيه ... يوماً نقيم عندها شهرا
ما ان أقيم لحاجة عرضت ... الا لأُبْلِي فيكم العذرا

(١) ألفج الرجل لزق بالارض من كرب أو حاجة فهو ملفج على وزن اسم المفعول وهو نادر

وفيها يقول

يلومونني في غير ذنب جنيته ... وغيري في الذنب الذي كان أَلْوَم
أمِنَّا أُناساً كنت تأتمينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
وقالوا لنا مالم نقل ثم أكثروا ... علينا وباحوا بالذي كنت أكتم
لقد كحلت عيني القذى لفراقكم ... وعاودها تهتانها فهي تسجم
وأنكرت طيب العيش مني وكدرت ... عليَّ حياتي والهوى متقسم
وصافيت نسواناً فلم أرَ فيهمُ ... هواي ولا الود الذي كنت أعلم
أليس عظيما أن نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم
ولا تصرميني أن ترَيْني أحبكم ... أبوء بذنبي انني أنا أظلم

حجت عاتكة بنت معاوية فنزلت من مكة بذي طُوَى فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق وذلك في وقت الهاجرة اذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها عليها شُفوف لها تنظر الى الطريق اذ مر بها أبو دَهْبَل وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً فوقف طويلاً ينظر اليها والى جمالها وهي غافلة عنه فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته فقال

انى دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب
ياحسنه اذ سبني مدبراً ... مستتراً عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرة ... صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها ان تطلبتها ... أب لها ليس بوهاب
أحلها قصراً منيع الذُّرى ... يحمى بأبواب وحجاب

وأنشد هذه الأبيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المغنون حتى سمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت وأعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما ، فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام ونزل قريباً منها فكانت

تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دِمَشق وورد معها فانقطعت عن لقائه و بعد من أن يراها ومرض بدمشق مرضاً شديداً فقال فى ذلك

طال ليلى وبت كالمحزون ... وملِلت الثَّواء فى جَيْرُون
وأطلت المقام بالشام حتى ... ظن أهلى مرجَّمات الظنون
فبكت خشية التفرق جُمْل ... كبكاء القَرين اثر القرين
وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوا ... ص مِيزَت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها ... فى سَناء من المكارم دون
ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ... ـراء تمشى فى مرمر مسنون
قبة من مَراجل ضربوها ... عند برد الشتاء فى قَيْطون
عن يسارى اذا دخلت من البا ... ب وان كنت خارجاً عن يمينى
ولقد قلت اذ تطاول سقمى ... وتقلبت ليلتى فى فنون
ليت شعري أمن هوًى طار نومى ... أم برانى البارى قصير الجفون

وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى اذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل فقال معاوية لحاجبه اذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده الىَّ ، وجعل الناس يسلمون وينصرفون ، فقام أبو دهبل لينصرف فناداه معاوية يا أبا دهبل ادنُ الىَّ ، فلما دنا اليه أجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت أن فى قريش أشعر منك حيث تقول « ولقد قلت البيتين » غير انك قلت « وهى زهراء البيتين » ووالله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، وأى شىء زدت فى قدرها ؟ ولقد أسأت فى قولك

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ... ـراء تمشى فى مرمر مسنون

فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لسانى ، فقال له أما من جهتى فلا خوف عليك لأنى أعلم صيانة ابنتى نفسها وأعرف أن فتيان الشعر لم

يتركوا أن يقولوا النسيب فى كل من جاز أن يقولوه وكل من لم يجز وانما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك ، وانما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل فتنقضي المقالة عن ابنته ، فحذر أبو دهبل فخرج الى مكة هارباً على وجهه فكان يكاتب عاتكة ، فبينا معاوية ذات يوم فى مجلسه اذ جاءه خَصى له فقال يا أمير المؤمنين والله لقد سقط اليوم الى عاتكة كتاب فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلاها ومازالت خاثرة النفس منذ اليوم ، فقال له اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به فانطلق الخصى فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة فأخذ الكتاب وأقبل به الى معاوية فاذا فيه

أعاتك هلا اذ بخلت فلا تُرَى ... لذى صبوة زلفى لديك ولا يرقى
رددت فؤاداً قد تولى به الهوى ... وسكنت عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا
ولكن خلبت القلب بالوعد والمنى ... ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا
أتنسَيْنَ أيامى برَبعك مُدْنَفاً ... صريعاً بأرض الشام ذا سقم مُلْقى
وليس صديق يرتضى لوصية ... وأدعو لدائى بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلا ... فطول نهاري جالس أرقب الطرقا
فواكبدى اذ ليس لي منك مجلس ... فأشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة ... ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقاً

فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث الى يزيد فأتاه ، فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً ، فقال يا أمير المؤمنين ما هذا الأمر الذى شجاك ؟ قال أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم وما أدري ما أعمل فى شأنه ، قال وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الأبيات الى أختك عاتكة فلم تزل باكية منذ اليوم وقد أفسدها فما ترى فيه ؟ فقال والله ان الرأى لهين ، قال وما هو ؟ قال عبد من عبيدك يكمَنُ له فى أزقة مكة فيريحنا منه ، قال معاوية أف لك والله ان امرأً

يريد بك ما يريد ويسمو بك ما يسمو لغير ذى رأى وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ، أو ما تعلم أنك اذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبداً ؟ قال يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به ، قال وما هى ؟ قال

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل ... وما كل من يلْحَى محباً له عقل
لقد كان فى حولين حالاَ ولم أزر ... هواى وان خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها ... فمن دونها تُخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله ... ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فوا كبدى انى شهرت بحبها ... ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجباً انى أكاتم حبها ... وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية قد والله رفهت عنى فما كنت آمن أنه وصل اليها فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فاخطب فيه يسير قم عنى ، فقام يزيد فانصرف وحج معاوية فى تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبى دهبل ، ثم دعا بهم ففرق فى جميعهم صلات سنية وأجازهم جوائز كثيرة ، فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية ، فرجع اليه ، فقال له يا أبا دهبل ما لي رأيت أباخالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال نطقت به وأنفذته الى خصمائنا وموالينا ؟ لا تعرض لأبى خالد ، فجعل يعتذر اليه ويحلف له أنه مكذوب عليه ، فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا هل تأهلت ؟ قال لا ، قال فأى بنات عمك أحب اليك ؟ قال فلانة ، قال قد زوجتكها وأصدقتها ألف دينار وأمرت لك بألف دينار ، فلما قبضها قال ان رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي

عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى فقد أبحت له دمى وفلانة التى زوجتنيها طالق البتة ، فسرَّ ذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بادرار ما وصله به فى كل سنة ، وانصرف الى دمشق ولم يحجج معاوية فى تلك السنة الا من أجل أبى دهبل

وفد أبو دهبل على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق والهبْرِزِيّ ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن ، فأنكره ورأى منه جفوة ، فمضى الى عمارة بن عمرو بن حزم وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت ، فقال يمدحه ويعرض بابن الأزرق

يا رب حى بخير ما حييت انساناً عمارة
أعطى فأسنانا ولم يك من عطيته الصغارة
ومن العطية ما تُرى جَذْماء ليس لها غزَارة
حجراً تقلبه وهل تعطى على المدح الحجارة
كالبغل يحمد قائماً وتذم مشيته المصارة

ثم رجع من عند عمارة فقال له حُنَين مولى ابن الأزرق فى السر أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم فعد اليه فانه غير تاركك واعلم أنا نخاف أن يكون قد عزل فلازمه ولا يفقِدك فانى أخاف أن ينساك ففعل وأعطاه وأرضاه ، فقال فى ذلك

ياحن انى لما حدثتنى أُصُلا مُرَنَّح من صميم الوجد معمود
نخاف عزل امرىء كنا نعيش به معروفه ان طلبنا الجود موجود
اعلم بأنى لمن عاديت مضطغن ضِباً وانى عليك اليوم محسود
وأن شكرك عندي لا انقضاء له ما دام بالهضب من لُبنان جلمود

أنت الممدح والمغلي به ثمناً ... اذ لا تمدح صُم الجندل السود
ان تَغْدُ من منْقَلي نَجْران مرتحلا ... يرحل من اليمن المعروف والجود
ما زلت فى دَفَعات الخير تفعلها ... لما اعترى الناس لأْواء ومجهود
حتى الذى بين عُسْفان الى عَدَن ... لُحْب[1] لمن يطلب المعروف أُخدود

ولى عبد الله بن الزبير ابراهيم الوَقَّاصى مكان ابن الأَزرق ، فاستأذنه أبو دهبل فى صحبة الوقاصى فأذن له فرجع معه حتى اذا دخلوا صنعاء لقيهم بجير بن ريسان الذى يقول فيه أبو دهبل

بُجَير بن ريسان الذى سكن الجَنَد ... يقول له الناس الجوادُ وما وَلَد
له نفحات حين يذكر فضله ... كسيل ربيع فى ضحاضحة السند

وأقام أبو دهبل معه فلم يصنع به خيراً ، فقال

ماذا رُزئنا غداة الخَلّ[2] من رِمَع ... عند التفرق من خِيم ومن كرم
ظل لنا واقفاً يعطى فأكثر ما ... سمى وقال لنا فى قوله نَعَم
ثم انتحى غير مذموم واعيننا ... لما تولى بدمع واكف سجم
تحمله الناقة الأَدماء معتجراً ... بالبرد كالبدر جلّى ليلة الظلم
وكيف أنساك لا أيديك واحدة ... عندي ولا بالذي أوليت من قدم
حتى لقينا بجيراً عند مَقْدَمنا ... فى موكب كضباع الجزع مرتكم
لما رأيت مقامى عند بابهمُ ... ودِدْت أنى بذاك الباب لم أقم

وقال أبو دهبل فى ابن الأَزرق لما عزل

فمن يك شانه العزل أو هد ركنه ... لأعدائه يوماً فما شانك العزل
وما أصبحْت من نعمة مستفادة ... ولا رَحِم الا عليها لك الفضل

(١) اللحب الطريق الوضح (٢) موضع بين مكة والمدينة ورمع موضع باليمن

وقال فيه أيضاً

عقِم النساء فلم يلِدْن شبيهه ... ان النساء بمثله عُقْم
متهلل بنعم بلا متباعد ... سيان منه الوفر والعُدم
نزر الكلام من الحياء تخاله ... ضَمِناً وليس بجسمه سقم

وقال يمدحه

بأبي وأمي غير قول الباطل ... الكامل ابن الكامل ابن الكامل
والحازم الأمر الكريم برأيه ... والواصل الأرحام وابن الواصل
جمع الرياسة والسماح كليهما ... جمع الجفير قِدَاح نَبْل النابل

قال أبو عمرو الشيبانى كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن فمد يده الى أموالها وأعطى أعطية سنية وبث فى قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش ووفدوا اليه فأسنى لهم العطايا ، وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فحسده وعزله بابراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه ، فقال له مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل وقدم مكة ، فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت اليه لتمنعه ، فلما لقيهم نزلت اليه قريش فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقتهم اماؤهم وولائدهم بمجامر الأَلُوَّة والعود المندلى يبخرون بين يديه حتى دخل الى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء الى ابن الزبير فسلم عليه وهم معه مطيفون به ، فعلم ابن الزبير أنه لاسبيل له اليه فما عرَّض ولا صرَّح له بشىء ومضى الى منزله

قدم سليمان بن عبد الملك مكة فى حر شديد فكان ينقل سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناس العطاء ، فلما بلغ بنى جُمَح نودى بأَبى دهبل ، فقال سليمان أين أبو دهبل الشاعر ؟ فأتى به ، فقال سليمان أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال نعم ، قال فأنت القائل

فتنة يشعلها من راءها حطب النار فدعها تشتعل
فاذا ما كان أمن فأتهم واذا ما كان خوف فاعتزل

قال نعم ، قال وأنت القائل

يدعون مَرْوان كيما يستجيب لهم وعند مروان حار القوم أو رقدوا
قد كان فى قوم موسى قبلهم جسد عِجْل اذا خار فيهم خَوْرة سجدوا

قال نعم ، قال فأنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامة ، قال يا أمير المؤمنين ان قوماً فتنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم وانما فتنت فقلت بلسانى فلم لا يعفى عنى ؟ فقال سليمان قد عفونا عنك ، وأقطعه قطيعة بحاذان باليمن ، فقيل لسليمان كيف أقطعته هذه القطيعة ؟ قال أردت أن أمينه وأميت ذكره بها

ومن قوله فى قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه وزكواته

تبيت سكارى من أمية نُوَّماً وبالطَّفّ قتلى ما ينام حميمها
وما أفسد الاسلام الا عصابة تأمَّر نَوْكاها ودام نعيمها
فصارت قناة الدين فى كف ظالم اذا اعوج منها جانب لا يقيمها

ومن قوله

سقى الله جارينا ومن حل وَلْيَه قبائل جاءت من سَهَام وسُرْدَد (١)
ومحصولة الدار التى خيمت بها سقاها فأروى كل رَبْع وفَدْفَد
فأنت التى كلفتني البرْك شاتياً وأوردتنيه فانظري أين موردى
فواندمى اذ لم أَعُج اذ تقول لي تقدم فشيعنا الى ضحى الغد
تكن سكناً أو تقدر العين أنها ستبكي مراراً فاسلُ من بعد واجهد
فأصبحت مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

(١) سردد فى ولاية اليمن وسهام موضع باليمامة

لعلك أن تلقى محباً فتشتفى ... برؤية ريم بضّة المتجرّد
بلاد العدا لم تأتها غير أنها ... بها هم نفسى من تهام ومنجد
وما جعلت ما بين مكة ناقتى ... الى البرك الا نومة المتهجد
وكانت قبيل الصبح تنبذ رحلها ... بدورة من نفط القطا المتبدد

ومن قوله

ألا علق القلب المتيم كلثما ... لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزما
خرجت بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادى بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتدّ سامر ... من الحى حتى جاوزت بيَ يلملما
ومرت ببطن الليث تهوى كأنما ... تبادر بالادلاج نهباً مقسما
وجازت على البزواء والليل كاسر ... جناحيه بالبزواء وَرْداً وأدهما
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت ... بعُلَيب نخلاً مشرفاً ومخيما
ومرت على أشطان روقة بالضحى ... فما جرّرت للماء عيناً ولا فما
فما شربت حتى ثنيت زمامها ... وخفت عليها أن تُجرّ وتكلما
فقلت لها قد بنت غير ذميمة ... وأصبح وادى البرك غيثاً مُديّما

ومن قوله يرثى ابن الأزرق

لقد غال هذا اللحد من بطن عُلَيب ... فتى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمم
أألحق انى لا أزال على منًى ... اذا صدر الحجاج عن كل موسم
سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها ... سِجال الغوادى من سَحيل ومُبْرِم

وقع لأبى دهبل ميراث بمصر فخرج يريده ثم رجع من الطريق فقال

اسلَمِي أمَّ دَهْبَل بعد هجر ... وتقض من الزمان وعمر
واذكرى كرّيَ المطى اليكم ... بعدما قد توجهت نحو مصر

لا تخالي انى نسيتك لما حال نبش من به خلف ظهر
ان تكونى أنت المقدم قبلى وأطَعْ يثوعند قبرك قبري

كان أبو ريحانة عم أبى دهبل شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير فتوعده عبد الله بن صفوان ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فاستمده الحجاج فأمده بعبد الملك مولى عثمان فى أربعة آلاف ، فأشرف أبو ريحانة على أبى قبيس فصاح أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة ؟ فقال له ابن أبى عتيق بلى والله قد أخزانا الله ، فقال له ابن الزبير مهلا يا ابن أخى ، فقال قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا الى ماترى من الكثرة ، وقال أبو دهبل فى وعيد عبد الله بن صفوان عمه أبا ريحانة

ولا توعد لتقتله عليا فان وعيده كلأ وبيل
ونحن ببطن مكة اذ تداعَى لرهطك من بني عمرو رَعِيل
أولو الجمع المقدم حين ثابوا اليك ومن يودعهم قليل
فلما أن تقانينا وأودى بثروتنا الترحل والرحيل
جعلت لحومنا غرضاً كأنا لتهلكنا عروبة أو سلول

شعراء عدىّ بن كعب

عمرو بن سعيد

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي من عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ وأبوه أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حِراء ، فرجف بهم ، فقال اثبت حِراء فليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد

من قوله وفيه غناء

أمن آل ليلى بالملا متربع ... كما لاح وشم فى الذراع مرجَّع

سأتبع ليلى حيث سارت وخيمت ... وما الناس الا آلف ومودع

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

هى زوج الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتل

غدر ابن جُرْموز بفارس بهمة ... يوْم اللقاء وكان غير مُعَرَّد

يا عمرو لو نبهتـــه لوجدته ... لا طائشاً رَعْش اللسان ولا اليد

شَلَّت يمينك إن قتلت لمسلماً ... حلت عليك عقوبة المتعمد

ان الزبير لذو بلاء صادق ... سَمْح ســـجيته كريم المشهد

كم غَمْرة قد خاضها لم يَثْنِهِ ... عنها طرادك يا ابن فَقْع القَرْدَد

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروح ويغتدى

ومن قولها ترثى زوجها عبد الله بن أبى بكر وكان أول أزواجها

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكَرَّ وأحمى فى الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة وما طرد الليل الصباح المنورا

ثم تزوجها عمر فلما قتل قالت ترثيه

عين جودي بعَبْرة ونحيب لا تَمَلِّي على الامام النجيب
فجعتنا المنون بالفارس المُعْـــلِم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الله والمعين على الدهـــر غياث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضَّراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأْس شَعوب

وقالت ترثيه أيضاً

منع الرقاد فعاد عيني عود مما تضمن قلبي المعمود
ياليلة حسبت عليَّ نجومها فسهرتها والشامتون هجود
قد كان يُسهرني حذارُك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد
أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد

ولما انقضت عدتها من الزبير تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فلما قتل قالت ترثيه

وحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصـــدته أسِنَّة الأعداء
غادروه بكَرْبلاء صريعاً جادت المزن في ذرى كربلاء

ثم تأيمت بعده فكان عبدالله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال ان مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام ، فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعراء تيم بن مرة

عبد الرحمن بن أبي بكر

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله التيمي من تيم بن مرة بن كعب له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر مع أبيه صغراً عن ذلك فبقي بمكانه، ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش مهاجراً الى النبي صلى الله عليه وسلم استهيم بليلى بنت الجُودى بن عدىّ بن عمرو بن أبي عمرو الغسّاني فقال فيها،

تذكرت ليلى والسماوة دونها ... وما لابنة الجودىّ ليلى ومالیا
وأنى تعاطى قلبه حارثية ... تحل ببُصرى أو تحل الحوانيا ؟
وكيف يلاقيها ؟ بلى ولعلها ... اذا الناس حجوا قابلاً ان تلاقيا

وقال فيها

بابنة الجُودى قلبى كئيب ... مستهام عندها ما ينيب
ولقد لاموا فقلت دعوها ... ان من تهوَيْن عنه حبيب
انما أبلى عظامى وجسمى ... حبها والحب شىء عجيب

فقال له عمر مالك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال والله ما رأيتها قط الا ليلة فى بيت المقدس فى جوار ونساؤها يتهادَيْن فاذا عثرت إحداهن قالت يا ابنة الجودى واذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودى ، فكتب عمر الى صاحب الثَّغْر الذى هى به اذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودى ، فلما فتح الله عليهم غنموه إياها ، قالت عائشة فكنت أكلمه فيما يصنع بها فيقول

يا أخية دعيني فوالله لكأني أرشُف من ثناياها حب الرمان ، ثم ملها وهانت عليه فكنت أكلمه فيما يسيء اليها كما كنت أكلمه في الاحسان اليها ، فكان احسانه أن ردها الى أهلها ، وكان فيما قالت له عائشة يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإما أن تنصفها وإما أن تجهزها الى أهلها ، فجهزها الى أهلها ، وكان عبد الرحمن اذا خرج من عندها ثم رجع اليها رأى في عينيها أثر البكاء فيقول ما يبكيك ؟ اختاري خصالاً أيها شئت فعلت بك ، إما أن أعتقك وأتزوجك ، فتقول لا أشتهيه ، وان شئت رددتك على قومك ، قالت ولا هذا أريد ، قال فأخبريني ما يبكيك ؟ قالت أبكي الملك من يوم البؤس

ومما قال فيها

فإما تصبحي بعد اقتراب بسَلْع أو ثَنِيَّات الوداع
فلم ألفِظك من شبع ولكن لأقضي حاجة النفس الشَّعاع
كأن جوانح الأضلاع مني بُعيد النوم مُبطَنة اليَراع

وعبد الرحمن هو القائل لمروان يوم دعا الى بيعة يزيد انما تريدون أن تجعلوها كِسْرَوِية أو هِرَقلية كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل ، فقال مروان أيها الناس هذا « الذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتَعِدَانني أن أُخرج وقد خلت القرون من قبلي » ، فصاحت به عائشة ألعبد الرحمن تقول هذا ؟ كذبت والله ما هو به ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته ، ولكني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فَضَض من لعنة الله

وروى أنها قالت له يا مروان أفينا تتأول القرآن والينا تسوق اللعن ؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً تَوَدّ أني لم أقمه ، فأرسل اليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها وحلف ألَّا يصلي بالناس أو تؤمنه ، ففعلت

مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي [1] فحمل فدفن بمكة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ثم قالت

وكنا كندمانَيْ جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك لزرتك

عائشة بنت طلحة

هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من تيم بن مرة أمها أم كلثوم بنت أبي بكر كانت عائشة لا تستر وجهها من أحد ، فعاتبها مصعب في ذلك ، فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأستره ، ووالله مافيَّ وَصْمة يقدر أن يذكرني بها أحد ، وطالت مراودة مصعب إياها في ذلك وكانت شَرِسة الخلق ، وكذلك نساء بني تيم هن أشرس خلق الله وأحظى عند أزواجهن ، وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أم اسحاق بنت طلحة فكان يقول والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لا تكلمني

آلت عائشة من مصعب وقالت « على كظهر أمي » وقعدت في غرفتها وهيأت فيها ما يصلحها ، فجهد مصعب أن تكلمه ، فأبت ، فبعث اليها ابن قيس الرُّقَيات فسألها كلامه ، فقالت كيف بيميني ؟ فقال ههنا الشَّعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه ، فدخل عليها فأخبرته ، فقال ليس هذا بشيء ، فقالت أتُحلِّفني وتخرج خائباً ؟ فأمرت له بأربعة آلاف درهم

كان أشعب يألف مصعباً فغضبت عليه عائشة يوماً ، وكانت من أحب الناس

(١) جبل من جبال مكة على أميال

اليه ، فشكا ذلك الى أشعب ، فقال مالى ان رضيت ؟ قال حكمك ، قال عشرة آلاف درهم ، قال هى لك ، فانطلق حتى أتى الى عائشة فقال جعلت فداءك ، قد علمت حبى لك وميلى قديماً وحديثاً اليك من غير منالة ولا فائدة ، وهذه حاجة قد عرضت تمضين بها حقى وترتهنين بها شكرى ، قالت وما عناك ؟ قال قد جعل لى الأمير عشرة آلاف درهم ان رضيت عنه ، قالت ويحك لا يمكننى ذلك ، قال بأبى أنت وأمى فارضَىْ عنه حتى يعطينى ثم عودى الى ما عودك الله من سوء الخلق ، فضحكت منه ورضيت عن مصعب

أتى مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وسعيد بن العاص عزّة الميلاء فقالوا انا خطبنا فانظرى لنا ، فقالت لمصعب يا ابن أبى عبد الله ومن خطبت ؟ فقال عائشة بنت طلحة ، فقالت فأنت يا ابن أبى أُحَيْحة ، قال عائشة بنت عثمان ، قالت فأنت يا ابن الصديق ، قال أم القاسم بنت زكريا بن طلحة ، قالت ياجارية هاتى مَنْقَلَىّ « تعني خفيها » فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت فديتك كنا فى مأدبة لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك ، فألقى ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت ، فقالت لها عزّة خذى ثوبك فديتك ، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، ثم أتت القوم فى السقيفة فقالوا ماصنعت ؟ فقالت يا ابن أبى عبد الله أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلة ومدبرة ، محطوطة المتنين ، ممتلئة الترائب ، نقية الثغر وصفحة الوجه ، فرعاء الشعر ، لَفَّاء الفخذين ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن ، ذات عُكَن ، مُسْرولة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها الى قدميها ، وفيها عيبان أما أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخف ، عظم القدم والأذن ، وكنت عائشة كذلك ، ثم قالت وأما أنت يا ابن أبى أُحيحة فانى والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ، ليس فيها عيب ، والله لكأنما أفرغت إفراغاً ولكن

فى الوجه زدة وان استشرتنى أشرت عليك بوجه تستأنس به ، وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خَوط بانة تتثنى ، وكأنها جدل عِنان أو كأنها خِشف يتثنى على رمل ، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ، ولكنها شَخْتَة الصدر وأنت عريض الصدر فاذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كل شىء مثله ، فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن . وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها ، فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وهو ابن أخيها وابن خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عذرها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ، ولدت عمران « وبه كانت تكنى » وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، وتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ولكل هؤلاء عقب ، وكان ابنها طلحة من أجواد قريش وله يقول الحزين الديلى

فان تك ياطلحَ أعطيتنى عُذافرة تستخف العِفارا (١)
فما كان نفعك لى مرة ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيمية اذا نسب الناس كانوا نُضارا

صارمت عائشة زوجها عبدالله وخرجت من دارها غضبى ، فمرت فى المسجد وعليها مِلحفة تريد عائشة أم المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال سبحان الله كأنها من الحور العين ، فمكثت عند عائشة أربعة أشهر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة اليه انى أخاف عليك الايلاء ، فضمها اليه وكان موليا منها فقيل له طلقها فقال

يقولون طلقها لأصبح ثاوياً مقيما علىَّ الهم أحلام نائم
وان فراقى أهل بيت أحبهم لهم زُلفة عندى لإحدى العظائم

(١) العذافر بضم العين العظيم الشديد من الابل والناقة عذافرة والجمع عذافرة بفتح العين والعفر بالكسر ذكر الخنازير والجمع عفار

فتوفى عبد الله بعد ذلك وهى عنده فما فتحت فاها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا فى ذنوبها التى تعددها ، ثم تزوجها من بعده مُصعَب بن الزبير فأمهرها خمسمائة الف درهم وأهدى لها مثل ذلك ، فكتب اليه عبد الله بن الزبير يؤنبه على ذلك ويقسم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء وقال له انى لأرجو أن تكون الذى يخسف به بالبيداء فما أمرتك بنزولها الا لهذا ، فصار اليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه ، وكان مصعب لا يقدر عليها الا بتلاح ينالها منه ويضربها ، فشكا ذلك الى ابن أبى فروة كاتبه ، فقال له أنا أكفيك هذا ان أذنت لي ، قال نعم افعل ما شئت فانها أفضل شيء نلته من الدنيا ، فأتاها ليلاً ومعه أسودان فاستأذن عليها ، فقالت له أفى مثل هذه الساعة ؟ قال نعم ، فأدخلته فقال للأسودين احفرا هنا بئراً ، فقالت له جاريتها وما تصنع بالبئر ؟ قال شؤم مولاتك أمرنى هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام ، فقالت عائشة فأنظرنى أذهب اليه ، قال هيهات لاسبيل الى ذلك ، وقال للأسودين احفرا ، فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت يا ابن أبى فروة انك لقاتلى مامنه بد ؟ قال نعم وانى لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه قدغضب وهو كافر الغضب ، قالت وفى أى شيء غضبه ، قال فى امتناعك عنه وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين الى غيره فقد جن ، فقالت أنشدك الله إلا عاودته ، قال انى أخاف أن يقتلني ، فبكت وبكى جواريها ، فقال قد رققت لك ، وحلف أن يغرر بنفسه ، ثم قال لها فما أقوله ؟ قالت تضمن عني أنى لا أعود أبداً ، قال فمالي عندك ؟ قالت قيام بحقك ما عشت ، قال فأعطنى المواثيق ، فأعطته ، فقال للأسودين مكانكما ، وأتى مصعباً فأخبره فقال له استوثق منها بالأيمان ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب ، ودخل عليها مصعب يوماً وهى نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون الف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت له نومتى كانت أحب الىَّ من

هذا اللؤلؤ ، وصارمت مصعباً مرة فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها فقالت لها الآن يصلح أن تخرجي اليه ، فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه ، فقال لها مصعب انى أشفق عليك من رائحة الحديد ، فقالت لهو والله عندى أطيب من ريح المسك الأذفر

وكان مصعب من أشد الناس اعجاباً بعائشة ولم يكن لها شبه فى زمانها حسناً ودَماثة وجمالاً وهيئة ومتانة وعفة ، دعت يوماً نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن فى مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب المجمر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشى والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ثم قالت لعزة هاتى ياعزة فغنينا من شعر امرىء القيس

وثَغْرٍ أغرّ شتَيت النبات لذيذ المقبَّل والمبتسَم
وما ذقته غير ظن به وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه اخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح ياهذه انا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة ، ثم أرسل الى عائشة لتأذن لعزة أن تغنيه هو ومن معه الصوت ثم تعود ، ففعلت وخرجت اليه عزة فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب يذهب عقله فرحاً ، ثم قال لها ياعزة انك لتحسنين القول والوصف وأمرها بالعود الى مجلسها ، وتحدث ساعة مع القوم ثم تفرقوا

لما قتل مصعب خطبها بشر بن مروان وقدم عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التَّيْمى من الشام فنزل الكوفة فبلغه أن بشر بن مروان خطبها ، فأرسل اليها جارية لها وقال قولي لابنة عمى يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول وأنا ابن عمك وأحق بك ، فتزوجته ، فبنى بها فى الحِيرة ومهدت له سبعة

أفرشة عرضها أربع أذرع ، وقد حمل اليها ألف ألف درهم خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف درهم هدية ، قالت رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت تحت عمر ابن عبيد الله بن معمر وقد ولدت منه ابنه طلحة الجواد لمولاة عائشة أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم ، فأخبرت عائشة بذلك ، قالت فانى أتجرد فأعلميها ولا تعرفيها أنى أعلم ، فقامت عائشة كأنها تغتسل وأعلمتها ، فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة فأعطت رملة مولاتها ألفى درهم وقالت لوددت أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرها ، وكانت رملة قد أسنت وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف ، قال عمر بن عبيد الله لعائشة وقد أصاب منها طيب نفس ما مرّ بى مثل يوم أبى فُدَيك ، فقالت له اعدد أيامك واذكر أفضلها ، فعدّ يوم سِجِستان ويوم قَطَرِىّ بفارس ونحو ذلك ، فقالت عائشة قد تركت يوماً لم تكن فى أيامك أشجع منك فيه ، قال وأىّ يوم ؟ قالت يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر تريد قبح وجهها ، وكان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غَيرة ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار ، فقال لها انفضي التراب عنى ، فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب ثم قالت له مارأيت الغبار على وجه أحد قطّ كان أحسن منه على وجه مصعب ، فكاد عمر يموت غيظاً ، وكانت عائشة من أشد الناس مغايظة لأزواجها وكانت تكون لمن يجىء يحدثها فى رقيق الثياب فاذا قالوا جاء الأمير ضمت عليها مُطْرَفها وقطبت ، وكانت كثيراً ما تصف لعمر مصعباً وجماله تغيظه بذلك فيكاد يموت

مكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله ثمانى سنين ثم مات عنها فى سنة اثنتين وثمانين فلما مات ندبته قائمة ولم تندب أحداً من أزواجها الا جالسة ، فقيل لها في ذلك ، فقالت كان أكرمهم علىّ وأمسهم رحماً بى وأردت ألاّ أتزوج بعده ، وكانت نَدْبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد ألا تتزوج بعد زوجها ، فخطبها جماعة فردتهم ولم تتزوج بعده أبداً

دخلت عائشة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت له يا أمير المؤمنين مُرْ لي بأعوان فضم ، اليها قوماً يكونون معها ، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، فعرض لها عروة بن الزبير فقال

عائش يا ذات البغال الستين أكل عامٍ هكذا تحجين

فأرسلت اليه نعم يا عُرَيَّة فتقدم ان شئت ، فكف عنها ، وقد حجت معها سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، وكانت عائشة أحسن آلة وثقلاً فقال حاديها

عائش يا ذات البغال الستين لازلت ما عشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها فقال

عائش هذى ضَرَّة تشكوك لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف

وفدت عائشة على هشام فقال لها ما أوفدك ؟ قالت حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق ، قال فانى أبُلّ رحمك وأعرف حقك ، ثم بعث الى مشايخ بنى أمية فقال ان عائشة عندي فاسْمُروا عندي الليلة ، فحضروا فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار الا سمته ، فقال لها هشام أما الأول فلا أنكره ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت أخذتها عن خالتى عائشة ، فأمر لها بمائة ألف درهم وردها الى المدينة

لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة تخرج الى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها ، فتجلس فيه بالعشيات فتناضل بين الرماة ، فمرَّ بها النميري الشاعر ، فسألت عنه فنسب ، فقالت ائتونى به ، فقالت له لما أتوها به أنشدنى مما قلت فى زينب ، فامتنع وقال ابنة عمى وقد صارت عظاماً بالية ، قالت أقسمت عليك لما فعلت فأنشدها تائيته (انظر ص ١٤٩ جزء ٤) ، فقالت والله

ما قلت الا جميلاً ولا وصفت الا كرماً وطيباً وتقى ودينا أعطوه ألف درهم ، فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها فقالت عليَّ به ، فجاء ، فقالت أنشدنى من شعرك في زينب ، فقال أوْ أنشدك قول الحرث فيك ؟ فوثب مواليها ، فقالت دعوه فانه أراد أن يستقيد لابنة عمه ، هات ، فأنشدها

ظعن الأمير بأحسن الخلق ... وغدا بلبك مَطْلع الشرق

وتنوء تثقلها عجيزتها ... نهض الضعيف ينوء بالوسق

ما صبحت زوجاً بطلعتها ... الا غدا بكواكب الطَّلْق

قرشية عبق العبير بها ... عبق الدهان بجانب الحُق

بيضاء من تَيم كلفت بها ... هذا الجنون وليس بالعشق

قالت والله ما ذكر الاجميلاً ذكر أنى اذا صبحت زوجاً بوجهى غدا بكواكب الطلق وانى غدوت مع أمير تزوجنى الى الشرق أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد الينا يا نميرى

ولى الحرث بن خالد على مكة فأذَّن المؤذن وخرج للصلاة ، فأرسلت اليه عائشة بنت طلحة قد بقى من طوافي شيء لم آته « وكان يتعشقها » ، فأمر المؤذن فكف عن الاقامة ، ففرغت من طوافها ، وبلغ ذلك عبد الملك فعزله ، فقال ما أهون والله غضبه وعزله إياى عند رضاها عنى

قال أبو هريرة لعائشة ما رأيت شيئاً أحسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت والله لأنا أحسن من النار فى الليلة القرَّة فى عين المقرور

اسمعيل بن يسار

هو اسمعيل بن يسار النِّسائى مولى بنى تَيم بن مرة ، لقب بالنسائى لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتري منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك وقيل كان هو يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس ، وكان شَعوبياً شديد التعصب للعجم

كان منقطعاً الى آل الزبير ، فلما أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وفد اليه مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده وعاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية ، وكان طيباً مليحاً مُدَّراً بطالاً مليح الشعر وكان كالمنقطع الى عروة بن الزبير

لما خرج عروة الى الشام أخرج معه اسمعيل فعادله ، فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه انظر كيف ترى المحمل ، قال أراه معتدلاً ، فقال اسمعيل الله أكبر ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط ، فضحك عروة وكان يستخف اسمعيل ويستطيبه

كان اسمعيل ينزل فى موضع يقال له جديلة ، وكان له جلساء يتحدثون عنده ففقدهم أياماً وسأل عنهم ، فقيل هم عند رجل يتحدثون اليه طيب الحديث حلو ظريف قدم عليهم يسمى محمداً يكنى أبا قيس ، فجاء اسمعيل فوقف عليهم ، فسمع الرجل القوم يقولون قد جاء صديقنا اسمعيل بن يسار ، فأقبل عليه فقال أنت اسمعيل ؟ قال نعم ، قال رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس ، فقال له اسمعيل ما اسمك ؟ قال محمد ، قال أبو من ؟ قال أبو قيس ، قال ولكن لا رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم نبى وكنياك بكنية قرد ، فأفحم الرجل وضحك القوم ولم يعد الى مجالستهم ، فعادوا الى مجالسة اسمعيل

استأذن اسمعيل على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحجبه ساعة ثم أذن له ، فدخل يبكى ، فقال له الغمر مالك يا أبا فائد تبكي ؟ قال وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانيتى ومَرْوانية أبى أحجب عنك ؟ فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي ، فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل فقال له أخبرني ويلك يا اسمعيل أىّ مروانية كانت لك أولاً بيك ؟ قال بغضنا إياهم ، امرأته طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا إله الا الله فقال لعن الله مروان تقرباً الى الله تعالى وابدالاً له من التوحيد وإقامه له مقامه

كان اسمعيل له شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم ، ومن قوله فى ذلك

ما على رسم منزل بالجَاب ... لو أبان الغَدَاة رَجْعَ الجواب
غيرته الصَّبا وكل مُلِثٍّ ... دائم الوَدْق مكفَهِرّ السحاب
دار هند وهل زمانى بهنـــد ... عائد بالهوى وصَفْوِ الجناب
كالذى كان والصفاء مَصُون ... لم تَشِبْه بهِجْرة واجتناب
ذاك منها اذ أنت كالغصن غصن ... وهى رُودٌ كدُمْية المحراب
غادة تستبي العقول بعَذْب ... طيب الطعم بارد الأنياب
وأثيثٍ من فوق لون نقى ... كبياض اللُّجين فى الزِّرياب
فأَقِلَّ المـــلام فيها وأقصر ... لج قلبى من لوعة واكتئاب
صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد فى الضرع ما قرى فى العِلاب
انقضت شِرَّتى وأقصر جهلى ... واستراحت عواذلي من عتابى

وفيها

رب خال مُتَوَّج لي وعم ... ما جد مجتدًى كريم النصاب
انمـــا سمى الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركى الفخر يا أُمامَ علينا واتركي الجور وانطقى بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب
اذ نربى بناتنـــا وتَدُسُّو ن سفاهاً بناتكم فى التراب

دخل اسمعيل على هشام بن عبد الملك فى خلافته بالرُّصافة وهو جالس على بركة له فى قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشد مديحاً له ، فأنشده قصيدته التى يفخر فيها بالعجم

يا رَبْع رامة بالعلياء من رِيم هل تَرْجعَنَّ اذا حييت تسليمى
ما بال حى غدت بُزْل المطى بهم تَخْدِى لغربتهم سـيراً بتقحيم
كأنني يوم ساروا شارب سَلبت فؤادَه قهوةٌ من خمر داروم

حتى انتهى الى قوله

انى وجدك ما عودي بذي خَوَر عند الحِفاظ ولا حوضى بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد أقوام ذوي حسب من كل قَرْم بتاج الملك معموم
جحاجح ســـادة بُلْج مَرازبة جُرْد عِتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معاً والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أُسْد الكتائب يوم الروع ان زحفوا وهم أَذلوا ملوك الترك والروم
يمشُون في حلق المـاذِيّ سابغة مشي الضراغمة الأسـد اللَّهاميم
هناك ان تسألى تُنْبَى بأن لنا جُرْثومةً قهرت عز الجراثيم

فغضب هشام وشتمه وقال أَعليَّ تفخر ؟ وإياىَ تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأَعلاج قومك؟ غُطُّوه فى الماء ، فغطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر باخراجه وهو يشُرّ ، ونفاه من وقته فأخرجه عن الرصافة منفياً الى الحجاز ، وكان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً

ومما يغنى فيه من شعره

يا هند ردي الوصل أن يتصرما ... وصلي امرأً كلفاً بحبك مغرما
لو تبـــذُلين لنا دلالك مرة ... لم نبغ منك سوى دلالك محرما
منع الزيارة أن أهلك كلهم ... أبدوا لزَوْرك غلظة وتجهما
ما ضر أهلك لو تطوَّف عاشق ... بفِناء بيتك أو ألمّ فســـلما

ومنها

ان جُمْلا وان تبينت منها ... نَـكَباً عن مودتى وازورارا
شردت بادِّ كارها النوم عني ... وأُطـير العزاء منى فطارا
ما على أهلها ولم نأت سوءاً ... أن تحيا تحيـــة أو تزارا
يوْم أَبدَوْا لي التجهم فيها ... وحمَوْها لَجاجة وضِرَار

مدح اسمعيل رجلاً من أهل المدينة يقال له يسار بن أُنس وكان قد اتصل ببنى مروان وأصاب منهم خيراً وكان اسمعيل صديقاً له فرحل الى دمشق اليه فأنشده مديحا له ومتّ اليه بالجوار والصداقة فلم يعطه شيئاً ، فقال يهجوه

لعمرك ما الى حسن رحلنا ... ولا زرنا حسيناً يا ابن أنس
ولا عبداً لعبـدهمُ فنحظى ... بحسن الحظ منهم غير بخس
ولـكن ضَبّ جنـدلة أتينا ... مُضِبًّا في مكامنـه يغسى
فلمـا أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تلون لون وَرْس
وأعرض غير منبلج لعُرف ... وظل مقرطباً ضرساً لضرس
فقلت لأهله أبه كُـزاز ؟ ... وقلت لصاحبى أتراه يمسى ؟
فـكان الغنم أن قمنا جميعاً ... مخافة أن نُزَنّ بقتل نفس

ومن شعره

كلَثم أنت الهم يا كلثم ... وأنتمُ دائى الذي أكتم

أكاتم الناس هوًى شفَّنى ... وبعض كتمان الهوى أحزم
قد لمتنى ظالماً بلا ظِنة ... وأنت فيما بيننا ألوَم
أبدى الذى تخفينه ظاهراً ... أرتد عنه فيك أو أُقدم
إما بيأس منك أو مطمع ... يُسدَى بحسن الود أو يُلْحَم
لا تتركينى هكذا ميتاً ... لا أُمنح الود ولا أُصرم
أوفى بما قلتِ ولا تندمى ... ان الوفى القول لا يندم
آية ماجئت على رِقْبة ... بعد الكَرَى والحى قد نوَّموا
أُخافِتُ المشى حِذار العدى ... والليل داجٍ حالك مظلم
ودون ماحاولت اذ زرتكم ... أخوك والخال معاً والحَمُ
وليس الا الله لي صاحب ... اليكم والصارم اللَّهْذَم
حتى دخلت البيت فاستذرفت ... من شفَق عيناك لا تُسْجم
ثم انجلى الحزن ورَوْعاته ... وغيب الكاشح والمبرِم
فبت فيما شئت من نعمة ... يمنحنيها نحرها والفم
حتى اذا الصبح بدا ضوؤه ... وغارت الجوزاء والمِرْزَم
خرجت والوطء خفى كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

قال محمد بن كِناسة اصطحب شيخ وشباب فى سفينة من الكوفة فقال بعض الشباب للشيخ ان معنا قينة لنا ونحن نُجلك ونحب أن نسمع غناءها ، قال الله المستعان فأنا أرقى على الظلال وشأنكم ، فغنت القينة « حتى اذا الصبح البيتين » فألقى الشيخ بنفسه فى الفُرات وجعل يخبط بيديه ويقول أنا الأرقم أنا الارقم ، فأدركوه وقد كاد يغرق فقالوا ما صنعت بنفسك ؟ فقال انى والله أعلم من معانى الشعر ما لا تعلمون

وفد عروة بن الزبير الى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه اسمعيل فمات فى تلك

الوفادة محمد بن عروة بن الزبير وكان مطلعاً على دواب الوليد فسقط من فوق السطح بينهما فجعلت ترمحه حتى قطعته وكان جميل الوجه جواداً ، فقال اسمعيل يرثيه

صلى الاله على فتى فارقته ... بالشام فى جدث الطَّوِىِّ الملحَد
يوأته بيدىَّ دار اقامة ... نائى المحلة عن مزار العُوَّد
وغبرت أعوله وقد أسلمته ... لصفا الأماعز والصفيح المسند
متخشعاً للدهر ألبس حلة ... فى النائبات بحسرة وتجلد
أعنى ابن عروة انه قد هدَّنى ... فقد ابن عروة هدّة لم تقصد
فاذا ذهبت الى العزاء أرومه ... ليرى المكاشح بالعزاء تجلدى
منع التعزى أننى لفراقه ... لبس العدو علىَّ جلد الأربَد
ونأى الصديق فلا صديق أعده ... لدفاع نائبة الزمان المفسد
فلئن تركتك يا محمد ثاوياً ... لبما تروح على الكرام وتغتدى
كان الذى يزَعُ العدو بدفعه ... ويرد نخوة ذى المراح الأصيد
فمضى لوجهته وكل معمَّر ... يوماً سيدركه حمام الموعد

دخل اسمعيل على عبد الملك بن مروان لما أفضى الأمر اليه بعد قتل عبدالله ابن الزبير فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن فى الانشاد ، فقال له عبدالملك يا ابن يسار انما أنت امرؤ زبيرى فبأى لسان تنشد ؟ فقال يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأناً من ذلك وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناء لأعدائك منى وأنا شاعر مضحك ، فتبسم عبد الملك وأومأ اليه الوليد بأن ينشد فأنشد قوله

ألا يا لقومى للرقاد المسهَّد ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِى
وللحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحب بعد السلوة المتمرد
وللمرء يُلْحَى فى التصابى وقبله ... صبا بالغوانى كل قرْم ممجد
وكيف تناسى القلب سلمى وحبها ... كجمر غضًى بين الشَّراسيف موقد

ومنها

اليك امامَ الناس من بطن يثرب ... ونعم أخو ذى الحاجة المتعمد
رحلنا لأن الجود منك خليقة ... وانك لم يذمُمْ جنابَك مجتد
ملكت فزدت الناس مالم يزدهمُ ... امام من المعروف غير المصرَّد
وقمت فلم تنقض قضاء خليفة ... ولكن بماساروا من الفعل تقتدى
ولما وليت الملك ضاربت دونه ... وأسندته لا تأتلى خير مُسند
جعلت هشاماً والوليد ذخيرة ... وليين للعهد الوثيق المؤكد
وأمضيت عزماً فى سليمان راشداً ... ومن يعتصم بالله مثلك يرشُد

فأمر له عبد الملك بألف درهم صلة وزاد فى عطائه وفرض له ، وقال لولده أعطوه ، فأعطَوه ثلاثة آلاف درهم

وفد الى الوليد بن يزيد وقد أسن وضعف فتوسل اليه بأخيه الغمر ومدحه بقوله

نأتك سليمى فالهوى متشاجر ... وفي نأيها للقلب داء مُخامر
نأتك وهام القلب نأياً بذكرها ... ولَجَّ كما لج الخليع المقامر
بواضحة الأقراب خفَّاقة الحَشَى ... بَرَهْرَهة لا يجتويها المعاشر

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد

اذا عدد الناس المكارم والعلا ... فلا يفخرن يوماً على الغمر فاخر
فما مر من يوم على الدهر واحد ... على الغمر الا وهو فى الناس غامر
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابة ... كما خشعت يوماً لِكسْرى الأساور
أغرّ بطاحىّ كأن جبينه ... اذا ما بدا بدر اذا لاح باهر
وفى عِرْضه بالمال فالمال جُنَّة ... له وأهان المال والعرض وافر
وفى سَيْبه للمجتدين عمارة ... وفي سيفه للدين عز وناصر

نماه الى فرعَيْ لُؤَيّ بن غالب أبوه أبو العاصى وحرب وعامر
وخمسة آباء له قد تتابعوا خلائف عدل ملكهم متواتر
بهاليل سباقون فى كل غاية اذا استبقت فى المكرمات المعاشر
هم خير من بين الحَجُون الى الصَّفَا الى حيث أفضت بالبطاح الحزاور
وهم جمعوا هذا الأنام على الهدى وقد فرقت بين الأنام البصائر

فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم لما مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل اسمعيل على هشام بن عروة فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه ثم أنشد يرثيه

عِيلَ العزاء وخاننى صبري لما نعى الناعى أبا بكر
ورأيت رَيْب الدهر أفردنى منه وأسلم للعدا ظهري
من طيب الأثواب مقتبل حلو الشمائل ماجد غمر
فمضى لوجهته وأدركه قدر أُتيح له من القدر
وغبرت مالي من تذكره الا الأسى وحرارة الصدر
وجوًى يعاودنى وقلَّ له منى الجوى ومحاسن الذكر
لما هوت أيدى الرجال به فى قَعْر ذات جوانب غُبْر
وعلمت أنى لن ألاقيه فى الناس حتى ملتقى الحشر
كادت لفرقته وما ظلمت نفسى تموت على شفَا القبر
ولعمر من حُبس الهَدِىُّ له بالأَخْشَبَيْن صبيحة النحر
لو كان نيل الخلد يدركه بشر بطيب الخِيم والنَّجْر
لغبرتَ لا تخشى المنون ولا أودى بنفسك حادث الدهر
ولنعم مأْوَى المرملين اذا قَحِطوا وأخلف صائب القطر
كم قلت آونة وقد ذَرِفت عينى فماء شؤونها يجرى

أنى وأى فتى يكون لنا شَرْواك عند تفاقم الأَمر
لدفاع خَصم ذى مشاغبة ولعائل تَرِب أخى فقر
ولقد علمت وان ضُمِّنْتُ جَوًى مما أُجن كواهج الجمر
ما لامرىء دون المنية من نَفَق فيُحرزه ولا ستر

وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير فقال له أحسنت وأسرفت فى القول فلو قلت هذا فى رجل من سادات قريش لكان كثيراً ، فزجره هشام وقال بئس والله ماواجهت به جليسك ، فشكره اسمعيل وجزّاه خيراً فلما انصرف تناول هشام الرجل الزبيرى وقال ما أردت الى رجل شاعر ملك قوله فصرف أحسنه الى أخيه ؟ مازدت على أن أغريته بعرضك وأعراضنا لولا انى تلافيته

ومن قوله يرثى محمد بن عروة بن الزبير

تلك عرسى تروم هجرى سفاهاً وجفتني فما توافى عناقى
زعمت أنها تواتى مع المـا ل وانى محالف املاقى
وتناست رزية بدِمَشْق أشخصت مهجة فويق التَّراقى
يوم تلقى نعش ابن عروة محمو لا بأيدي الرجال والأعناق
مستحثاً به سباقاً الى القبـــر وما ان لحثهم من سباق
ثم وليت موجعاً قد شجانى قرب عهد بهم وتلاق

محمد بن يسار

هو أخو اسمعيل بن يسار كان رثاء شاعراً من طبقة أخيه ، ولم أجدله خبراً فأذكره ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها ، منها قوله فى قصيدة طويلة

غَشِيت الدار بالسند دُوَين الشِّعب من أُحُد
عفت بعدى وغيرها تقادم سالف الأَبد

ولاسمعيل ابن يقال له ابراهيم ، شاعر أيضاً وهو القائل

مضى الجهل عنك الى طيّته وآبَكَ حلمك من غيبته

وأصبحت تُعجَب مما قد رأيـــت من نقض دهر ومن مرّته

داود بن سلم

هو داود بن سلم التيمى مولى بني تيم بن مرة مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، من ساكني المدينة وكان من أقبح الناس وجهاً

من قوله يمدح عمر بن عبد الله بن مَعمَر

واذا دعا الجأى النصير لنصره وأرتنى الغرر النضيرة معمر

متخازرين كأن أُسْد خَفِيَّة بمقامها مستبسلاتٍ تزْأَر

متجاسرين بحمل كل ملمة متجبرين على الذى يتجبر

عسل الرضا فاذا أردت خصامهم خلط السِّمام بفيك صاب مُمْقِر

لا يطبَعون ولا ترى أخلاقهم إلا تطيب كما يطيب العنبر

رفعوا بناى بعتق حوط دنية جدّى وفضلهم الذى لا ينكر

وحوط أبو أمه

كان داود من أبخل الناس فطرقه قوم وهو بالعقيق فصاحوا به العَشاء والقِرى يا ابن سلم ، فقال لهم لا عشاء لكم عندى ولاقرى ، قالوا فأين قولك فى قصيدتك اذ تقول فيها

يا دار هند ألا حييت من دار لم أقض منك لُباناتى وأوطارى

عودت فيها اذا ما الضيف نبهني عقر العَشارى على يسرى واعسارى

قال لستم من أولئك الذين عنيت

ودخل على السرى بن عبد الله الهاشمي وقد أصيب بابن له فوقف بين يديه ثم أنشده

يامن على الأرض من عُجْم ومن عرب ... استرجعوا خاست الدنيا بعباس
فجعت من سبعة قد كنت آملهم ... من ضِنْء والدهم بالسيد الراسى

ومن قوله

قل لأسماء أنجزى الميعادا ... وانظري أن تزودى منك زادا
ان تكونى حللت رَبْعاً من الشا ... م وجاورت خِيراً أو مُرادا
أو تناءت بك النوى فلقد قد ... ت فؤادى لحينه فانقادا
ذاك أنى علقت منك جوى الحـ ... ـب وليداً فزدت شيئاً فزادا

كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم أن يصله فلما مدح داود جعفر بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن تباعد شديد ، أغضب ذلك الحسن فقدم من حج أو عمرة فدخل عليه داود مسلماً فقال له الحسن أنت القائل فى جعفر

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر ... وكان المنى فى جعفر أن يؤمرا
حوى المنبرين الطاهرين كليهما ... اذا ما خطا عن منبر أمّ منبرا
كأن بني حواء صُفُّوا أمامه ... فخيِّر من أنسابهم فتخيرا

فقال داود نعم جعلنى الله فداءكم فكنتم خيرة اختياره وأنا الذى أقول

لعمرى لئن عاقبت أوجدت منعما ... بعفو عن الجانى وان كان معذرا
لأنت بما قدمت أولى بمنحة ... وأكرم فرعاً ان فخرت وعنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم ... ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرا
وزيد الندى والسبط سبط محمد ... وعمك بالطَّفّ الزكي المطهرا
وما نال من ذا جعفر غير مجلس ... اذا ما نفاه العزل عنه تأخرا
بحقكم نالوا ذراها فأصبحوا ... يرَون به عزاً عليكم ومفخرا

فعاد الحسن الى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن اليه الى أن مات

قال أبو الزناد كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة حيال ذى الحُليفة نصف الليل جلوساً فى القمر وأبو السائب المخزومى معنا ، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسماع ، وبين أيدينا طبق عليه فريك فنحن نصيب منه والحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة ، فأنشد الحسن قول داود ابن سلم وجعل يمد به صوته ويطربه

فعرسنا ببطن عُرَيتِنات ليجمعَنا وفاطمةَ المسير
أتنسى اذ تعرض وهو باد مقلَّدها كما برق الصَّبير
ومن يُطع الهوى يعرف هواه وقد ينبيك بالأمر الخبير
على أنى زفرت غداة هَرْشَى فكاد يَريبهم مني الزفير

فأخذ أبو السائب الطبق فرفع به الى السماء فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد فقال له مالك ويحك ؟ أجننت ؟ فقال أبو السائب أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما أعدت انشاد هذا الصوت ومددته كما فعلت ، فما ملك الحسن نفسه ضحكاً وردد الأبيات لاستحلافه اياه ، قال أبو الزناد ، فلما خرجنا قال لي أبو السائب يا ابن أبى الزناد أما سمعت مدّه « ومن يطع الهوى يعرف هواه » قلت نعم ، فقال لو علمت أنه يقبل مالي لدفعته اليه بهذه الأبيات الثلاثة

بينما سعد بن ابراهيم فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يقضى بين الناس اذ دخل عليه زيد بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر ومعه داود بن سلم وعليهما ثياب ملونة يجرانها ، فأومأ أن يؤتى بهما ، فأشار الى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه وأومأ الى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله ، ثم قال لعون من أعوانه ادع لي نوح بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فدعى له ، فجاء أحسن الناس سَمْتاً وتشميراً

ونقاء ثياب ، فأشار اليه فجلس ، ثم أقبل على زيد فقال له يا ابن أخى تشبه بشيخك هذا وسمته وتشميره ونقاء ثوبه ولا تعد الى هذا اللبس ، قم فانصرف ، ثم أقبل على ابن سلم « وكان قبيحاً » فقال له هـذا ابن جعفر أحتمل هذا له وأنت لأى شىء أحتمل هـذا لك ألائم أصلك أم لسماجة وجهك ؟ جرد ياغلام ، فجرد فضربه أسواطاً ، فقال ابن رهيمة

جلد العادل سـعد ابن سَلْم فى السماجة
فقضى الله لسعـد من أمير كل حاجة

قالت ظبية مولاة فاطمة بنت عمرو بن مصعب أرسلتنى مولاتى فاطمة فى حاجـة فمررت برَحبَة القضاء فاذا بضُبَيعة العَبْسى خليفة جعفر بن سليمان يقضى بين الناس ، فأرسل اليَّ فدعانى وقد كنت رطلت شَعرى وربطت فى أطرافه من ألوان العِهْن ، فقال ما هذا ؟ فقلت شىء أتحلى به ، فقال يا حرَسى قنعها بالسوط ، فتناولت السوط بيدى وقلت قاتلك الله ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن ابراهيم ، سعد يجلد الناس فى السماجة وأنت تجلدهم فى الملاحة ، فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه وقال خلِّ عنها ، قالت فـكان جعفر يسوم بى وكانت مولاتى تقول لا أبيعها الا أن تهْوَى ذلك وأقول لا أريد بأهلى بدلا الى أن مررت يوماً بالرحبة وهو فى منظرة دار مروان فأرسل اليَّ فدعانى فوجدته من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به وحازم وجرير جالسان ، فقال لي حازم الأمير يريدك ، فقلت لا أريد بأهلى بدلاً ، وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان فارتعت لذلك فقلت آه ، فقال مالك ؟ فقلت

سمعت بذكر الناس هنداً فلم أزل أخا سقم حتى نظرت الى هنـد

قال فأبصرت ماذا ويحك ؟ قلت

فأبصرت هنداً حرة غير انهـا تصدّى لقتل المسلمين على عمد

فضحك حتى استلقى وأرسل الى مولاتى ليبتاعني ، فقالت لا والله لا أبيعها حتى تستبيعنى ، فقلت والله لا أستبيعك أبداً

خرج داود الى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فلما نزل به حط غلمانه متاع داود وحلوا عن راحلته ، فلما دخل عليه أنشأ يقول

ولما دُفعت الى أبوابهم ولاقيت حرباً لقيت النجاحا
وجدناه يحمَده المجتدون ويأبَى على العسر الا سماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرَى كابهم يَهاب الهرير وينسى النُّباحا

فأجازهُ بجائزة سنية ، ثم استأذنه فى الخروج ، فأذن له وأعطاه ألف دينار ، فلم يُعنه أحد من غلمانه ولم يقومها اليه ، فظن أن حرباً ساخط عليه ، فرجع اليه فأخبره بما رأى من غلمانه ، فقال له سلهم لِمَ فعلوا بك ذلك ؟ فسألهم ، فقالوا انا ننزل من جاء ولا نرحل من خرج عنا ، فسمع الغاضرى حديثه ، فأتاه فحدثه فقال أنا يهودي ان لم يكن الذى قاله الغلمان أحسن من شعرك

ومما استحسن له

لجِجت من حبي فى تقريبه وعميت عيناى عن عيوبه
كذاك صرف الدهر فى تقليبه لا يُلبث الحبيبَ عن حبيبه
أو يغفر الأعظم من ذنوبه

ومن قوله

وما ذرَّ قرْن الشمس الا ذكرتها وأذكرها فى وقت كل غروب
وأذكرها ما بين ذاك وهذه وبالليل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شفَنى شوقى وأبلانىَ الهوى وأعيا الذى بى طبُّ كل طبيب
وأعجب أنى لا أموت صبابة وما كمَد من عاشق بعجيب
وكل محب قد سلا غير أنني غريب الهوى ياويح كل غريب
وكم لام فيها من أخ ذى نصيحة فقلت له أقصر فغير مصيب
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه أتصلح أجسام بغير قلوب

كان داود منقطعاً الى قثم بن العباس وفيه يقول

عتقت من حلى ومن رحلتى يا ناق ان أدنيتني من قُثَم
انك ان أدنيت منه غداً حالفني اليسر ومات العدم
في وجهه بدر وفى كفه بحر وفى العِرْنين منه شمم
أَصَمّ عن قيل الخَنا سمعُه وما عن الخير به من صمم
لم يَدْر ما «لا» وبلى قد درى فعافها واعتاض منها نَعَمْ

دعا الحسن بن زيد اسحق بن ابراهيم بن طلحة التيمى أيام كان بالمدينة الى ولاية القضاء ، فأبى ، فحبسه وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه ، وبلغ ذلك الحسن بن زيد فأرسل اليه فأتى به ، فقال انك تلاججت عليَّ وقد حلفت ألاَّ أرسلك حتى تعمل لي فأبرر يميني ، ففعل ، فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس فى المسجد مجلس القضاء والجند على رأسه ، فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال

طلبوا الفقه والمروءة والحلـــم وفيك اجتمعن يا اسحق

فقال ادفعوه ، فدفعوه ، فتنحى عنه فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء ، فلما سار الى منزله أرسل الى داود بن سلم بخمسين ديناراً وقال للرسول قل له يقول لك مولاك ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك

قال داود كنت يوماً جالساً مع قُثَم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائه ، فمرت بنا جارية فأُعجب بها قثم وتمناها فلم يمكنه ثمنها ، فلما ولى قثم اليمامة اشترى الجارية انسان يقال له صالح ، فكتبت الى قثم

يا صاحب العيس ثم راكبها أبلغ اذا ما لقيتـــه قُثَما
ان الغزال الذى أجاز بنا معارضاً اذ توسط الحرما
حوَّله صالح فصار مع الأنســـس وخلى الوحوش والسَّلَما

فأرسل قُثَم فى طلب الجارية ليشتريها فوجدها قد ماتت

موسى شهوات

هو موسى بن بشار التيمى بالولاء يلقب بشهوات لأنه كان سؤولاً ملحفاً وكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فاذا قيل له مالك ؟ قال أشتهى هذا ، فسمى موسى شهوات

شاعر من شعراء أهل الحجاز وكان الخلفاء من بنى أمية يحسنون اليه ويُدرون عطاءه وتجيئه صلاتهم الى الحجاز

من شعره يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بقصيدة أولها

شاقني اليوم حبيب قد ظعن ... ففؤادي مستهام مرتهن

ان هنداً تيمتنى حقبة ... ثم بانت وهى للنفس شجن

فتنة ألحقها الله بنا ... عائذ بالله من شر الفتن

ومنها

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى فى بيعه أن قد غبن

فهو ان أعطى عطاءً فاضلاً ... ذا إخاء لم يكدره بمنّ

واذا ما سنة مجدبة ... برت الناس كبرى بالسفن

حسرت عنه نقياً عرضه ... ذا بلاء عند مختاها حسن

نور صدق بين فى وجهه ... لم يصب أثوابه لون الدرن

كنت للناس ربيعاً مغدقاً ... ساقط الأكناف ان راح ارجحنّ

وكان حمزة فتى كريماً جواداً على هوَج كان فيه ، ولاه أبوه العراقين وعزل مصعباً لما تزوج سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم ، فلما ولى حمزة أساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً شجاعاً أهوج ، فوفدت الى أبيه الوفود فى أمره وكتب اليه الأحنف بأمره وما ينكره الناس منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم ، فعزله عن البصرة

مدح سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وقد أعطاه بعد أن حرمه سعيد بن خالد العثماني

أبا خالد أعنى سعيدَ بن خالد ... أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذى ... أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى ... فان مات لم يرض الندى بعقيد
فدى للكريم العَبْشَمى ابن خالد ... بَنِىَّ ومالي طارفى وتَلِيدى
على وجهه تلقى الأيامن واسمه ... وكل جوارى طيره بسعود
أبان وما استغنى عن الثدى خيره ... أبان به فى المهد قبل قعود
دعُوه دعُوه انكم قد رقدتمُ ... وما هو عن أحسابكم برَقود
ترى الجند والجناب يغشَوْن بابه ... بحاجاتهم من سيد ومسود
فيعطِى ولا يعطَى ويُغشَى ويُجتدَى ... وما بابه للمجتدِى بسديد
قتلت أناساً هكذا فى جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهمُ بحديد
يعيشون ما عاشوا بغيظ وان تَحِنْ ... منايامُ يوْماً تَحِنْ بحقود
فقل لبغاة العرف قد مات خالد ... ومات الندى الا فضول سعيد

لما زفت فاطمة بنت الحسين الى عبد الله بن عمرو بن عثمان عارضها موسى شهوات

طلحة الخير جدكم ... ولحير الفواطم
أنت للطاهرات من ... فرع تيم وهاشم
أرتجيكم لنفعكم ... ولدفع المظالم

فأمر له بكسوة ودنانير وطيب

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق ، وكان فتى جواداً سمحاً ، فلما ركب وثب اليه فأخذ بعنان دابته ثم قال

قم فصوت اذا أتيت دمشقاً ... يا يزيد بن خالد بن يزيد

يايزيد بن خالد ان تُجبنى يَلْقَنى طائرى بنجم السعود

فأمر له بخمسين ألف درهم وكسوة وقال له كلما شئت فنادنا نجبك

سأل موسى بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو ابن عثمان فبعث اليه بما كان التمسه من الزبيرى من غير مسئلة فوقف عليه موسى في المسجد ثم أنشأ يقول

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه النـاس غير أنك فان

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ألاَّ بقاء للانسان

قضي أبو بكر بن عبـد الرحمن على موسى بقضية « وكان خالد بن عبد الملك استقضاه فى أيام هشام بن عبد الملك » فقال موسى يهجوه

وجدتك فهًّا فى القضاء مخلطاً فقدتك من قاض ومن متأمر

فدع عنك ماشيدته ذات رخة أذى الناس لاتحشرهم كل محشر

ثم ولى القضاء سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصارى فقال يمدحه

من سره الحـكم صرفاً لامزاج له من القضاة وعدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير ان بهـا أمضى على الحق من سيف ابن جُرْموز

وكان سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قد ولى المدينة واشتد على السفهاء والشعراء والمغنين ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه وكان قبيح الوجه فقال موسى يهجوه

قل لسعد وجه العجوز لقد كنـــت لمـا قد أتيت سعداً مخيلا

ان تـكن ظالماً جهولاً فقد كا ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه

لعن الله والعباد تطيط الـــوجه لايرتجى قبيح الجوار

يتقى الناس فحشه وأذاه مثل ما يتقون بول الحمار

لاتغرنك سجدة بين عينيـــه حذار منها ومنه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا س عليها من سجدة بالدبار

شعراء مخزوم

خالد بن المهاجر بن خالد

هو خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة من مخزوم بن يقظة بن مرة

كان الوليد سيداً من سادات قريش وجواداً من أجوادها ، وكان يلقب بالوحيد ، ولما مات أرخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخاً ، وقيل انها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة سبع سنين الى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها

وخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والغناء بحروبه المحل المشهور ، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاصي وعثمان بن أبي طلحة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها ، وشهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول من دخلها من مهاجرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مؤتة ، فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب عليه السلام وعبد الله بن رواحة ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم انحاز بهم وحامى عنهم حتى سلموا ، فلقبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وكان يوم حنين في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه بنو سليم ، فأصابته جراح كثيرة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين فنفث في جراحه فنهض ، وله آثار في قتال أهل الردة في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة يطول ذكرها ، وهو فتح الحيرة ، بعث اليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة ، فكلمه خالد ،

فقال له من أين أقبلت ؟ قال من ورائى ، قال وأين تريد ؟ قال أمامى ، قال ابن كم أنت ؟ قال ابن رجل واحد وامرأة ، قال فأين أقصى أثرك ؟ قال منتهى عمري ، قال أتعقل ؟ قال نعم وأقيد ، قال ما هذه الحصون ؟ قال بنيناها نتقى بها السفيه حتى يردعه الحليم ، قال لأمر مّا اختارك قومك ، ما هذا فى يدك ؟ قال سم ساعة ، قال وما تصنع به ؟ قال أردت أن أنظر ما تردنى به فان بلغت ما فيه صلاح لقومى عدت اليهم والا شربته فقتلت نفسى ولم أرجع الى قومى بما يكرهون ، قال له خالد أرنيه ، فناوله إياه ، فقال خالد بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم أكله فتجلّته غَشْيَة ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه ، فرجع ابن بقيلة الى قومه فأخبرهم بذلك وقال ما هؤلاء القوم الا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما يريدون ، ففعلوا ، وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التى بعثها الى الشام لحرب الروم وفيهم أبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل ، فرضوا بامارته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم فأخذ خالد شعره فجعله فى قَلَنْسُوة له ، فكان لا يلقى جيشاً وهو عليه الا هزمه ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وحمل عنه ، ورآه النبى صلى الله عليه متدلياً من هَرْشَى فقال نعم الرجل خالد بن الوليد ، ولما مات لم تبق امرأة من بني المغيرة الا وضعت لمتها على قبره « يعنى حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره » ، وقال عمر حينئذ دعوا نساء بني المغيرة يبكين على أبى سليمان ويُرِقن من دموعهن سَجْلاً أو سَجْلين ما لم يكن نَقْع أو لَقْلقة « والنقع مد الصوت بالنحيب واللقلقة مد اللسان بالولولة ونحوها »

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشبه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمر سحراً ، فلقيه شيخ فقال له مرحباً بك أبا سليمان ، فنظر اليه عمر فاذا هو علقمة بن عُلاثة ، فرد عليه السلام ، فقال له عزلك عمر بن الخطاب ؟ فقال له عمر نعم ،

قال ما يشبع لا أشبع الله بطنه ، قال له عمر فما عندك ؟ قال ما عندى الا السمع والطاعة ، فلما أصبح دعا بخالد وحضر علقمة ، فأقبل على خالد فقال له ماذا قال لك علقمة ؟ قال ما قال لي شيئاً ، فقال اصدُقني ، فحلف خالد بالله ما لقيه ولا قال له شيئاً ، فقال له علقمة حِلاً أبا سليمان ، فتبسم عمر ، فعلم خالد أن علقمة قد غلط ، فنظر اليه وفطن علقمة ، فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عني عفا الله عنك ، فضحك عمر وأخبره الخبر

ولما أراد معاوية أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشام ان أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودق عظمه واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون ؟ قالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت وأضمرها ، ودس ابن أثال الطبيب اليه فسقاه سماً فمات ، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر خبره وهو بمكة وكان أسوأ الناس رأياً في عمه لأن أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفِّين وكان عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه هاشمي المذهب دخل مع بنى هاشم الشِّعب ، فاضطغن لذلك ابن الزبير عليه فألقى عليه زِقّ خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه أنه وجده مُمِلاً من الخمر فضربه الحد ، فلما قتل عمه عبد الرحمن مرَّ به عروة بن الزبير فقال له يا خالد أتدَع ابن أثال يفنى أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مُسْبل ازارك تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمى خالد ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فأخبره الخبر وقال له لا بد من قتل ابن أثال ، وكان نافع جَلْدًا شهماً ، فخرجا حتى قدما دِمَشْق ، وكان ابن أثال يمسى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق الى أسطوانة وجلس غلامه الى أخرى حتى خرج ، فقال لنافع إياك أن تعرض له فانى أضربه ولكن احفظ ظهرى واكفني مَن ورائى فان رابك شيء تراه من خلفى فشأنَك ، فلما حاذاه وثب عليه خالد فقتله ، وثار اليه من كانوا معه ، فلما غشُوهما حملا عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم ،

وبلغ معاوية الخبر ، فقال هـذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه ، ففتش عليه فأتى به ، فقال لا جزاك الله من زائر خيراً قتلت طبيبى ، قال قتلت المأمور وبقى الآمر ، فقال له عليك لعنة الله أما والله لو كان تشهد مرة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال لا ، قال بلى والله ما اجترأت الا به ، ثم أمر به فطلب فوجد فضربه مائة سوط ، ولم يهيج خالداً بشىء أكثر من أن حبسه وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثنى عشر ألف درهم أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم وأخذ ستة آلاف ، ولم يزل ذلك في دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبدالعزيز فأبطل الذى يأخذه السلطان لنفسه وأثبت الذى يدخل بيت المال

وخالد بن المهاجر الذى يقول

يا صاح يا ذا الضامر العَنْس والرحل ذى الأنساع والحِلْس (١)
سير النهار فلست تاركه وتُجِدّ سيراً كلما تمسي

ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال فى السجن

إمَّا خطاى تقاربت مشى المقيد فى الحصار
فبما أمشِّى فى الأبا طح يقتفى أثرى ازارى
دع ذا ولكن هل ترى ناراً تُشَبّ بذى مُرَار
ما إن تشب لقُرَّة بالمصطلين ولا قَتَار
ما بال ليلك ليس ينـ ـقص طوله طول النهار
أتقاصَرُ الأيام أم غَرِض الأسير من الأسار

فبلغت أبياته معاوية فرق له فأطلقه ، فرجع الى مكة ، فلما قدمها لقى عروة بن الزبير ، فقال له أما ابن أثال فقد قتلته وهذا ابن جُرْموز يفني أوصال الزبير فاقتله

(١) الحلس كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج كالمرشحة تكون تحت اللبد والانساع جمع نسع بالكسر وهو حبل من أدم يكون عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال القطعة منه نسعة والعنس الناقة الصلبة القوية

ان كنت ثائراً ، فشكاه عروة الى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فأقسم عليه أن يمسك عنه ففعل

ومن قول خالد بن المهاجر بن خالد وفيه غناء

رب ليل ناعم أحييتـــه ... فى عفاف عند أفناء الحشى
ونهار قد لهونا بالتى ... لا ترى شبهاً لها فيمن مشى
لطلوع الشمس حتى آذنت ... لغروب أنت تهوى من تشا
لسليمى ما دعت قُمْرِيَّة ... بهَدِيل فوق غصن من غضَى
وعُقار قهوة باكرتها ... فى نَدَامَى كمصابيح الدجى
وجواد سابح أقحمتـــه ... حَوْمة الموت على زُرْق القنَا

الحرث بن خالد

هو الحرث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى من مخزوم بن يقَظة بن مرة

أمه فاطمة بنت سعيد بن الحرث بن هشام ، أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغزَل الى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوَى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها ، وولاه عبد الملك ابن مروان مكة وكان ذا قدر وخطر ومنظر فى قريش

قال معاذ بن العلاء أخو أبى عمرو بن العلاء كان أبو عمرو اذا لم يحج استبضعنى الخروف أسأل عنها الحرث بن خالد وآتيه بجوابها ، فقدمت عليه سنة من السنين وقد ولاه عبد الملك بن مَرْوان مكة فلما رآنى قال يامعاذ هات ما معك من بضائع أبى عمرو فجعلت أتعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير

قال الحزامى كانت العرب تفضل قريشاً فى كل شىء الا فى الشعر ، فلما نجم

فى قريش عمر بن أبى ربيعة والحرث بن خالد المخزومى والعَرْجى وأبو دَهْبَل وعبدالله ابن قيس الرقيات أقرت لها بالشعر أيضاً

تفاخر مولى لعمر ومولى للحرث بشعريهما ، فقال مولى الحرث لمولى عمر دعنى منك فان مولاك والله لا يعرف المنازل اذا قلبت « يعنى قول الحرث »

عفت الديار فما بها أهل ... حزانها ودِمانها السهل
انى وما نحروا غَداة منًى ... عند الجمار يؤودها العُقل
لو بُدِّلت أعلى مساكنها ... سُفلا وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيرده الإقواء والمَحْل
لعرفت مَغْناها بما اشتملت ... مني الضلوع لأَهلها قبل

كان بنو مخزوم زبيرية الا الحرث بن خالد فانه كان مروانياً ، فلما ولى عبد الملك عام الجماعة وفد عليه الحرث فى دين كان عليه فظهرت له منه جفوة وأقام ببابه شهراً لا يصل اليه فانصرف عنه وقال فيه

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطَّعت نفسى أذيمها
وما بى ان أقصيتنى من ضَراعة ... ولا افتقرت نفسى الى من يَضيمها
عطفت عليك النفس حتى كأنما ... بكفيك بؤسى أو عليك نعيمها

وبلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر فأرسل اليه من رده من طريقه ، فلما دخل عليه قال له حار أخبرنى عنك ، هل رأيت عليك فى المقام ببابى غَضاضة أو فى قصدى دناءة ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ، قال فما حملك على ما قلت وفعلت ؟ قال جفوة ظهرت لي وكنت حقيقاً بغيرهذا ، فولاه مكة فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ فأرسلت اليه أخر الصلاة حتى أفرُغ من طوافى ، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس ، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، فعزله ، وكتب اليه يؤنبه فيما فعل ،

فقال ما أهون غضبه اذا رضيت، فلما قضت حجها أرسل اليها يا ابنة عمى ألمِّى بنا أوعدينا مجلساً نتحدث فيه، فقالت في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها فقال فيها

ما ضركم لو قلتمُ سددا ... ان المطايا عاجل غدها
ولها علينا نعمة سلفت ... لسنا على الأيام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها ... تمت بذلك عندنا يدها

ومما غنى فيه من قوله فيها

زعموا بأن البين بعد غد ... فالقلب مما أحدثوا يَجِف
والعين منذ أجَدّ بينهمُ ... مثل الجُمان دموعها تكِف
ومقالها ودموعها سُجُم ... أقلل حنينك حين تنصرف
تشكو ونشكو ما أشتَّ بنا ... كل بوشك البين معترف

قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت له من أين أقبل الرجل ؟ قال من مكة، فقالت فما فعل الأعرابى ؟ فلم يفهم ما أرادت، فلما عاد الى مكة دخل على الحرث فقال له من أين ؟ قال من المدينة، قال فهل دخلت على عائشة بنت طلحة ؟ قال نعم، قال فعماذا سألتك ؟ قال قالت لي مافعل الأعرابى ؟ فقال له الحرث عد اليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع اليها هذه الرقعة وكتب اليها فيها

من كان يسأل عنا أين منزلنا ... فالأقحوانة منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفواً ما يكدره ... طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
ليت الهوى لم يقربنى اليك ولم ... أعرفك اذ كان حظى منكم الحزن

لما ولى عبد الملك الحرث مكة بعث الي الغريض فقال له لا أرينّك فى عملى وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه فخرج الغريض الى ناحية الطائف وبلغ ذلك الحرث فرق له فرده وقال له لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولا تقربنا ؟ قال

الغريض كانت هفوة من هفوات النفس وخُطوة من خطوات الشيطان ومثلك من وهب الذنب وصفح عن الجرم وأقال العثرة وغفر الزلة ولست بعائد الى ذلك أبداً ، قال وهل غنيت فى شيء من شعرى ؟ قال نعم فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال هات ما غنيت ، فغنى

بان الخليط فما عاجوا ولا عدلوا ... اذ ودعوك وحنَّت بالنوى الابل
كأن فيهم غداة البين اذ رحلوا ... أُدْما أطاع لها الحَوْذان والنَّفَل

ثم غنى

يا ليت شعرى وكم من مُنْية قُدرت ... وَفقاً وأخرى أتى من دونها القدر
ومُضْمَر الكَشْح يَطويه الضجيع له ... طي الحمالة لاجاف ولا فقر
له شبيهان لا نقص يَعيبهما ... بحيث كانا ولا طول ولا قصر

فقال له الحرث يا غريض لا لوم فى حبك ولا عذر فى هجرك ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك ، يا غريض لو لم يكن لي فى ولايتى مكة حظ الا أنت لكان حظاً وافياً كافياً ، يا غريض انما الدنيا زينة فأزين الدنيا ما فرح النفس ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء

ومنه

ان امرأً تعتاده ذكرَى ... منها ثلاثَ منًى لذو صبر
ومواقف بالمشعَرين لها ... ومناظر الجمرات والنحر
وافاضة الركبان خلفهمُ ... مثل الغمام أرذَّ بالقطر
حتى استلمن الركن فى أنف ... من ليلهن يطأن فى الأُزر
يقعدن في التطواف آونة ... ويطفن أحياناً على فَتر
فرغن من سبع وقد جهدت ... أحشاءهن موائلُ الخُمُر

لما مات عمر بن عبيد الله التيمى عن عائشة بنت طلحة قيل للحرث بن خالد ما يمنعك الآن منها ؟ قال والله لا يتحدث رجال من قريش أن نسيبى بها كان لشىء من الباطل

تنازع الحرث بن خالد وهو أمير مكة وأبان بن عثمان وهو أمير المدينة الحج بالناس سنة خروج ابن الأشعث لأن عبد الملك شغل عن أن يولي على الحج رجلا وكانت الغلبة لأبان ، فقال الحرث

فان تنج منها يا أبان مسلماً ... فقد أفلت الحجاج خيل شبيب
وكاد غداة الدير يُنفذ حضنه ... غلام بطعن القرن جِدّ طبيب
وأنسوه وصف الدير لما رآهمُ ... وحسَّن خوف الموت كل مغيب

فلقيه الحجاج بعد ذلك فقال مالي ولك ياحارث؟ أينازعك أبان عملا فتذكرنى؟ فقال له ما اعتمدت مساءتك ولكن بلغنى أنك أنت كاتبته ، قال والله مافعلت ، فقال له الحرث المعذرة الى الله واليك يا أبا محمد

قدمت عائشة مكة تريد العمرة فلم يتمكن الحرث من كلامها حتى خرجت ، فقال وذكر حاضنتها بسرة

يا دار أقفر رسمها ... بين المحصَّب والحَجون
أقوت وغير آيها ... مر الحوادث والسنين
واستبدلوا ظَلَف الحجا ... ز وسُرَّة البلد الأمين
يا بُسْرَ انى فاعلمى ... بالله مجتهداً يمينى
ما ان صرمت حبالكم ... فصِلى حبالك أو ذرينى

وقال الحارث فى زوجته أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد وكناها بابنها عمران

يا أم عمران ما زالت وما برحت ... بى الصبابة حتى شفَّنى الشفق

القلب تاق اليكم كى يلاقيكم كما يتوق الى منجاته الغرق
تنيل نزراً قليلا وهى مشفقة كما يخاف مسيس الحية الفرق

فأنشد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبيد الله بن مطيع هذا الشعر ثم فطن فأمسك فقال له لا عليك فانها كانت زوجه ، ويروى أنه قال له امض رحمك الله وما بأس ذلك رجل متزوج بنت عمه وكان لها كفأ كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ فكان ماذا ؟

بينا الحرث واقف على جمرة العقبة اذ رأى أم بكر وهى ترمى الجمرة فرأى أحسن الناس وجهاً ، وكان فى خدها خال ظاهر ، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها ، ثم أرسل اليها يسألها أن تأذن له فى الحديث فأذنت له ، فكان يأتيها يتحدث اليها حتى انقضت أيام الحج فأرادت الخروج الى بلدها فقال فيها

ألا قل لذات الخال ياصاح فى الخد تدوم اذا بانت على أحسن العهد
ومنها علامات بمجرى وشاحها وأخرى تزين الجيد من موضع العقد
وترعى من الود الذى كان بيننا فما يستوى راعى الأمانة والمبدى
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزي ولا تخلفى لاخير فى مخلف الوعد
وجودى علىّ اليوم منك بنائل ولا تبخلى قد متّ قبلك فى اللحد
فمن ذا الذى يبدى السرور اذا دنت بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدى
دنوكم منا رجاء نناله ونأيكم والبعد جهد على جهد
كثير اذا تدنو اغتباطى بك النوى ووجدى اذا ما بنتم ليس كالوجد
أقول ودمعى فوق خدى مخضل له وشل قد بلّ تهتانه خدى
لقد منح الله البخيلة ودنا ومامنحت ودى بدعوى ولاقصد

وقال فى ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود ورآها تطوف وأمها ميمونة بنت أبى سفيان بن حرب

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى ... من الناس شمساً بالعِشاء تطوف
أبو أمها أوفى قريش بذمة ... وأعمامها امّا سألت ثقيف

وفيها يقول

أمن طلل بالجزع من مكة السدر ... عفا بين أكناف المشقّر فالحَضْر
ظَلِلت وظل القوم من غير حاجة ... لدن غدوة حتى دنت حزّة العصر
يبكّون من ليلى عهوداً قديمة ... وماذا يبكي القوم من منزل قفر

ويقول

لقد أرسلت فى السر ليلى تلومنى ... وتزعمني ذا مَلّة[1] طَرِفاً جلدا
وقد أخلفتنا كل ما وعدت به ... ووالله ما أخلفتها عامداً وعدا
فقلت مجيباً للرسول الذي أتى ... تراه لك الويلات من قولها جدا
اذا جئتها فاقرِ السلام وقل لها ... دعى الجور ليلى واسلكى مسلكا قصدا
أفى مكثنا عنكم ليالي مرضتها ... تزيدينني لبلى على مرضى جهدا
تَعُدّين ذنباً واحداً ما جنيته ... علىَّ وما أحصى ذنوبكمُ عدا
فان شئت حرمت النساء سواكمُ ... وان شئت لم أطعم نُقاخاً[2] ولا بَرْدا
وان شئت غُرنا[3] بعدكم ثم لم نزل ... بمكة حتى نجلسى قابلا نجدا

ومما قاله فى عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببسرة جاريتها

يا ربع بُسْرة بالحناب تكلم ... وأبن لنا خبراً ولا تستعجم
مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً ... خَلَقاً كحوض الباقر المتهدم
تسبي الضجيع اذا النجوم تغورت ... طوع الضجيع أنيسة المتوسَّم
قُبّ البطون أوانس مثل الدُّمَى ... يخلطن ذاك بعفة وتكرم

(١) الملة الملل والطرف من لا يثبت على صاحب (٢) النقاخ الماء البارد العذب الصافى لانه ينقخ العطش أى يكسره (٣) غار غوراً أتى الغور

ومنه

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت ... بعدي وبدّل آيهن دُثورا

وتبدلت بعد الأنيس بأهلها ... عُفْراً بواغم يرتعين وُعورا

من كل مُصْبية الحديث ترى لها ... كمثلا كرابية الكثيب وَثيرا

دع ذا ولكن هل رأيت ظعائناً ... قربن أجمالا لهن بكورا

قربن كل مُخيّس[1] متجمل ... بُزْلا تشبه هامهن قبورا

يفتِنّ لا يألون كل معقّل ... يملأنه بحديثهن سرورا

يادار حسرها البلى تحسيرا ... وسفت عليها الريح بعدك بُورا

ومن التراب نخيله فمخيم ... بعراصها ومسير تسيبرا

يارب بسرة ان أضربك البلى ... فلقد عهدتك آهلا معمورا

عفت الرَّذاذ خلافه فكأنما ... بسط الشواطب فوقهن حصيرا[2]

ان يُمسِ حبلك بعد طول تواصل ... خَلَقاً ويصبح بيتكم مهجوراً

فلقد أراني والجديد الى بلىً ... زمناً بوصلك قانعاً مسرورا

جذِلا بما لى عندكم لا أبتغى ... للنفس غيرك خلة وعشيرا

كنت المني وأعز من وطئ الحصا ... عندى وكنت بذاك منك جديرا

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أولها

هل تعرف الدار أضحت آيها عُجُما ... كالرق أجرى عليها حاذق قلما

بالخَيْف هاجت شؤوناً غير جامدة ... فانهلّت العين تُذرى واكفاً سَجِما

دار لبسرة أمست ما تكلمنا ... وقد أبنت لها لو تعرف الكلما

واهاً لبُسْرة لو يدنو الأمير بها ... ياليت بسرة قد أمست لنا أمما

(١) الابل المحبسة التى حبست للنحر أوالقسم (٢) الشاطبة منى النساء التى تشق الجريد لتعمل منه الحصير

حلت بمكة لا دار مصاقبة ... هيهات جيرون ممن يسكن الحرما
يا بسر انكمُ شطَّ البعاد بكم ... فما تنيلوننا وصلا ولا نعما
قد قلت بالخيف اذ قالت لجارتها ... أدام وصل الذى أهدى لنا الكلما
لا يرغم الله أنفاً أنت حامله ... بل أنف شانيك فيما سركم رَغِما
ان كان رابك شيء لست أعلمه ... مني فهذي يميني بالرضا سَلَما
أو كنت أحببت شيئاً مثل حبكمُ ... فلا أرحت اذاً أهلاً ولا نَعَما
لا تَكِلِيني الى من ليس يرحمنى ... وقاك من تُبغضين الحتف والسَّقما
ان الوشاة كثير ان أطعتهمُ ... لا يرقبون بنا إلاًّ ولا ذمما

ومنه

أَثْلَ جودى على المتيم أثلا ... لا تزيدى فؤاده بك خَبْلا
أثل انى والراقصات بجَمْع ... يتبارَيْن فى الأَزِمَّة فتلا
سانحات يقطعن من عرفات ... بين أيدى المطىّ حَزْناً وسهلا
والأَكف المضمرات على الركـ ... ـن بشُعْث سعَوْا الى البيت رجلا
لا أخون الصديق في السر حتى ... يُنقل البحر بالغرابيل نقلا
أو تمر الجبال مر سحاب ... مرتق قد وعى من الماء ثفلا
أنعم الله لي بذا الوجه عينا ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لاتُفْشِيَنّ حديثى ... يا ابن عمّى أقسمت قلت أجَلْ لا
اتقى الله واقبلى العذر مني ... وتجا فَيْ عن بعض ما كان زلا
لا تصدى فتقتليني ظلماً ... ليس قتل المحب للحب حِلاّ
ما أكن سؤتكم به فلك العُتْـ ... ـبَى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أُرحب بأن سخطت ولكن ... مرحباً ان رضيت وأهلا
ان شخصاً رأيته ليلة البد ... ر عليه انثني الجمال وحلا

جعل الله كل أنثى فداء لك بل خدها لرجلك نعلا
وجهك البدر لو سألت به المز ن من الحسن والجمال استهلا
ان عند الطواف حين أتته لجمالاً فعماً وخلقاً رفلا (١)
وكسين الجمال ان زين عنها فاذا ما بدت لهن اضمحلا

ومنها

أحقاً أن جيرتنا استحبوا حزون الأرض بالبلد السخاخ (٢)
الى عقر الأباطح من ثبير الى ثور فمدفع ذى مراخ
فتلك ديارهم لم يبق فيها سوى طلل المعرس والمناخ
وقد تغنى بها فى الدار حور نواعم فى المجاسد كالأراخ (٣)

ومن قول الحرث فى أمة المالك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد

أقوى من ال ظليمة الحزم فالغمرتان فأوحش الخطم
فجنوب أثبرة فملحدها فالسدرتان فما حوى رسم
وبما أرى شخصاً به حسناً فى القوم اذ حيتكم نعم
اذ ودها صاف ورؤيتها أمنية وكلاهما غنم
هيفاء مملوء مخلخلها عجزاء ليس لعظمها حجم
خمصانة قلق موشحها رود الشباب بلابها عظم
وكأن غالية تباشرها تحت الثياب اذا صفا النجم
أظليم ان مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم
أقصيته وأراد سلمكم فليهنه اذ جاءك السلم

(١) الرفل الكثير اللحم (٢) السخاخ الارض اللينة الحرة (٣) الاراخ بكسر الهمزة بقر الوحش

ابن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة من مخزوم بن يقظة بن مرة

كان جده أبو ربيعة يسمى ذا الرمحين لطوله ، وكان يقال كأنه يمشي على رمحين ، وقيل انه قاتل يوم عكاظ برمحين ، فسمي ذا الرمحين لذلك ، وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم[1]

وأخت بني سهم هي ريطة بنت سعيد بن سهم وهي أم بني المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم وهم هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكه وعدة غيرهم لم يعقبوا وايهم عنى أبو ذؤيب بقوله

صخب الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبي ربيعة مسمع

وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بجيراً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكانت قريش تلقبه العِدْل لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة ويكسوها هو من ماله سنة ، فأرادوا بذلك أنه وحده عدل لهم جميعاً في ذلك ، وفيه يقول ابن الزِّبَعْرَى

بجير بن ذي الرمحين قرب مجلسي وراح عليَّ خيره غير عاتم

وقد قيل ان العدل هو عمه الوليد بن المغيرة ، وكان عبد الله تاجراً موسراً وكان متجره الى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً وأمه أسماء بنت مخرمة ، وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن ، وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جهل والحرث بن هشام فهي أمهما وأم عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة ، وكان لعبد الله

(١) أنظر صفحة ٢٣٥ من الجزء الثاني

عبيد من الحبشة يتصرفون فى جميع المهن ، وكان عددهم كثيراً ، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى حُنَيْن هل لك فى حبش بني المغيرة تستعين بهم ؟ فقال لا خير فى الحبش ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زَنَوْا وان فيهم خلتين جميلتين إطعام الطعام والبأس يوم البأس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ربيعة على الجَنَد ومخاليفها فلم يزل عاملاً عليها حتى قتل عمر رحمة الله عليه ، وقيل ان عثمان بن عفان رحمه الله استعمله أيضاً عليها ، وأم عمر أم ولد يقال لها مجد سبيت من حضرموت أو من حمير ، ومن هناك أتاه الغزل يقال غَزَل يمان ودَلّ حجازى

وكان لعمر ابنٌ صالح يقال له جَوان ، وفيه يقول العَرْجى

شهيدي جوان على حبها ... أليس بعَدْل عليها جوان

جاء جوان الى زياد بن عبد الله الحارثى وهو إذ ذاك أمير على الحجاز فشهد عنده بشهادة ، فتمثل بهذا البيت ثم قال قد أجزنا شهادتك وقبله ، وجاء جوان الى العرجى فقال يا هذا مالي ولك تشهدنى في شعرك ؟ متى أشهدتني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنت أشهد فى مثل ذلك ؟

استعمله بعض ولاة مكة على تَبالة فحمل على خَثْعَم فى صدقات أموالهم حملا شديداً ، فجعلت خثعم سنة جوان تاريخاً ، فقال ضُبارة بن الطفيل

أتلبَسنا ليلى على شَعَث بنا ... من العام أو يرمى بنا الرَّجَوان

رأتنى كأَشْلاء اللجام وراقها ... أخو غزل ذو لِمَّة ودهان

ولو شهدتنى فى ليال مضَيْن لي ... لعامين مرَّا قبل عام جوَان

رأتنا كريمى معشر حُمَّ بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صِيان

نذود النفوس الحائمات عن الصِّبا ... وهن بأَعناق اليه ثوان

وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها أَمَة الواحد وكانت مسترضعة فى هذيل ، وفيها يقول عمر وقد خرج يطلبها فضل الطريق

لم تَدْرِ وليغفر لها ربها ما جشمتنا أَمَة الواحد
جشمت الهول براذيننا نسأل عن بيت أبى خالد
نسأل عن شيخ أبى كاهل أعيا خفاء نِشْدة الناشد

ولد عمر ليلة قتل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، فقيل أى حق رفع وأى باطل وضع ، ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها

قال يعقوب بن اسحاق كانت العرب تقر لقريش بالتقدم فى كل شىء عليها الا فى الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبى ربيعة فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً ، وقال نصيب عمر بن أبى ربيعة أوصفنا لرَبَّات الحجال ، وقال سليمان بن عبد الملك لعمر ما يمنعك من مدحنا ؟ قال انى لا أمدح الرجال ولكن أمدح النساء ، وسئل حماد الراوية عن شعر عمر ، فقال ذلك الفستق المقشر ، وسمع الفرزدق شيئاً من تشبيب عمر ، فقال هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه ، وقال عبد الله بن سلمة بن أسلم لقيت جريراً فقلت له يا أبا حَزْرة ان شعرك رفع الى المدينة وأنا أحب أن تسمعني منه شيئاً ، فقال انكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب وان أنسب الناس المخزومى « يعنى عمر »

بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عليه عمر فى ثوْبين مصبوغين موردَّين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا ، فأنشده

أمن آل نُعْم أنت غاد فمُبْكر غداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها فتُبلغ عذراً والمقالةَ تُعذِر
تهيم الى نُعْم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مُقصر

ولا قرب نُعْم ان دنت لك نافع ... ولا نأيها يُسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نُعْم ومثلها ... نهى ذا النُّهَى لو يرعوى أو يفكر
اذا زرت نُعْماً لم يزل ذو قرابة ... لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن أمرّ ببابها ... مُسِرّ لي الشَّحناء والبغضَ مظهر
أَلِكْني (١) اليها بالسلام فانه ... يشهِّر إلمامي بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها ... بِدَفْع أكنان أهذا المشهَّر
قفي فانظري يا أسمَ هل تعرفينه ... أهذا المغيريّ الذي كان يذكر
أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكد ... وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لاشك غير لونه ... سُرَى الليل يُحيي نَصَّه والتهجر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسان قد يتغير
رأت رجلاً أمَّا اذا الشمس عارضت ... فيَضْحَى وأما بالعشي فيَخْصَر (٢)
أخا سفر جوَّاب أرض تقاذفت ... به فلَوَات فهو أشعث أغبر
قليل على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبّر (٣)
وأعجبها من عيشها ظل غرفة ... وريّان ملتف الحدائق أخضر
ووالٍ كفاها كل شيء يهمها ... فليست لشيء آخر الليل تسهر
وليلة ذي دَوْران جشَّمني السرى ... وقد يجشِم الهولَ المحبُّ المغرر
فبت رقيباً للرفاق على شفَا ... أحاذر منهم من يطوف وأنظر
أليهم متى يستمكن القوم منهم ... ولي مجلس لولا اللُّبانة أوعر
وباتت قلوصي بالعَراء ورحلها ... لطارق ليل أو لمن جاء مُعْور
وبت أناجي النفس أين خباؤها ... وكيف لما آتى من الأمر مصدر

(١) من الالوكة بمعنى تحميل الرسالة (٢) يضحى يظهر للشمس ويخضر يبرد
(٣) يصف نفسه بأنه ضئيل لا يكاد يكون له ظل الا ما أراه رداؤه

فدلّ عليها القلبَ رَيَّا عرفتها ... لها وهوى النفس الذى كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شُبَّت بالعشاء وأنؤر[1]
وغاب قُمَير[2] كنت أرجو غيوبه ... ورَوَّح رُعيان ونَوّم سُمّر
ونَفضْتُ[3] عنى العين أقبلت مشية الـ ... ـحُباب وركنى خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبَنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتَك اذ هُنّا عليك ألم تخف ... رقيباً وحولي من عدوك حُضَّر
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى ... اليك وما عين من الناس تنظر
فقالت وقد لانت وأفرخ رَوعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر
فأنت أبا الخطاب غير مدافَع ... عليَّ أمير ما مكثت مؤمَّر
فبت قرير العين أعطيت حاجتى ... أقبل فاها فى الخلاء فأُكثر
فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من مَلْهًى هناك ومجلس ... لنا لم يكدِّره علينا مكدر
يمج ذكيّ المسك منها مُفَلَّج ... رقيق الحواشى ذو غروب[4] مؤشّر
يَرِف اذا يفْتَرّ عنه كأنه ... حصى برد أو أقحُوان منوَّر
وترنو بعينيها الى كما رنا ... الى رَبْرَب وسط الخميلة جُؤذر

---

(١) جمع نار (٢) صغره لانه ناقص عن التمام ولما أنشد هذا سعيد بن المسيب قال ماله قاتله الله لقد صغر ما عظم الله ، يقول الله عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، والرعيان جمع راعى والسمر جمع سامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا

(٣) يقول احترست منها وأمنتها والنفضة امام العسكر بالتحريك القوم يتقدمون فينفضون الطريق وازور يعنى متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب فى شق (٤) غرب كل شيء حده وانما يعنى الاسنان ومؤشر له أشر بضمتين وهو تشرير الاسنان

فلما تقضى الليـــل الا أقله ... وكادت توالي [١] نجمه تتغوّر
أشارت بأن الحى قد حان منهمُ ... هُبوب [٢] ولكن موعد لك عَزْور
فما راعني الا منادٍ برحـــلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تثوّر منهمُ ... وأيقاظهم [٣] قالت أشِر كيف تأمر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم ... واما ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيقاً لما قال كاشح ... علينا وتصديقاً لما كان يؤثر ؟
فان كان ما لابد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختىّ بدء حديثنا ... ومالي من أن تعلما متأخّر
لعلهما أن تبغيـــا لك مخرجاً ... وأن ترْحبا مِربّاً [٤] بما كنت أحْصَر
فقامت كئيباً ليس في وجهها دم ... من الحزن تَذْري عبرة تتحدر
فقامت اليها حرتان عليهما ... كسا آن من خزٍّ دمقْس وأخضر
فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائراً والأمر للأمر يُقْدر
فأقبلتا فارتاعتـــا ثم قالتا ... أقِلّي عليك الهمّ فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مُطْرَفى ... ودرعى وهذا البُرْد ان كان يحذر
يقوم فيمشى بيننا متنكراً ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجَنّى [٥] دون من كنت أتقى ... ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصِر
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ... ألم تتق الأعداء والليل مُقْمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادراً ... أما تستحى أو ترعوى أو تفكر
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

---

(١) التوالى التوابع وتتغور تغور فتذهب (٢) الهبوب الانتباه وعزور موضع بعينه
(٣) جمع يقظ بفتح الياء وضم القاف (٤) أى تنسع صدورهما وأحصر أضيق به ذرعا
(٥) المجن الترس والمعصر التى بلغت شبابها والكاعب الناهد

فآخر عهد لي بها حين أعرضت ... ولاح لها خـــد نقي ومَحْجِر
سوى أنني يا نُعْم قد قلت قولة ... لها والعِتاق الأرحبيات تُزجر
هنيئاً لأهل العامرية نشرها الـــلذيذ وريّاها الذي أتذكر
وقمت الى عَنْس تخوّن (١) نَيّها ... سُرَى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بقية لوح أو شِجار (٢) مُؤَسَّر
وماء بمَوْماة (٣) قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث به الصيف محضر
به مبتنًى للعنكبوت كأنه ... على طَرَف الأرجاء (٤) خام مُنَشَّر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فقمت الى مِغْلاة (٥) أرض كأنها ... اذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصاً على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب مُعَوَّر (٦)
محاولة الماء لولا زمامهـــا ... وجذبي لها كادت مراراً تكسر
فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها مُعَصَّر (٧)
قصرت لها من جانب الحوض ناشئاً ... جديداً كقاب الشِّبر أو هو أصغر
اذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قَدِي الكف مُسْأَر (٨)
ولا دلو الا القَعْب كان رشاءه ... الى الماء نِسْع والجديل المضفَّر
فسافت (٩) وما عافت ومارد شربها ... عن الرى مطروق من الماء أكدر

(١) تخون تنقص والنى الشحم (٢) الشجار خشب الهودج فاذا غشى غشاءه صار هودجاً والمؤسر مشدود بالاسار وهو الحبل ولم أجد أسر بالتشديد وانما الذى رأيته فى عامة كتب اللغة أسر بالتخفيف ويقال شجار مأسور لا مؤسر (٣) الموماة المفازة والبسابس جمع بسبس بفتح الباءين وهو القفر (٤) الارجاء النواحى والخام الكرباس لم يغسل (٥) المغلاة السهم (٦) القليب البئر ومعور مفسود المنبع (٧) المعصر الملجأ وأصله من العصر بالتحريك وهو الملجأ والمنجى (٨) مفعل من السؤر وهو بقية الماء التى يبقيها الشارب معناها اذا التقمت شفتاها عليه لم يبق منه شيء (٩) شمت والمطروق ماء السماء الذى تبول فيه الابل

فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال له والله يا ابن عباس انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحرام والحلال فتتثاقل عنا ويأتيك مُتْرَف من مترفى قريش فينشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ليس هكذا قال ، قال فكيف قال ؟ قال قال

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

فقال ما ما أراك الا كنت حفظت البيت ، قال أجل وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها ، قال فانى أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها ، فقال له بعضهم ما رأيت قط أذكى منك ، فقال لكنى ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان ابن عباس يقول ما سمعت شيئاً قط الا رويته وانى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول ، ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة ، فقال انها « أمن آل نُعْم » يستجيدها ، وكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول هل أحدث المغيرى شيئاً بعدنا ؟

ومما يغني فيه من شعر عمر

تشطّ غداً دار جيراننا ولَلدار بعد غد أبعد

اذا سلكت غَمْرَ ذى كِندة مع الركب قصد لها الفرقد

وحث الحُداة بها عِيرها سراعا اذا ما دنت تُطرد

هنالك إما تعزّى الفؤا د واما على إثرهم تكمد

فلست ببدع لئن دارها نأت فالعزاء اذاً أجلد

صرمتِ وواصلتُ حتى عرفـ ـت أين المصادر والمورد

دعانى من بعد شيب القذا ل رِيم له عنق أغيد

وعين تصابَى وتدعو الفتى لما تركه للفتى أرشد

فتلك التي شيعتها الفتا ... ة الى الخِدْر قلبي بها مُقْصَد
تقول وقد جد من بينها ... غداة غد عاجل موفد
ألست مشيعنا ليلة ... تقضي اللُّبانة أو تعهد
فقلت بلى قد قل عندي لكم ... كَلال المطى اذا تجهد
فعودي اليها فقولي لها ... مساء غد لكم موعد
وآية ذلك أن تسمعي ... اذا جئتكم ناشد ينشد
فرحنا سراعاً وراح الهوى ... الينا دليلاً بنا يقصُد
فلما دنونا لجَرس النِّبا ... ج اذا الضوء والحي لم يرقدوا
نأينا عن الحي حتى اذا ... تودع من نارها الموقد
وناموا بعثنا لها ناشداً ... وفي الحي بُغية من ينشد
فقامت فقلت بدت صورة ... من الشمس شيعها الأَسعد
فجاءت تهادَى على رِقْبة ... من الخوف أحشاؤها تُرْعَد
وكفت سوابق من عَبرة ... على الخد جال بها الإثمد
تقول وتظهر وجداً بنا ... ووجدي لو أظهرت أوجد
لما شقائي تعلقتكم ... وقد كان لي عندكم مقعد
عراقية وتهامي الهوى ... يغور بمكة أو يُنجد

وهذا الشعر يقوله عمر في امرأة من ولد الأَشعث بن قيس حجت فهويها وراسلها ودخل اليها وتحدث معها وخطبها فقالت أما ههنا فلا سبيل الى ذلك ولكن ان قدمت الى بلدي خاطباً تزوجتك ، فلم يفعل ، وفيها يقول وقد شيعها

قال الخليط غداً تَصدُّعنا ... أو بعده أفلا تشيعنا ؟
أما الرحيل فدون بعد غد ... فمتى تقول الدارَ تجمعنا
لتَشُوقنا هند وقد علمت ... علماً بأن البين يقرَعنا

عجباً لموقفنا وموقفها ... وبسمع تربتها تراجعنا
ومقالها سر ليلة معنا ... نعهدْ فان البين فاجعنا
قلت العيون كثيرة معكم ... وأظن ان السير مانعنا
لا بل نزوركمُ بأرضكمُ ... فيطاع قائلكم وشافعنا
قالت أشيء أنت فاعله ... هذا لعمرك أم تخادعنا ؟
بالله حدث ما تؤمله ... واصدُق فان الصدق واسعنا
اضرب لنا أجلاً نعد له ... اخلاف موعده تقاطعنا

(٣) وشبب عمر بزينب بنت موسى الجمحية فى قصيدته التى يقول فيها

يا خليلىّ من ملامٍ دعانى ... وألمّا الغداة بالأظعان
لاتلوما فى آل زينب ان القلـ ... ـب رهْن بآل زينبَ عان
ما أرى ما بقيت أن أذكر المو ... قف منها بالخَيْف إلا شجانى
لم تدَعْ للنساء عندى حظاً ... غير ما قلت مازحاً بلسانى
هى أهل الصفاء والود مني ... واليها الهوى فلا تعذُلانى
حين قالت لأختها ولأخرى ... من قطين مولد حدثان
كيف لى اليوم أن أرى عمر المر ... سل سراً فى القوم أن يلقانى
قالتا نبتغى اليه رسولاً ... ونُميت الحديث بالكتمان

(٤) وكان سبب ذكره لها ان ابن أبى عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله اليها فقال فيها الشعر وشبب بها فبلغ ذلك ابن أبى عتيق فلامه فيه وقال أتنطق الشعر فى ابنة عمى ؟ فقال عمر

انني اليوم عاد لي أحزانى ... وتذكرت مامضى من زمانى
وتذكرت ظبية أم ريم ... هاج لى الشوق ذكرها فشجانى

وهى طويلة يقول فيها

لاتلمني عتيق حسبي الذي بي ... ان بي يا عتيق ما قد كفاني
لاتلمني وأنت زينتها لي ... أنت مثل الشيطان للانسان
ان بي داخلا من الحب قد أبـ ... ـلى عظامي من مكنونه وبراني
لو بعينيك يا عتيق نظرنا ... ليلة السفح قرت العينان
ان بدا الكشح والوشاح من الدر ... وفصل فيه من المرجان
قد قلى قلبي النساء سواها ... غير ما قلت مازحاً بلساني

أنشد ابن أبي عتيق قول عمر

ومن لسقيم يكتم الناس ما به ... لزينب نجوى صدره والوساوس
أقول لمن يبغي الشفاء متى تجد ... بزينب تدرك بعض ما أنت لامس
فانك ان لم تشف من سقمي بها ... فانك من طب الأطباء آئس
ولست بناس ليلة الدار مجلساً ... لزينب حتى يعلو الرأس رامس
فلما بدت قمراؤه وتكشفت ... دجنته وغاب من هو حارس
وما نلت منها محرماً غير أننا ... كلانا من الثوب المورد لابس
نجيين نقضي اللهو في غير مأثم ... وان رغمت مني الكاشحين المعاطس

فقال أبنا سخر ابن أبي ربيعة ؟ فأي محرم بقي ؟ ثم أتى عمر فقال ياعمر ألم تخبرني انك ما أتيت حراماً قط ، قال بلى ، قال فاخبرني عن قولك — كلانا من الثوب المورد لابس — ما معناه ؟ قال والله لأخبرنك ، خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريده ، فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب ، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء فكرهت أن يرى بثيابها بلل المطر ، فأمرت غلماني فسترونا بكساء خز ، فقال له ابن أبي عتيق هذا البيت يحتاج الى حاضنة

وقال عمر في زينب هذه

طال من آل زينب الاعراض ... للمغيري وما بها الإبغاض

ووليدين كان علّقها القلـــب الى أن علا الرؤسَ بياض
حبلها عندنا متين وحبلى عندها واهن القوى أنتقاض

ومما قال فيها وفيه غناء

أيها الكاشح المعير بالصَّر م تزحزح فما لها الهجران
لا مطاع فى آل زينب فارجع أو تكلم حتى يَمَلّ اللسان
نجعل الليل موعداً حين نُمسي ثم يُخفِي حديثَنا الكتمان

كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصـــبر عن بعض نفسه الانسان

ولقد أشهد المحدَّث عند الـــقصر فيه تعفف وبيان
فى زمان من المعيشة لَذّ قد مضى عسره وهذا زمان

ومنها

يا من لقلب متيم كَلِف يهذِى بخَوْد مريضة النظر
تمشى الهوينا اذا مشت قُطُفا وهي كمثل العُسْلوج فى الشجر
مازال طرْفى يحار اذ برزت حتى رأيت النقصان فى بصرى
أبصرتها ليـــلة ونسوتها يمشين بين المَقام والحَجَر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلا على قَدَر
بيضاً حساناً خرائداً قُطُفاً يمشين هَوْناً كمِشية البقر
قد فزن بالحسن والجمال معاً وفزن رسْلاً بالدَّلّ والخَفَر
يُنْصتن يوماً لها اذا نطقت كيما يُشَرِّفنها على البشر
قالت لِتِرْب لها تحدثها لنفسدن الطواف فى عمر
قومى تصدَّيْ له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطَرَّت تسعى على أثرى
من يُسْقَ بعدي المكرى بريقتها يسق بكأس ذى لذة خَصِر

ومنها

ألا يا بكر قد طرقا ... خيال هاج لى الأرقا
بزينب إنها همى ... فكيف بحبلها خلنا
خدلجة اذا انصرفت ... ألفت السهد والأرقا
وساقاً تملأ الخلخا ... ل فيه تراه مختنقا
اذا ما زينب ذكرت ... سكبت الدمع متسقا
كأن سحابة تهمى ... بماء حملت غدقا

ومنها

ألم بزينب ان البين قد أفدا ... قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة ... وما على المرء الا الحلف مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها ... لقد وجدت به فوق الذى وجدا
لو جمع الناس ثم اختير صفوهم ... شخصاً من الناس لم أعدل به أحدا

اجتمع نسوة فذكرن عمر وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سكينة أنا لكن به ، فبعثت اليه رسولاً أن يوافى الصورين ليلة سمتها ، فوافاهن على رواحله فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن والله انى محتاج الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى مسجده ولكن لاأخلط بزيارتكن شيئاً ، ثم انصرف الى مكة وقال فى ذلك ماتقدم

أنشد جرير قول عمر

سائلا الربع بالبلى وقولا ... هجت شوقاً لى الغداة طويلا
أين حى حلوك إذ أنت محفو ... ف بهم آهل أراك جميلا
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا ... وبرغمى لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً ... وأحبوا دماثة وسهولا

فقال ان هذا الذى كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشى

وأنشد مصعب قوله

يالَيتني قد أجزت الحبل نحوكمُ ... حبل المعرف أو جاوزت ذا عُشَر

ان الثَّواء بأرض لا أراكِ بها ... « فاستيقنيه » ثَواءٌ حق ذى كَدَر

وما مَلِلت ولكن زاد حبكمُ ... وما ذكرتك الا ظَلْت كالسَّدِر

ولا جَذِلت بشىء كان بعدكمُ ... ولا منحت سواك الحب من بشر

أَذْرِى الدموع كذي سُقْم يخامره ... وما يخامرنى سقم سوى الذكر

كم قد ذكرتك لو أجدى تذكركم ... يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

* فقال ان لشعر عمر لموقعاً فى القلب ، ومخالطة للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحرا

كان الحرث بن عبد الله أخو عمر رجلا صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه الف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج الي أخواله بلَحْج وأبْيَن مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر ، فطرب يوماً فقال

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... اذا حللنا بسيف البحر من عدن

واحتلَّ أهلك أَجياداً وليس لنا ... الا التذكر أو حظ من الحزن

لو أنها أبصرت بالجزع عَبرته ... ظنت بصاحبها أن ليس من وطنى

ما أنس لا أنس يوم الخَيْف موقفها ... وموقفى وكلانا ثَمّ ذو شَجَن

وقولها للثُّرَيَّا وهى باكية ... والدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولي له في غير مَعْتَبَة ... ماذا أردت بطول المكث فى اليمن

ان كنت حاولت دنيا أو رضيت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحرث فقال والله هذا شعر عمر قد فتَك وغدر

قال مولى لعمر كنت مع عمر وقد أسن وضعف فخرج يوماً يمشى متوكئاً على يدي حتى مرَّ بعجوز جالسة فقال هذه فلانة وكانت إلْفاً لي فعدل اليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ثم قال هذه التى أقول فيها

ما زال طرفى يحار اذ برزت حتى التقينا ليلاً على قدَر

وجلس معها يحادثها فأطلعت رأسها الى البيت وقالت يا بناتى هذا أبو الخطاب عمر بن أبى ربيعة عندى فان كنتن تشتهين أن ترَيْنَه فتعالَيْن ، فجئن الى مضرب قد حجزن به دون بابها ، فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه ينظرن ، فاستسقاها عمر ، فقالت له أي الشراب أحب اليك ؟ قال الماء ، فأتى باناء فيه ماء ، فشرب ثم ملأ فمه فمجه عليهن وفى وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجوارى وتهاربن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز ويلك لا تدَع مجونك وسفهك مع هذه السن ، فقال لا تلوميني فما ملكت نفسى لما سمعت من ضحكهن أن فعلت ما فعلت

بينما عمر يطوف بالبيت اذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وأنشدها وأنشدته وخطبها ، فقالت ان هذا لا يصلح ههنا ولكن ان جئتني الى بلدى وخطبتني الى أهلى تزوجتك ، فلما ارتحلوا جاء الى صديق له من بنى سَهْم وقال له ان لي اليك حاجة أريد أن تساعدنى عليها ، فقال له نعم ، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هى ، ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً وأخذ معه ما يصلحه وسارا لا يشك السهمى فى أنه يريد سفر يوم أو يومين ، فما زال يحفد حتى لحق بالرفقة ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها اذا نزلت حتى ورد العراق فأقام أياماً ثم راسلها يستنجزها وعدها ، فأعلمته أنها كانت متزوجة بابن عمها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله اليها ما لم تتزوج وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة ، وبعثت اليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ، فردها عليها ورحل الى مكة وقال فى ذلك

نام صحبي ولم أنم ... من خيال بنا ألم
طاف بالركب مَوْهِناً ... بين خاخ الى أَضَم
ثم نبهت صاحباً ... طيب الخِيم والشِّيم
أَرْيَحياً مساعداً ... غير نِكْس ولا بَرَم
قلت يا عمرو شَفِّنى ... لاعج الحب والأَلم
ائت هنداً فقل لها ... ليلة الخَيْف ذى السلم

قال عثمان بن ابراهيم الحاطبي أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو فى مجلس قومه من بنى مخزوم فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منه ومعى صاحب لي ظريف وقد كان قال تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقى فى نفسه منه شىء ، فقال له صاحبى يا أبا الخطاب أكرمك الله لقد أحسن العُذْرى وأجاد فيما قال ، فنظر اليه عمر ثم قال وماذا قال ؟ قل

لو جز بالسيف رأسى فى مودتها ... لمرَّ يهوِى سريعاً نحوها راسي

فارتاح عمر الى قوله وقال هاه لقد أجاد وأحسن ، فقلت والله دَرُّ جنادة العذرى ، فقال عمر ماذا يقول ويحك ؟ فقلت يقول

سرت لعينك سلمى بعد مُغْفاها ... فبت مستنبهاً من بعد مَسْراها
وقلت أهلاً وسهلاً من هداك لنا ؟ ... ان كنت تمثالها أو كنت إياها
من حبها أتمنى أن يلاقيني ... من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له ... وتُضمر النفس يأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتنى وقلت ألا ... يا بؤس للموت ليت الموت أبقاها

فضحك عمر ثم قال وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أساء ولقد هيجتما علىَّ ساكناً وذكرتمانى ما كان غائباً ولأحدثنكم حديثاً حلواً ، بينا أنا منذ أعوام جالس اذ أتانى خالد الخِرِّيت فقال يا أبا الخطاب مرَّت بى أربع نسوة قبل العشاء يُرِدن موضع

كذا وكذا لم أرَ مثلهن فى بَدْو ولا حَضَر فيهن هند بنت الحرث المرِّيَّة فهل لك أن تأْتيهنَّ متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من أنت ، فقلت له ويحك وكيف لي أن أخفى نفسى ؟ قال تلبَس لِبْسة أعرابى ثم تجلس على قَعود لي فلا يَشْعُرْن الا بك قد هجمت عليهن ، ففعلت ما قال ، وجلست على قَعود ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن فسألتنى أن أنشدهن وأحدثهن ، فأنشدتهن لكُثَيِّر وجَميل والأَحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لي ويحك يا أعرابى ما أملحك وأظرفك لو نزلت وتحدثت معنا يومنا هذا فاذا أمسيت انصرفت فى حفظ الله ، قال فأنخت بعيرى ثم تحدثت معهن وأنشدتهن ، فسررن بى وجذِلن بقربى وأعجبهن حديثى ، ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض كأنا نعرف هذا الأعرابى ما أشبهه بعمر بن أبى ربيعة ، فقالت إحداهن فهو والله عمر ، فمدت هند يدها فانتزعت عمامتى فألقتها عن رأسى ثم قالت هه يا عمر أراك خدعتنا منذ اليوم بل نحن خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه اليك لتأْتينا فى أسوأ هيئة ونحن كما ترى ، ثم أخذنا فى الحديث فحادثتهن ساعة ، ثم ودعتهن وانصرفت ، فذلك قولي

ألم تسأل الأَطلال والمتربعا ببطن حَلِيَّات دَوارس بلقعا
الى السَّفح من وادى المغَمَّس بدلت معالمه وبلا ونكباء زَعْزَعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما زكأْن[1] فؤاداً كان قدماً مفجعا
بهند وأتراب لهند اذ الهوى جميع واذ لم نخش أن يتصدعا
واذ نحن مثل الماء كان مزاجه كما صفق الساقى الرحيق المشعشعَا
واذ لا نطيع الكاشحين ولا نرى لواش لدينا يطلب الصَّرم مطمعا
تنُوعِتْن حتى عاود القلب سقمه وحتى تذكرت الحديث المودعا

(١) ضربن

فقلت لمطريهن بالحسن انما ... ضررت فهل تستطيع نفعاً فتنفعا
وأشريت فاستشرى (١) وان كان قد صحا ... فؤاد بأمثال المهى كان موزعا
وهيجت قلباً كان قد ودع الصبّا ... وأشياعه فاشفع عسى أن تشفعا
لئن كان ما حدثت حقاً فما أرى ... كمثل الأولى أطريت فى الناس أربعا
— فقال تعال انظر ، فقلت وكيف لى ؟ ... أخاف مقاماً أن يشيع فيشنعا
— فقال اكتفل ثم التثم فأت باغياً ... فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
فانى سأخفى العين عنك فلا تُرى ... مخافة أن يفشو الحديث فيسمعا
— فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبى ... لموعده أزجى قعوداً موقعا
— فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
— تبالهن بالعرفان لما عرفننى ... وقلن امرؤٌ باغ أكلَّ وأوضعا
— وقربن أسباب الهوى لمتيم ... يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا
+ فلما تنازعن الأحاديث قلن لي ... أخفت علينا أن نُغر ونخدعا
— فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً ... اليك وبينا له الشأن أجمعا
— فما جئتنا الا على وفق موعد ... على ملأ منا خرجنا له معا
رأينا خلاء من عيون ومجلساً ... رميث الربا سهل المحلة مُمْرِعا
وقلن كريم نال وصل كرائم ... فحق له فى اليوم أن يتمتعا

ومما قاله فى هند هذه

ألم تسأل الأطلال والمنزل الخلَق ... ببُرقة ذى ضال فيخبر ان نطق
ذكرت به هنداً فظلت كأننى ... أخو نشوة لاقى الحوانيت فاغتبق
وموقفها وَهناً علينا ودمعها ... سريع اذا كفت تحدر واتّسق
وموقف أتراب لها اذ رأيننى ... بكين وأبدَين المعاصم والحدَق

(١) أشريته أغريته واستشرى لج

رأين لها شجواً فعُجن لشجوها جميعاً وأقللن التنازع والنَّزق
اذ الحبل موصول واذ ودنا معاً جميعاً واذ تحظى الرسائل والملق
وقلن امكثي ما شئت لا من أمامنا نخاف ولا نخشى من الآخر اللحق

ومنها

هاج الغَرِيض الذِّكر لما غدوا فانشمروا
على بغال شُحج[1] قد ضمهن السفر
فيهن هند ليتني ما عمرت أُعَمَّر
حتى اذا ما جاءها حتف أتاني القدر

ومنها

تصابى وما كل التصابي بطائل وعاود من هند جوًى غير زائل
عشية قالت صدعت غربة النوى فما من تلاقٍ قد أرى دون قابل
وما أَنْسَ مِ الأشياء لا أنس مجلساً لنا مرة منها بقَرْن المنازل
بنخلة بين النخلتين يُكننا من الغيث عند العين برد المراجل

اجتمع جميل وعمر بالأبطح فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بُثَينة أو أبدت لنا جانب البخل

ثم قال لعمر هل قلت في هذا الروي شيئاً ؟ قال نعم ، قال فأنشدنيه ، فأنشده قوله

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحِصَاب[2] الى قتلى
فطارت بحد من سهامي وقارنت قرينتها حبل الصفاء الى حبلى
فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فقلت لها هذا عشاء وأهلنا قريب ألَمَّا تسأمي مركب البغل
فقالت فما شئتن ، قلن لها انزلي فللأرض خير من وقوف على رجل

(١) الشحيج صوت البغل وفعله شحج كجعل وضرب (٢) موضع رمى الجمار بمنى

نجوم دَرَارِيّ تكنفن صورة ... من البدر وافت غير هُوج ولا عُجْل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى ... عدو مقامى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وأرخت جانب الستر انما ... معى فتكلم غير ذي رِقْبة أهلى
فقلت لها مابى لهم من ترقب ... ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا ... وهن ظَعِينات بحاجة ذي الشكل
عرفن الذي تهوى فقلن ائذنى لنا ... نَطُفْ ساعة فى برد ليل وفى سهل
فقالت فلا تلبثن ، قلن تحدثى ... أتيناك وانْسَبْن انسياب مَهَا الرمل
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما ... أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول مثل هذا سَجيس الليالى ، والله ما خاطب النساء مثلك أحد ، وسمع الفرزدق هذه القصيدة فلما بلغ قوله « وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما » صاح وقال هذا والله الذى أرادته فأخطأته الشعراء وبكت على الديار

قال الزبير بن بكار أدركت مشيخة من قريش لا يَزِنون بعمر بن أبى ربيعة شاعراً من أهل دهره فى النسيب ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلى بمودته والابتيار [1] فى شعره

قال مصعب راق عمر بن أبى ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأَسْر ، من ذلك قوله

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوه زَهاها الحسن أن تتقنعا
تبالَهْنَ بالعرفان لما عرفنني ... وقلن امرؤ باغٍ أَكَلَّ وأوضعا

وحسن الوصف من ذلك قوله

لها من الرِّيم عيناه وسُنَّته ... وغُرَّة السابق المختال اذ صهلا

(١) الابتيار أن يفعل الانسان الشىء فيذكره ويفخر به والابتهار أن يقول مالا يفعل

ودقة معناه وصواب مصدره ، من ذلك قوله

عوجا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلا والربع من أسماء والمنزلا
بسابع البَوْباة لم يَعْدُه تقادم العهد بأن يؤهلا

وقصده للحاجة ، من ذلك قوله

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرَك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان

واستنطاقه الربع ، من ذلك قوله

« سائلا الربع بالبلى وقولا » الأبيات

وانطاقه للقلب ، من ذلك قوله

قال لى فيها عتيق مقالا فجرت مما يقول الدموع
قال لي وَدِّع سليمى ودَعْها فأجاب القلب لا أستطيع

وحسن عزائه ، من ذلك قوله

أألحق أن دار الرباب تباعدت اذا انْبَتّ حبل أن قلبك طائر
أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا الـــهوى واستمرت بالرحيل المرائر
نزِع النفس واستبق الحياة فانما تُباعد أو تدنى الرَّباب المقادر
امِتْ حبها واجعل قديم وصالها وعشرتها كمثل من لا تعاشر
وهَبْها كشىء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غيبته المقابر
وكالناس عُلقت الرباب فلا تكن أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

وحسن غزله فى مخاطبة النساء ، قال الزبيرى وقد أجمع أهل بلدنا ممن لهم علم بالشعر ان هذه الأبيات أغزل ما سمعوا وهى

تقول غداة التقينا الرَّباب أيا ذا أفَلت أُفول السِّماك
وكفَّت سوابق من عَبرة كما ارفضَّ نظم ضعيف السلاك

فقلت لها من يطع فى الصديـــق أعداءه يجتنبه كذاك

أغرك أنى عصيت الملا م فيك وان هوانا هواك

وألاَّ أرى لذة فى الحياة تقرّ بها العين حتى أراك

فكان من الذنب لى عندكم مكارمتى واتباعى رضاك

فليت الذى لام فى حبكم وفى أن تُزارى بقَرْن وقاك

همومَ الحياة وأسقامها وان كان حتْف جهيد فداك

(٩) وعفة مقاله ، من ذلك قوله

طال ليلى واعتادنى اليوم سقم وأصابت مقاتلَ القلب نُعْم

حلوة الوجه والشمائل والجو هر تكليمها لمن نال غُنْم

وحديث بمثله تنزل العُصْـــمُ رخيم يشوب ذلك حلْم

هكذا وصف ما بدا لى منها ليس لي بالذي تغيب علم

ان تجودى أو تبْخَلي فبحمد لستِ يا نعم فيهما من يذم

(١٠) وقلة انتقاله ، من ذلك قوله

أيها القائل غير الصواب أمسك النصح وأقلل عتابى

واجتنبنى واعلمن أن ستعصى وخَـير لك طول اجتنابى

ان تقل نصحاً فعن ظهر غش دأبم الغمر بعيد الذهاب

ليس لى علم بما قلت انى عالم أفهم رجع الجواب

انمـا قرة عيني هواها فدع اللوم وكِلْني لمـا بى

لا تلمني فى الرَّباب وأمست عدَلت للنفس بَرْدَ الشراب

هى والله الذى هو ربى صادقاً أحلف غير الكِذاب

أكرم الأحيـاء طراً علينا عند قرب منهمُ واجتناب

خاطبتني ساعة وهي تبكي ثم عزّت خُلتي في الخطاب
وكفاني مِدْرَهاً لخصوم لو سواها عند جد تباب

(١١) واثباته الحجة ، من ذلك قوله

خليلي بعضَ اللوم لا ترحلا به رفيقكما حتى تقولا على علم
خليلي من يُكلف بآخر كالذي كُلِفت به يدمل فؤاداً على سقم
خليلي ما كانت تصاب مقاتلي ولا غرتي حتى وقعت علي نُعْم
خليلي حتى لُفَّ حبلي بخادع مُوَقًّى اذا يُرمَى صَيوداً اذا يَرمي
خليلي لو يرقى خليل من الهوى رَقيت بما يدني النوار من العُصْم
خليلي ان باعدت لا نت وان أَلِن تَباعَدْ فلم أَنْبُل بحرب ولا سلم

(١٢) وترجيحه الشك في موضع اليقين ، من ذلك قوله

نظرت اليها بالمحَصَّب من مني ولي نظر لولا التحرجُ عارم
فقلت أشمس أم مصابيح بِيعة بدت لك خلف السَّجف أم أنت حالم
بعيدة مَهْوَى القُرط إما لنوفل أبوها وإما عبدُ شمس وهاشم
ومد عليها السَّجف يوم لقيتها على عجل تُبّاعها والخوادم
فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت وجهها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البَهْم بالضحى عصاها ووجه لم تلُحْه السمائم
نُضار ترى فيه أَساريع مائه صبيح تغاديه الأَكفُّ النواعم
أذا مادعت أترابها يكتنفنها تمايلن أو مالت بهن المآكم
طلبن الصِّبا حتى اذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

وطلاوة اعتذاره ، من ذلك قوله

عاود القلب بعضُ ماقد شجاه من حبيب أمسى هَوانا هواه

يالقومى فكيف أصبر عمن ... لاترى النفس طيب عيش سواه
أرسلت اذ رأت بعادي ألاَّ ... يقبلَن فى مُحَرِّشاً ان أتاه
دون أن يسمع المقالة منا ... وليُطْعْنى فان عندى رضاه
لاتُطِع بى فدتك نفسى عدواً ... لحديث على هواه افتراه
لاتطع بى من لو يرانى وإيا ... ك أسيرَىْ ضرورة ما عناه
ماضِرارى نفسى بهجرمن ليـــس مسيئاً ولا بعيداً تراه
واجتنابى بيت الحبيب وما الخُلْـــد بأشهى إليَّ من أن أراه

وعطفه المساءة على العُذَّال ، من ذلك قوله

لاتلُمنى عتيقُ حسبى الذي بى ... ان بى ياعتيق ما قد كفانى
لاتلمنى وأنت زينتهـا لى ... أنت مثل الشيطان للانسان

وحسن تفجعه ، من ذلك قوله

هجرتَ الحبيب اليوم من غير ما اجترم ... وقطَّعت من ذى ودك الحبل فانصرم
أطعت الوُشاة الكاشحين ومن يُطع ... مقالة واش يقْرَع السن من ندم
أتانى عـدو كنت أحسب أنه ... شفيق علينا ناصح كالذي زعم
فلمـا تباثثنا الحديث وصَرَّحت ... سرائره عن بعض ما كان قد كتم
تبين لى ان المحرِّش كاذب ... فعندى لك العُتْبَى على رَغْم من رَغِم
فلم أر لوم النفس بعـد الذى مضى ... وبعـد الذى آلت وآليت من قسم
ظلمت ولم تعتب وكان رسولها ... اليك سريعاً بالرضـا لك اذ ظلم

وتبخيله المنازل ، من ذلك قوله

عرفت مَصيف الحى والمتربَّعا ... ببطن حَلِيّات دوارس بَلْقَعا
أرى السرح من وادى العقيق تبدلت ... معالمه وَبْلا ونـكباء زعزعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما ... نَـكأْن فؤاداً كان قدماً مفجعا

وصدق الصفاء ، من ذلك قوله

كل وصل أمسى لديك لأنثى غيرها وصلها اليها أداء
كل أنثى وإن دنت لوصال أو نأت فهى للرَّباب الفداء

وقوله

أحب لحبك من لم يكن صَفِيًّا لنفسى ولا صاحبا
وأبذُل مالي لمرضاتكم وأُعتِب من جاءكم عاتبا
وأرغب فى ود من لم أكن الى وده قبلكم راغبا
ولو سلك الناس فى جانب من الأَرض واعتزلت جانبا
ليممت طيّتها انني أرى قربها العجب العاجبا

ومما قدح فيه فأورى قوله

طال ليلى وتعنَّانى الطرب واعترانى طول هم ووَصَب
أرسلت أسماء فى مَعْتَبة عتبتها وهى أحلى مَن عتب
أَن أتى منها رسول مَوْهِناً وجد الحى نياماً فانقلب
ضرب الباب فلم يشعر به أحد يفتح باباً إذ ضرب
قال أيقاظ ولكن حاجة عرضت تكتم منا فاحتجب
ولَعَمْدا رَدّنى فاجتهدت بيمين حِلْفة عند الغضب
يشهد الرحمن لا يجمعنا سقف بيت رجباً بعد رجب
قلت حِلاًّ فاقبلى معذرتى ما كذا يجزي محب من أحب
ان كفِّي لكِ رَهْن بالرضا فاقبلى ياهند ، قالت قد وجب

ومن شعره الذى اعتذر فيه فأبرأ قوله

فالتقينا فرحبتْ حين سلّمـ ـتُ وكفَّت دمعاً من العين ثارا
ثم قالت عند العتاب رأينا منك عنا تجلداً وازورارا

قلت كلا لاه ابن عمك بل خفـــنا أموراً كنا بها أغمارا
فجعلنا الصدود لما خشينا قالة النـاس للهوى أستارا
ليس كالعهد اذ عهدت ولكن أوقد الناس بالنميمة نارا
فلذاك الاعراض عنه وما آ ثر قلبي عليك أخرى اختيارا
لا أبالى اذا النوى قربتكم فدنوتم من حل أو من سارا
فالليالي اذا نأيت طوال وأراها اذا قربت قصارا

ومن تشكيه الذى أشجى فيه قوله

لعمرك ماجاوزت غمدان[1] طائعاً وقصر شعوب أن أكون به صبّا
ولـكن حُمّى أضرعتني[2] ثلاثة مُحَرَّمة ثم استمرت بنا غبّا
وحتى لو ان الخلد يعرض اذ مشت الى الباب رجلى ما نقلت لها ارباً
فانك لو أبصرت يوم سويقة مُناخى وحبسى العِيسَ دامية حُدْبا
ومَصْرَع اخوانى كأن أنينهم أنين المكاكي صادفت بلداً خِصْبا
اذاً لاقشعر الرأس منك عجابة ولاستفرغت عيناك من سَكْبه غَرْبا

ومن اقدامه عن خبرة ، ولم يعتذر بغرة ، قوله

صرمت وواصلت حتي عرفـــت أين المصادر والمورد
وجربت من ذاك حتى عرفـــت ما أتوقى وما أعمِد

ومن أسره النوم قوله

نام صحبى وبات نومى أسيرا أرقب النجم مَوْهِناً أن يغورا

ومن غمه الطير قوله

فرحنا وقلنا للغلام اقض حاجة لنـا ثم أدركنا ولا نتغبر

(١) قصر باليمن وقصر شعوب باليمن أيضاً معروف بالارتفاع (٢) أضرعته الحمى أذلته وفى المثل الحمى أضرعتنى عند النوم يضرب فى الذل عند الحاجة

سراعاً نَغُمّ الطيران سنحت لنا ... وان تلقنا الركبان لا نتحير

ومن اغذاذه السير قوله

قلت سيرا ولا تقيما بيُصْرَى ... وحَفير فما أحب حفيرا

واذا ما مررتما بعُمان ... فأقِلاَّ به الثَّواء وسيرا

انما قصرنا اذا حَسَر السير بعيراً أن نستجد بعيرا

ومن تحييره ماء الشباب قوله

أبرزوها مثل المهاة تَهادَى ... بين خمس كواعب أتراب

ثم قالوا تحبها قلت بَهْراً ... عدد القطر والحصا والتراب

وهي مكنونة تحير منها ... في أديم الخدين ماء الشباب

ومن تقويله وتسهيله قوله

قالت على رِقْبة يوماً لجارتها ... ما تأمرين ؟ فان القلب قد تَبِلا

وهل لى اليوم من أخت موافية ... منكن أشكو اليها بعض مافعلا

فراجَعتها حَصان غير فاحشة ... برَجْع قول ولب لم يكن خَطِلا

لا تذكري حبه حتى أراجعه ... انى سأكفيكِه ان لم أمت عجلا

فاقْنَىْ حياءك فى ستر وفى كرم ... فلستِ أول أنثى عُلِّقت رجلا

وأما ماقاس الهوى فقوله

وقربن أسباب الهوى لمتيم ... يقيس ذراعاً كلما قِسْن أصبعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله

وأنِصُّ[1] المطى يتبعن بالركب سراعاً نواعم الأظعان

فنصيد الغرير من بقر الوحش ونلهو بلذة الفتيان

في زمان لو كنت فيه ضجيعي ... غير شك عرفت لى عصيانى

(١) نص ناقته استحثها واستقصى آخر ماعندها من السير

وتقلبت في الفراش ولا تدريـــن الا الظنون أين مكانى

ومن محالفته بسمعه وطرفه

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري
لو طاوعاني على ألاَّ أكلمها اذاً لقضَّيت من أوطارها وطري

ومن اتراصه[1] نعت الرسل

فبعثت كاتمة الحديـــث رقيقة بجوابها
وحشية انســـية خراجة من بابها
فرقت فسهلت المعا رض من سبيل نقابها

ومن اعلانه الحب واسراره

شكوت الحب أعلن بعضه وأخفيت منه فى الفؤاد غليلا

ومما بطن فيه وأظهر

حبكم يا آل ليـلى قاتلى ظهر الحب بجسمى و بَطَن
ليس حب فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسى أو أُجَن

ومما ألح فيه وأسف

ليت حظى كطَرفة العين منها وكثير منها القليل المهنّا
أو حديث على خلاء يُسَلّى ما يُجِنّ الفؤاد منها ومنا
كبرت ربِّ نعمةً منك يوماً أن أراها قبل الممات ومَنّا

ومن جنيه الحديث

وجوارٍ مساعفات على اللهـــو مُسِرَّات باطن الأَضغان
صيد للرجال يرشُقْن بالطَّر ف حسان كخُذَّل الغزلان
قد دعانى وقد دعاهن للهو شجون من أعجب الأشجان

(١) أترص الشيء أحكمه وقومه وورد في الاصل بالباء ولا معنى له

فاجتنينا من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمرك جان

ومن ضربه الحديث ظهراً لبطن

في خلاء من الأنيس وأمن فبثثنا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا ما هوينا
فمكثنا بذاك عشر ليال في قضاء لدَيننا واقتضينا

ومن إذلاله صعب الحديث

فلما أفضنا في الهوى نستبينه وعاد لنا صعب الحديث ذَلولا
شكوت اليها الحب أظهر بعضه وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله

فعِدي نائلاً وان لم تُنيلي انه ينفع المحب الرجاء

ومن إعلانه قاتله

فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي واشكي اليها ما علمت وسلمي
قولي يقول تحرجي في عاشق كلِف بكم حتى الممات مقسَّم
ويقول انك قد علمت بأنكم أصبحتمُ يا بسر أوجه ذي دم
فكي رهينته فان لم تفعلي فاعلي على قتل ابن عمك واسلمي
فتضاحكت عجباً وقالت همه ألاَّ يعلِّمنا بما لم نعلم
علمي به والله يغفر ذنبه فيما بدا لي ذو هوى متقسم
طرف ينازعه الى أدنى الهوى ويبتّ خلة ذي الوصال الأقدم

ومن تنفيضه النوم

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شُبَّت بالعِشاء وانور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروَّح رعيان ونَوَّم سمر
ونفَّضت عني النوم أقبلت مشية الحباب ركني خشية القوم أزور

ومن إغلاقه رهن نفس واهداره قتلاه

فكم من قتيل ما يُباء به دم ومن غَلِق رهناً اذا لفه مِنَى

ومن مالىء عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمَى

وكان بعد هذا كله شاعراً فصيحاً مقولاً

نظر عمر الى رجل يكلم امرأة فى الطواف فعاب ذلك عليه وأنكره ، فقال انها ابنة عمى ، قال ذاك أشنع لأمرك ، فقال انى خطبتها الى عمى فأبى الا بصداق أربعمائة دينار وأنا غير مطيق ذلك وشكا اليه من حبها وكلفه بها أمراً عظيماً وتحمل به على عمه ، فسار معه اليه فكلمه ، فقال هو مُملق وليس له ما أصلح به أمره ، فقال له عمر وكم الذى تريده منه ؟ قال أربعمائة دينار ، فقال له هى علىَّ فزوجه

كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة ، فانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جواباً ، فقالت له ان لك لأمراً وأراك تريد أن تقول شعراً ، فقال

تقول وليدتى لما رأتنى طَرِبت وكنت قد أقصرت حينا

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء اذا ما شئت فارقت القرينا

بربك هل أتاك لها رسول فشاقك أم لقيت لها خدينا

فقلت شكا إلىَّ أخ محب كبعض زماننا اذ تعلمينا

فقص علىَّ ما يلقى بهند فذكَّر بعض ما كنا نسينا

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

وكم من خلة أعرضت عنها لغير قِلًى وكنت بها ضنينا

أردت بِعادها فصددت عنها ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد

كان عمر يساير عروة بن الزبير ويحادثه ، فقال له وأين زين المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى بذلك لجماله ، فقال عروة هو أمامك ، فركض يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أولسنا أكفاءً كراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال بلى بأبي أنت وأمي ولكني مُغْرًى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ، ثم التفت اليه وقال

انى امرؤ مولَع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه الا لذّة النظر

ثم مضى حتى لحقه فسار معه وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه

رأى عمر رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه فسأل عنه ، فقيل له هذا مالك بن أسماء بن خارجة ، فجاءه فسلم عليه وقال له يا ابن أخي ما زلت أتشوقك مذ بلغني قولك (١) ...

ان لي عند كل نفحة بستا ن من الورد أو من الياسمينا
نظرةً والتفاتة أتمنى أن تكونى حللت فيمن يلينا

ومن شعر عمر

يقولون انى لست أصدُقك الهوى وإنيَ لا أرعاك حين تغيب
فما بال طرفى عفَّ عما تساقطت له أعين من معشر وقلوب
عشية لا يستنكف القوم أن يرَوْا سَفاه امرىء مما يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك أو مضت له بعين الصبي كَسْلَى القيام لعوب
تروَّح يرجو أن تُحَطَّ ذنوبه فآب وقد زادت عليه ذنوب
وما النسك أسلانى ولكن للهوى على العين مني والفؤاد رقيب

اتَّعد عمر ونسوة من قريش العقيق للحديث فتحدثوا ملياً ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمُطْرَفه وبردين له حتى استترن من المطر الى أن سكن ، فقال عمر

(١) رسمت كلمة بستان فى ص ٨١ من الجزء الرابع خطأ حيث كتبت بستاناً وكلها فى الشطر الاول والصواب ما هنا وهى مضاف اليه واسم ان فى البيت الثانى نظرة

ألم تسـأل المنزل المقفرا ... بياناً فيكتم أو يخبرا
ذكرت له بعض ما قد شجاك ... وحق لذى الشَّجْو أن يذكرا
مقام المحبين اذ ظاهرا ... كساء وبردين أن يمطرا
وممشى الثلاث به مَوْهِناً ... خرجن الى زائر زُوَّرا
الى مجلس من وراء القبا ... ب سهل الرُّبا طيب أعفرا
غفَلن عن الليل حتى بدت ... تباشير من واضح أسفرا
فقمن يُقَفِّين آثارنا ... بأكسية الخزِّ أن يقفرا
مهاتان شيعتا رَبْرَبا ... أسيلا مقلَّده أحورا
وقمن وقلن لوَ ان النها ... رمُدَّ له الليل فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا ... وكان الحديث به أجدرا

وقال فى مثل هذا المعنى

أفى رسم دار دمعك المترقرق ... سفاهاً وما استنطاق ما ليس ينطق
بحيث التقى جمْع ومُفْضَى مُحَسِّر ... مغانى قد كانت على العهد تُخْلِق
ذكرت به ما قد مضى من زماننا ... وذكرك رسمَ الدار مما يشوق
مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً ... به لم يكدره علينا معوق
ومَمْشَى فتاة بالكساء يُكِنُّها ... به تحت عين برقها يتألَّق
يَبُلّ أعالي الثوب قطر وتحته ... شُعاع بدا يُعْشِي العيون ويشرق
فأحسن شيء بدء أول ليلة ... وآخره حزن اذا يتفرق

ومما قاله وفيه غناء

صرمت حبلك البغوم وصدت ... عنك فى غير ريبة أسماء
والغوانى اذا رأينك كهلاً ... كان فيهن عن هواك التواء
حبذا أنت يا بغوم وأسما ... ء وعيش يكفنا وخلاء

ولقد قلت ليلة الجزل لمـــا أخضلت ريطتى عليَّ السماء
ليت شعرى وهل يردَّن ليتٌ هل لهذا عند الرَّباب جزاء
كل وصل أمسى لدىَّ لأنثى غيرها وصـــلها اليها أداء
كل خلق وان دنا لوصال أو نأى فهو للرباب الفـــداء
فعِدى نائلاً وان لم تنيلى انما ينفع المحب الرجاء

حجت أمّ محمد بنت مروان بن الحكم فلما قضت نسكها أتت عمر وقد أخفت نفسها فى نسوة ، فحدثها ملياً ، فلما انصرفت أتبعها عمر رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها ، فعادت اليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها ، فقالت نشدتك الله أن تشهرنى بشعرك وبعثت اليه بألف دينار ، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيباً فأهداه اليها ، فردته ، فقال لها والله لئن لم تقبليه لأُنهبنه فيكون مشهوراً ، فقبلته ، فقال فيها

أيها الراكب المجد ابتـكارا قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخَيْف أمسى مُعارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتمارا

وقال فى حميدة جارية ابن ماجه

حُمِّل القلب من حُميدة ثقلاً ان فى ذاك للفؤاد لَشـــغلا
ان فعلْتِ الذى سألتُ فقولي حَمْدَ خيراً وأتبعى القول فعلا
وصليني فأشهد الله انى لست أصفى سواك ما عشت وصلا

وفيها يقول

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر أم أنت مدَّ كر الحياء فصابر
فالقلب من ذكرَى حميدة موجَع والدمع منحدر ودمعى فاتر
قد كنت أحسب أنني قبل الذى فعلت على ما عند حمدة قادر

حتى بدا لي من حميدة خلتى ... بَيْنٌ وكنت من الفراق أحاذر

ومن قوله فى هند بنت الحرث المرية

أصبح القلب مريضاً ... راجع الحب الغريضا
وأجدَّ الشوق وهناً ... أن أرى برقاً وميضا
ثم بات الركب نوَّا ... ماً ولم أطعَم غُموضا
ذاك من هند قديماً ... تركها القلب مهيضا
اذ تبدت لي فأبدت ... واضح اللون نحيضا
وعِذاب الطعم غُرّاً ... كأقاح الرمل بيضا

ومنها

اربت الى هند وتربين مرة ... لها اذا تواقفنا بفرغ المقطع
وقالت فتاة كنت أحسب أنها ... مغفَّلة فى مئزر لم تدرَّع
لهن وماشاورنها ليس ماأرى ... بحسن جزاء للحبيب المودع
فقلن لها لاشاب قرْنَك فافتحي ... لنا الباب مايخفى من الأمر نسمع

ومنها

لما ألَمَّت بأصحابى وقد هجعوا ... حسبت وسط رحال القوم عطَّارا
من طيب نَشر التى تامتك اذ طرقت ... وتفحك المسك والكافور اذ ثارا
فقلت من ذا المحيي وانتبهت له ... ومن محدثنا هذا الذى زارا
قالت محباً رماه الحب آونة ... وهيجته دواعي الحب اذ حارا
ألا انزلوا نعمت دار بقربكم ... أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا

وأول هذه القصيدة

يا صاحبى قفا نستخبر الدارا ... أقوت فهاجت لنا بالنَّعف تذكارا
تبدل الربع ممن كان يسكنه ... أُدْم الظباء به يمشين استارا

وقد أرى مرة سِرْباً بها حسناً ... مثل الجآذر لم يُمسَسن أبكارا
فيهن هند وهند لاشبيه لها ... فيمن أقام من الأحياء أو سارا
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... تخالها فى ثياب العصب دينارا
تفترّ عن ذى غروب طعمه ضَرَب ... تخاله بَرَداً من مُزْنة مارا
كأن عقد وشاحيها على رشأٍ ... يقرو من الروض روض الحزن أثمارا
قامت تهادَى وأتراب لها معها ... هوناً تدافع سيل الزُّل اذ مارا
يمن مورقة الأفنان دانية ... وفى الخلاء فما يؤنسن ديارا
تقول ليت أبا الخطاب واقفنا ... كى نلهوَ اليوم أو يُنشدنا أشعارا
فلم يَرُعهن الا العيس طالعة ... بالقوم يحملن ركباناً وأكوارا
وفارس يحمل البازى فقلن له ... هاهم أولاء وما أكثرن اكثارا
لما وقفنا وريعنا ركائبنا ... بدلن بالعرف بعد الرجع انكارا
قلن انزلوا نعمت دار بقربكمُ ... أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا

ومنها

ألم تربع على الطلل ... ومَغنى الحى كالخلل
تعفّى رسمه الأروا ... ح من صبا ومن شَمَل
وأنداء تباكره ... وجون واكف السبل
لهند ان هنداً حبها ... قد كان من شغلى
ليالى تستبى عقلي ... بوحف وارد جثِل
وعيني مُغْزِل حورا ... ء لم تكحل من الخذل
فلما أن عرفت الدا ... ر عجت لرسلها جملى
وقلت لصاحبى عوجا ... فعاجوا هزّة الابل
وقالوا قف ولا تعجل ... وان كنا على عجل

قليل في هواك اليو م ما نلقى من العمل

ومنها

هاج ذا القلب منزل بالبَلِيَّين مُحْـــوِل
غـيرت آيه الصبا وجنـــوب وشمأل
ولقـد كان آهلا فيـــه ظبى مبتل
طيب النشر واضح أحور العين أكحل
فلئن بان أهـله فبما كان يؤهـــل
قد أرانا بغبطـة فيه نلهو ونجـذل
بجوار خـــرائد ذاك والود يبـذل
ان هنداً قد أرسلت وأخو الشوق مرسل
أرسلت تستحثنى وتُقَـدِّى وتعـذُل
أين بات ليـلة بين غصنين يذبل
تحت عـين يكننا برد عصب مهلهـل

ومنها

ياصاح هل تدري وقد جَدت عينى بمـا أُخفى من الوجد
لمـا رأيت ديارها دَرَست وتبدلت أعلامها بعدى
وذكرت مجلسها ومجلسنا ذات العشاء بمهبط النجد
ورسـالة منهـا تعاتبني فرددت مَعْتَبة على هنـد

ومنها

ليت هنداً أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحـدة انما العاجز من لايستبد
ولقد قالت لجارات لهـا ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتني تُبصرنني عَمْرَ كن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تَوَد
حسداً حملنه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسد
غادة تفترّ عن أشنبة حين تجلوه أقاح أو برد
ولها عينان في طرفيهما حور منها وفي الجيد غيَد
ولقد أذكر اذ قيل لها ودموعي فوق خدي تَطَّرِد
قلت من أنت؟ فقالت أنا من شفه الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخَيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه قود
انما ضلل قلبي فاحتوى صعدة في سابري تطرد
انما أهلك جيران لنا انما نحن وهم شيء أحد
حدثوني انها لي نفثت عُقداً يا حبذا تلك العقد
كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

ومنها

يامن لقلب دَنِف مغرم هام الى هند ولم يظلم
هام الى رِيم هضيم الحشى عَذْب الثنايا طيب المبسم
لم أحسب الشمس بليل بدت قبلي لذي لحم ولا ذي دم
قالت ألا انك ذو مِلَّة يصرفك الأدنى عن الأقدم
قلت لها بل أنت معتلة في الوصل يا هند لكي تصرمي

ومنها

لج قلبي في التصابي وازدهى عني شبابي
ودعاني لهوى هند فؤاد غير نابي
قلت لما فاضت العينا ن دمعاً ذا انسكاب

ان جفتني اليوم هند بعد ود واقتراب
فسبيل الناس طراً لفناء وذهاب

وشبب عمر بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، ومن قوله فيها

ضاق الغداة بحاجتي صدري ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي علقت عرَضاً فيا لحوادث الدهر
مَنْكورة رَدْع العَبير بها جَمّ العظام لطيفة الخصر
وكأن فاها عند رقدتها تجرى عليه سُلافة الخمر
وبجيد آدم شادن خَرِق يرعى الرياض ببلدة قَفْر
لما رأيت مطيها حُزُقا خفق الفؤاد وكنت ذا صبر
وتبادرت عيناي بعدهم وانهلّ مدمعها على الصدر
ولقد عصيت ذوى أقاربها طراً وأهل الود والصهر
حتى لقد قالوا وقد كذبوا أجننت أم بك داخل السحر

ولما قدمت فاطمة بنت عبد الملك مكة جعل عمر يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكر اسمها فَرَقاً من عبد الملك ومن الحجاج ، لأنه كان كتب اليه يتوعده ان ذكرها أو عرض بذكرها ، فلما قضت حجها وارتحلت أنشأ يقول

كدت يوم الرحيل أقضى حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعي يسيل كلّ مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي وكلانا يلقى بلب أصيل
لو خلت خلتي أحسنت نوالاً أو حديثاً يشفي من التنويل

وفيها يقول

يا خليلي شفني الذِّكر وحمول الحى اذ صدروا
ضربوا حمرة القباب لها وأديرت حولها الحُجَر

سلكوا شِعْبَ النقاب بها ... زمراً تحتثُّها زُمَر
وطرقت الحى مكتتما ... ومعي عَضْب به أَثَر(١)
وأخ لم أخش نَبْوته ... بتوخى أمرهم خبر
واذا رِيم على فُرُش ... فى حجال الخزّ مختدر
حوله الأحراس ترقبه ... نُوَّم من طول ماسهروا
أشبهوا القتلى وما قتلوا ... ذاك الا أنهم سَمَروا
فدعت بالويل ثم دعت ... حرة من شأنها الخَفَر
ثم قالت للتى معها ... ويح نفسى قد أتى عمر
ماله قد جاء يطرقنا ... ويرى الأعداء قد حضروا
لشقائى كان عُلِّقنا ... ولحيني ساقه القدر
قلت عرضى دون عرضكمُ ... ولمن ناواكم الحجر

بينما عمر يطوف بالبيت اذ رأى عائشة بنت طلحة ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهى تريد الركن تستلمه فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنها قد وقعت فى نفسه ، فبعثت اليه بجارية لها وقالت قولي له اتق الله ولا تقل هُجْراً فان هذا مقام لابد فيه مما رأيت ، فقال للجارية اقرئيها السلام وقولى لها ان ابن عمك لايقول إلا حسناً ، وقال فيها

لعائشة ابنة التيمى عندى ... حِمًى فى القلب ما يُرْعى حماها
يذكرنى ابنةَ التيمى ظبى ... يرود بروضة سهل رُباها
فقلت له وكاد يُراع قلبي ... فلم أرَ قطّ كاليوم اشتباها
سوى خَمْش بساقك مستبين ... وان شَواكَ لم يشبه شَواها

(١) الأثر بالفتح جوهر السيف

وانك عاطل عار وليست بعارية ولا عُطُل يداها
وانك غير أفرع[1] وهي تُدْنى على المتنين أسحمَ قد كساها
ولو قعدت ولم تَكْلَف بود سوى ماقد كُلِفت به كفاها
أظَلّ اذا أكلمها كأني أكلم حية غلبت رُقاها
تبيت الىَّ بعد النوم تسرى وقد أمسيت لا أخشى سراها

وقال فيها أشعاراً كثيرة فبلغ ذلك فتيان بنى تيم ، أبلغهم اياه فتى منهم وقال لهم يابنى تيم بن مرة ها الله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون ، فمشى ولد أبى بكر وولد طلحة الى عمر فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم ، فقال لهم والله لا أذكرها فى شعر أبداً ، ثم قال بعد ذلك فيها وكنى عن اسمها قصيدته

يا أم طلحة ان البين قد أفِدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراق لا يدرى اذا برزت من ذا تطوّف بالأركان أوسجدا

ولم يزل ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهى تكره أن يرى وجهها حتي وافقها وهى ترمى الجمار سافرة فنظر اليها ، فقالت أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يافاسق فقال

انى وأول ما كلفت بذكرها عجب وهل فى الحى من متعجب
نعت النساء فقلن لست بمبصر شبهاً لها أبداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها لقاء الأخشب
أقبلت أنظر مازعمن وقلن لى والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشى تهادَى مَوْهِناً ترمى الجمار عشية فى موكب
غراء يُعشي الناظرين بياضها حوراء فى غُلَوَاء عيش معجب
ان التى من أرضها وسمائها جلبت لحينك ليتها لم تجلب

(١) الافرع التام الشعر

ومما يغنى فيه من قوله فى عائشة بنت طلحة

من لقلب أمسى رهيناً مُعَنًّى ... مستكيناً قد شفَّه ما أجنّا
اثر شخص نفسى فدت ذاك شخصاً ... نازح الدار بالمدينة عنا
ليت حظى كطَرْفة العين منها ... وكثير منها القليل المهنَّا

لقى عمر عائشة بنت طلحة بمكة وهى تسير على بغلة لها فقال لها قفى حتى أسمعك ما قلت فيك ، قالت أو قد قلت يافاسق ؟ قال نعم ، فوقفت ، فأنشدها

ياربة البغلة الشهباء هل لك فى ... أن تَنْشُرى ميتاً لاتُرْهقى حرجا
قالت بدائك مت أو عش تعالجه ... فما نرى لك فيما عندنا فرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه ... فان بعدنا فقد عنّيتنا حِججا
حتى لوَ استطيع مما قد فعلت بنا ... أكلت لحمك من غيظ ومانضجا

فقالت لاورب هذه البَنِيَّة ما عنيتنا طَرْفة عين قط ، ثم قالت لبغلتها عَدَسْ ، وتمام هذه الأبيات

فقلت لا والذى حج الحجيج له ... ما مُحّ حبك من قلبى ولا نهجا
ولا رأى القلب من شىء يسر به ... مذ بان منزلكم منا ولا ثُلِجا
ضنت بنائلها عنه فقد تركت ... في غير ذنب أبا الخطاب مختلجا

فلم تزل عائشة تداريه وترفُق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت الى المدينة فقال فى ذلك

ان من تهوى مع الفجر ظعن ... للهوى والقلبُ متباعُ الوطن
بانت الشمس وكانت كلما ... ذكرت للقلب عاودت الدَّرَن
يا أبا الخطاب قلبى هائم ... فأتمر أمر رشيد مؤتمن
نظرت عينى اليها نظرة ... تركت قلبى لديها مرتهن
ليس حب فوق ما أحببتها ... غير أن أقتل نفسى أو أُجن

عمر وكلثم بنت سعد المخزومية

كان عمر يهوى كلثم بنت سعد فأرسل اليها رسولا فضربتها وحلقتها وأحلفتها ألا تعاود ، ثم أعادها ثانية ، ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رسله ، فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله فأحسن اليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها ان أوصلت لي رقعة الى كلثم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت ، فقالت اكتب لي مكاتبة واكتب حاجتك فى آخرها ، ففعل ذلك ، فأخذتها ومضت الى باب كلثم فاستأذنت فخرجت اليها أمة لها ، فسألتها عن أمرها ، فقالت مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها فى مكاتبتى وحادثتها وأنشدتها حتى ملأت قلبها ، فدخلت الى كلثم وقالت ان بالباب مكاتبة لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا آدب ، فقالت ائذنى لها ، فدخلت ، فقالت من كاتبك ؟ قالت عمر بن أبى ربيعة الفاسق فاقرئى مكاتبتى ، فمدت يدها لتأخذها ، فقالت لها لي عليك عهد الله أن تقرئيها ، فان كان منك اليَّ شيء مما أحبه والا لم يلحقنى منك مكروه ، فعاهدتها وأعطتها الكتاب فاذا أوله

من عاشق صب يُسِرُّ الهوى ... قد شفَّه الوجد الى كلثم
رأتك عينى فدعانى الهوى ... اليك للحين ولم أعلم
قتلتنا يا حبذا أنتمُ ... فى غير ما جرْم ولا مأثم
والله قد أنزل فى وحيه ... مبيناً فى آيه المحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً ... ولم يُقِدْها نفسه يظلم
وأنت ثارى فتلافَىْ دمى ... ثم اجعليه نعمة تنعمي
وحكمى عدلاً يكن بيننا ... أوانت فيما بيننا فاحكمى
وجالسينا مجلساً واحداً ... من غير ما عار ولا محرم

وخبرينى بالذى عندكم بالله فى قتل امرىء مسلم

فلما قرأت الشعر قالت لها انه خداع ملق وليس لما شكاه أصل ، قالت يامولاتى لها عليك من امتحانه ؟ قالت قد أذنت له وما زال حتى ظفر ببغيته ، فقولي له اذا كان المساء فليجلس فى موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي ، فانصرفت الجارية فأخبرته ، فتأهب لها ، فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل اليها وقد تهيأت أجمل تهيئة وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس فتركته حتى سكن ثم قالت اخبرنى يافاسق ألست القائل

هلا ارعويت فترحمى صبّا صَدْيان لم تَدَعى له قليا
جَشِم الزيارة فى مودتكم وأراد ألاّ ترهقى ذنبا
ورجا مصالحة فكان لكم سلماً وكنت ترَينه حربا
يأيها المصفى مودته من لا يزال مساميا خطبا
لاتجعلن أحداً عليك اذا أحببته وهويته ربا
وصل الحبيب اذا سعفت به واطوِ الزيارة دونه غِبّا
فلذاك أحسن من مواظبة ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يَملُّك عند عودته فيقول هاء وطالما لبى

فقال لها جعلت فداك ، ان القلب اذا هَوِى نطق اللسان بما يهوى ، وقد تزوجها عمر فولدت منه ابنين أحدهما جوان وماتت عنده

عمر ولبابة

رأى لبابة بنت عبد الله بن عباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان تطوف بالبيت فراى أحسن خلق الله فكاد عقله يذهب فقال فيها

وَدِّع لُبابة قبل أن تترحلا واسأل فان قَلالة أن تسألا

البَث بعمرك ساعة وتأنَّها فلعل ما بَخلتْ به أن يبذلا
قال ائتمر ماشئت غير مخالف فيما هَويت فاننا لن نعجلا
لسنا نُبالى حين تقضي حاجة ما بات أو ظل المطى معقَّلا
حتى اذا ما الليل جَنَّ ظلامه ونظرت غفلة حارس أن يمحلا
خرجت تَأَطَّرفي الثياب كأنها أَيْم يَسيب على كثيب أهيلا
رحَّبتُ حين رأيتها فتبسمت لتحيتي لما رأتني مقبلا
وجلا القناع سحابة مشهورة غراء تُعْشى الطَّرْف أن يتأملا
فلبثت أَرْقبها بما لو عاقل يُرْقَى به ما اسطاع ألَّاينزلا

عمر والثريا بنت على بن عبد الله

وشبب عمر بالثريا بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر من بني عبد شمس بن عبد مناف ، وكان مسهبا بها وكانت عُرضة ذلك جمالا ، وكانت تصيف بالطائف ، وكان عمر يغدو اليها كل غداة اذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال ما استظرفنا خبراً ، الا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم فى السماء وقد سقط عني اسمه ، فقال عمر الثريا ؟ قال نعم ، وكان قد بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة ، فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كُداء وهى أخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتشرف فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضَيّا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت والله أنا أمرتهم لأختبر مالي عندك ، فقال عمر

تشكَّى الكُمَيت الجرى لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما

فقلت له أن ألق للعين قرّة فهان على أن تكلّ وتسأما
لذلك أدنى دون خلي رباطه وأوصى به ألاّ يهان ويكرما
عدمت إذاً وفرى وفارقت مهجتي لئن لم أقل قرناً ان الله سلما

عمر ورملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية

ومن قوله في رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية

أصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا
قلت من أنتم ؟ فصدت وقالت أمبـــدّ سؤالك العالمينا
فرأت صرمي الفتاة وقالت خبريه ، من أجل من تكتمينا
نحن من ساكني العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا
قد صدقناك اذ سألت فمن أنـــت ؟ عسى أن يجر شأن شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـــت بظن وما قبلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعت قد نراه لناظر مستبينا

ولما بلغ الثريا شعره أبلغتها إياه أمّ نوفل وكانت غضبى عليه هجرته ، فقال

قال لي صاحبي ليعلم ما بي أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالما ء اذا مامنعت برد الشراب
مَنْ رسولي الى الثريا ؟ فاني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
أرهقت أمّ نوفل اذ دعتها مهجتي ، ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني ؟ قالت أبو الخطاب
أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواكب أتراب
فأجابت عند الدعاء كما لبـــى رجال يرجون حسن الثواب
وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

دُمية عند راهب ذي اجتهاد صوروها فى جانب المحراب
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بَهْزاً عدد النجم والحصى والتراب
حين شب القتول والجيد منها حسن لون يَرِفّ كالزُّرياب
ذكرتني من بهجة المشى لما برزت من دُجَنَّة وسحاب
سلبتنى مُجاجة المسك عقلى فسلوها ماذا أحل اغتصابى ؟
فارجحنَّت فى حسن خلق عميم تتهادى فى مشيها كالحباب

ومن قوله فيها

مرحباً ثم مرحباً بالتى قا لت غداة الوداع عند الرحيل
للثريا قولي له أنت همي ومُنَى النفس خالياً وخليلى

ومنه

زعموا بأن البين بعد غد فالقلب مما أزمعوا يَجِف
تشكو وأشكو ما أجد بنا كل لو شك البين يعترف
حلفوا لقد قطعوا بينهمُ وحلفت ألفاً مثل ما حلفوا

ومنه

فلوت رأسها ضراري وقالت لا وعيشى ولو رأيتك متَّا
حين آثرت بالمودة غيرى وتناسيت وصلنا وملِلتا
قد وجدناك اذ خُبرت مَلولا طَرِفاً لم تكن كما كنت قلتا

ومنه

يا خليلىَّ سائلا الأطلالا ومحلا بالروضتين أحالا
وسَفاه لولا الصبابة حبسى فى رسوم الديار ركباً عِجالا
بعد ما أقفرت مِنَ آل الثريا وأجدَّت فيها النعاج طلالا

ولما أنشد ابن أبي عتيق قوله « من رسولي الى الثريا » قال إياي أراد ، وبي نوه ، لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص فأصلح بينهما ، ونهض فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فرُه يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم وركب وركب معه بلال مولاه ، فسار سيراً شديداً ، فقال له بلال أبق على نفسك فان ماتريده ليس يفوتك ، فقال له ويحك « أبادرحبل الود أن يتقضبا ، وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع بين عمر والثريا ، فقدما مكة ليلاً غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته ، فقال له اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معهما وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلب له الحيل لاصلاحها فلا يمكنها ، فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفاً لك بذنب لم يجنه ، معتذراً اليك من اساءته اليك ، فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذى يقولون مالا يفعلون ، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله ، وكروا الى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتي رحل

ولما تزوج الثريا سهيل بن عبد العزيز بن مروان قال عمر

أيها الطارق الذى قد عنانى ... بعد ما نام سامر الركبان

زار من نازح بغير دليل ... يتخطى اليَّ حتى أتانى

وفيها يقول

أيها المنكح الثُّرَيَّا سُهَيلا ... عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت ... وسهيل اذا استقل يمانى

ثم كتب اليها بهذه الأبيات

كتبت اليك من بلدى ... كتاب مُوَلَّه كَمِد

كئيب واكف العينـ ... ـن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو ق بين السَّحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح شعره بيد

وسألها الوليد بن عبد الملك أترَوين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، اما انه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى قوله

ما على الرسم بالبَلِيَّيْن لو بيَّـــــن رجع السلام أو لو أجابا
فالى قصر ذى العُشَيرة فالطا ئف أمسى من الأَنيس يَبابا
اذ فؤادي يهوَى الرَّباب وأنِّي الـــــدهرَ حتى الممات أنْسَى الرَّبابا ؟
وبما قد أرى به حى صدق ظاهرى العيش نعمة وشبابا
وحساناً جواريا خفَرات حافظات عند الهوى الأَحسابا
لا يكثرن فى الحديث ولا يتْبَعْـــنَ يبغين بالبهام الظرابا(١)

لما تزوج سهيل الثريا ونقلها الى الشام بلغ عمر الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله فوجدها قد رحلت منه يومئذ ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرته لأَمر أنكرته عليه ، فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مر بالخيمة فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها كليه ، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على مابلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا وقالت ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل ، فحادثها الى طلوع الفجر ، ثم ودعها وبكيا طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون ، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول

يا صاحبيَّ قفا نستخبر الطَّللا عن حال من حله بالأَمس ما فعلا
فقال بالأَمس لما أن وقفت به ان الخليط أجَدَّ البين فاحتمـلا
وخادعتك النَّوَى لمـا رأيتهمُ فى الفجر يحتَثّ حادي عيسهم زَجِلا

(١) البهام جمع بهمة بالفتح وهى أولاد الضأن والمعز والبقر والظراب بالكسر جمع ظرب كفرح وهو الجبل المنبسط يريد أنهن لسن خوادم

لما وقفنا نحييهم وقد صرخت هواتف البين واستولت بهم أصلا
صدت بعاداً وقالت للتي معها بالله لوميه في بعض الذي فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعي لما يقول ولا تعيي به جدلا
حتى يرى أن ماقال الوشاة له فينا لديه الينا كله نقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظي في بعض معتبة أن تغضبي الرجلا
فان عهدي به والله يحفظه وان أتى الذنب ممن يكره العذلا
لوعندنا اغتيب أو نيلت نقيصته ما آب مغتابه من عندنا جذلا
قلت اسمعي فلقد أبلغت في لطف وليس يخفى على ذي اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلا لأعذرها وقد أرى أنها لن تقدم العللا
ما سمي القلب إلا من تقلبه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا
أما الحديث الذي قالت أتيت به فما عتبت به اذ جاءني تبلا
ما ان أطعت بها بالغيب قد علمت مقالة الكاشح الواشي اذا محلا
اني لأرحبه فيها بسخطته وقد يرى أنه قد غر بي زللا

حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله

ومن كان محزوناً باهراق عبرة وهى غربها فليأتنا نبكه غدا
نعنه على الإثكال ان كان ثاكلا وان كان محزوناً وان كان مقصدا

فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخريت وقال له قم بنا الى عمر، فمضيا اليه، فقال له ابن أبي عتيق قد جئناك لموعدك، قال وأي موعد بيننا؟ قال قولك « فليأتنا نبكه غدا » قد جئناك والله لانبرح أو تبكي ان كنت صادقاً أو ننصرف على انك غير صادق، ثم مضى وتركه

قدم عمر الكوفة فنزل على عبد الله بن هلال الذي كان يقال له صاحب ابليس، وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال في ذلك

يا أهل بابلَ ما نفست عليكمُ من عيشكم إلا ثلاث خلال

ماء الفرات وطيب ليل بارد وغناء مُسْمِعتين لابن هلال

خرج عمر والحرث بن خالد وأبو ربيعة المُصْطلقي ورجل من بني مخزوم وابن أخت الحرث يشيعون بعض خلفاء بني أمية ، فلما انصرفوا نزلوا بسَرِف فلاح لهم برق ، فقال الحرث كانا شاعر فهلموا نصف البرق ، فقال أبو ربيعة

أرِقت لبرق آخر الليل لامع جرى من سناه ذو الربى فيتابع

فقال الحرث

أرقت له ليل التمام ودونه مَهامِهُ مَوْماة وأرض بلاقع

فقال المخزومي

يضيء عِضاه الشوك حتى كأنه مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر

أيا رب لا آلو المودة جاهداً لأسماء فاصنع بى الذى أنت صانع

ثم قال مالي وللبرق والشوق

نظر عمر فى الطواف الى امرأة شريفة أحسن خلق الله صورة فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه فقال فيها

الريح تسحب أذيالا وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

كيما تجر بنا ذيلا فتطرحنا على التى دونها مغبرَّة شوح

أنَّى بقربكمُ أم كيف لي بكمُ هيهات ذلك ما أمست لنا روح

فليت ضعف الذى ألقى يكون بها بل ليت ضعف الذي ألقى تباريح

احدى بُنَيات عمى دون منزلها أرض بقِيعانها القيصوم والشيح

فبلغها شعره فجزعت منه ، فقيل لها اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله ، فقالت كلا والله لا أشكوه الا الى الله ، ثم قالت اللهم ان كان نوه باسمى ظالماً فاجعله طعاماً للريح ، فضرب الدهر ضرباته ، ثم انه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسَلَمَة فعصفت الريح فحدشه غصن منها فدَمِي وورِم به ومات من ذلك

شعراء أسد بن عبد العزى

جعفر بن الزبير

هو جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي من أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب ، من شعره وفيه غناء

هل فى ادكار الحبيب من حرج ... أم هل لهمّ الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى رحيلنا حُرُما ... يوْماً حللنا بالنخل من أَمَج
يوم يقول الرسول قد أذنت ... فأت على غير رِقبة فلِج
أقبلت أسعى الى رحالهمُ ... فى نفحة من نسيمها الأَرِج

شهد جعفر مع أخيه عبد الله حربه وقاتل يوم قتل عبد الله حتى جمد الدم على يده ، وفي ذلك يقول

لعمرك انى يوم أجلت ركائبى ... لأَطيب نفساً بالجلاد لدى الركن
ضنين بمن خلفى شحيح بطاعتي ... طِراد رجال لامطاردة الحصَن[1]
غداة تحامتنا تُجيب وغافق ... وهمدان تبكى من مطاردة الطبن

كانت بينه و بين أخيه عروة معاتبة ، فقال فى ذلك

لا تلحيَنِّى يا ابن أمى فاننى ... عدو لمن عاديت يا عرو جاهد
وفارقت اخوانى الذين تتابعوا ... وفارقت عبد الله والموت عائد
ولولا يمين لا أراك أبرها ... لقد جمعتنا بالقباء المقاعد

ومن قوله يرثى ابناً لأَسماء بنت مصعب بن ثابت

(١) جمع حصان

أهاجك بَيْنٌ من حبيب قد احتمل نعم ففؤادى هائم العقل مختبل
وقالوا صُحَيْرات اليمام وقدموا وابلهمُ من آخر الليل فى النفل
مررن على ماء العُشَيرة والهوى على مَلَل يا لهف نفسى على ملل
فتى السن كهل الحلم يهتز للندى أمر من الدِّفلى وأحلى من العسل

غزا صالح بن جعفر أرض الروم فقال فيه جعفر

قد راح يوم السبت حتى راحوا مع الجمال والتُّقَى صـــلاح
من كل حى نفر سماح بيض الوجوه عرب صحاح
وفزعوا وأخذ الســـلاح مصاعب يكرهها الجراح

ولجعفر شعر كثير قد نحل عمر بن أبى ربيعة بعضه ودخل فى شعره

لما تزوج الحجاج وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال انى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل وعسى الله فان أباها لم يزوج الا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصّر به ويذكر تجاوزه قدره ويقسم بالله لئن هو مسها ليقطعن أحب أعضائه اليه ويأمره بتسويغ أبيها المهر وبتعجيل فراقها ، ففعل ، فما بقى أحد فيه خير الا سره ذلك ، وقال جعفر بن الزبير في ذلك

وجدتَ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسف حياً من الأمر الذى جئت تنكف
ونبئت أن قد قال لما نكحتها وجاءت به رسل تَخُبّ وتوجف
ستعلم انى قد أنفت لما جرى ومثلك منه عمرَك اللهَ يأنف
ولولا انتكاس الدهر ما نال مثلها رجاؤك اذ لم يرج ذلك يوسف
أبنت المصفى ذي الجناحين تبتغى لقد رمت خطباً قدره ليس يوصف

قال شعيب بن جعفر فرض سليمان بن عبد الملك للناس فى خلافته وعرض

الفرض ، وكان ابن حزم فى ذلك محسناً يعلم الله أنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك ، قال شعيب فقال لي سليمان من أنت ؟ فقلت شعيب ابن جعفر بن الزبير ، فقال ما فعل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز على الكبر والعيال ، فقال قل له يحضر الباب ، فقال لجعفر احضر الباب ، فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير فرفع معه رقعة وأرسله الى عمر بن عبد العزيز فيها يقول

يا عمر بن عمر بن الخطاب ان وقوفى من وراء الباب

يعدل عندي حَطْم بعض الأنياب

فلما قرأها عمر عذره عند سليمان ، فأمر له سليمان بألف دينار فى دينه وألف دينار معونة على عياله وبرقيق من البيض والسودان وبكثير من طعام الجارى وأن يدَّان من الصدقة بألفى دينار ، فلما جاء ذلك الى أبى قل أعطيته من غير مسألة ؟ فقيل نعم ، قال الحمد لله ما أسخى هذا الفتى ، ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخى ولكن هذا كأنه من آل حرب ثم قال

فما كنت دياناً فقد دنت اذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور (١)

بوصل الى الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر فى الكرام كثير

قال بعض من روى هذا الخبر عن ابن الزبير والناس لا ينظرون فى عيب أنفسهم وما كان لجعفر أن يعيب أحداً بالبخل وما رؤى في الناس أبخل منهم أهل البيت ولا من عبد الله بن الزبير خاصة وما كان فيهم جواد غير مصعب

(١) كان السلطان بالمدينة اذا جاء مال الصدقة ادّان من أراد من قريش منه وكتب بذلك صكاً عليه فيستعبدهم به ويختلفون اليه ويدارونه فاذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه فكان هرون الرشيد فكاكه عبد الله بن مصعب فى صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش فأمر بها فخرقت عنهم فهذه هى الصكوك التى يريدها

عبد الله بن مصعب

هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدى

شاعر فصيح ذو عارضة وبيان واعتبار من الرجال وكلام فى المحافل وقد نادم أوائل الخلفاء من بنى العباس وتولى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله ابن الحسن بالمدينة على أبى جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قتل استتر عنه وقيل بل كان استتاره مدة يسيرة الى أن حج أبوجعفر وأمن الناس جميعاً

قال محمد بن أبى فروة دخلت على المهدى واذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب

فان يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلها ... مقالة واش أو وعيـــد أمير
فلم يمنعوا عينيَّ من دائم البكاء ... ولن يخرجوا ما قد أَجَنَّ ضميرى
وما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور
الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى ... ومن نفس يعتادنى وزفير

ويقول أحسن والله عبد الله بن مصعب ما شاء

ومن قوله وقد رأى على الحَوْءب جارية من بنى بكر بن كلاب فهويها وهو يته

يا جُمْل للواله المستعبر الصب ... ماذا تضمن من حزن ومن نَصَب
أنى أتيحت له للحين جارية ... فى غير ما أَمَم منها ولا كَثَب
جارية من أبى بكر كلفت بها ... ممن يحل من الحصباء والحَوَب
من غير معرفة ألا تعرضها ... حيناً كذلك ان الحين مجتلبي
قامت تعرض لى عمداً فقلت لها ... يا عمرك الله هل تدرين ماحسبى

فخطبها ، وكانت العرب لا تنكح الرجل امرأة شبب بها قبل خطبته ، فلم يزوجوها إياه فلما يئست منه قالت

اذا خَدِرت رجلي ذكرت ابن مُصْعَب فان قيل عبد الله خف فتورها
ألا ليتني صاحبت ركب ابن مصعب اذا مظاياه اتلأبَّت صدورها
لقد كنت أبكي واليمامة دونه فكيف اذا التفت عليه قصورها

وكان لها إخوة شُرُس غُيُرُ فقتلوها

وكان مصعب يلقب عائد الكلب لقوله

مالي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود
وأشد من مرضي عليَّ صدودكم وصدود عبدكم عليَّ شديد

ومن قوله وفيه غناء

شطت ولم تَثُب الرباب ولعل للكلف الثواب
نعب الغراب فراعني للبين اذ نعب الغراب

تم الجزء السادس

ويليه الجزء السابع وأوله

شعراء بني عبد مناف

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	**شعراء الديل بنو بكر**
٢	أبو الأسود الدؤلي
٢٤	الحزين الديلي
٣١	أبو العباس الأعمى
٣٦	**شعراء ليث بنو بكر**
٣٦	أبو الطفيل
٣٩	عروة بن أذينة
٤٤	المتوكل الليثي
٤٩	قيس بن ذريح
٧٤	مطيع بن إياس
٩٢	**شعراء هذيل**
٩٢	أبو صخر الهذلي
٩٨	عبيد الله بن عتبة
١٠٤	أمية بن أبي عائذ
١٠٦	**شعراء قريش**
١٠٦	**شعراء الحرث بنو فهر**
١٠٦	ابن هرمة
١٢٩	**شعراء عامر بنو لؤى**
١٣٦	ابن قيس الرقيات
١٥٢	سلمة بن عياش

ص	الموضوع
١٥٤	**شعراء جمح**
١٥٤	أبو دهبل
١٦٧	**شعراء عدى بنو كعب**
١٦٧	عمرو بن سعيد
١٦٧	عاتكة بنت زيد
١٦٩	**شعراء تيم بنو مرة**
١٦٩	عبد الرحمن بن أبي بكر
١٧١	عائشة بنت طلحة
١٧٩	اسمعيل بن يسار
١٨٧	محمد بن يسار
١٨٨	داود بن سلم
١٩٤	موسى شهوات
١٩٧	**شعراء مخزوم**
١٩٧	خالد بن المهاجر بن خالد
٢٠١	الحرث بن خالد
٢١١	عمر بن أبي ربيعة
٢٦١	**شعراء أسد بنو عبد العزى**
٢٦١	جعفر بن الزبير
٢٦٤	عبد الله بن مصعب

DATE DUE

الاصفهانى ،ابو الفرج على بن الحسين
[الاغانى. مختارات ١٩٢٥] مهذب الاغ
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01046188
U.B. LIBRARY

American University of Beirut